الفيلوكاليا

النصوص الأصلية الكاملة
جمعت بواسطة القديس نيقوديموس
الذي من الجبل المقدس (أثوس)
والقديس مكاريوس الكورنثي


خمسة مجلدات


المجلد الثاني

مراجعة وتقديم
نيافة الحبر الجليل
الأنبا يسطس
أسقف ورئيس دير القديس العظيم
الأنبا أنطونيوس
بالبحر الأحمر

ترجمة الراهب
أغاثون الأنطوني

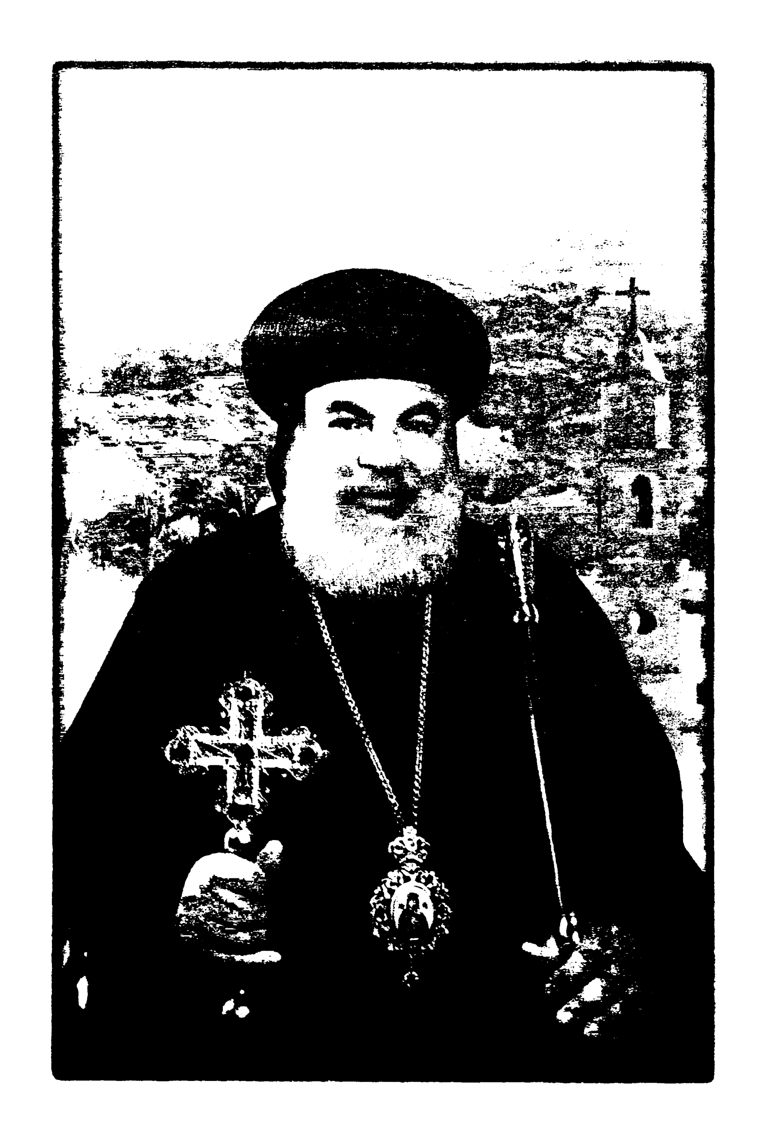




قداسة البابا

تواضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل

الأنبا يسطس

أسقف ورئيس دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس

بالبحر الأحمر

تقديم لنيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس
رئيس دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر

«إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» هكذا قال السيد المسيح له المجد لتلاميذه، بعد انتصاره على الموت وقيامته، لإنقاذ العالم من خلال الخلاص العظيم الذي أتمه على الصليب ومن خلال التمثل به كنموذج للحياة الجديدة فيه ولا نستطيع أن نفعل ذلك دون التلمذة المتواصلة من خلال التقليد الحي، النابع منه شخصيا وانتقل إلى التلاميذ الذين نشروه في المسكونة كلها، واستمر متواصلا في سلسلة أجيال أبائنا القديسين في حياتهم وأقوالهم معاً. هذه الأقوال حُفظت من جيل إلى جيل، ليس لأنها نتاج العقل البشري، ولكن لأنها نتاج حياة تلمذة معاشة بالروح القدس الذي أرشدهم في مسيرة حياتهم وجهادهم. هذه الأقوال هي ثمرة بزار جيدة وهي كلمة الله في أرض جيدة وهي نفوس القديسين التي أثمرت فيهم، وهي دورات من الزرع والحصاد؛ والحصاد هنا هو حياة أبدية. وكما كانت هناك أربع أنواع من الأرض في المثال (مر ٤: ٣- ٨) كذلك من يقرءون أقوال الآباء يمثلون الأربع أنواع هذه. النوع الأول هم الذين تم الإشارة إليهم بالطريق كما قال السيد المسيح «حينما يسمعون يأتي الشيطان للوقت وينزع الكلمة المزروعة في قلوبهم» (مر ٤: ١٥). إنه شيطان النسيان واللا مبالاة وهذا ينتج عن عدم وجود هدف واضح من قراءة هذه الأقوال وعدم وجود جدية في الاستفادة منها. النوع الثاني هم الذين تم الإشارة إليهم بالأماكن المحجرة وهم «الذين حينما يسمعون الكلمة يقبلونها للوقت بفرح ولكن ليس لهم أصل في ذواتهم بل هم إلى حين فبعد ذلك إذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فللوقت يعثرون» (مر ٤: ١٦- ١٧)، أي الذين يحسون بقوه هذه الخبرات ويبتهجون بها لكن ليس عندهم صبر على الضيقات عند تطبيقها في مسيرتهم في الطريق الروحي والتي قال عنها رب المجد يسوع المسيح «سيكون لكم ضيق» فلم يصبروا حتى يسمعوا «لكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣). النوع الثالث وهم من قال عنهم الذين زرعوا بين الشوك، أي الأرض التي بها شوك و«هم الذين يسمعون الكلمة وهموم هذا العالم وغرور الغني وشهوات سائر الأشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر» (مر ٤: ١٨- ١٩)، وهم من لهم أهداف أخرى غير ملكوت السموات مثل الغنى المادي والشهوات التي لا تعطي الفرصة للنمو الروحي وتقتل البزور الروحية في مهدها. النوع الرابع الذين سماهم السيد المسيح الأرض الجيدة وهم «الذين يسمعون

الكلمة ويقبلونها ويثمرون واحد ثلاثين وآخر ستين وآخر مئة» (مر ٤: ٢٠)؛ ومن يشير إليهم هنا هم من لهم ملكوت السموات كهدف واضح، وجادين في حياتهم الروحية، صابرين على الضيقات وفي النهاية بعد كفاح مدعوم دائماً بالنعمة يُثمرون ثمراً روحياً جميلاً له رائحة المسيح الذكية (٢كو ٢: ١٥). فيا أخوتي وأبنائي لنقرأ الكتاب المقدس وأقوال الآباء التي هي تطبيق له، بهذه الروح التي تعلمناها من رب المجد نفسه في الإنجيل كي نكون مثمرين وننال الحياة الأبدية في المسيح ونقضي غربة هذا العمر في سلامهِ الذي يفوق كل عقل (في ٤: ٧) له المجد الدائم مع أبيه والروح القدس الآن وكل أوان. آمين. الرب يعوض تعب أبونا الحبيب الراهب أغاثون الأنطوني الذي عكف على بحث وترجمة هذا المجلد الثاني من العمل الروحي الكبير المسمي بالفيلوكاليا نطلب من الله أن يُعينه على استكمال باقي المجلدات وأن يستخدمه هو وأخوته مجمع رهبان دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس ليكونوا بركة لهذا الجيل وللكنيسة كلها، طالباً صلوات الجميع من أجل ضعفي وأن يشملني ويشملكم الرب ببركة هؤلاء القديسين الذين نتتلمذ على أقوالهم، وبركة صلوات وشفاعات أمنا كلنا فخر جنسنا القديسة الطاهرة مريم والمُكرم المحب لأولاده الأنبا أنطونيوس أب كل الرهبان في العالم وتلميذه القديس بولس البسيط وبركة القديس الناسك الأنبا مرقس الأنطوني والقديس الأنبا يوساب الأبح وأبونا الحبيب القديس يسطس الأنطوني وبركة كل أباء البرية القديسين وصلوات الساهر عنا قداسة البابا **تواضروس الثاني** ولربنا كل المجد والإكرام والعزة والسجود الآن وكل أوان وإلى كل الدهور أمين.

اليوم الثاني من الأسبوع السابع من الخماسين المقدسة ٢٠١٦/٦/١٤

الأنبا يسطس
أسقف ورئيس دير القديس أنبا
أنطونيوس
البرية الشرقية – البحر الأحمر

شكر واجب:

إلى هنا أعاننا الرب. نشكر الله على إتمام المجلد الثاني ونطلب صلوات القراء لإتمام بقية المجلدات الجاري العمل بها. ونشكر أيضا نيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس رئيس دير القديس العظيم أنبا أنطونيوس على تعب محبته في مراجعة المجلد ونشكر أيضاً نيافة الحبر الجليل الأنبا مقار أسقف الشرقية وتوابعها على تعب محبته في المراجعة اللاهوتية للفقرات اللاهوتية في المجلد. وأيضاً أشكر أبونا دانيال الأنطوني علي تعبه في تصميم الغلاف. أتوجه بالشكر أيضًا لكل الرهبان والأحباء الذين شجعوني على مواصلة العمل وإتمامه، وكل من له تعب في هذا العمل الرب يعوض تعب محبتكم جميعاً.

المترجم: الراهب أغاثون الأنطوني

مقدمة المترجم

فى مصر نبتت شجرة الرهبنة، وهى حياة الهدوء والسكون للعقل والقلب، على يد أبينا القديس أنبا أنطونيوس أب كل رهبان العالم. وإمتدت فروعها الى كل أنحاء المسكونة، مثمرة أثمارا جميلة ذات رائحة عطرة، هى رائحة المسيح الزكية، وقد تم جمع بعض من هذه الثمار فى كتاب الفيلوكاليا وهى كلمة يونانية تعنى محبة الجمال؛ جمال هذه الثمار. وهى مجموعة من النصوص التى كتبت ما بين القرنين الرابع والخامس عشر بواسطة أساتذة التقليد المسيحى الأرثوذكسى، وقد تم تجميعها بواسطة راهبين يونانيين فى القرن الثامن عشر؛ القديس نيقوديموس من جبل آثوس المقدس (١٧٤٩- ١٨٠٩)، والقديس مكاريوس الكورنثى (١٧٣١- ١٨٠٥). وقد تم نشرها لأول مرة فى فنيسيا Venice (١٧٨٢) والطبعة الثانية نشرت فى أثينا (١٨٩٣) وهذه احتوت على اضافة نصوص اصلية فى الصلاة لـ كاليستوس البطريرك، لم تكن موجودة فى الطبعة الأولى. الطبعة الثالثة نشرت فى خمسة اجزاء ايضا فى اثينا فى السنوات (١٩٥٧، ١٩٦٣) بوسطة دار استر للنشر ومن طبعة استر هذه تم ترجمة النسخة الأنجليزية التى تم ترجمة هذه النسخة العربية منها. لقد تعلق الكثيرون من الناطقين بالعربية بهذه المجموعة القيمة من أقوال الآباء وإشتاقوا الى قراءتها بعد قراءتهم لكتاب سائح روسى على دروب الرب، الذى تم نقله الى العربية، والذى تم فيه الإشارة لأهمية الصلاة الدائمة كما تعلمها هذا السائح من الفيلوكاليا بإرشاد أبية الروحى. لكن لم تكن هناك ترجمة كاملة لهذه الكتابات الروحية، ولكن فقط بعض أجزاء منها. ومن هنا كانت الحاجة الى ترجمة النصوص الكاملة لهذه الأقوال، لتعم الفائدة، ولتعود أيضا هذه الثمار الى موطن الشجرة الأم لتستفاد بها الغروس الجدد. لذلك تمنيت القيام بهذه المهمة بالرغم من إننى لست من محترفيها، وعندما توفرت أمامى الكتب الأصلية تشجعت وبدأت العمل فيها الى أن تم المجلد الأول وجارى العمل فى بقية المجلدات تباعا. وننوه هنا إلى أن المادة الأدبية الموجودة هنا كتبت أصلا للرهبان بصفة عامة وللمتوحدين بصفة خاصة؛ لذلك لا تصلح كل التدرايب الواردة هنا للكل ولكن مضمونها يصلح للكل. ويجب على القارئ أن لا يقوم بتنفيذ أى شئ مما جاء هنا دون مشورة أبية الروحى. أطلب من القارئ العزيز أن يصلى من أجلى كى يُعيننى السيد المسيح على إتمام بقية الجلدات. وأوجه هنا شكر خاص لكل من ساعد فى إتمام هذا العمل الرب يعوض تعب محبتهم.

تذكار تقديم السيدة العذراء مريم إلى الهيكل

٢٠٠٨/١٢/١٢ ٣ كيهك ١٧٢٥ ش

المترجم

الراهب القس أغاثون الأنطونى

دير القديس الأنبا أنطونيوس بجبل القلالى

بالبرية الشرقية- البحر الأحمر

القديس ثيئودورس الناسك العظيم[1]

ST. THEODOROS THE GREAT ASCETIC

مقدمـــــــة

العملان التاليان: مئوية من النصوص الروحية A Century of Spiritual Texts وثيوريتكون Theoretikon منسوبان للقديس ثيئودوروس الناسك العظيم في الفيلوكاليا اليونانية، وهو راهب من دير القديس ساباس Sabas بالقرب من أورشليم، الذي أصبح فيما بعد أسقفاً على إديسا Edesa في سوريا (يحتفل به في تقويم الكنيسة[2] في ١٩ يوليو) تاريخياً بقى شخصية غامضة، حتى أن سيرة حياته التي كتبت بواسطة باسيل Basil من إميصا Emesa غالباً غير جديرة بالثقة، في حين أن القديس نيقوديموس يحدد تاريخه في القرن السابع، فربما يجب أن يوضع بعد قرنين لاحقين.

يمكن أن تكون المئوية عملاً للقديس ثيئودوروس، ولكن الثيورتيكون من المؤكد تقريباً إنها ليست له، ولكنها صياغة واسعة الحرية لإيفاجريوس، المئوية ليست قبل القرن السابع، حيث إنه يقترب من تعليم القديس مكسيموس المعترف بخصوص حب النفس، ولا بعد بداية القرن الحادي عشر، حيث إنه يوجد في مخطوطة سنة ١٠٢٣، تاريخ القرن التاسع بناء على ذلك ممكن. الثيوريتكون ملخص قيّم للحياة الروحية، ويصعب إعطاءه ترتيب زمني، ولكن بلا شك أكثر حداثة من المئوية، ويمكن أن يكون متأخر حتى عن القرن السابع عشر، الذي يجعله واحد من آخر النصوص في الفيلوكاليا. من الواضح أنه غير كامل، ينقصه الافتتاح والخاتمة.

---

(١) الألقاب هنا بحسب الكنيسة اليونانية ـ م.

(٢) الكنيسة اليونانية ـ م.

مئوية من النصوص الروحية

١- حيث إننا بنعمة الله قد جحدنا الشيطان وأعماله وقد تعهدنا بالولاء للمسيح، في كل من معموديتنا والآن ثانية من خلال نذرنا كرهبان، لنحفظ وصياه ليس فقط كما يتطلب منا نذرنا المزدوج ذلك، ولكنه أيضاً واجبنا، لأنه منذ خُلقنا في الأصل بواسطة الله «حسناً جداً» (تك ١: ٣١)، فنحن مدينون لله بأن نكون كذلك. بالرغم من أن الخطيئة قد دخلت فينا من خلال إهمالنا وأنتجت فينا ما هو مضاد للطبيعة، فقد تم إصلاحنا من خلال رحمة الله العظيمة وتجددنا بآلامه، ذاك المنزه عن الألم لقد «اشترينا بثمن» (قارن مع[1] .١كو ٦: ٢٠)، أي بدم المسيح، وحُرْرنَا من الخطيئة الجدية القديمة. فعندئذٍ إذا أصبحنا أبراراً، فهذا ليس بشيئاً عظيماً، ولكن أن نسقط من البر فهذا شيئاً يُرثى له ويستحق الإدانة.

٢- كما أن العمل الخيّر الذي يتم بدون إيمان حقيقي هو ميت تماماً وغير مؤثر، كذلك أيضاً الإيمان وحده بدون أعمال البر لا ينقذنا من النار الأبدية؛ لأنه «من يحبني» يقول الرب «يحفظ وصاياي» (ق.م. يو ١٤: ١٥، ٢٣). حينئذٍ إذا أحببنا الرب وآمنا به، فسوف نُجِهد أنفسنا لكي نتمم وصاياه، حتى نُمنح الحياة الأبدية. ولكن كيف يمكن أن نسمى أنفسنا مؤمنين إذا أهملنا حفظ أوامره، التي تُطيعها كل الخليقة، وإذا كنا، بالرغم من إننا قد كُرِّمنا على كل الخليقة، (فنحن) المخلوقات الوحيدة التي لا تطيع الخالق. ونظهر أنفسنا عاقيّن للمحسن إلينا؟

٣- عندما نحفظ وصايا المسيح فنحن لا نفيده بأي طريقة، حيث أنه لا يحتاج شيء وهو المانح لكل بركة، إنها أنفسنا التي ستفاد، حيث أننا نربح لأنفسنا الحياة الأبدية والتمتع بالبركات التي لا توصف.

٤- إذا كان أي أحد مهما كان يقاومنا في تتميم وصايا الله، حتى ولو كان أبينا أو أمنا فيجب علينا أن نعامله بالكراهية والاشمئزاز (لأعماله وأقواله)، لئلا يقال لنا : «من يحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقني» (ق.م. مت ١٠: ٣٧).

٥- لنلزم أنفسنا بكل قوتنا لكي نكمل وصايا الرب، لئلا نُمْسَك نحن أنفسنا بالأربطة الغير قابله للكسر التي لرغباتنا الشريرة واللذات المفسدة للنفس (ق.م. أم ٥: ٢٢)، وتنطبق

(١) سيتم إختصارها الى (ق.م.) المترجم.

علينا أيضا الجملة التي قيلت على شجرة التين الغير مثمرة: «اقطعها لماذا تبطل الأرض» (ق.م. لو ١٣: ٧). مثلما قال المسيح، «كل شجرة لا تصنع ثمراً تقطع وتلقى في النار» (مت ٣: ١٠).

٦- من يُسلم نفسه للشهوات والملذات الحسية ويحيا بالطريقة الدنيوية سوف يُصطاد سريعا بشِباك الخطيئة. والخطيئة، متى ارتُكِبَت مرة، فهي مثل نار وُضِعَت في القش، وحجر يتدحرج إلى أسفل أو كسيل يأكل تدريجيا ضفتيه. حينئذٍ، مثل هذه الملذات، تجلب هلاكاً تاماً لمن يحبها.

٧- طالما كانت النفس في حالة مضادة للطبيعة، وتعبث بالأعشاب الضارة والأشواك التي للملذات الحسية، فهي مسكن للوحوش البشعة، وتنطبق عليها كلمات أشعياء: يستريح هناك قنطور الحمار، والقنافذ تضع مخابئها فيها، وشياطين سوف ترافق قنطور الحمار (ق.م. أش ٣٤: ١١، ١٤ س)- لأن كل هذه الحيوانات- تشير إلى الشهوات المخجلة المتنوعة. ولكن النفس، طالما كانت مربوطة بالجسد، يمكن أن تُرجع نفسها إلى الحالة الطبيعية في أي وقت تريد، ومتى فعلت ذلك وهذبت نفسها بجهد مُجتهد، وعاشت طبقاً لناموس الله، فسوف تأخذ الوحوش البرية التي تسكن في داخلها في الفرار، بينما الملائكة التي تحرس حياتنا سوف تأتى لمساعدتها، جاعلة يوم رجوع النفس يوم فرح (ق.م. لو ١٥: ٧)، ونعمة الروح القدس سوف تحضر فيها، معلمة إياها معرفة روحية، حتى يمكن أن تتقوى بما هو صالح وترتقي إلى أعلى مستوى.

٨- الآباء يعرفون الصلاة كسلاح روحي. إذا لم نتسلح بها لا نستطيع أن نشتبك في حرب، بل نساق كأسرى إلى بلد الأعداء، ولا نستطيع أن نحرز الصلاة النقية إلا إذا التصقنا بالله بقلب مستقيم. لأنه هو الله الذي يُعطى الصلاة للذي يصلى ويُعلم الإنسان المعرفة الروحية.

٩- ليس في متناول قدرتنا أن نقرر ما إذا كانت الشهوات سوف تُغير وتهجم على النفس أم لا. ولكن في مقدورنا أن نمنع الأفكار الملتهبة من التحرك في داخلنا لإثارة الرغبات إلى فعل. الأول في هذه الظروف غير خاطئ، نظراً لأنها خارج سيطرتنا؛ بينما الثاني متورط. إذا حاربنا ضد الشهوات وهزمناهم فنحن مُكافئون، ولكن سوف نُعاقَب إذا كنا بسبب الكسل والجبن تركناهم يهزموننا.

١٠- توجد ثلاث شهوات رئيسية، من خلالهم ينهض كل الباقين: محبة اللذة الحسية، محبة الغنى، ومحبة المديح. بمجرد استيقاظهم يتبعهم خمسة أرواح شر أخرى، ومن هذه الخمسة ينهض سرب عظيم من الشهوات وكل طريقة للشر. وهكذا من يهزم الثلاثة قواد وحكام ففي نفس الوقت يهزم الخمسة الآخرين ويقهر كل الشهوات.

١١- ذكريات كل الأفعال الملتهبة التي فعلناها تمارس حكم إستبدادي ملتهب على النفس، ولكن عندما تمحى الأفكار الملتهبة بالتمام من قلبنا، حتى إنهم لا يعودون بعد يؤثرون فيه حتى ولو كإثارات، فهذه هي علامة أن أفعالنا الخاطئة السابقة قد غفرت، لأنه طالما القلب مثار بالشهوة فالخطيئة تملك بوضوح هناك.

١٢- الشهوات الجسدية أو الشهوات التي تخص الأشياء المادية تقل وتذبل من خلال المصاعب الجسدية، بينما الشهوات الغير مرئية التي للنفس تُدمَر من خلال التواضع، الوداعة والحب.

١٣- ضبط النفس مع التواضع يُذبل الرغبة الشهوانية، الحب يُهدئ الغضب المشتعل، والصلاة المكثفة مع الانتباه لله تركز الأفكار المشتتة. وهكذا فإن النفس الثلاثية[١] قد تطهرت. إلى هذه النهاية تكلم الرسول: «اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب» (عب ١٢: ١٤).

١٤- أناسٌ كثيرون يتساءلون ما إذا كان الفكر يثير الشهوة أم أن الشهوة تثير الفكر. البعض يقول الأول والبعض يقول الثانية. من وجهة نظري الأفكار تثار بواسطة الشهوات. لأنه لو لم تكن الشهوات في النفس، فإن الأفكار التي بشأنهم لم تكن لتزعجها.

١٥- الشياطين الذين يشنون دائما الحرب علينا، يحاولون أن يمنعوننا من تأدية الأفعال التي في متناول مقدورنا والتي سوف تساعدنا لكي نقتنى الفضائل، في حين إنه في نفس الوقت يقترحون طرقا لإنجاز الأشياء التي هي في الواقع مستحيلة أو ليست في مكانها. إنهم يجبرون هؤلاء الناميّين في الطاعة على أن يتبعوا طرق الهدوئيين[٢] في الحياة؛ ويزرعون في الهدوئيين والمتوحدين الرغبة في نظام المجمع؟ إنهم يستخدمون طريقة مماثلة فيما يتعلق بكل فضيلة. لذلك، لنكن منتبهين لمخططاتهم،

---

(١) النفس الثلاثية المقصود بها قوى النفس الثلاثة وهى الذكاء والرغبة وقوى الإثارة وهى موضحة فى فقرة (٢٤) - م.

(٢) أى الذين يحيون فى الهدوء- م.

عارفين أن كل الأشياء جيدة في وقتها ومكانها المناسبين، بينما الأشياء التي ينقصها القياس وفى غير محلها ضارة.

١٦- تشن الشياطين حربا من خلال النشاطات العملية، مع هؤلاء الذين يعيشون في العالم ومرتبطين مع الأشياء المادية التي تغذى الشهوات؛ بينما هؤلاء الذين يسكنون في البرية، حيث الأشياء المادية نادرة، فإنهم يحاربونهم بواسطة إزعاجهم بأفكار شريرة. الصيغة الثانية من الحرب أصعب بكثير من أن تحتمل؛ لأن الحرب من خلال الأشياء تتطلب وقت ومكان معينين، ومناسبة لائقة، بينما الحرب من خلال الأفكار زئبقية ويصعب السيطرة عليها. ولكننا أُعطينا الصلاة النقية كسلاحنا الجديد بالثقة في هذا القتال الروحي: هذا الذي لأجله قال لنا أن نصلى بلا انقطاع (ق.م. ١تس ٥: ١٧). الصلاة تقوي الفكر في الجهاد، نظرا لأنها يمكن أن تمارس حتى بدون مشاركة الجسد.

١٧- يقول القديس بولس مشيرا إلى الإماتة التامة للشهوات «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥: ٢٥). لأننا، عندما نُميت الشهوات، ندمر الرغبات تماما، ونخضع إرادة الجسد للروح (القدس)، ونحمل الصليب ونتبع المسيح (ق.م. مت ١٦: ٢٤) لأن الانسحاب من العالم هو لا شيء آخر سوى إماتة الشهوات وإظهار الحياة المختفية في المسيح (ق.م. كو ٣: ٣- ٤).

١٨- هؤلاء الذين استسلموا في حرب الساعة بساعة التي لهم، بسبب ضعفهم عند تمرد «جسد هذا الموت» (رو ٧: ٤) يجب أن لا يلوموا الجسد ولكن أنفسهم. لأنهم إن لم يعطوه القوة، معتنين به حتى يستطيع أن يُرضى رغباته (ق.م. رو ١٣: ١٤)، ما كانوا قد أُحزنوا هكذا بشدة بواسطته. ألم يروا كيف جعل هؤلاء الذين قد صلبوا أنفسهم مع شهواتهم ورغباتهم، والذين أظهروا موت المسيح في جسدهم الفاني (ق.م. ٢كو ٤: ١٠)، الجسد سلسا ومطيعا لناموس الله، لدرجة إنه يبرهن على إنه حليف أكثر منه مقاوم في طموحهم إلى الإلهي؟ ليفعلوا ذلك بالمثل وسوف يتمتعوا بنفس السلام.

١٩- أي قبول بالفكر لرغبة ما ممنوعة، الذي هو كل خضوع للتساهل مع النفس، هو خطيئة للراهب. لأنه في البداية تبدأ الفكرة في إظلام الفكر من خلال الواجهة المتاحة في النفس. وحينئذٍ تخضع النفس لـ اللذة، بدلا من الصمود في القتال. هذا ما يسمى بالقبول، الذي هو- كما قيل- خطيئة. عندما يستمر القبول فإنه يحفز الشهوة

المطلوبة، حينئذٍ قليلاً قليلاً تقود إلى الإتمام الفعلي للخطيئة. هذا الذي لأجله يصرخ النبي طوبى لهؤلاء الذين يضربون أطفال بابل في الصخرة (ق.م. مز ١٣٧: ٩). الناس بالفهم والإفراز سوف يفهمون ماذا يعنى هذا.

٢٠- لكونهم خدام للحب والسلام، تبتهج الملائكة بتوبتنا (ق.م. لو ١٥: ٧) وتقدمنا في القداسة. من ثم فهم يحاولون أن يُنموا التأمل الروحي في داخلنا ويتعاونون معنا لتحقيق أي شكل من البركة. الشياطين، في المقابل، لكونهم مُنتجين للغضب والشر، يبتهجون عندما تضعف القداسة فينا، ويتعمدون أن يغزوا أنفسنا بالخيالات المخجلة.

٢١- الإيمان فطرة ممتازة في طبيعتنا. إنها تقوى فينا مخافة الله؛ ومخافة الله تغرس حفظ الوصايا هذا الذي يُنشيء ممارسة الفضيلة. ومن مثل هذه الممارسة تنمو الزهرة الثمينة التي لـ اللاهوى[1]. وذرية اللاهوىَ هو الحب، الذي هو المتمم لكل الوصايا. (ق.م. رو ١٣: ١٠)، رابطا وممسكا بهم في وحدة.

٢٢- عندما يكون الإدراك الحسي للجسد سليما يكون المرء واعيا بأي مرض يصيبه، بينما إذا كان المرء لا يعي فيكون المرء ضحية البلادة. بالمثل، الفكر، طالما كان يحفظ طاقته صحيحة، فهو واعي بقوته ويعرف من أين تدخله الشهوات المستبدة؛ ويقوم بمقاومة صامدة ضدهم. ولكن من الصعب أن يمضى المرء يومه في حالة اللاوعي، مثل من يحارب في الليل، لعدم مقدرته على رؤية الأفكار الشريرة التي تحارب المرء.

٢٣- عندما يكرس ذكائنا نفسه بطريقة لا تلين للتأمل في الفضائل، ورغبتنا مركزة فقط على هذا وعلى المسيح الذي يمنحه، بينما تُسلح قوى الإثارة في نفسنا ذاتها ضد هذه الشياطين، حينئذ فإن قدراتنا تعمل طبقا للطبيعة.

٢٤- كل نفس على صورة الله تكون ثلاثية، طبقا لغريغوريوس الثيئولوغوس. الفضيلة، عندما تتأسس في الذكاء، يسميها الإفراز، الفهم، والحكمة؛ وعندما تكون في قوى الإثارة يسميها الشجاعة والصبر وضبط النفس. وعندما تكون في قدرة الرغبة، يسميها الحب، كبح النفس وضبط النفس. العدل أو الحكم الصواب ينفذ من الثلاث وجهات للنفس، مُتِيحَا لهم أن يعملوا في توافق. من خلال التمييز تحارب النفس القوات المعادية وتدافع عن الفضيلة. من خلال كبح النفس ترى الأشياء بدون شهوة.

(١) اللاهوى هو عدم الخضوع للأهواء-م.

من خلال الحب يُحث الإنسان أن يحب كل الناس مثل نفسه. من خلال ضبط النفس تزيل كل لذة حسية. وأخيرا بواسطة الشجاعة والصبر تسلح نفسها ضد أعدائها الغير مرئيين. هذا هو توافق العضو الشجي الذي للنفس.

٢٥- من يُنمى كبح النفس ويشتاق إلى النقاوة المباركة- التي يمكن أن نسميها بحق باللاهوىَ- يجب أن يُهذب الجسد ويأتي إلى الخضوع، ويتوسل إلى النعمة الإلهية بالأفكار المتواضعة، وسوف يحقق الهدف الذي يرغبه. ولكن من يغذى جسمه بإسراف فسوف يُعذب بواسطة شيطان النجاسة. بالضبط كما أن المياه الكثيرة تطفئ اللهب، كذلك الجوع أو ضبط النفس المتحد مع تواضع النفس تخمد حمى الجسد والتخيلات المخجلة.

٢٦- إذا كنت تحب المسيح فيجب عليك أن تُبقى شهوة الضغينة بعيداً عن نفسك. يجب أن لا تخضع لمشاعر العداء مهما كان السبب: الحقد الذي يكمن في القلب هو مثل نار مُخبأة في قضبان كتان جافة. بالأحرى يجب أن تصلى بحرارة لأي أحد أحزنك، ويجب أن تساعده، إذا كان لديك الإمكانيات. بهذا الفعل سوف تنقذ نفسك من الموت (ق.م. طو ٤: ١٠) ولاشيء يُعيق شركتك مع الله عندما تصلى.

٢٧- الرب يسكن في أنفس المتواضعين؛ ولكن الشهوات المخجلة تملأ قلوب المتكبرين. لا يوجد شيء يقوى هذه الشهوة ضدنا مثل أفكار العجرفة، ولاشيء يستأصل الأعشاب الشريرة التي للنفس بفاعلية هكذا مثل الإتضاع المبارك. من ثم فإن الإتضاع يُدعى بحق جلاد[١] الشهوات.

٢٨- لتكن نفسك محررة من الخيالات الشريرة ومضاءة بأفكار ما هو حقا شريف. تذكر باستمرار القول، «القلب المتساهل مع نفسه يصبح سجنا وسلسلة للنفس عندما تترك هذه الحياة؛ بينما القلب المجتهد باب مفتوح» حقا عندما تترك النفوس النقية الجسد؛ فإنهم يُعانون بالملائكة الذين يقودونهم إلى حياة الغبطة. ولكن الأنفس الغير نقية والغير تائبة سوف يُؤخذون تحت مسئولية الشياطين.

---

(١) أو من ينفذ حكم الإعدام- م.

٢٩- جميل هو الرأس المزين بتاج ثمين، ومجموعة من الأحجار الهندية ولآلئ لامعة. ولكن بالمقارنة أكثر جمالا هي النفس الغنية بمعرفة الله، مستنيرة بأكثر التأملات إشراقا والروح القدس ساكنا في داخلها. من يستطيع أن يصف بطريقة وافية جمال هذه النفس المباركة؟

٣٠- لا تدع الغضب والسخط يضعان منزلهم فيك، لأن «الرجل الغضوب غير مُكرم» (أم ١١: ٢٥ س)، بينما تسكن الحكمة في قلب الوديع. إذا سيطرت شهوة الغضب على نفسك، فإن هؤلاء الذين يعيشون في العالم سوف يبرهنون إنهم أفضل منك، وأنت سوف تُسلم للعار كغير مستحق للوحدة الرهبانية.

٣١- في أي تجربة وفى كل حرب استخدم الصلاة كسلاحك الذي لا يقهر، وبنعمة المسيح سوف تكون منتصرا. لتكن صلاتك نقية، كما ينصح معلمنا الحكيم. لأنه قال «أريد أن يصلى الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال» (١تى ٢: ٨). ولكن الشخص الذي يهمل مثل هذه الصلاة سوف يُسلم للتجارب والشهوات.

٣٢- الـ «خمر تفرح قلب الإنسان» (مز ١٠٤: ١٥). ولكنك أنت يا من نذرت الحزن والأسى يجب أن تطرد مثل هذه السعادة وتبتهج بالعطايا الروحية. إذا ابتهجت بالخمر، فسوف تحييَ مع أفكار مخجلة والحزن سوف يغمرك.

٣٣- لا تخطط أن تمضى أيام الأعياد في شرب الخمر، ولكن في تجديد فكرك وتنقية روحك. إذا أكلت بنهم وشربت خمرا فسوف تثير الغضب في الشخص الذي يُكرمه العيد.

٣٤- نحن أُمرنا أن نحفظ السهر- بالصلاة، القراءة وتلاوة الإبصلمودية - في كل الأوقات، وخاصة في الأعياد. الراهب الذي يحفظ السهر يصفى ذهنه للتأمل، بينما النوم الكثير يُغلظ الفكر. ولكن أحترس من مرور الوقت أثناء السهر في ثرثرة فارغة أو أفكار شريرة. من الأفضل أن تكون نائما من أن تحفظ السهر بكلمات وأفكار باطلة.

٣٥- من يحتفظ بحية في حضنه ومن يحتفظ بأفكار شريرة في قلبه سوف يُقتلان كلاهما، واحد بأن يُعض في جسده بأنياب سامة والآخر بحقن سم قاتل في نفسه. دعنا إذا، نذبح بسرعة «أولاد الأفاعي» (مت ٣: ٧)؛ ودعنا من هنا فصاعدا أن لا نجلب أفكاراً شريرة من قلبنا، لئلا نعانى من ضربات مرة.

٣٦- النفس النقية يمكن أن تدعى بحق «إناء مختار» (أع ٩: ١٥)، «جنة مغلقة»، «نبع مختوم» (نش ٤٠: ١٢) و «عرش الإدراك» (أم ١٢: ٢٣س).

٣٧- لقد سمعت من شيوخ خبراء في ممارسة الفضائل أن الأفكار الشريرة تولد في النفس بواسطة الملابس المبهرجة، امتلاء البطن والصحبة الرديئة.

٣٨- لا يجب أن تسكن الرغبة في الثروة المادية في أنفس هؤلاء الذين يتبعون الطريق الروحي. لأن الراهب الذي له كثير من الممتلكات هو سفينة محملة بأكثر من اللازم، منقادة بواسطة عاصفة الاهتمامات وتغرق في المياه العميقة التي للحزن. محبة الثروات تؤدى إلى كثير من الشهوات، وقد دعيت بشكل ملائم «أصل كل الشرور» (١تى ٦: ١٠).

٣٩- حالة الفقر الكامل، مصحوبا بالصمت، هي كنز مخفي في حقل الحياة الرهبانية (ق.م. مت ١٣: ٤٤). لذلك «اذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء» (مت ١٩: ٢١)، وأقتن هذا الحقل. وعندما تخرج الكنز من الأرض، أحفظه غير ممسوسا، حتى يمكن أن تكون غنيا بثروة لا تنضب.

٤٠- متى وافقت على أن تكون سكناك مع أب روحي ووجدت إنه يساعدك، فلا تدع أحد يفصلك عن حبه وعن المعيشة معه. لا تدينه بأي شكل، لا تسبه حتى ولو كان يُعنفك أو يضربك، لا تسمع لمن يشوه سمعته لديك، لا تؤيد أي أحد ينتقده، لئلا يغضب الرب عليك ويمحى ذكرك من سفر الحياة (ق.م. خر ٣٢: ٣٣).

٤١- الجهاد لتحقيق الطاعة يُربح بواسطة نكران الذات، كما تعلمنا. من يسعى لكي يكون مطيعا يجب أن يسلح نفسه بثلاثة أسلحة: الإيمان، الرجاء والمحبة الإلهية والمقدسة (ق.م. ١كو ١٣: ١٣). وإذا دافع هكذا فإنه سوف يجاهد «الجهاد الحسن» ويأخذ «إكليل البر» (٢تى ٤: ٧-٨).

٤٢- لا تدين أفعال أبيك الروحي، ولكن طيع وصاياه. لأن الشياطين اعتادوا أن يظهروا لك عيوبه، لكي تكون أُذنك صماء لما يقوله لك. إنهم يسعون إما إلى طردك من الميدان كمحارب ضعيف وجبان، أو ببساطة إلى إرهابك بالأفكار التي تقوض إيمانك، وبذلك يجعلونك متبلدا تجاه أي شكل من الفضيلة.

٤٣- الراهب الذي لا يطيع وصايا أبيه الروحي ينتهك النذور الخاصة بتعهده الرهباني. لكن من اعتنق الطاعة وذبح مشيئته الخاصة بسيف الإتضاع قد أكمل حقا العهد الذي صنعه مع المسيح في حضور كثير من الشهود.

٤٤- من خلال ملاحظتنا أدركنا بوضوح أن أعداء حياتنا، الشياطين، غيورون جدا من هؤلاء الذين يسعون في الطريق النسكي تحت طاعة أب روحي. صارّون بأسنانهم عليهم ومبتكرون كل نوع من المكائد، يفعلون ويقترحون كل شيء ممكن لكي يفصلوا راهبا من عناية أبيه الروحي. إنهم يقترحون أعذاراً معقولة، إنهم يدبرون تهيجات، إنهم ينهضون الكراهية تجاه الأب، إنهم يظهرون تحذيراته كتوبيخ، إنهم يجعلون كلماته التي للتصحيح تبدو وكأنها سهام مرهفة. هم يسألون، لماذا وأنت حر، مضطر أن تكون عبداً- عبداً لسيد قاسى؟ إلى متى تنهك نفسك تحت نير العبودية ولا ترى نور الحرية؟ حينئذ فإنهم يُثيرون اقتراحات عن الضيافة، زيارة المريض والعناية بالفقير. بعد ذلك يمجدون بطريقة مبالغ فيها جوائز السكون والوحدة المتطرفان، ويبذرون كل نوع من الإعشاب الضارة الشريرة في قلب المحارب الورع، ببساطة لطرده من مرعى أبيه الروحي؛ وبحلهِ من هذا الملجأ الآمن فإنهم يطردونه إلى بحر، إلى العاصفة العنيفة والمُدَمِرة للنفس. في النهاية، عندما يستعبدونه لسلطتهم الخاصة، فإنهم يستخدمنه طبقا لرغباتهم الشريرة.

٤٥- أنت يا من تحت الطاعة لأب روحاني يجب أن تكون منتبها للدهاء الذي لأعدائك وخصومك. لا تنسى نذرك الرهباني وتعهدك أمام الله؛ لا تكن مهزوما بالإهانات؛ لا تكن خائفا من التأنيب؛ السخرية أو الازدراء؛ لا تتوقف عن مقاومة واعتراض توالد الأفكار الشريرة؛ لا تتهرب من انتقادات أبيك القاسية؛ لا تهين النير المبارك الذي للإتضاع بتجاسرك أن تكون مكتفيا بذاتك ووقح. بدلا من ذلك، اركض بصبر في السباق الذي يوضع أمامك مثبتا في قلبك كلمات الرب «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت ١٠: ٢٢)، ناظرا «إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع» (عب ١٢: ٢).

٤٦- ينقى الصائغ الذهب بصهره في آتون. والراهب المبتدئ يجب أن يسلم نفسه للجهاد من أجل الطاعة وللمحن النارية التي لحياة مقدسة، متعلما بعناء وصبر كثير ممارسة الطاعة. ومتى انصهرت أساليبه وعاداته القديمتين ويتعلم التواضع الحقيقي، فهو يصبح منيرا، أهلا للكنوز السمائية، وللحياة الأبدية والراحة المباركة حيث «هرب الألم والحزن» (أش ٣٥: ١٠ س)، وحيث تزدهر السعادة والبهجة الدائمة.

٤٧- الإيمان الداخلي الحقيقي يلد مخافة الله. مخافة الله تعلمنا حفظ وصايا الله. لأنه حيثما توجد مخافة، فإنه يقال، هناك الوصايا محفوظة. حفظ الوصايا يؤسس فضيلة عملية، التي تمهد السبيل إلى الفضيلة التأملية. من هذه فإن الثمرة هي اللاهوىَ. من خلال اللاهوىَ، تولد المحبة فينا. وبخصوص المحبة قال التلميذ المحبوب «الله محبة، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله، والله فيه» (١يو ٤: ١٦).

٤٨- طريقة حياة الراهب مملوءة حقا بالجمال والامتياز، بشرط أن تكون طبقا للقواعد والقوانين التي وضعت بواسطة مؤسسيها وقوادها، التي يتم تعلمها، كما كانوا، بالروح القدس. المحارب الذي للمسيح يجب أن يكون أسمى من الأشياء المادية وأن ينفصل عن كل أفكار أو أفعال دنيوية؛ لأنه كما يقول القديس بولس: «ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضى من جنده» (٢تى ٢: ٤).

٤٩- الراهب، بناء على ذلك، يجب أن يكون منفصلا عن الأشياء المادية، يجب أن يكون نزيها، خاليا من كل رغبات شريرة، غير ميال للمعيشة الناعمة، غير مدمنا للخمر، غير كسلانا، غير متراخيا، غير محبا للثروة، اللذة أو المديح. إذا لم يرفع نفسه عن كل هذه الأشياء، فسوف يفشل في تحقيق الطريق الملائكي الذي للحياة. النير سهل والحمل هين، لهؤلاء الذين يحققونه (ق.م. مت ١١: ٣٠)، الرجاء المقدس يقويهم في كل شيء. هذه الحياة وكل أنشطتها مملوءة بالبهجة، ونصيب النفس التي قد أحرزتها مبارك و «لن ينزع منها» (لو ١٠: ٤٢).

٥٠- إذا تركت الاهتمامات الدنيوية، والتزمت بالجهاد النسكي فيجب أن لا ترغب في أن يكون لك ثروة لتوزيعها على الفقراء. لأن هذه هي حيلة أخرى من إبليس الذي ينهض البر الذاتي فيك لكي تملأ فكرك بالقلق وعدم الراحة. حتى ولو كان عندك خبز أو ماء، فبه يمكن أن تفي واجبات الضيافة. وحتى إن كنت لا تملك هذه، ولكن ببساطة ترحب بالغريب وتعطيه كلمة تشجيع، فلن تكون فاشلا في الضيافة. فكر في الأرملة التي ذكرت في الإنجيل بواسطة ربنا: بفلسين فاقت الهبات السخية التي للأغنياء (ق.م. مر ١٢: ٤٢-٤٤).

٥١- هذه الأشياء تنطبق على الرهبان الذين يتبعون حياة السكون. ولكن هؤلاء الذين تحت الطاعة لأب روحاني يجب أن يكون لديهم تفكير واحد فقط في ذهنهم- أن لا يحيدوا أبدا عن أوامره. لأنهم إذا أدركوا ذلك، فأنهم يدركون كل شيء. ولكن إذا انحرفوا عن مثل هذه الطاعة الصارمة فأنهم سوف يفشلون تماما في الحياة الروحية وفى كل شكل من الفضيلة.

٥٢- حيث إنك صَدِيق للمسيح، فدعني أعطيك قطعة النصيحة الإضافية هذه. يجب أن تشتاق لأن تعيش في غربة، حرا من شروط وطرق بلدك. لا تؤسر بالقلق على والديك أو بواسطة روابط العاطفة لأقاربك. لا تمكث في مدينة لكن ثابر في البرية، قائلا مثل النبي: «ها أنا ذا كنت أبعد هاربا وأمكث في البرية» (مز ٥٥: ٧س).

٥٣- ابحث عن الأماكن التي هي منعزلة وبعيدة عن العالم. وحتى إذا كانت هناك ندرة للضروريات في المكان الذي تختاره فلا تخاف. إذا ألتف حولك أعدائك كالنحل (ق.م. مز ١١٨: ١٢) أو يُدندنون بخبث، هاجمين عليك مُزعجينك بكل أنواع الأفكار، لا تخف، لا تسمع لهم، لا تنسحب من الجهاد. أجل، تحمل بصبر، قائلا لنفسك دائما: «انتظرت الرب بصبر، وهو قد سمعني، وأنصت لتضرعي» (مز ٤٠: ١ س). وحينئذٍ سوف ترى الأشياء العظيمة التي يعملها الله، معونته، عنايته، وكل تدبيره لأجل خلاصك.

٥٤- إذا كنت صَدِيقا للمسيح فيجب عليك أن يكون لك كأصدقاء أشخاص نافعين لك ويشتركون في طريقتك في الحياة. ليكن أصدقاؤك رجال سلام، إخوة روحيين، آباء قديسين. بمثل هذا كان يتكلم ربنا عندما قال: «أمي وأخوتي هم هؤلاء الذين يصنعون مشيئة أبى الذي في السموات» (ق.م. مت ١٢: ٤٩-٥٠).

٥٥- لا تشتاق إلى الطعام المتنوع والغالي أو الملذات المهلكة. لأن «المتنعمة»، قد قيل عنها، «قد ماتت وهى حية» (١تى ٥: ٦). حتى مع الطعام العادي، تجنب الشبع التام على قدر الإمكان. لأنه مكتوب: «لا تنخدع بملء البطن» (أم ٢٤:١٥ س).

٥٦- يجب أن تتجنب تضييع الوقت باستمرار خارج قلايتك، إذا كنت قد اخترت حقا أن تمارس السكون. لأن ذلك ضار جداً، ويحرمك من النعمة، مظلماً عقلك، مستنزفاً ما تطمح إليه. هذا الذي لأجله قد قيل: «دوار الشهوة يُطيش العقل السليم» (حك ٤: ١٢). لذلك حِدْ من علاقاتك مع الناس الآخرين، لئلا يصبح فكرك مشتتا وحياتك في السكون مُعطلةٌ.

٥٧- عندما تجلس في قلايتك، لا تتصرف بأسلوب طائش وكسول. «السفر بدون اتجاه»، قد قيل عنه «مجهود ضائع »[١]. بدلا من ذلك، اعمل بشكل هادف، ركز فكرك وضع أمام عينيك دائما الساعة الأخيرة قبل موتك، تذكر تفاهة العالم، كيف هو خادع، كم هو ضعيف وعديم القيمة؛ تأمل في الحساب المخيف الذي سيأتي، كيف سَيُحضر مراقبو مكاتب المكوس[٢] القساة أمامنا واحدا تلو الآخر الأفعال، الكلمات والأفكار (ليست كل) التي اقترحوها ولكن التي قبلناها وجعلناها لنا. تذكر عقوبات الجحيم، وحالة الأنفس المسجونة هناك. تذكر، أيضا، هذا اليوم العظيم والمخوف، يوم القيامة العامة، عندما نُحضر أمام الله، والحكم النهائي الذي للقاضي المنزه عن الخطأ. احضر إلى الذهن العقاب الذي ينزل بالخطاة، التوبيخ، نقمة الضمير، كيف سوف ينبذهم الله ويطرحون إلى النار الأبدية، والى دود لا يموت، والى الظلمة المستغلقة حيث البكاء وصرير الأسنان (ق.م. مر ٩: ٤٤، مت ٨: ١٢). تأمل في كل العقوبات الأخرى، واجعل دموعك تبلل باستمرار خديك، ملابسك، المكان الذي تجلس فيه. لقد عرفت كثيراً من الرجال الذين أنتجت فيهم مثل هذه الأفكار وفرة من الدموع، والذين بهذه الطريقة طهروا بشكل رائع كل قوى نفوسهم.

٥٨- لكن فكر أيضا في البركات التي تنتظر الأبرار: كيف سيقفون عن يمين المسيح، والصوت الكريم الذي للسيد، ميراث الملكوت السماوي، العطية التي هي فوق إدراك الفكر، ذلك النور الحلو، الفرح الدائم، الذي لا يعوقه حزن أبدا، تلك القصور السمائية، الحياة مع الملائكة، وكل تلك الوعود التي وُعِدَ بها لهؤلاء الذين يخافون الرب.

٥٩- دع هذه الأفكار تسكن معك، تنام معك، تنهض معك. تيقن من أن لا تنساهم أبدا بل، حيثما تكون، احفظهم في عقلك، حتى يمكن أن ترحل الأفكار الشريرة، وأنت يمكن أن تمتلئ بالعزاء الإلهي. إذا لم تتقوى النفس بهذه الأفكار فإنها لا تستطيع أن تدرك السكون. لأن النبع الذي لا يوجد فيه ماء لا يستحق اسمه.

٦٠- هذه هي طريقة الحياة التي رُسمت لهؤلاء الذين يحيون في السكون: الصوم للحد الذي يستطيعه المرء، السهر، النوم على الأرض، وكل شكل آخر من الصعوبات من أجل الراحة المستقبلية. لأن القديس بولس يقول: «آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد

(١) القديس مرقس الناسك، فى الناموس الروحى، فقرة رقم ٥٤ المجلد الأول.

(٢) الضرائب- م.

العتيد أن يُستعلن فينا» (رو ٨: ١٨). الصلاة النقية مهمة على وجه الخصوص- صلاة متواصلة ومستمرة. مثل هذه الصلاة هي حصن آمن، ميناء محمى، حامية للفضائل، مدمرة للشهوات. إنها تجلب الحيوية للنفس، تنقى الفكر، تعطى راحة لهؤلاء الذين يُعانون، عزاءٌ للحزانى. الصلاة هي حديث مع الله، تأمل في الغير مرأى، النمط الملائكي في الحياة، الحافز إلى الإلهي، الضمان للأشياء التي نأمل فيها، «الثقة بما يُرجى» (عب ١١: ١). كناسك يجب أن تعتنق ملكة الفضائل هذه بكل قوتك. صل ليلا ونهارا. صل في أوقات الاكتئاب وفى أوقات الابتهاج، صل بخوف ورعدة، بعقل يقظ وساهر، حتى يمكن بذلك أن تكون صلاتك مقبولة من الله. لأنه، كما يقول ناظم المزامير: «عينا الرب نحو الصديقين وإذناه إلى صلاتهم (صراخهم)» (مز ٣٤: ١٥).

٦١- لقد قيل بشكل ملائم وبطريقة في محلها بواسطة واحد من القدماء[١] أن، من بين الشياطين الذين يقاومننا، هناك ثلاث مجموعات تحارب في الخط الأمامي: أولئك المؤتمنون على شهيات الشراهة، وأولئك الذين يقترحون أفكار الطمع، وأولئك الذين يحثوننا على البر الذاتي. كل الشياطين الأخرى تأتى ورائهم وفى دورهم يهاجمون هؤلاء الذين جُرِحُوا بالفعل بواسطة المجموعات الأولى الثلاث.

٦٢- حقا، لقد أصبحنا نعرف من خلال ملاحظتنا إنه من غير الممكن لإنسان أن يسقط في خطيئة أو أن يكون خاضعا لشهوة مُعينة إن لم يكن قد جُرح أولا بواحدة من هذه الثلاثة. هذا الذي لأجله هاجم إبليس مخلصنا بهذه الثلاث أفكار (ق.م. مت ٤: ١-١٠). ولكن ربنا، مظهرا نفسه أسمى منهم، أمر إبليس أن يرحل، مُورّثا لنا النصر الذي حققه في صلاحه وعطفه علينا. لقد أخذ جسدا من كل النواحي مثلنا ما عدا الخطيئة (ق.م. عب ٤: ١٥)، وأظهر لنا المسار الصائب الذي لعدم الخطيئة، بالمتابعة التي تشكل في أنفسنا الإنسان الجديد، الذي «يتجدد... حسب صورة خالقه» (كو ٣: ١٠).

٦٣- داود يعلمنا أن نبغض الشياطين «بغضا تاما» (مز ١٣٩: ٢٢)، لأنهم أعداء خلاصنا. هذه البغضاء ضرورية جدا لمهمة اقتناء القداسة. ولكن من هو الإنسان الذي يبغض أعداءه بغضا تاما؟ هو من لا يعود يخطئ في الفعل أو في الفكر. إلا إنه طالما وسائل صداقتنا معهم- بمعنى آخر، الأشياء التي تثير الشهوات- لازالت موجودة فينا، فكيف سَنُحقق مثل هذا البغض ضدهم؟ لأن القلب المتساهل مع نفسه لا يستطيع أن يربى هذا البغض في نفسه.

---

(١) ق.م. إيفاجريوس، نصوص عن الإفراز فقرة ١ الفيلوكاليا المجلد الأول.

٦٤- اللاهوىَ هو ثياب العرس للنفس المُشكلة على صورة لله التي بانفصالها عن الملذات العالمية، هجرت الرغبات المُضللة، وإنشغلت بالأفكار التقوية وبممارسة التأمل في أنقى شكل له. لكن من خلال تعاملها مع الشهوات تطرح النفس رداء كبح الذات وتحط من نفسها بارتدائها خرقا قذرة وأسمالا بالية. الرجل الذي في الإنجيل الذي ربطت يديه ورجليه وطرح في الظلمة الخارجية كان مرتديا ثوبا منسوجا من مثل هذه الأفكار والأفعال؛ وعلى ذلك أعلن اللوغوس (الله الكلمة) له إنه غير مستحق لوليمة العرس السماوي الخالد (ق.م. مت ٢٢: ١١- ١٣).

٦٥- ينتج كل شيء شرير في الناس،من محبة الذات، التي تسبب الكراهية لكل الناس، كما أخبرنا رجلا حكيما.لأن هذا العدو الرهيب، محبة الذات، هو الأول في ترتيب كل الشرور، وهو مثل طاغية ما بالمساعدة التي للثلاث شهوات الرئيسية والخمسة التي تأتى في صحوتهم يغمرون الفكر[١].

٦٦- أشك إذا كان إنسان يشبع نفسه بالغذاء يكون قادرا على أن يقتنى اللاهوىَ. لا أعنى باللاهوىَ الامتناع عن الخطيئة الفعلية- لأن هذا يسمى بضبط النفس. أعنى الامتناع الذي يقتلع الأفكار الشهوانية من الذهن ويُسمى أيضا نقاوة القلب.

٦٧- إن نظافة نفس غير نقية أقل صعوبة من استرداد صحة نفس نُظفت مرة ولكن جرحت ثانية. لأنه أقل صعوبة لهؤلاء الذين قد تركوا تشوش العالم حديثا أن يقتنوا اللاهوىَ، مهما كانت أخطائهم التي يمكن أن يكونوا قد ارتكبوها سابقا، من تلك التي لهؤلاء الذين قد ذاقوا كلمات الله المباركة وساروا في طريق الخلاص وبعدئذٍ ارتدوا إلى الخطيئة. إن هذا يعود جزئيا إلى تأثير العادة السيئة وجزئيا إلى حقيقة أن شيطان الكآبة يعلق دائما صورة الخطيئة أمامهم. ولكن بالتعاون مع النعمة الإلهية، فإن النفس المجتهدة والمثابرة يمكن أن تحقق بسهولة حتى هذا العمل الفذ الصعب الذي لاستعادة اللاهوىَ الخاص بها؛ لأن النعمة، طويلة الأناة والحنونة، تدعونا للتوبة، وبرحمة لا يُعبر عنها تقبل هؤلاء الذين يعودون، كما تعلمنا في الأناجيل من خلال مثل الابن المسرف (ق.م. لو ١٥: ١١- ٣٢).

---

(١) لتوضيح الثلاث شهوات والخمسة انظر فقرة رقم (١٠) من نفس النص.

٦٨- لا يوجد أحد فينا يستطيع بواسطة مجهوده المجرد أن ينتصر على الأدوات والحيل التي للشرير؛ يستطيع أن ينتصر فقط من خلال القوة التي لا تقهر التي للمسيح. فعلى ذلك، باطلا، يفعل أناس مغرورين يهيمون حول إدعائهم بأنهم قد أبطلوا الخطيئة من خلال إنجازاتهم النسكية ومشيئتهم الحرة. الخطيئة تبطل فقط من خلال نعمة الله، لأنها قد أُميتت من خلال سر الصليب. هذا الذي لأجله يقول نجم الكنيسة، يوحنا فم الذهب: «استعداد الإنسان والتزامه ليسا كافيان إذا لم يتمتع بمساعدة من الأعالي أيضا؛ بالمثل المساعدة من الأعالي ليس لها نفع لنا إلا إذا كان يوجد أيضا استعداد والتزام من جهتنا. هاتان الحقيقتان قد تم إثباتهما بواسطة يهوذا وبطرس. لأنه بالرغم من أن يهوذا تمتع بكثير من المساعدة، فإنها كانت بلا نفع له، حيث إنه لم يكن له رغبة فيها، ولم يقدم شيئا من نفسه. ولكن بطرس بالرغم من كونه راغبا ومستعدا، سقط لأنه لم يتمتع بالمساعدة من الأعالي. على ذلك فالقداسة منسوجة من هاتين الجديلتين. هكذا، أرجوك أن لا تعهد بكل شيء لله وبعدئذٍ تسقط نائما، ولا أن تعتقد، عندما تكافح بجد، بأنك سوف تحقق كل شيء بمجهوداتك.

٦٩- «الله لا يُريدنا أن نستلقي على ظهورنا بكسل؛ لذلك لا ينجز كل شيء بنفسه. ولا يُريدنا أن نكون مزهوين؛ لذلك لا يعطينا كل شيء. لكن باستبعاده ما هو ضار من هذين البديلين، فهو يترك لنا ما هو صالح لنا.» [1] حقا يفعل قول ناظم المزامير: «إن لم يبن الرب البيت، فباطلا يتعب البناءون؛ وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلا يسهر الحراس» (مز ١٢٧: ١ س). لأنه من المستحيل أن «تطأ الأفعى وملك الحيات وتسحق الأسد والتنين» (مز ٩١: ١٣ س)، إن لم تنظف نفسك على قدر ما تستطيع، وتكون قد تقويت بذاك الذي قال للرسل: «ها أنا أعطيتكم سلطان لتدوسوا الحيات والعقارب، وكل قوة العدو» (لو ١٠: ١٩). إنه لهذا السبب قد أُمرنا أن نتضرع للسيد أن «لا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير» (مت ٦: ١٣). لأنه إذا لم ننجوا من «سهام الشرير الملتهبة» (أف ٦: ١٦) من خلال قوة ومعونة المسيح، وأن نوجد مستحقين لاقتناء اللاهوىَ، نحن نتعب باطلا، معتقدين إنه من خلال قوانا الخاصة أو مجهوداتنا سوف ننجز شيئا ما. على ذلك، فمن يتمنى أن يثبت ضد «مكايد إبليس» (أف ٦: ١١) ويردهم غير فعالين، وأن يشارك في المجد الإلهي، يجب أن عليه أن يبحث ليلا

---

(١) يوحنا فم الذهب، عظة ٨٢ على متى فقرة ٤.

ونهارا عن معونة الله ونجدته الإلهية بدموع وتنهد، باشتياق لا يشبع ولهيب في نفسه. من يتمنى أن يشارك في هذا المجد يطهر نفسه من كل الملذات العالمية ومن الشهوات والرغبات التي لأعدائنا. لمثل هذه النفوس يتكلم الله عندما يقول: «سأسكن فيهم وأسير بينهم» (٢كو ٦: ١٦). والرب قال لتلاميذه: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبى وإليه نأتي وعنده نصنع منزلا» (يو ١٤: ٢٣).

٧٠- واحد من القدماء تكلم بحكمة وببساطة عن الأفكار[1]. يقول، حاكم الأفكار، أمام مجلس الحكم الذي للقلب، لكي تُميز ما أذا كانوا من الذين لنا أو من الذين لأعدائنا. ضع تلك الصالحة وبشكل صحيح ملك لنا في مقدسك الأعمق الذي في نفسك حافظا إياهم في كنزك المنيع هذا. لكن أدب الأفكار التي للعدو بسوط الذكاء وعاقبهم. غير معطيا لهم مكان، ولا إقامة في داخل حدود نفسك. أو، بكلام بشكل ملائم أكثر، اذبحهم تماما بسيف الصلاة والتأملات الإلهية، حتى أنه عندما يتم تدمير اللصوص، فإن رئيسهم قد يرتعب. لذلك هو يقول إنسان يمتحن أفكاره بصرامة فهو ذاك الذي أيضا يحب الوصايا حقا.

٧١- من يقاتل لكي يصد ما يزعجه بغارات متعددة ويحاربه، يجب أن يُجند معونة حلفاء آخرين- أعنى، تواضع النفس، التعب الجسدي وكل نوع من الصعوبات النسكية الأخرى، معا مع الصلاة التي تنبع من قلب موجوع ومصحوبة بكثير من الدموع. يجب أن يكون مثل داود من يقول: «أنظر إلى ذلي وتعبي واغفر جميع خطاياي» (مز ٢٥: ١٨)؛ «لا تسكت عند دموعي» (مز ٣٩: ١٢)؛ «صارت لي دموعي خبزا نهارا وليلا» (مز ٤٢: ٣)؛ و «مزجت شرابي بدموع» (مز ١٠٢: ٩).

٧٢- عدو حياتنا، إبليس، يوظف كثير من الحيل لكي يجعل خطايانا تبدو صغيرة لنا. في أغلب الأحيان يغطيهم بالنسيان، حتى إننا، بعد أن نعانى قليلا بسببهم، لا نعود ننزعج بالنوح عليهم. ولكن، يا إخوتي، دعونا لا ننسى آثامنا، حتى ولو اعتقدنا خطئا إنهم قد غُفروا من خلال التوبة؛ دعنا نتذكر دائما أفعالنا الخاطئة ولا نكف أبدا عن النوح عليهم، حتى يمكن أن نقتنى الإتضاع مثل رفيقنا الدائم، وهكذا نهرب من فخاخ البر الذاتي والكبرياء.

---

(١) قارن مع نيلوس (إيفاجريوس؟) الى الراهب اولوجيوس فقرة ١٢.

٧٣- لا يفكر أحد إنه يحتمل معاناة ويحقق القداسة من خلال قواه الخاصة. لأن الله هو السبب في كل الصلاح الذي يأتي إلينا. كما أن الشيطان الذي يخدع نفوسنا هو سبب كل الشرور. بناء على ذلك أشكر المسبب لأي أعمال صالحة تنجزها؛ وانسب لمحرضهم الشرور التي تتعبك.

٧٤- من يقرن ممارسة الفضائل بالمعرفة الروحية هو فلاح ماهر، يروى حقول نفسه من نبعين نقيين. لأن نبع المعرفة الروحية يُنهض النفس الغير ناضجة للتأمل في الحقائق الأعلى؛ بينما نبع الممارسة النسكية يُميت أعضائنا الأرضية: «الزنى النجاسة الهوى الشهوة الردية» (كو ٣: ٥). متى ماتت هذه، تزدهر الفضائل وتحمل ثمار الروح (القدس): «محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف» (غل ٥: ٢٢- ٢٣). وعندئذٍ فإن هذا الفلاح الفطن بصلبه «الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥: ٢٤)، سوف يقول مع القديس بولس «فأحي لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في... إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلى» (غل ٢: ٢٠).

٧٥- لاحظ، أيضا، أنت الذي هو صديق جيد للمسيح، إنه إذا وَجَدت شهوة واحدة مكانا فيك و(بدأت) تتجذر هناك، فسوف تُدخل الشهوات الأخرى أيضا في نفس المقدس (الداخلي). لأنه بالرغم من إن الشهوات، كمثل محرضيهم الشياطين، مضادين لبعضهم البعض، إلا أن كلهم واحد في السعي لهلاكنا.

٧٦- الإنسان الذي من خلال المجهود النسكي يُذبل زهرة الجسد، ويقطع كل شهواته، يحمل في جسده الفاني سمات الرب (ق.م. ٦: ١٧).

٧٧- صعوبات الحياة النسكية تنتهي في راحة اللاهوىَ، بينما طرق الحياة الناعمة تلد الشهوات المخجلة.

٧٨- لا تعتمد على سنينك الكثيرة في الحياة الرهبانية ولا تسقط ضحية الكبرياء بسبب خشونة جهادك النسكي والطريقة التي احتملت بها البرية؛ ولكن ضع في ذهنك قول الرب بأنك «عبد بطال» (ق.م. لو ١٧: ١٠) ولم تكمل الوصايا بعد. حقا، طالما كنا في هذه الحياة، فإننا لم نعد بعد من السبي، لكن مازلنا نجلس بجانب نهر بابل؛ لازلنا عبيدا في صنع (الطوب) اللبّن في مصر، لم نرى بعد أرض الميعاد. حيث إننا لم نخلع بعد «الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور» (أف ٤: ٢٢)، فإننا لم نلبس

بعد «صورة السماوي» (١كو ١٥: ٤٩). وفقا لذلك، فليس لنا سبب لكي نفتخر، لكن يجب أن نبكى، صارخين في الصلاة لمن يمكن أن ينقذنا من العبودية الثقيلة التي لأقسى الفراعنة، ويستطيع أن ينجينا من هذا الاستبداد الفظيع، ويأتي بنا إلى بركات أرض الميعاد، هناك لنجد راحة في مكان الله المقدس، ونثبت عن يمين العَلىِّ. لأن هذه الحقائق المباركة، التي هي أعلى من التفكير، لا تُقتنى من خلال أعمالنا، مهما اعتقدنا في صلاحها. ولكن تعتمد على رحمة الله التي لا تحد. لذلك دعنا لا نكف عن البكاء ليلا ونهارا، تابعين مثال ذاك الذي قال: «تعبت في تنهدي أعوم في كل ليلة سريري بدموعي أذوب فراشي» (مز ٦: ٦)؛ لأن «الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج» (مز ١٢٦:٥).

٧٩- أطرد من نفسك روح الثرثرة. لأن الشهوات الأكثر سوءاً تكمن فيها: الكذب، الكلام المنحل، الثرثرة السخيفة، التهريج، المجون. لنعرض الموضوع باختصار شديد، «بالثرثرة لن تهرب من الخطية» (أم ١٠: ١٩ س)، بينما الرجل الصامت «عرشٌ للإدراك» (أم ١٢: ٢٣ س). علاوة على ذلك، الرب قد قال إننا يجب أن نعطى حسابا عن كل كلمة بطالة (ق.م. مت ١٢: ٣٦). بناء على ذلك فإن الصمت ضروري جدا ومربح جدا.

٨٠- لقدُأمرنا أن لا نلعن أو نسئ بالمقابل إلى أولئك الذين يلعنونا ويسبوننا، بل بالأحرى أن نمدحهم وأن نباركهم (ق.م. مت ٥: ٤٤). لأنه إن كنا إلى هذا الحد في سلام مع الناس فإننا نحارب ضد الشياطين؛ ولكن عندما نشعر بالضغينة تجاه الإخوة ونحارب ضدهم، فإننا في سلام مع الشياطين، الذين قد تعلمنا أن نبغضهم «بغضا تاما» (مز ١٣٩: ٢٢)، محاربينهم بدون شفقة.

٨١- لا تحاول أن تمسك جارك في زلة بكلمات خادعة، لئلا تُمسك أنت نفسك بواسطة المدمر. لأنه كما يؤكد النبي «رجل الدماء والغش يكرهه الرب» (مز ٥: ٦)؛ «يقطع الرب جميع الشفاه الملقة واللسان المتكلم بالعظائم» (مز ١٢: ٣). بالمثل، لا تلعن أخوك بسبب أخطاءه، لئلا تسقط من الشفقة والحب. لأن الشخص الذي لا يظهر شفقة وحب تجاه أخيه «لم يعرف الله، لأن الله محبة» (١يو ٤: ٨)، كما يصرح يوحنا أبن الرعد والتلميذ المحبوب للمسيح؛ ويضيف أنه إذا كان المسيح، مخلص الكل، «وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة» (١يو ٣: ١٦).

٨٢- دُعيت المحبة بشكل ملائم بقلعة الفضائل، كل الناموس والأنبياء (ق.م. مت ٢٢: ٤٠؛ رو. ١٣: ١٠). لذلك دعنا نبذل كل جهد حتى نقتنيها. من خلال الحب سوف نتخلص من طغيان الشهوات ونرتفع إلى السماء، محمولين على أجنحة الفضائل؛ وسوف نرى الله، على قدر ما تستطيع الطبيعة البشرية.

٨٣- إذا كان الله محبة، فمن اقتنى المحبة فقد اقتنى الله في داخلة. إذا كان الله غائبا، فلا منفعة لنا على الإطلاق (ق.م. ١كو ١٣: ٣)؛ وإذا لم نحب الآخرين فلا نستطيع أن نقول إننا نحب الله. لأن، القديس يوحنا يكتب، «إن قال أحد أنى أحب الله، وأبغض أخاه فهو كاذب» (١يو ٤: ٢٠). وثانية يقرر أن «الله لم ينظره احد قط إن أحببنا بعضنا بعضا فالله يثبت فينا ومحبته قد تكملت فينا» (١يو ٤: ١٢). من ذلك فمن الواضح أن المحبة هي الأكثر شمولية والأعلى في كل البركات الإلهية المتكلم عنها في الكتاب المقدس. ولا يوجد شكل من الفضيلة يمكن من خلالها للإنسان أن يكون قريب من الله ويتحد به لا يعتمد على المحبة ويشتمل بها؛ لأن المحبة توحد وتحمى الفضائل بطريقة لا توصف.

٨٤- عندما نستقبل زيارات من إخوتنا، لا يجب علينا أن نعتبر ذلك مقاطعة مضجرة لسكوننا، مخافة أن نقطع أنفسنا من ناموس المحبة. ولا نستقبلهم كأننا نعمل معهم إحسانا، ولكن بالأحرى كأننا نحن الذين نأخذ إحسانا؛ ولأننا مدانين لهم، يجب أن نتوسل إليهم ببهجة لكي يستمتعوا بضيافتنا، مثلما بَين أبو الآباء إبراهيم لنا. هذا الذي لأجله يقول، أيضا، القديس يوحنا: «يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق، وبهذا نعرف إننا من الحق» (١يو ٣: ١٨- ١٩).

٨٥- مُرحبا بمهمة الضيافة، اعتاد أبو الآباء أن يجلس عند مدخل خيمته (ق.م. تك ١٨- ١)، داعيا كل من يمر بجانبه، ومائدته مجهزة لكل الآتين بما فيهم غير التقى والبرابرة بدون تمييز. ومن ثم وُجِدَ مستحقا لهذه الوليمة الرائعة عندما استقبل ملائكة وسيد الكل كضيوف له. نحن أيضا، بعدئذٍ، يجب أن ننمى بنشاط وحماس الضيافة، وذلك لعلنا نستقبل ليس فقط ملائكة، ولكن أيضا الله نفسه. لأنه «بما إنكم» يقول الرب «فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت ٢٥: ٤٠). من الجيد أن تكون كريما مع الجميع خاصة مع الذين لا يقدرون أن يردوا لك.

٨٦- إذا لم يحكم قلب الإنسان عليه (ق.م. ١يو ٣: ٢١) لتركه وصايا الله، أو للإهمال، أو لقبوله فكر معادى، حينئذٍ فهو نقى القلب ويستحق أن يسمع المسيح قائلا له: «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت ٥: ٨).

٨٧- دعنا نحاول أن نستخدم ذكائنا في تدريب حواسنا، خاصة العيون، الآذان، واللسان، غير سامحين لهم أن يروا، أو يسمعوا، أو يتكلموا بطريقة ملتهبة العاطفة، لكن فقط لمنفعتنا. لأنه لا يستطيع شيئا أن ينزلق للخطية بسهولة أكثر من هذه الأعضاء، عندما يكونون غير مدربين بواسطة الذكاء. أيضا لا يوجد شيئا مناسبا لحفظهم سالمين أكثر من الذكاء، الذي يرشدهم وينظمهم ويقودهم إلى ما هو ضروري والى ما يتمنى. لأنهم عندما يتمردون، تصبح حاسة الشم متخنثة، وحاسة اللمس غير مميزة، وأعدادا لا تحصى من الشهوات تأتى وتحتشد فيها. ولكن عندما يكونون خاضعين للذكاء، فيوجد سلام عميق وهدوء ثابت في كل الإنسان.

٨٨- شذا الزيت العطري الغالي الثمن، بالرغم من حفظه في قنينة، ينتشر في جو المنزل بالكامل، معطياً سروراً ليس فقط للقريبين منه ولكن أيضا للذين في الجوار؛ بالمثل فإن شذا النفس المقدسة، المحبوبة من الله، عندما يَنفُذ من خلال كل حواس الجسم، ينقل لهؤلاء الذين يأخذونه القداسة التي تكمن فيها. في محضر من لسانه لا ينطق بشيئا قاسيا أو مخالفا، ولكن فقط ما هو للبركة والمنفعة لهؤلاء الذين يسمعون، الذي عيناه متواضعتان، وإذناه لا تسمع للأغاني والكلمات الغير لائقة، الذي يتحرك مباشرة ووجهه غير فاسقا بالضحك لكن بالأحرى يميل إلى الدموع والحزن، من منا لن يشعر أن مثل هذه النفس مملوءة بشذا القداسة؟ لذلك يقول المخلص: «فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥: ١٦).

٨٩- ما دعاه المسيح ربنا بـ «الطريق الضيق» (مت ٧: ١٤)، دعاه أيضا بـ «النير الهين» و «الحمل الخفيف» (ق.م. مت ١١: ٣٠). كيف يمكن أن يساوى بين هذه الأشياء بينما تبدوا متعارضة؟ بالطبع هذا المسار بالنسبة إلى طبيعتنا خشن وشاهق، ولكن هؤلاء الذين يتبعونه بكل قلوبهم وبرجاء صالح، والذين يطمحون إلى القداسة، يجدونه جذابٌ ومملوّ بالبهجة، لأنه يأتي بهم إلى السعادة، وليس الأسى. ومن ثم فإنهم يتبعون بحماسة الطريق الضيق والمؤلم، مفضلينه بشدة عن ذلك الواسع والرحب. اسمع للقديس لوقا، الذي يخبرنا عن الرسل، كيف، بعدما ضُربوا، ذهبوا من أمام المجمع فرحين (ق.م. أع ٥: ٤١)، بالرغم من إن هذا ليس التأثير الطبيعي للضرب. لأن الجلدات، تسبب عادة، لا السعادة ولا الفرح، ولكن الألم والمعاناة. إلا إذا كانت

من أجل المسيح، فإنها تنتج الفرح، وما الذي يدعو إلى العجب إذا كانت المشقات الجسدية الأخرى وسوء المعاملة من أجله، تعطى نفس التأثير؟

٩٠- عندما نكون مضطهدين ومسجونين بالشهوات، فإننا غالبا ما نتحير لمعرفة لماذا نعانى منهم. يجب علينا،من أجل ذلك، أن ندرك أن هذا بسبب إننا نسمح لأنفسنا أن تُلهى عن التأمل في الله وبذلك نؤسر بهذه الطريقة. ولكن إذا ثبت إنسان فكره بدون تشتت على معلمنا وربنا، حينئذٍ فإن مخلص الكل يمكن أن يُؤتمن على إنقاذ مثل هذه النفس من عبوديتها الملتهبة. عن هذا يتكلم النبي عندما يقول: «جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز ١٦: ٨). ما هو أحلى أو آأمن من أن يكون لنا الرب عن يميننا دائما، حاميا وحارسا لنا ولا يتركنا مزعزعين؟ وتحقيق هذا في متناولنا.

٩١- ليس هناك خلاف على ما أكد علية الآباء بشدة، في أن الإنسان لا يجد راحة إلا باقتناءه داخليا فكرة أن الله وهو فقط موجودين؛ وبذلك لا يدع فكرهُ يتجول أبداً تجاه أي شيء مهما كان، ولكن يتوق إليه فقط، ملتصقا به وحده. مثل هذا الإنسان سوف يجد الراحة الحقيقية والحرية من استبداد الشهوات. «نفسي» كما يقول داود، «مربوطة بك؛ ويدك اليمنى تعضدني» (مز ٦٣: ٨ س).

٩٢- محبة الذات، محبة اللذة، ومحبة المديح تبعد تذكر الله من النفس. محبة الذات تلد شرورا لا يمكن تخيلها. وعندما يكون تذكر الله غائبا، يكون هناك اضطراب الشهوات في نفوسنا.

٩٣- من اقتلع محبة الذات من قلبه، بمعونة الله، سوف ينتصر على كل الشهوات الأخرى. لأن الإنسان الذي تسيطر عليه محبة الذات هو تحت سلطان الشهوات الأخرى أيضا. حيث منها ينهض الغضب، السخط، الحقد، محبة اللذة، الفسق. نعنى بمحبة الذات ميل ملتهب ومحبة تجاه الجسد. وتتميم الرغبات الجسدية.

٩٤- مهما كان ما يحب الإنسان، فهو يرغب، مهما كلفه الأمر، في أن يكون قريبا باستمرار وبدون إزعاج (منه)، وهو يبعد نفسه عن أي شيء يعوقه عن الاتصال والبقاء مع هدف حبه. بناء على ذلك من الواضح أن من يحب الله يرغب أيضا دائما في أن يكون معه وأن يتحادث معه. هذا يحدث لنا من خلال الصلاة النقية. بناء على ذلك، دعنا نكرس أنفسنا للصلاة بكل قوتنا؛ لأنها تمكننا من أن نصبح أقرباء لله. مثل هذا الإنسان هو من قال: «يا الله، إلهي أنت، أصرخ إليك وقت الفجر؛ نفسي عطشانة إليك»

(مز ٦٣: ١ س). لأن الإنسان الذي يصرخ لله في الفجر قد سحب فكره من كل رزيلة ومن الواضح إنه مجروح بالحب الإلهي.

٩٥- لقد تعلمنا أن اللاهوىَ[1]- يُولِد من ضبط النفس التواضع، بينما المعرفة الروحية تُولد من الإيمان. من خلال ذلك تتقدم النفس في الإفراز والحب. ومتى اعتنقت الحب الإلهي، فهي لا تكف أبدا عن الارتقاء إلى قمتها على أجنحة صلاتها النقية، حتى تأتى إلى «معرفة أبن الله» كما يقول القديس بولس، «إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣).

٩٦- من خلال الفضيلة النشطة تُخضع الرغبة ويُكبح جماح الغضب. ومن خلال المعرفة الروحية والتأمل يصنع الفكر تقدمه الروحي، ولكونه سما عن الأشياء المادية، فهو يغادر نحو الله، محققا السعادة الروحية الحقيقية.

٩٧- جهادنا الأول هو هذا: أن نُخضع الشهوات ونتغلب عليهم بالكامل. ومهمتنا الثانية هي أن نقتنى الفضائل، وأن لا نسمح لأنفسنا أن تكون فارغة وعاطلة. المرحلة الثالثة في الرحلة الروحية هي أن نحفظ بحرص ثمار فضائلنا وأتعابنا. لأننا قد أمرنا أن لا نعمل بجد فقط، ولكن أن نحفظ بيقظة أيضا (تك ٢: ١٥).

٩٨-«لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة»، يقول الرب (لو ١٢: ٣٥). المنطقة الجيدة لأحقائنا- التي تمكننا من ان نكون خفيفي الحركة غير معاقين- هي ضبط النفس متحداً بتواضع القلب. أعنى بضبط النفس التعفف عن كل الشهوات. وسراجنا الروحي مضاء بالصلاة النقية والحب الكامل. هؤلاء الذين أعدوا أنفسهم بهذه الطريقة هم حقا مثل رجال ينتظرون بتوقع سيدهم. عندما يأتي ويقرع، يفتحون على الفور؛ وعندما يدخل- مع أبيه والروح القدس- فسوف يقيم منزله معهم (ق.م. يو ١٤: ٢٣). مباركون هؤلاء الخدام الذين عندما يأتي سيدهم يجدهم يتصرفون بهذا الإسلوب (ق.م. لو ١٢: ٣٧).

٩٩- الراهب، كإبن، يجب أن يحب الله من كل قلبه وكل عقله (ق.م. تث ٦: ٥؛ مر ١٢: ٣٠)، و، كخادم، يجب أن يهابه ويطيعه ويتمم وصاياه بـ «خوف ورعدة» (فل ٢: ١٢). يجب أن يكون «حاراً في الروح» (ق.م. أف ٦: ١١). يجب أن يبذل كل جهده من أجل التمتع بالحياة الأبدية وفعل كل ماهو مفروض. يجب أن يكون في حالة يقظة داخلية، حارساً قلبه من

(١) اللاهوىَ تعبير رهبانى عن حالة عدم التألم وهى أعلى درجات الروحانية- م.

الأفكار الشريرة، ومن خلال الأفكار الجيدة يجب أن يمارس باستمرار التأمل الإلهي. يجب أن يمتحن نفسه يوميا في ما يتعلق بإفكاره وأفعالة الشريرة، ويجب أن يصحح أي أخطاء. يجب أن لا يصبح مفتخرا بسبب إنجازاته، ولكن يجب أن يدعو نفسه بـ «عبد بطال» (ق.م. لو ١٧: ١٠)، بكل تأخره عن إنجاز واجباته. يجب أن يشكر الله وينسب إليه فضل تحقيق إنجازاته. ولا يفعل شيئا على الإطلاق من (أفعال) البر الذاتي أو حب الشعبية، ولكن افعل كل شيء في السر وابحث عن المديح فقط من الله (ق.م. رو ٢: ٢٩). وقبل كل شيء وفي كل الأشياء يجب أن يُحصن نفسه بالكامل بالإيمان الأرثوذكسي، طبقا لعقائد الكنيسة المقدسة الجامعة كما تم تعليمها بواسطة حاملي الرسالة المقدسين، الرسل، وبواسطة الآباء القديسين. عظيمة هي مكافأة من يعيشون بهذا الأسلوب. إنهم يأخذون الحياة الأبدية ومسكنا لا يفنى مع الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد في الجوهر المثلث في الأقانيم.

١٠٠- «فلنسمع ختام الأمر كله اتق الله وإحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله» (جا ١٢: ١٣). يقول لنا الواعظ هنا: إني أظهر لكم هنا باختصار أفضل طريق للخلاص: اتق الله وافعل وصاياه. ولا يعنى بإتقى الخوف من العقاب، لكن الخوف الكامل والمكمل، الذي يجب أن يكون لدينا بسبب حب من أعطى الوصايا. لأنه إذا أحجمنا عن الخطية لمجرد خوفنا من العقاب، فمن الواضح تماما أنه، إذا لم يكن العقاب ينتظرنا، لكنا فعلنا أشياء تستوجب العقاب. حيث أننا نميل إلى الخطيئة. ولكن إذا تعففنا عن الأفعال الشريرة، ليس من خلال تهديد العقاب، ولكن لأننا نكره مثل هذه الأفعال، حينئذٍ فمن خلال حب السيد فإننا نمارس الفضائل، خشية أن نسقط بعيدا عنه. لأننا عندما نخاف من إننا يمكن أن نهمل شيئا قد فُرض، فإن الخوف يكون شريف (ق.م. مز ١٩: ٩)، ناهضا من أجل الخير ذاته. هذا الخوف يطهر أنفسنا، لكونه مساويا في القوة للحب الكامل. من له هذا الخوف ويحفظ الوصايا هو «الرجل الكامل»، بكلمات أخرى، الرجل التام الصحيح.

بمعرفتنا لهذه الأشياء، دعنا نخاف الله ونحفظ وصاياه، حتى يمكننا أن نكون كاملين وتامين في الفضائل. وباقتنائنا روح متضعة وقلب منسحق، دعنا نكرر بلا انقطاع للرب صلاة العظيم المُقدس إرسانيوس[١]: «يا إلهي، لاتتركني. لم أفعل شيئا صالحا أمامك، ولكن أمنحنى، في تعطفك، القوة لكي أبدأ». لأن كل خلاصنا يكمن في نعمة الله وتعطفه. له المجد، القوة والعبادة: للآب والإبن والروح القدس، الآن والى الأبد والى كل الدهور أمين.

---

(١) من آباء الصحراء بإسقيط مصر (فى أوائل القرن الخامس).

الثيورتيكون[1]
Theoretikon

يا له من جهاد هائل هذا الذي يلزم لكسر القيود التي تربطنا بقوة للأشياء المادية، والتوقف عن عبادة هذه الأشياء، واقتناء حالة القداسة بدلا منها. في الواقع، إن لم تكن نفسنا نبيلة وشجاعة حقا فلن تستطيع أن تباشر مثل هذه المهمة. لأن هدفنا ليس فقط التطهر من الشهوات: إن هذا في حد ذاته ليس فضيلة، ولكن إعداداً لفضيلة. لكي نتطهر من العادات الرديئة يجب أن يُضاف لنا اكتساب الفضائل.

فيما يتعلق بجانب النفس الذكي، فإن تطهيرها هو أن نستأصل ونمحو منها بالكامل كل صور المهانة والتشوه، كل «اهتمامات دنيوية»، كما تعبر عنها الليتورجية المقدسة، كل اضطراب، كل ميل شرير، وكل انشغال أحمق. وفيما يتعلق بجانب الرغبة فيها، فلكي نطهرها سريعا من كل دافع تجاه ما هو مادي، يجب أن نكف عن النظر إلى الأشياء طبقا للحواس، وأن تكون مطيعة للذكاء. وفيما يتعلق بالقوة الغضبية للنفس، فإن النقاوة تكمن في أن لا ننزعج من أي شيء يحدث.

في أعقاب هذه التنقية، والإماتة أو التصحيح للصور القبيحة، يجب أن يتم إتباع الارتقاء الروحي والتأله[2]. لأنه بعد الابتعاد عن ما هو شرير، يجب على المرء أن يمارس ما هو صالح. يجب على المرء أن ينكر نفسه أولا وحينئذ، حاملا الصليب، يجب أن يتبع السيد تجاه الحالة الأسمىَ للتأله.

---

(١) النظرية.

(٢) التأله، المصطلح من الكتاب المقدس(مز ٨٢: ٦) وقد استشهد السيد المسيح أيضاً بهذه الآية ويفسرها القديس كيرلس عمود الدين فى شرح إنجيل يوحنا قائلاً: «نحن أبنا الله بل دعينا آلهة فى الأسفار الإلهية حسب المكتوب «ألم أقل أنكم آلهة وبنو العلى كلكم»(يو ١٠: ٣٤). هل يعنى هذا أن نتخلى عن كياننا ونرتفع الى جوهر اللاهوت غير المنطوق به وأن نخلع الابن الكلمة من بنوته ونجلس نحن مكانه مع الآب ونجعل محبة الذى أكرمنا عذراً للكفر؟ حاشا لله. فالأبن هو كائن غير متغير، أما نحن فبالتبنى أبناء وألهة بالنعمة» - مؤسسة القديس أنطونيوس، شرح أنجيل يوحنا للقديس كيرلس، المجلد الأول، ٢٠٠٩، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد وآخرون، ص ١١١، ١١٢. انظر أيضاً كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي- ترجمة د. جوزيف موريس فلتس عن النص اليوناني فصل ٥٤ فقرة ٣ ص ١٥٩، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤. - م.

ما هو الارتقاء والتأله؟ للفكر، هما المعرفة المتقنة للأشياء المخلوقة، وللذي[1] هو فوق الأشياء المخلوقة، على قدر ما يمكن أن تحصل عليه الطبيعة البشرية من هذه المعرفة. للمشيئة، هما كفاح شامل ومستمر تجاه الصلاح الأوْلىّ. وللقوة الغضبية، هما دافع نشيط، فعال، مثابر، ومستمر، نحو الهدف المطموح إليه، ولا يتم توقيفه بأي صعوبات عملية، يدفع للأمام بشكل قوى وبغير انحراف.

يجب أن يتفوق دافع النفس إلى الجمال على دافعها إلى ما هو حقير بنفس الدرجة التي يتفوق بها الجمال المعقول عن الجمال المحسوس. يجب على المرء أن يزود الجسم فقط بما هو ضروري لكي يعمل بطريقة مناسبة. أن تنوى فعل ذلك فهذا سهل، ولكن لكي تحققه فهذا أكثر صعوبة، لأنه بدون مجهود كبير لا يستطيع المرء أن يقتلع عادات النفس المتحصنة جيداً.

ولا يمكن حقاً أن تُقتنى المعرفة بدون جهد. أن يحفظ المرء نظره عن قصد مُثبتاً على الأشياء الإلهية حتى تَقتنى المشيئة عادة فعل هذا، (فهذا) بالتأكيد، يتطلب تعب كثير لفترة زمنية طويلة. يجب على الفكر أن يبذل نفسه لكي يواجه السَحب إلى أسفل من الحواس؛ وهذا السباق وهذه المعركة ضد الجسد مستمرة إلى الموت، حتى ولو ظهرت أنها تقل عندما يَذبل الغضب والرغبة، وعندما تخضع الحواس للمعرفة المتسامية التي للفكر.

يجب أن يُلاحظ، على أية حال، أن النفس الغير مستنيرة[2]، حيث أن ليس لها عون من الله، لا تستطيع أن تتطهر بالحقيقة، ولا ترتقي إلى النور الإلهي. ما قد قيل أعلاه يرجع إلى هؤلاء الذين قد تعمدوا.

علاوة على ذلك، ينبغي التمييز بين الأنواع المختلفة للمعرفة. المعرفة هنا على الأرض هي من نوعين: طبيعية وفوق طبيعية. الثانية يمكن أن تُفهم بالرجوع إلى الأولى. المعرفة الطبيعية هي التي تستطيع النفس أن تقتنيها من خلال استخدام القدرات والطاقات الطبيعية عندما تبحث في الخَلق وسبب الخَلق- بالطبع على قدر ما هو مستطاع لنفس مقيدة بالمادة. لأنه عند الكلام عن الحواس، الخيال والفكر، فيجب أن يقال أن قدرة الفكر قد كلت لأنها ارتبطت واختلطت بالجسد. وكنتيجة لذلك، لا تستطيع أن يكون لها اتصال

---

(١) المقصود هنا الله- م.

(٢) الإستنارة تعود الى المعمودية

مباشر مع الأشكال المعقولة[1]، ولكن تتطلب، لكي تدركهم، الخيال الذي يستخدم بالطبيعة الصور، ويشترك في الامتداد والكثافة الماديين. بناء على ذلك، فإن الفكر ما دام في الجسد يحتاج لأن يستخدم صوراً مادية لكي يدرك الأشكال المعقولة. حينئذٍ، أي معرفة يقتنيها الفكر في مثل هذه الحالة بواسطة وسائله الطبيعية فنحن ندعوها معرفة طبيعية.

المعرفة الفوق طبيعية، من جهة أخرى، هي التي تدخل الفكر بطريقة تسمو بوسائلها وقوتها؛ بكلمة أخرى، الموضوعات المعقولة التي تشكل مثل هذه المعرفة تفوق قدرة فكر مرتبط بجسد، لذلك فإن معرفتهم تلائم طبيعياً فقط الفكر الحر من الجسد. مثل هذه المعرفة تسكب بواسطة الله وحده عندما يجد فكرا نقيا من كل ارتباط مادي وملهما بواسطة الحب الإلهي.

ليست المعرفة فقط هي المقسمة بهذه الطريقة ولكن الفضيلة أيضا. نوع من الفضيلة لا يتجاوز الطبيعة، وهذا (النوع) يمكن أن يُدعى بطريقة مناسبة الفضيلة الطبيعية، والآخر، الذي يُقوىَ فقط بالمصدر الأوْليّ للجمال، هو فوق قدرتنا ووضعنا الطبيعيين؛ وهذا النوع من الفضيلة يجب أن يُدعى (الفضيلة التي) فوق الطبيعية.

المعرفة والفضيلة مقسمتان، إذا، بهذه الطريقة. الشخص الغير مستنير[2] ربما يمتلك معرفة وفضيلة طبيعيتين، لكن (لا يمتلك) أبدا تلك التي فوق الطبيعة. كيف يمكن له ذلك، إذا كان لا يشترك في سبب تقويتهم؟ ولكن الرجل المستنير يستطيع أن يمتلك الاثنين. علاوة على ذلك، بالرغم من إنه لا يستطيع أن يقتنى الفضيلة التي فوق الطبيعة على الإطلاق، إلا إذا اقتنىَ أولا الفضيلة الطبيعية، فإنه يستطيع أن يُشارك في المعرفة الفوق طبيعية دون أن يقتنى أولا المعرفة الطبيعية. بالإضافة إلى، إنه كما أن الحس والتخيل يتفوقان بشدة وأكثر نبلا في الإنسان عنهم في الحيوانات، كذلك الفضيلة والمعرفة الطبيعيتان أكثر تفوقا وأكثر نبلا في الشخص الذي استنار عن الشخص الغير مستنير، بالرغم من أن الاثنان يمكن أن يمتلكانهم.

أيضا، هذا الجانب من المعرفة الطبيعية الذي يهتم بالفضائل وبالعادات المضادة لها يبدو أنه (يتكون) من نوعين. نوع معرفة نظرية، عندما يتأمل إنسان في هذه المسائل ولكن ينقصه الخبرة فيها، وهو في بعض الأحيان غير متأكد مما يقوله.النوع الآخر عملي،

---

(١) أى التى تدرك بالعقل- م.

(٢) يقصد بالإستنارة هنا المعمودية- م.

ويمكن أن نقول حي، حيث أن المعرفة موضع التساؤل تتثبت بالخبرة، وبذلك يكون واضحاً وجديراً بالثقة، ومن المستحيل أن يكون غير مؤكداً أو مشكوكاً فيه.

نظرا لكل هذا، يبدو أن هناك أربع معوقات تعوق الفكر في اكتسابه للفضيلة. الأول، هناك انشغال الذهن، الذي هو، التأثير المتشرب للعادات، الذي يعمل ضد الفضيلة؛ وهذا،عندما يكون فعال لمدة طويلة، يمارس ضغطاً يجر الفكر إلى أسفل إلى الأشياء الدنيوية. ثانيا، هناك فعل الحواس، الذي يُثار بواسطة الجمال المحسوس ويسحب الفكر وراءه. ثالثا، هناك تبلد للطاقة العقلية يرجع إلى ارتباط الفكر بالجسد. الفكر الذي لنفس تلبس جسداً لا ينتمي إلى الشيء العقلي بنفس الطريقة التي للبصر لشيء مرئي، أو بصفة عامة، التي للحواس للأشياء المحسوسة. الفكر الغير مادي يدرك الأشياء العقلية بأكثر فاعلية من إدراك البصر للأشياء المرئية. ولكن كما يتصور البصر الذي به عيب صورهِ للأشياء الطبيعية بشيء ما من الغموض وعدم الوضوح، كذلك يفعل فكرنا، عندما يكون له جسدا، في إدراك الأشياء العقلية. وحيث إنه لا يستطيع الآن أن يميز بوضوح الجمالات[1] العقلية، فلا يستطيع أن يطمح إليها أيضا. لأن المرء يكون لديه اشتياق لشيئا ما فقط بالدرجة التي يمتلك بها المرء معرفته به. ومن ثم الفكر- حيث أنه لا يستطيع أن يُساعد لكونه مسحوبا لما يبدو جميلا، سواء كان ذلك صحيحا أم لا- يُسحب إلى أسفل إلى الجمال الحسي، لأن هذا يصنع به الآن انطباعا أوضح عليه.

رابع المعوقات التي تعترض الفكر في اكتسابه للفضيلة هو التأثير المفسد الذي للشياطين النجسين المعادين. إنه من المستحيل أن نذكر كل الفخاخ المتنوعة التي ينصبونها في المسار الروحي، مستعملين الحواس، العقل والفكر- في الواقع، كل ما هو موجود. إذا لم يَحمِى من يحمل الخروف الضائع على كتفيه (ق.م. لو ١٥: ٥) في عنايته اللامتناهية هؤلاء الذين يتجهون إليه، فلن تفلت[2] نفس واحدة.

ثلاثة أشياء مطلوبة من اجل التغلب على هذه العقبات، الشيء الأول والأكثر أهمية هو أن ننظر إلى الله بكل نفسنا، لنسأل عن العون من يده، وأن نضع كل ثقتنا فيه، عارفين تماما أنه بدون مساعدته فسوف نُجر حتما بعيدا عنه. الثاني- الذي أعتبره كتمهيد للأول- هو أن نغذى باستمرار الفكر بالمعرفة. أقصد بالمعرفة تلك التي لكل الأشياء المخلوقة،

---

(١) جمع جمال (قاموس معانى الأسماء) - م. Beauties

(٢) من فخاخ الشياطين- م.

المحسوسة والمعقولة، كل منهما في حد ذاته مع الإشارة إلى مصدره الأوليّ، حيث أنهم يشتقون منه وينتسبون إليه؛ وبالإضافة إلى ذلك، التأمل، على قدر الإمكان، في علّة[١] كل الأشياء المخلوقة، من خلال الصفات التي تخصه. الاهتمام بطبيعة الأشياء المخلوقة له تأثير مُطهر جدا. إنه يحررنا من الارتباط الشهواني بهم ومن الانخداع بهم؛ وهو الأكثر تأكيدا في الوسائل التي تُنهض نفسنا إلى مصدر الكل[٢]. لأن كل جمال، معجزة، وعظمة تعكس ما هو فائق الجمال، معجزي، وعظيم- تعكس، بالأحرى، المصدر الذي هو فوق الجمال، المعجزة والعظمة.

إذا كان العقل مشغولا دائما بهذه الأشياء، فكيف يمكن أن لا يشتاق إلى الصلاح السماوي نفسه؟ إذا كان من الممكن أن يُسحب إلى ما هو غريب عنه، فكيف لا ينجذب بقوة أشد إلى ما هو قريب له؟

عندما تتشبث النفس بما هو قريب لها، فكيف تتحول عن ما تحبه إلى أي شيء أدنى؟ إنها حتى سوف تستاء من حياتها في الجسد[٣]، حيث تجدها عائق عن الوصول إلى الجميل. لأنها من خلال الفكر، أثناء الحياة في المادة، ترى الجمال المعقول[٤] ولكن بشكل خافت، ومع ذلك فإن البركات العقلية قوية حتى أن انبثاق طفيف من ذلك الجمال المتدفق، أو رؤية ضعيفة له، يمكن أن ترغم الفكر على التحليق إلى ما هو أبعد من كل ما هو خارج المملكة العقلية، وتطمح إلى ذلك فقط، غير تاركة ذاتها أن تسقط أبدا من البهجة التي تمنحها، مهما يأتي من محن عليها.

الطريقة الثالثة التي يمكن أن نتغلب بواسطتها على العوائق المذكورة هي أن نكبح شهوات شريكنا، الجسد؛ لأنه بخلاف ذلك لا يمكن أن نصل إلى رؤية واضحة وجلية للعالم العقلي. الجسد أُمِيتْ أو، بالأحرى، صلب مع المسيح، من خلال الصوم، السهر، النوم على الأرض، ارتداء الملابس الخشنة وما هو ضروري فقط، ومن خلال المعاناة والتعب. بهذه الطريقة يتصفىَ وينتقىَ، يصبح لطيفاً ومهذباً، ويتبع بسهولة وبدون مقاومة إرشاد الفكر ويرتفع إلى أعلى معه. بدون هذه الإماتات فكل مجهوداتنا باطلة.

---

(١) يقصد الله- م.

(٢) يقصد الله- م.

(٣) م.-(ق.م. ف ١: ٢٣)

(٤) أى الذى يُدرك بالعقل- م.

عندما تتأسس هذه الطرق الثلاث المقدسة بانسجام متبادل، فإنهن يلدن في النفس جوقة الفضائل المباركة؛ لأن هؤلاء الذين يُزينونهم خاليين من كل أثر للخطيئة ومباركين بكل فضيلة. إلا أن ترك الثروة المادية، أو الشهرة، يمكن أن يُحزن الذكاء، لأن النفس، التي تظل مرتبطة بمثل هذه الأشياء، تُطعن بأوجاع كثيرة. بالرغم من أنني قد أكدت بشدة على أن النفس المرتبطة بالثروة والمديح لا تستطيع أن ترتفع إلى أعلى، فبالتساوي أقول أن النفس التي تتخلص من كل ارتباط بهذه الأشياء مرة واحدة فإنها قد مارست هذه الثلاثية من الطرق بشكل كافي لأن تصبح معتادة عليها. لأن النفس إذا اقتنعت بأن الجمال الذي هو فوق نطاق كل شيء هو الذي يعتبر الجمال الحقيقي فقط، بينما فى الأشياء الأخرى فالأكثر جمالا هو الأكثر شبها بالجمال الأسمى، وهلم جرّا إلى أسفل المقياس، فكيف تستطيب الفضة، الذهب أو الشهرة، أو أي شيء آخر منحط؟

حتى أكثر ما يُعطلنا- أعنى همومنا وانشغالاتنا- لا يستثنى من القاعدة. لأنه أية هموم يمكن أن تكون لإنسان، إذا لم يكن مرتبطا لأي شيء دنيوي أو متورطا فيه؟ غيوم الهموم تأتى، إذا جاز التعبير، من أدخنة الشهوات الرئيسية- التساهل مع النفس، الطمع، محبة المديح. متى تحررت من هذه فسوف تكون أيضا قد طرحت عنك همومك.

الحكم الأخلاقي السليم له نفس التأثير كالحكمة، وهو العامل الأكثر قوة في سحبنا إلى أعلىَ، ومن ثم فله أيضاً دوراً يلعبهُ. لأن معرفة الفضائل تتطلب التمييز الأكثر تدقيقا بين الخير والشر؛ وهذا يتطلب حُكماً أخلاقياً سليماً. الخبرة والجهاد مع النفس تعلمنا كيفية استخدام مثل هذا الحُكم في حربنا.

الخوف أيضا يدخل في هذا النقاش. لأنه كلما ذاد اشتياقنا لله كلما نما أكثر خوفنا؛ وكلما كبر أملنا في أن نبلغ إلى الله، كلما كبر خوفنا منه. وإذا كنا مجروحين بالحب الإلهي، فإن لسع الخوف يفوق ألف تهديد بالعقاب. لأنه كما إن لاشيء مبارك أكثر من البلوغ إلى الله، كذلك لاشيء مرعب أكثر من الخوف من خسارته.

نأتي إلى نقطة أخرى: كل شيء يمكن أن يُفهم من خلال هدفه. إن هذا هو الذي يحدد تقسيم أي شيء إلى أجزائه الأساسية، بالإضافة إلى العلاقات التبادلية بين هذه الأجزاء. الآن الهدف من حياتنا هو القداسة أو، الذي هو نفس الشيء، ملكوت السموات أو الله. هذا ليس فقط لكي نعاين الثالوث، الفائق في ملكوته، ولكن أيضا لكي نتلقى تدفق القداسة، وإن

جاز التعبير، أن نعانى التأله[١]؛ لأنه بواسطة هذا التدفق يَكمُل ويَزيد ما هو ناقص وغير كامل فينا. والتزود بما هو مطلوب بمثل هذا التدفق للقداسة هو الطعام للكائنات الروحية. هناك نوعا من الدورة الأبدية، التي تنتهي حيث تبدأ. لأنه كلما عظم إدراكنا العقلي كلما اشتقنا أكثر للإدراك؛ وكلما عظم اشتياقنا كلما عظمت متعتنا؛ وكلما عظمت متعتنا، كلما تعمق أكثر إدراكنا، وهكذا الحركات الساكنة، أو الثبات الساكن، يبدأ ثانية. مثل هذا إذا هو هدفنا، على قدر ما نستطيع أن نفهمه. يجب الآن أن نرى كيف يمكن أن نحققه.

الحياة في هذا العالم للأنفس الذكية، التي هي ككائنات عاقلة أقل فقط بقليل عن العقول الملائكية، هي جهاد والحياة في الجسد هي مسابقة مفتوحة، وجائزة النصر هي الحالة التي قد وصفناها، منحة تليق بكل من جودة الله وعدله: بعدله، لأن هذه البركات لم تتحقق بواسطة عرقنا؛ وبجودته، لأن كرمه الغير محدود يفوق كل تعبنا- خاصة أن قدرتنا على عمل الخير نفسها والعمل الفعلي لها هم أنفسهم عطية من الله.

ما هي، إذا، طبيعة مسابقتنا في هذا العالم؟ النفس الذكية متحدة بجسم شبه حيواني، الذي يأخذ وجوده من الأرض وينجذب إلى أسفل. أنها مختلطة بالجسد لدرجة أنه بالرغم من إنهم متضادين بالكامل إلا إنهم يشكلون كائنا واحدا. بدون تغيير أو تشويش في كل منهم، وبفعل كل منهم بحسب طبيعته، فإنهم يشكلون شخصاً واحدا، إقنوما واحدا، بطبيعتين كاملتين. في هذا الكائن المركب ثنائي الطبيعة، الإنسان، كل من طبيعتيه تعمل وفقا لقواها الخاصة. إنها طبيعة في الجسد أن يرغب في ما هو من جنسه. هذا الاشتياق إلى ما هو من جنسهم طبيعي للكائنات المخلوقة[٢]، حيث أن وجودهم يعتمد حقا على تزاوج المثل بالمثل، وعلى تمتعهم بالأشياء المادية من خلال الحواس. حينئذٍ، فإن الجسد، لكونه ثقيل، فهو يرحب بالرخاوة. هذه الأشياء مناسبة ومرغوبة لطبيعتنا شبه الحيوانية. لكن بالنسبة للنفس الذكيةِ، ككيان فكرى، ما هو طبيعيُ ومرغوبُ لها هو عالمُ الحقائقِ المدركة بالعقل ومتعتِها بهم بأسلوب خاص بها، وقبل وفوق كل ما هو خاص بالفكر شوق شديد لله. إنها ترغب في أن تتمتع به والحقائق الأخرى المدركة بالعقل، ولو أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك دون أن تواجه عقبات.

(١) المقصود هنا عدم تحمل محدودية الأنسان كل هذا الفيض من النعمة-م.

(٢) المخلوقات المادية- م.

الإنسان الأول، استطاع حقا، دون أي عائق، أن يدرك ويتمتع بالأشياء الحسية بواسطة الحواس والأشياء المدركة عقليا بالفكر. ولكن وجب عليه أن يعطى انتباهه للأسمى بدلا من الأدنى، لأنه كان قادرا على يتناجى مع الأشياء المدركة بالعقل من خلال الفكر، كما كان مع الأشياء الحسية من خلال الحواس. أنا لا أقول أن آدم وجب عليه أن لا يستخدم الحواس، لأنه لم يُكسى جسدا عبثا، ولكن يجب أن لا ينهمك في الأشياء الحسية. عند إدراكه جمال المخلوقات، كان يجب عليه أن يُرجعه إلى مصدره وكنتيجة لذلك يجد متعته وتعجبه تامين في ذلك، معطيا هكذا لنفسه سببا مضاعفا للاندهاش من الخالق. كان عليه أن لا يلصق نفسه، كما فعل، بالأشياء الحسية وفقد نفسه في التعجب بهم، متجاهلا خالق الجمال المدرك بالعقل.

وهكذا أستخدم أدم الحواس بطريقة خطأ وكان مسحورا بالجمال المحسوس؛ ولأن الثمرة بدت له جميلة وجيدة للأكل (تك ٣: ٦)، ذاقها وترك متعة الأشياء المدركة عقليا. فما كان من القاضي العادل إلا أن حكم علية بأنه غير مستحق لما قد نبذه- التأمل في الله والأشياء المخلوقة- و، جاعلا ظلمة (حول) مكانه السري (ق.م. ٢صم ٢٢: ١٢؛ مز ١٨: ١١)، حارما إياه من نفسه[١] ومن الحقائق الغير مادية. لأن الأشياء المقدسة لا يجب أن تكون في متناول الغير نقى. وما سقط في حبه، أذن له الله لكي يتمتع به، سامحا كي يحيا طبقا لحواسه، مع أثار ضعيفة من الإدراك الفكري.

من الآن فصاعدا أصبح جهادنا ضد أشياء هذا العالم أصعب، لأنه لم يعد في مقدورنا الآن أن نتمتع بالحقائق المدركة بالعقل بطريقة تعادل تلك التي نتمتع فيها بالحقائق الحسية بالحواس، حتى ولو تم مساعدتنا بطريقة عظيمة في المعمودية، التي تنقينا وترفعنا. إلا إنه يجب أن نعطى انتباهنا على قدر ما نستطيع إلى العالم المدرك بالعقل وليس المدرك بالحواس. يجب أن نوقره ونطمح إليه؛ ولكن يجب أن لا نوقر أي شيء حسي في ولأجل ذاته، أو نحاول أن نتمتع به بهذه الطريقة؛ لأنه في الواقع ما هو حسي لا يمكن أن يقارن بما هو مدرك بالعقل. بالضبط كما أن جوهر الواحد يتفوق بشدة على الآخر، كذلك يفعل جماله. أن تطمح إلى ما هو قبيح بدلا مما هو جميل، إلى ما هو حقير بدلا من ما هو نبيل، فهذا جنون مطلق. وإذا كانت هذه هي الحالة حيث كل من المخلوقات التي تدرك بالحس والتي تدرك بالعقل متشابكة، فكيف بالأكثر يكون عندما نفضل مادة، عديمة الشكل وقبيحة، على الله نفسه.

---

(١) ضمير الغائب هنا يعود على القاضى العادل أى الله- م.

هذه هي، إذا، مسابقتنا وجهادنا: مراقبه أنفسنا بصرامة، حتى نكافح باستمرار لكي نتمتع بالحقائق المدركة بالعقل، موجهين فكرنا وشهيتنا إلى هذا الهدف، ولا نسمح لهم أبدا أن ينخدعوا بطريقة سرية من خلال الحواس ويوقروا الأشياء الحسية في ذاتها. وإذا توجب علينا أن نستخدم الحواس، فيجب أن نستخدمهم من أجل أن ندرك الخالق من خلال خليقته، ناظرينه منعكسا على الأشياء المخلوقة كإنعكاس الشمس على الماء، حيث أنهم في كينوناتهم الداخلية صور بدرجات مختلفة للعلة الأولى لكل شيء.

مثل هذا هو هدفنا. فكيف يمكن أن نحققه؟ كما قلنا، الجسد يرغب في أن يتمتع من خلال الحواس بما يمُت بصلة قرابة له؛ وكلما كان قويا، كلما قويت رغبته. ولكن هذا يتعارض مع هدف النفس. لذلك يجب على النفس أن تبذل كل جهد لكي تكبح الحواس، حتى لا تنهمك في الحقائق الحسية بالطريقة التي وصفناها. ولكن حيث أنه كلما قوى الجسد، كلما قويت رغبته، وكلما قويت رغبته كلما صعب إيقافها، فيجب على النفس أن تميت الجسد من خلال الصيام، السهر، الوقوف، النوم على الأرض، عدم الاستحمام[١]، ومن خلال أي نوع آخر من المشقات، وبهذا تقل قوته ويصبح طيعا ومطيعا للأنشطة الفكرية التي للنفس. هذا هو الهدف. ولكن من السهل أن نتمنى، ومن الصعب أن نحقق؛ وعدد حالات الفشل يفوق كثيرا (عدد) النجاحات، لأنه حتى إذا كنا أكثر انتباها، فإن الحواس كثيرا ما تخدعنا. لهذا قد تم ابتكار دواءً ثالثا: الصلاة والدموع. الصلاة تقدم شكرا على البركات التي أُخذت والطلب من أجل مغفرة الأخطاء ومن أجل قوة تقوينا في المستقبل؛ لأنه بدون معونة الله لا تستطيع النفس فعلا أن تفعل شيئا. وبالرغم من ذلك، فلكي تقنع المشيئة لكي يكون لها أقوى رغبة ممكنة للإتحاد والتمتع معه[٢]، مع من تشتاق إليه، وأن توجه نفسها بالكمال تجاهه، فهذا هو الجزء الأكبر من تحقيق هدفنا. والدموع أيضا لها قوة عظيمة. إنهم يكتسبون رحمة الله عن أخطائنا، وينقوننا من التلوثات التي نتجت من خلال الملذات الحسية، وتدفع رغبتنا إلى أعلى.

---

(١) يسمى عدم الإستحمام باليونانية Alousia ويمارس ذلك رهبان جبل آثوس وقد يكون ذلك ممكنا فى تلك الأجواء البارده أو فى الصحارى الجافة مع الأكل القليل مثلما كان يفعل أبونا يسطس الأنطونى القديس المعاصر بدير الأنبا أنطونيوس، وذلك لعدد من الأسباب وهى: عدم رؤية الجسد أثناء الإستحمام بهدف العفة، وعدم ترفيه الجسد. ولكن فى حالة المرض أو الضرورة تكسر هذه القاعدة ـ م.

(٢) أى مع الله- م.

وبالتالي، فإن هدفنا هو التأمل في الحقائق المدركة بالعقل وطموح كامل تجاههم. إماتة الجسد مع الصيام، كبح النفس وأشياء أخرى تتشارك معها، تمارس كلها كوسائط لهذه الغاية. وتصحبهم الصلاة. كل منها لها أوجه عديدة؛ البعض يتشارك في شيء واحد، والبعض في آخر.

محبة المديح ومحبة الثروة المادية يجب أن لا تعتبر على أنها تنتمي إلى الجسد. فقط محبة الملذات الحسية هي التي تنتمي إلى الجسد. العلاج المناسب لهذا هو المشقات الجسدية. إن محبة المديح والثروة المادية هما ذرية الجهل. وبسبب عدم الخبرة للبركات الحقيقية وعدم المعرفة للحقائق العقلية، تبنت النفس مثل هذه الذرية الغير شرعية، معتقدة أن تلك الثروات يمكن أن تلبى احتياجاتها. إنها تندفع بتهور أيضا وراء الثروة المادية لكي تشبع حبها للذة والمديح، وحتى لذاتها، كما ولو كانت مثل هذه الثروة بركة في حد ذاتها. كل هذه النتائج بسبب الجهل بالبركات الحقيقية. محبة المديح لا تأتى من تقصير من جهة الجسد، لأنها لا تستوفى أي احتياج مادي. عدم الخبرة والجهل بالصلاح الأولى والمجد الحقيقي يجعلانها تنهض. الجهل حقا هو أصل كل الشرور. لأنه لايمكن عندئذ لأحد أن يفهم كما يجب الطبيعة الحقيقية للأشياء- من أين يأتي كل شيء وكيف يفسد- ولا يكترث بالتمام لهدفه ويُجر لأسفل للأشياء الدنيوية. النفس لا تريد فقط الخير المرئي فقط. وإذا كانت تحت سيطرة عادة ما، فهي أيضا قادرة تماما على التغلب على هذه العادة. إلا إنها حتى قبل أن تتشكل هذه العادة فقد خُدعت بالجهل. ومن ثم يجب على المرء قبل كل شيء أن يكافح من أجل معرفة حقيقية لكل الكائنات المخلوقة، وحينئذٍ يحث إرادته تجاه الصلاح الأولى، مزدريا بكل الأشياء الدنيوية وواعيا لعظم زهوهم الباطل. لأنه أي مساهمه منهم لهدفنا الحقيقي؟

لكي نُلخص بإيجاز، النفس الذكية، أثناء وجودها في الجسد ليس لها سوى مهمة واحدة: أن تدرك هدفها الخاص. ولكن حيث أن قوة الإرادة تبقى غير مُحفَزةٌ إلا إذا كان هناك فكرا، فنحن نبدأ بمحاولة أن ننشطها عقليا. النشاط العقلي هو إما للرغبة في العمل أو، الأكثر شيوعا، لأجل ذاته أيضا كما لأجل الرغبة في العمل. القداسة- التي لأي حياة لها قيمة على الأرض ليست مجرد تمهيد ولكن أيضا استباق- تتميز بكل من القوتين: بكل من الفكر والرغبة في العمل، أي، بكل من الحب والسعادة الروحية. وسواء كانت كل من هاتين القوتين ساميتين، أو أن إحداهن أسمى من الأخرى، فهذا مفتوح للمناقشة. لأنه إلى اللحظة

التي سوف ننظر فيها إلى الاثنتين كساميتين، فسوف ندعو إحداهن تأملية والأخرى عملية. وحيث أن هذه القوى السامية متعلقة ببعضها، فإن إحداهن لا يمكن أن توجد دون الأخرى. وفي حالة القوى الأقل، التالية لتلك الاثنتين، فيمكن أن توجد كل منهن بمفردها. مهما يكن ما يعوق هاتين القوتين، أو يضادهن، فنحن ندعوه رزيلة. ومهما يكن ما يعززهن، أو يحررهم من العوائق، فنحن ندعوه فضيلة. القوى التي تنبع من الفضائل خيّرة؛ وتلك التي تنبع من عكسها مشوهة وشريرة. الهدف الأسمى، الذي قوته، كما نعرف، مركبة من الفكر والرغبة في العمل، يعطى كل طاقة على حدة بشكل محدد، التي يمكن أن تستخدم لكل من الخير أو الشر.

القديس مكسيموس المعترف

مقدمة تمهيدية: الأهمية العظمى للقديس مكسيموس المعترف (٥٨٠- ٦٦٢) للتقليد الروحي الأرثوذكسي[1] تم التعبير عنه بحقيقة أن لا يوجد كاتب أخر تم تخصيص مثل هذه المساحة الكبيرة له في الفيلوكاليا. خدم القديس مكسيموس في البداية في الخدمة المدنية، كشخص أرستقراطي، بعدما أخذ تعليمه الموسع، ربما كأمين سر للإمبراطور هرقل. وفى حوالي ٦١٤ أصبح راهبا في دير فليبيكوس في كريسوبوليس Philippikos in Chrysopolis (Scutari)، بالقرب من القسطنطينية، منتقلا على التوالي إلى دير آخر لا يبعد مسافة كبيرة في سيذيكوس (إردك) .Cyzikos (Erdek) في ٦٢٦، في وقت الغزو الفارسي، هرب إلى كريت وفى النهاية إلى أفريقيا، حيث بقى لبضع سنوات.

في كتاباته الهائلة يناقش القديس مكسيموس تقريبا كل أوجه الحق المسيحي، شاملا تفسير الكتاب المقدس، التعليم الخاص بالتجسد، التدريب النسكى، والقداس الإلهي. إنه يشدد على العلاقة القوية بين العقيدة والصلاة. تعليم القديس مكسيموس تم تأكيده بعد وفاته بالمجمع المسكوني السادس، المجتمع في القسطنطينية في ٦٨٠-١.

تحتوى الفيلوكاليا على أربعة أعمال تحت اسم القديس مكسيموس:

١- أربعمائة نص في الحب. هذه هي الأكثر جذبا في الحال في كل أعماله وأيضا من أسهلهم في الفهم. إنها واحدة من أعماله المبكرة، ربما تم تأليفها في ٦٢٦، أثناء وجوده في سيزيكوس.

٢- مئتا نص في اللاهوت والتدبير الإلهي لتجسد ابن الله. وهذه تبدو إنها كُتبت في أفريقيا بين ٦٣٠ و ٦٣٤، وهى أكثر تعقيدا بكثير في حُججها. وبدقة استثنائية كيّف القديس مكسيموس وسَحبَ أفكاراً فريدة مُركبة مأخوذة عن إوريجين (c.١٨٥-c.٢٥٤)، وإيفاجريوس (٣٩٩-٦/٣٤٥) والقديس ديونيسيوس الأريوباغى (c.٥٠٠). بالرغم من أنه في بعض الأحيان يُعبر عن بعض الشكوك (في صحة نسب هذه العمل للقديس مكسيموس)، فإنه لا يوجد سبب وجيه للتساؤل عن (صحة) نسبه للقديس مكسيموس.

٣- نصوص متنوعة في اللاهوت، التدبير الإلهي، والفضيلة والرزيلة (عددهم ٥٠٠). (ويتلو ذلك) مئتا نص تم اعتبارها في الطبعة اليونانية للفيلوكاليا كتكملة للمقالة السابقة؛

(١) الخاص بالكنيسة اليونانية- م.

ولكن في الواقع كلا العملان متمايزان عن بعضهما، وهما كما تم التعامل معهما في هذه الترجمة. النصوص المتنوعة، في شكلهم الحالي ليسو عملا أصليا للقديس مكسيموس نفسه ولكن بالأحرى «مقتطفات أدبية مكسيموسية»، مجموعة مختارات من كتاباته تم جمعها بواسطة شخصا ما في فترة متأخرة، ربما بعد القرن الحادي أو الثاني عشر. مصادر هذه المقتطفات هي كالتالي:

٣- نصوص متنوعة I، ١-٢٥ لا يمكن تتبعها في الكتابات المعروفة للقديس مكسيموس. المخطوطة كدليل توحي بقوة بأن الأجزاء من ١- ١٥ هي عمل أصلى له؛ وفى حالة الأجزاء من ١٦- ٢٥ فهي أقل تأكيدا من جهة كونها تأليف القديس مكسيموس، ولكن لا تُستثنى من ذلك.

I، ٢٦- ٤٧ مقتطفه من خطاباته.

I، ٤٨- v، ٦١ مأخوذة من مقالة إلى طلاسيوس To Thalassios: في أسئلة متنوعة عن الكتاب المقدس، التي ربما كُتبت في أفريقيا أثناء ٦٣٠-٤. ومع مقتطفات من القديس مكسيموس، أضاف المؤلف فقرات عديدة من الأسكوليا scholia أو تعليقات على العمل (إلى طلاسيوس): في أسئلة متنوعة؛ هناك أتفاق عام على أن هذه الأسكوليا ليست للقديس مكسيموس نفسه وربما تؤرخ على الأغلب في القرن العاشر.

V، ٦٢- ١٠٠ مأخوذة من أمبيجو Ambigua، وهى مناقشة لنصوص مثيرة للجدل في أعمال القديس إغريغوريوس النزنزى، التي كتبها القديس مكسيموس في أفريقيا أثناء ٦٢٨- ٣٤. المؤلف قد أدخل هنا بعض مقتطفات من القديس ديونيسيوس الأريوباغي.

لقد أوضحنا باختصار في ملحق أي من (النصوص المتنوعة) هي للقديس مكسيموس، وأي منها من واضع الحواشي أو القديس ديونيسيوس الأريوباغى. كما يمكن أن يُرى من الملاحظات الهامشية في الفيلوكاليا اليونانية، أن القديس نيقوديموس والقديس مكاريوس أدركا أن أجزاء من (نصوص متنوعة) لمن تكن للقديس مكسيموس نفسه ولكن من كاتب الحواشي. فلماذا، في هذه الحالة، اختارا أن يضما هذا المُؤَلفْ الأخير، وليس النص الأصلي لـ (إلى طلاسيوس: في أسئلة متنوعة)؟ الإجابة المحتملة هي أن النص الأصلي طويل جدا وفى بعض الأحيان غامض جدا؛ المؤلف، بينما يُزيد الغموض أحيانا بحذفه بعض الفقرات الأساسية، اختار بصفة إجمالية المقاطع التي لها علاقة أكثر مباشرة للحياة الروحية. ربما،

عندئذٍ، باختيار المقتطفات الأخيرة وليس العمل الأصلي، أمل المحررين أن يجعلوا هذه الكتابات سهلة المنال لأوسع مجموعة من القراء.

٤- في الصلاة الربانية. هذا (العمل) بصفة عامة مقبول كعمل أصلى للقديس مكسيموس، ربما كتب حوالي ٦٢٨-٣٠.

استخدمنا في الأربعمائة نص في الحب الطبعة الحاسمة للنص اليوناني لـ أ سيريسا- جاستالدو A. Ceresa- Gastaldo (Verba Seniorum, N.S ٣: Rome، ١٩٦٣). وبالنسبة إلى الثلاث أعمال الأخرى قارِنا النص اليوناني في الفيلوكاليا مع التي في كومبيفيس وأوهلر Combefis and Ohler في ميني Migne, p.g. xc- xci، التي في مجملها يمكن الاعتماد عليها أكثر.

أربعمائة نص في الحب

Four Hundred Texts on Love

مقدمة إلى إلبيديوس Elbidios القس

إضافة إلى مقالتي في الحياة النسكية فإني أرسل لك أيضا، أيها الأب إلبيديوس، هذه المقالة في الحب مقسمة، إلى أربع مئويات من الفصول، قياسا على الأربع بشائر. ربما لا تكون كحسب توقعك، ولكنها أفضل ما أستطيع عمله. علاوة على ذلك، يجب أن تعرف، أيها الأب، أن هذه الفصول ليست نتاج عقلي، بل على خلاف ذلك، بل قد مررت بكتابات الإباء القديسين وجمعت منهم فقرات لها علاقة بموضوعي، مكثفا مادة كثيرة في مقالات قصيرة وجاعلا إياها بهذه الطريقة سهلة التذكر والاستيعاب.

بإرسال هذه الفصول إليك أتوسل إليك أن تقرأهم بعطف وأن تبحث فقط على ما هو مفيد فيهم، متغافلا عن اللغة الغير أنيقة. أنا أيضا أسألك أن تصلى من أجل نفسي الغير مستحقة، مجردا كما هو حالي من البركات الروحية. ولى هذا الطلب أيضا: لا تنزعج مما كتبت، لأنني فقط قمت بما قد أُمِرتْ به. أقول هذا لأننا نحن الناس المزعجين بالكلمات كثيرون هذه الأيام، في حين أن الذين يُعلِمون أو تَعلموا بالأفعال قليلون جداً.

رجاءً أعط انتباه يقظ لكل فصل. لأنني أشك في أنه ليست كل الفصول سهلة لكي يفهمها أي أحد. كثير منهم سوف يحتاج إلى دراسته بدقة من معظم القراء حتى ولو الذي يقولون علية أنه يبدو بسيط جدا. وإذا كان أي من هذه الفصول يجب أن يكون له فائدة للنفس، فسوف تنكشف للقارئ بنعمة الله، بشرط أن يقرأ، ليس بدافع الفضول، ولكن في مخافة وحب الله. إذا قرأ إنسان هذا أو أي عمل آخر ليس لكسب منفعة روحية ولكن لتعقب مسألة يسئ بها للمؤلف، حتى بذلك يستطيع في غروره أن يظهر نفسه الأكثر تعلما، فلن ينكشف له أبدا شيئا نافعا في أي شيء.

المئوية الأولى

First Century

١- الحب هو حالة مقدسة للنفس، تعيد ترتيبها لتُقيم معرفة الله فوق كل الأشياء المخلوقة. لا نستطيع أن نحقق الامتلاك الدائم لمثل هذا الحب بينما نحن لازلنا مرتبطين بأي شيء دنيوي.

٢- اللاهوىَ[1] يلد الحب، الرجاء في الله يلد اللاهوىَ، والصبر والتعفف يلدان الرجاء في الله؛ وذينك بدورهما نتاج ضبط نفس كامل، الذي هو نفسه ينبع من مخافة الله. مخافة الله هي نتيجة الإيمان بالله.

٣- إذا كان عندك إيمان بالرب فسوف تخاف من العقاب، وهذا الخوف سوف يقودك لأن تضبط الشهوات. ومتى ضبطت الشهوات فسوف تقبل الحزن بصبر، ومن خلال هذا القبول سوف تقتنى الرجاء في الله. الرجاء في الله سوف يفصل الفكر عن أي ارتباطات دنيوية، وعندما ينفصل الفكر بهذه الطريقة فسوف يقتنى الحب لله.

٤- الشخص الذي يحب الله يُقدر معرفة الله أكثر من أي شيء خلقه الله، ويتبع مثل هذه المعرفة بتحمس وبدون انقطاع.

٥- إذا كان كل ما في الوجود قد صُنع بواسطة الله ولأجل الله، والله يفوق الأشياء التي صنعها، فمن يترك ما هو فائق ويكرس نفسه لما هو أدنى يُظهر إنه يُقَدِر الأشياء التي صنعها الله أكثر من الله نفسه.

٦- عندما يكون فكرك مُركزا في حب الله فسوف تعطى انتباه قليل للأشياء المرئية وسوف تعتبر حتى جسدك كشيئاً ما غريباً.

٧- حيث أن النفس أكثر نبلاً من الجسد والله أكثر نبلاً بما لا يُضاهىَ من العالم المخلوق بواسطته، فمن يقُدر الجسد أكثر من النفس والعالم المخلوق بواسطة الله أكثر من الخالق نفسه هو ببساطة عابد للأوثان.

٨- إذا صرفت ذهنك عن حبه لله، وركزته، ليس على الله، ولكن على بعض الأشياء الحسية، فإنك بذلك تظهر إنك تُقدر الجسد أكثر من النفس والأشياء المخلوقة بواسطة الله أكثر من الله نفسه.

---

(١) تعبير رهبانى يعبر عن أعلى حالات الروحانية وهى التحرر من الأهواء وعدم التألم- م.

٩- حيث أن نور المعرفة الروحية هو حياة الفكر، وحيث أن هذا النور ينشأ من الحب لله، فقد قيل بالحق أنه لا يوجد شيء أعظم من الحب الإلهي (ق.م. ١كو ١٣: ١٣).

١٠- عندما يخرج الفكر من نفسه في شدة حبه لله، حينئذٍ لا يحس بنفسه أو بأي شيء مخلوق. لأنه عندما يستنير بالنور الغير محدود الذي لله، يصبح غير شاعراً بكل شيء صنع بواسطته، مثلما تصبح العين غير شاعرة بالنجوم عندما تشرق الشمس.

١١- كل الفضائل تتعاون مع الفكر لكي تنتج هذا الاشتياق الشديد لله، الصلاة النقية قبل كل شيء. لأنه بالتحليق تجاه الله من خلال هذه الصلاة يرتفع الفكر فوق مملكة الكائنات المخلوقة.

١٢- عندما يُفتْن الفكر بواسطة الحب من خلال المعرفة الإلهية ويقف خارج مملكة الكائنات المخلوقة، يصبح واعيا بلامحدودية الله. حينئذٍ، طبقا لأشعياء، فإن هذا الشعور بالاندهاش يجعله واعيا لتواضعه وبكل إخلاص يردد كلمات النبي: «فقلت ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وانا ساكن بين شعب نجس الشفتين لان عيني قد رأتا الملك رب الجنود» (أش ٦: ٥).

١٣- الشخص الذي يحب الله لا يستطيع المساعدة في حب كل إنسان (لله) كنفسه، وبالرغم من ذلك فهو يُحزن بواسطة شهوات هؤلاء الذين لم يتطهروا بعد. ولكن عندما يصلحون حياتهم، فإن فرحته لا توصف ولا يعرف لها حدود.

١٤- النفس المملوءة بأفكار الرغبة الحسية والكراهية هي غير نقية.

١٥- إذا تتبعنا أي أثر للكراهية في قلوبنا ضد أي إنسان مهما كان، لارتكابه أي خطأ، فإننا غرباء بالكامل عن محبة الله، حيث أن محبة الله تمنعنا على نحو قاطع من كراهية أي إنسان.

١٦- من يحبني، يقول الرب، يحفظ وصاياي (ق.م. يو ١٤: ١٥، ٢٣)؛ و «هذه هي وصيتي، أن تحبوا بعضكم بعضا» (يو ١٥: ١٢). وهكذا فالذي لا يحب جاره يفشل في حفظ الوصية، وبذلك لا يستطيع أن يحب الرب.

١٧- مغبوط هو الذي يستطيع أن يحب كل إنسان بالتساوي.

١٨- مغبوط هو الغير مرتبط بأي شيء فاني أو قابل للفساد.

١٩- مغبوط هو الفكر الذي يتسامىَ فوق الأشياء المحسوسة ويبتهج بلا انقطاع في الجمال الإلهي.

٢٠- إذا صنعت تدبيراً لأجل رغبات الجسد (ق.م. رو ١٣: ١٤) وحملت ضغينة ضد جارك بسبب شيئا ما فاني، فإنك تعبد المخلوق دون الخالق.

٢١- إذا حفظت جسدك خاليا من المرض واللذة الحسية فسوف يساعدك على خدمة ما هو أكثر نبلا.

٢٢- من يهجر كل الرغبات الدنيوية يُنصب نفسه فوق كل الأحزان الدنيوية.

٢٣- من يحب الله فبالتأكيد سوف يحب جاره أيضا. مثل هذا الشخص لا يمكن أن يختزن مال، ولكن يوزعه بطريقة تناسب الله، ويكون كريما لأي أحد محتاج.

٢٤- من يعطى صدقة مقلدا الله لا يُميز بين الشرير والفاضل، العادل والظالم، عندما يقوم بتلبية الاحتياجات الجسدية للناس. إنه يعطى الكل بالتساوي طبقا لاحتياجهم، بالرغم من أنه يفضل الإنسان الفاضل على الإنسان السيئ بسبب استقامة نيته.

٢٥- الله، الذي بطبيعته صالح ونزيه، يحب جميع الناس بالتساوي كصنعة يديه. ولكنه يُمجد الإنسان الفاضل لأنه بإرادته متحد مع الله. وفى نفس الوقت، في صلاحه هو رحوم على الخاطئ وبواسطة تأديبه في هذه الحياة يُعيده إلى طريق الفضيلة.بالمثل، الإنسان ذو الحكم الصالح والنزيه يحب أيضا كل الناس بالتساوي. إنه يحب الإنسان الفاضل بسبب طبيعته واستقامة نيته؛ ويحب الخاطئ، أيضا، بسبب طبيعته وبسبب إنه في عطفه يشفق عليه لأجل تعثره بحماقة في الظلام.

٢٦- حالة الحب يمكن أن تُدرك في إعطاء المال، وتستمر أكثر في إعطاء المشورة الروحية والاعتناء باحتياجات الناس المادية.

٢٧- من يتخلى بصدق عن الأشياء الدنيوية، وبحب وإخلاص يخدم جاره، يطلق حرا في الحال من كل شهوة ويصبح له نصيبا في حب الله ومعرفته.

٢٨- من يدرك أن محبة الله في قلبه متواصلة، كما يقول أرميا (أر ١٧: ١٦ س) في سعيه للرب إلهه، ويتحمل كل مشقة، وإهانة ونقد بشرف، لا يفكر أبدا في أقل شر لأي أحد.

٢٩- عندما تهان من قبل شخص ما أو تُذل، فأحذر من أفكار الغضب، خشية أن يثيروا شعورا بالسخط، وبذلك يحرمونك من الحب ويضعونك في مملكة الكراهية.

٣٠- يجب أن تعرف أنك تنتفع كثيرا عندما تعانى بشدة بسبب إهانة ما أو معاملة سيئة؛ لأنه بكل وسائل سوء المعاملة يُطرد البر الذاتي منك.

٣١- كما أن التفكير في النار لا يدفئ الجسد، كذلك الإيمان بدون الحب لا يجعل نور المعرفة الروحية حقيقة واقعة في النفس.

٣٢- كما أن نور الشمس يجذب العين التي في حالة صحية سليمة، كذلك من خلال الحب تسحب معرفة الله بطريقة طبيعية الفكر النقي لنفسها.

٣٣- الفكر النقي هو الذي انفصل عن الجهل واستنار بالنور الإلهي.

٣٤- النفس النقية هي التي تحررت من الشهوات وتبتهج باستمرار بالحب الإلهي.

٣٥- الشهوة التي تستحق الملامة هي نزوة من النفس التي هي على خلاف الطبيعة.

٣٦- اللاهوىَ هو حالة سلامية للنفس الذي به لا تُحرك بسهولة للشر.

٣٧- الإنسان المجتهد في اقتناء ثمار الحب لن يكف عن الحب حتى ولو عانى ألف فاجعة. ليت إسطفانوس، تلميذ المسيح، والآخرون على مثاله يقنعونك بحقيقة هذا (ق.م. أع ٧: ٦٠). ربنا نفسه صلى لقتلته وطلب من الآب أن يغفر لهم لأنهم لا يعرفون ما كانوا يفعلون (ق.م. لو ٢٣: ٣٤).

٣٨- إذا كان الحب هو طول أناة وشفقة (ق.م. ١كو ١٣: ٤)، فمن الواضح أن الإنسان كثير الخصام والخبيث يعزل نفسه عن الله، لأن الله محبة.

٣٩- لا تقل إنك هيكل الله، يكتب أرميا (ق.م. أر ٧: ٤)؛ ولا يجب أن تقول أن الإيمان وحده بربنا يسوع المسيح يمكن أن يخلصك، لأن هذا مستحيل إلا إذا اقتنيت أيضا محبة الله من خلال أعمالك. أما بالنسبة للإيمان في ذاته، (فإن) «الشياطين يؤمنون ويقشعرون» (يع ٢: ١٩).

٤٠- نحن نظهر بنشاط الحب في اللين والصبر تجاه جارنا، راغبين في الأساس خيره، والاستخدام الصحيح للأشياء المادية.

٤١- من يحب الله لا يُحزن (أحد) ولا يَحزن من أحد بسبب أشياء فانية. هناك نوعاً واحداً فقط من الحزن الذي يعانى منه ويُحزن به الآخرين: ذلك الحزن المفيد الذي عانى منه المبارك بولس والذي أحزن الكورنثيين به (ق.م. ٢كو ٧: ٨-١١).

٤٢- من يحب الله يحيا الحياة الملائكية على الأرض، صائماً وحافظاً للسهر، مصلياً ومرنماً المزامير ويفكر دائما بالخير في كل إنسان.

٤٣- إذا رغب إنسان في شيئاً ما، فهو يبذل كل جهد لكي يقتنيه. ولكن بين كل الأشياء الصالحة والمرغوبة (الأشياء) الإلهية هي الأفضل والمرغوبة أكثر بما لا يضاهىَ. فأي حماسة، إذاً، يجب أن نكون عليها لكي نقتنى ما هو صالح في طبيعته نفسها ومرغوب.

٤٤- كف عن تدنيس جسدك بالأفعال المخزية وعن تلويث نفسك بالأفكار الشريرة؛ حينئذٍ فإن سلام الله سوف يحل عليك ويأتي لك بالحب.

٤٥- أحزن جسدك بالجوع والسهر وإنكب بلا كلل على ترتيل المزامير والصلاة؛ عندئذٍ سوف تحل العطية المقدسة التي لكبح النفس عليك وتأتى لك بالحب.

٤٦- من قد مُنح المعرفة الإلهية وقد أقتنى من خلال الحب الاستنارة فلن يُجرف هنا أو هناك بواسطة شيطان البر الذاتي. ولكن من لم يمنح مثل هذه المعرفة فسوف يخضع بسهولة لهذا الشيطان. على أية حال، إذا كان نظره مثبتا على الله في كل ما يفعل، فاعلا كل شيء لأجله، فسوف ينجو سريعا بمعونة الله.

٤٧- من لم يقتنى المعرفة الإلهية المقواة بالحب هو مغرور بتقدمه الروحي. لكن الذي قد مُنح مثل هذه المعرفة يردد بإيمان عميق الكلمات التي نطق بها أبو الآباء إبراهيم عندما أُنعم عليه بظهور الله: «أنا تراب ورماد» (تك ١٨: ٢٧).

٤٨- **الشخص الذي يخاف الرب عنده أتضاع مثل رفيقة الدائم، ومن خلال الأفكار التي يوحى بها الإتضاع، يصل لحالة الحب الإلهي والشكر. لأنه يتذكر طريقه حياته الدنيوية السابقة، الخطايا المتنوعة التي ارتكبها والتجارب التي قد ألمت به منذ شبابه؛ ويتذكر، أيضاً، كيف نجاه الرب من كل هذا، وكيف قاده بعيدا عن حياة تتسلط عليها الشهوات إلى حياة يحكمها الله. حينئذٍ، مع المخافة، يأخذ أيضا الحب، وبتواضع عميق يشكر باستمرار المنعم علينا بحياتنا ومدير دفتنا في الحياة.**

٤٩- لا تلوث فكرك بالتعلق بأفكار مملوءة بالغضب والرغبة الحسية. وإلا سوف تفقد قدرتك على الصلاة النقية وتسقط ضحية لشيطان الفتور.

٥٠- عندما يتحد الفكر مع الأفكار الشريرة والقذرة فإنه يفقد شَرِكته الحميمة مع الله.

٥١- الإنسان الأحمق المُعرض للهجوم من الشهوات، عندما يُثار للغضب، يُجبر لا شعوريا على ترك إخوته. ولكن عندما يُسخن بالرغبة فهو يغير رأيه سريعا ويسعى لصحبتهم. الشخص الذكي يتصرف بطريقة مختلفة في كلتا الحالتين. عندما يتقد الغضب فجأة فإنه يقطع مصدر الإزعاج وبذلك يحرر نفسه من شعوره بالسخط تجاه أخوته. وعندما ترتفع الرغبة فإنه يدقق في كل دافع منفلت ومحادثة عابرة.

٥٢- في وقت التجربة لا تترك ديرك ولكن واجه بشجاعة الأفكار التي تتدفق عليك، خاصة تلك التي للإثارة والفتور. لأنه عندما تُجرب بالأحزان بهذه الطريقة، بحسب العناية الإلهية، يصبح رجاءك في الرب ثابتا وآمناً. ولكن إذا رحلت، فسوف تظهر نفسك غير مستحقا، جبانا ومتقلب.

٥٣- إذا رغبت في أن لا ترتد عن محبة الله، فلا تترك أخوك يذهب إلى الفراش شاعرا بالغضب منك، وأنت نفسك لا تذهب إلى الفراش شاعرا بالغضب منه. صالح نفسك مع أخيك، وعندئذٍ تعال إلى المسيح بضمير نقى وقدم له تقدمتك التي للحب في صلاة جادة (ق.م. مت ٥: ٢٤).

٥٤- يقول القديس بولس أنه، إذا كان لنا كل مواهب الروح (القدس) ولكن ليس لنا محبة، فلن يكن لنا أي تقدم (ق.م. ١كو ١٣: ٢). فأي مثابرة، حينئذٍ، يجب أن تكون في مجهوداتنا لكي نقتنى هذه المحبة.

٥٥- إذا كانت «المحبة لا تصنع شرا للقريب» (رو ١٣: ١٠)، فمن يغار من أخوه أو يغتاظ من سمعته، ويؤذى اسمه الجيد بسخرية رخيصة أو بأي طريقة حقودة يتآمر بها ضده، فإنه يُبعد نفسه بالتأكيد عن المحبة ومذنبا أمام القضاء الأبدي.

٥٦- إذا كانت «المحبة هي تكميل الناموس» (رو ١٣: ١٠) فالمملوء من الحقد تجاه جاره ويضع الفخاخ له، ويلعنه، ويتهلل في سقطته، بالتأكيد لابد أن يكون آثما مستحقا العقاب الأبدي.

٥٧- إذا كان «الذي يذم أخاه و يدين أخاه يذم الناموس و يدين الناموس» (يع ٤: ١١)، وناموس المسيح هو الحب، فبالتأكيد من يذم حب المسيح يرتد عنه ويكون سببا في هلاكه.

٥٨- لا تسمع بطرب القيل والقال على حساب أخوك أو تثرثر لشخص يحب البحث الأخطاء. وإلا سوف ترتد عن المحبة الإلهية وتجد نفسك محروماً من الحياة الأبدية.

٥٩- لا تسمح بأي إساءة لأبيك الروحي أو تشجع أي أحد يُهينه. وإلا سوف يغضب الرب على سلوكك (هذا) وسوف يُزيلك من أرض الأحياء (ق.م. تث ٦: ١٥).

٦٠- أسكت الإنسان الذي ينطق بتشويه السمعة في محضرك. وإلا سوف تخطئ مضاعفا: أولاً، سوف تُعَوِد نفسك على هذه الشهوة المميتة و، ثانيا فشلك في أن تمنعه من القيل والقال عن جاره.

٦١- «وأما أنا فأقول لكم» يقول الرب «أحبوا أعداءكم... أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يُسيئون إليكم» (مت ٥: ٤٤). لماذا يأمر بهذا؟ لكي يحررك من الكراهية، السخط، الغضب والحقد، ولكي يجعلك مستحقا للموهبة الفائقة التي للحب الكامل. ولا يمكنك أن تقتنى مثل هذا الحب إذا لم تقلد الله وتحب جميع الناس بالتساوي وتتمنى لهم أن «يخلصون والى معرفة الحق يقبلون» (١تى ٢: ٤).

٦٢- «وإما إنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضا.ومن أراد أن يخاصمك و يأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا. ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين.» (مت ٥: ٣٩- ٤١). لماذا قال هذا؟ لكي يحررك من كل من الغضب والسخط، وتقويم الشخص الآخر من خلال صبرك. حتى يتمكن كأب صالح من أن يضع كلاكما تحت نير الحب.

٦٣- نحن نحمل معنا تقريبا الصور الملتهبة التي للأشياء التي قد اختبرناها. إذا استطعنا أن نتغلب على هذه الصور فسوف لا نبالي بالأشياء التي تصورها. لأن محاربة الأفكار عن الأشياء أكثر صعوبة من محاربة الأشياء نفسها، وذلك مثل أن تخطئ في الذهن أسهل من أن تخطئ من خلال الفعل الخارجي.

٦٤- بعض الشهوات تتعلق بالجسد، وأخرى بالنفس. الأولى تحدث بواسطة الجسد، والثانية بواسطة أشياء خارجية. الحب وضبط النفس يتغلبان على كلا النوعين. الأول يُلجم شهوات النفس والثانية (تلجم) تلك التي للجسد.

٦٥- بعض الشهوات تتعلق بقوة الإثارة التي للنفس، وأخرى لجهة الرغبة فيها. كلا النوعان ينهضان من خلال الحواس عندما تفتقد النفس للحب وضبط النفس.

٦٦- شهوات قوة الإثارة التي للنفس يصعب محاربتها أكثر من تلك التي لجهة الرغبة فيها. لذلك أعطى ربنا دواءً أقوى ضدهم: وصية الحب.

٦٧- بينما الأهواء مثل النسيان والجهل لا تصيب إلا الثلاث أوجه التي للنفس- الإثارة، الرغبة أو الذكاء- فإن الفتور وحده يقبض على زمام التحكم في كل قوى النفس بأكثر خطورة من الآخرين. لهذا السبب أعطانا ربنا دواءً ممتازاً ضده، قائلا: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو ٢١: ١٩).

٦٨- لا تصطدم أبداً مع أي أحد من الأخوة، خاصة بدون سبب، في حالة إنه غير قادر على احتمال الحزن، ويترك الدير. لأنه عندئذٍ لن تستطيع أن تهرب أبدا من تأنيب ضميرك. سوف يجلب لك ذلك الأسى في وقت صلاتك ويصرف انتباهك عن الشركة الحميمة مع الله.

٦٩- تجنب كل الشكوك والأشخاص التي تسبب لك الإزعاج، إذا أزعجك أي شيء، سواء كان مقصوداً أو غير مقصوداً، فأنت لا تعرف طريق السلام، الذي من خلال الحب يحضر المحبين للمعرفة الإلهية إلى معرفة الله.

٧٠- لم تقتنى الحب الكامل بعد إذا كان احترامك للناس لازال محكوما بشخصياتهم- على سبيل المثال، أذا، كنت لأسباب خاصة، تحب شخصا ما وتكره آخر، أو لبعض الأسباب فإنك أحيانا تحب وأحيانا تكره نفس الشخص.

٧١- الحب الكامل لا يُقَسم الطبيعة البشرية الواحدة، المشتركة للكل، طبقا للشخصيات المتنوعة التي للأفراد، ولكن مركزاً الانتباه دائما على هذه الطبيعة الواحدة، فإنه يحب كل الناس بالتساوي. إنه يحب الصالحين كأصدقاء والأردياء كأعداء، مساعدا إياهم، ممارسا الرفق، قابلا بصبر كل ما يفعلون، لا يأخذ الشر بالحسبان مطلقا لكن يعانى بدلا منهم إذا سنحت الفرصة، لذلك، إذا أمكن، فإنهم يصبحون أصدقاء أيضاً. إذا لم يستطيع تحقيق ذلك، فإنه لا يغير وضعه؛ إنه يستمر في إظهار ثمار الحب لكل الناس بالتساوي. إنه بسبب هذا عانى ربنا وإلهنا يسوع المسيح، مظهراً حبه لنا،

من أجل كل البشرية وأعطى كل الناس رجاءاً متساويا في القيامة، بالرغم من أن كل إنسان يُحدد صلاحيته للمجد أو للعقاب.

٧٢- إذا لم تكن غير مباليا لكل من الشهرة والهوان، الثروة والفقر، اللذة والحزن، فأنت لم تقتنى بعد الحب الكامل. لأن الحب الكامل لا يبالى بهذه فقط ولكن حتى بهذه الحياة الزائلة وبالموت.

٧٣- أنصت لكلمات هؤلاء الذين مُنحوا الحب الكامل: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟ كما هو مكتوب، «إننا من أجلك نمات كل النهار قد حسبنا مثل غنم للذبح» (مز ٤٤: ٢٢). ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فاني متيقن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات و لا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر إن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨: ٣٥- ٣٩). هؤلاء الذين يتكلمون ويفعلون هكذا مع الأخذ في الاعتبار الحب الإلهي فهم جميعاً قديسون.

٧٤- أنصت الآن لما قالوه عن حب جارنا: «أقول الصدق في المسيح لا اكذب و ضميري شاهد لي بالروح القدس: إن لي حزناً عظيماً ووجعا في قلبي لا ينقطع، فاني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون» (رو ٨: ٣٥- ٣٩). موسى والقديسون الآخرون تكلموا بنفس الطريقة.

٧٥- من لا يبالى بالشهرة واللذة، بالإضافة إلى محبة الثروة التي توجد بسببهم وتزيدهم، لا يستطيع أن يقطع أسباب الغضب. ومن لم يقطع هذه لا يستطيع لا يستطيع أن يُحرز الحب الكامل.

٧٦- المذلة والمشقات النسكية تحرر الإنسان من كل خطيئة، لأن الواحدة تقطع الشهوات من النفس، والأخرى تلك التي للجسد. هذا هو ما يُوضحه المبارك داود عندما يصلى لله، قائلا، «انظر إلى ذلي و تعبي واغفر جميع خطاياي» (مز ٢٥: ١٨).

٧٧- إنه من خلال تتميم الوصايا يجعلنا الرب محايدين وغير متأثرين بالعواطف والأحاسيس الشخصية؛ ومن خلال تعاليمه الإلهية يُعطينا نور المعرفة الروحية.

٧٨- كل مثل هذه التعاليم متعلقة بالله، أو بأشياء مرئية أو غير مرئية، أو بخلاف ذلك بالتدبير والحكم المتعلقان بهم.

٧٩- إعطاء الصدقة يشفى قوة الإثارة في النفس؛ الصوم يُذبل الرغبات الحسية؛ الصلاة تطهر الفكر وتُعدّه للتأمل في الكائنات المخلوقة. لأن الرب أعطانا الوصايا التي تتوافق مع قوى النفس.

٨٠- «تعلموا منى» قال «لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩). الوداعة تُبقى قوى الإثارة التي للنفس في حالة هادئة؛ التواضع يحرر الفكر من الغرور والبر الذاتي.

٨١- مخافة الله نوعان. الأول يتولد داخلنا من التهديد بالعقاب. إنه من خلال مثل هذه المخافة ننمو في النظام المستوجب لضبط النفس، الصبر الرجاء في الرب واللاهوىَ؛ ومن اللاهوىَ يأتي الحب. النوع الثاني من المخافة يتصل بالحب ويُنتج باستمرار الخشوع في النفس، حتى إنها لا تصبح غير مبالية بالله بسب الشركة الحميمة بحبه.

٨٢- النوع الأول من المخافة يُطرد بالحب الكامل عندما تقتنى النفس هذا(١)ولا تعود بعد تخشى العقاب(ق.م. ١يو ٤: ١٨). النوع الثاني، كما قلنا سابقا، يوجد دائما متحدا بالحب الكامل. النوع الأول يُشار إليه في الآيتين التاليتين: «في مخافة الرب الحيدان عن الشر» (أم ١٦: ٦)، و«رأس الحكمة مخافة الرب» (مز ١١١: ١٠). النوع الثاني مذكور في الآيات التالية «مخافة الرب نقية وتبقى إلى الأبد» (مز ١٩: ٩ س) و«هؤلاء الذين يخافون الله سوف لا يعوزهم شيء» (مز ٣٤: ١٠ س).

٨٣- «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنى النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع» (كو ٣: ٥). الأرض هي الاسم الذي يعطيه القديس بولس لمشيئة الجسد. الزنى هي كلمته للارتكاب الفعلى للخطيئة. النجاسة هي كيفية وصفه للموافقة على الخطيئة. الهوى هو مُصطلحه للأفكار الملتهبة. بالشهوة يعنى الفعل البسيط لقبول الفكر والرغبة. والطمع هو الاسم الخاص به لما يُولِد ويُروج الشهوة. كل هذه أمرنا القديس بولس أن نُميتها كـ «مظاهر» توضح مشيئة الجسد.

٨٤- أولا تأتى الذاكرة للفكر ببعض الأفكار الخالية من الشهوة. وبتلكؤها هناك، تنهض الشهوة. عندما تكون الشهوة غير مستأصلة، فإنها تغرى الفكر لكي يوافق عليها. ومتى أعطيت هذه الموافقة، فإن الخطيئة الفعلية عندئذٍ تكون قد ارتكبت. لذلك، عندما كتب لهم القديس بولس لكي يردهم عن الوثنية، أمرهم بحكمته أن يتخلصوا

---

(١) أى الحب الكامل- م.

أولا من الخطيئة الفعلية وعندئذٍ يعملون بطريقة منتظمة راجعين إلى السبب. السبب، كما قد قلنا سابقا، هو الطمع. الذي يُولِد ويروج الشهوة. أعتقد أن الطمع في هذه الحالة يعنى الشراهة. لأن هذه هي الأم والمرضعة للزنى. لأن الطمع خطيئة ليس فقط فيما يتعلق بالممتلكات ولكن أيضا فما يتعلق بالطعام، كما أن ضبط النفس أيضا يتعلق بكل من الطعام والممتلكات.

٨٥- عندما يحاول عصفورٌ مربوط من رجله أن يطير، فإنه يرتد ثانية بالخيط ويسقط على الأرض. بطريقة مماثلة، عندما يكون الفكر غير مقتنيا بعد اللاهوىَ يطير إلى أعلى تجاه المعرفة السمائية، فإنه يرتد ثانية بالشهوات ويسقط على الأرض.

٨٦- الفكر، متى تحرر من الشهوات بالكامل، يبدأ بدون تشتت في التأمل في الكائنات المخلوقة، صانعاً طريقه تجاه معرفة الثالوث المقدس.

٨٧- عندما يكون الفكر في حالة نقاوة، ففي استقباله الصور المدركة للأشياء، يتحرك للتأمل في هذه الأشياء روحياً. ولكن عندما يكون ملوثا من خلال الكسل، فى حين أن صوره المدركة يمكن أن تكون بصفة عامة خالية من الشهوة، فإن تلك التي تتعلق بالناس تنتج فيه أفكارا مخزية أو شريرة.

٨٨- عندما لا ينزعج فكر أثناء الصلاة بالصور المدركة لأي شيء دنيوي، فحينئذٍ أعلم إنك في مملكة اللاهوىَ.

٨٩- متى بدأت النفس في الشعور بصحتها الجيدة، فإن الصور في أحلامها تهدأ أيضا وتخلو من الشهوة.

٩٠- كما أن العين الجسدية تنجذب لجمال أشياء مرئية، كذلك الفكر المُنقىَ ينجذب إلى معرفة أشياء غير مرئية. بأشياء غير مرئية، أعنى أشياء غير مادية.

٩١- إنه بالفعل (شيئاً) كبيرا عدم الإثارة لأي شهوة من شيء مادي. وأكثر (من ذلك) حتى البقاء دون انفعال عند عرض صور عقلية لمثل هذه الأشياء. لأن الحرب التي تشنها الشياطين ضدنا بواسطة الأفكار هي أكثر شدة من الحرب التي تشنها ضدنا بواسطة الأشياء المادية.

٩٢- من ينجح في اقتناء الفضائل ويغتني بالمعرفة الروحية يرى الأشياء في طبيعتها الحقيقية بوضوح. وبالتالي، فإنه يفعل ويتكلم فيما يتعلق بكل الأشياء بالأسلوب

المناسب، ولا يضل أبداً. لأنه طبقا لطريقة استخدامنا للأشياء سواء بطريقة صحيحة أو بطريقة خاطئة نصبح صالحين أو أردياء.

٩٣- إذا كانت الصور المدركة التي تنهض باستمرار في القلب خالية من الشهوة سواء كان الجسد مستيقظا أو نائما، حينئذٍ يمكن أن نعرف أننا قد أحرزنا أعلى حالة من اللاهوىَ.

٩٤- من خلال إتمام الوصايا يجرد الفكر نفسه من الشهوات، ومن خلال التأمل الروحي في الأشياء المرئية يطرد الأفكار الملتهبة لمثل هذه الأشياء، ومن خلال معرفة الأشياء الغير مرئية يترك التأمل في الأشياء المرئية. وفى النهاية يجرد نفسه حتى من هذه من خلال معرفة الثالوث القدوس.

٩٥- عندما تشرق الشمس وتلقى بضوئها على العالم. فإنها تكشف عن كل من نفسها والأشياء التي تنيرها. بالمثل، عندما يُشرق شمس البر في العقل الطاهر، فإنه يكشف عن كل من نفسه والمبادئ الداخلية لكل ما هو موجود وما سوف يأتي إلى الوجود بواسطته.

٩٦- نحن لا نعرف الله من جوهره، نحن نعرفه بالأحرى من روعة خليقته ومن عنايته الإلهية لكل مخلوق. لأنه من خلال هذه، وكأنها مرايا، يمكن أن نحرز نظرة لصلاحه الغير متناهي وحكمته وقوته.

٩٧- العقل الطاهر مشغول إما بالصور الفكرية الخالية من الشهوة للشئون البشرية، أو بالتأمل الطبيعي للأشياء المرئية أو الغير مرئية، أو بنور الثالوث القدوس.

٩٨- عندما ينشغل الفكر في تأمل الأشياء المرئية، فإنه يبحث إما عن المبادئ الطبيعية لتلك الأشياء أو عن المبادئ الروحية التي تعكسها، أو بطريقة أخرى يبحث عن سببهم الأصلي.

٩٩- عندما يستغرق الفكر في التأمل في الأشياء الغير مرئية، فإنه يبحث عن مبادئهم الطبيعية، وعن سبب نشوئهم وأي شيء ينتج من ذلك. وبالمثل عن الأمر والحكم الإلهي الذي يتعلق بهم.

١٠٠- متى تأسس الفكر في الله، فإنه يشتاق بحماس أولا لاكتشاف جوهره. لكن طبيعة الله الداخلية لا تخضع لمثل هذا البحث، التي هي حقا أعلى من قدرة كل شيء مخلوق. الخواص التي تنتمي لطبيعته، هي على أيه حال، ممكنه لاشتياق الفكر: أعنى صفات، الأزلية، الأبدية، عدم المحدودية، الصلاح، الحكمة، والقدرة على الخلق، حفظ وحكم المخلوقات. ومن كل هذه، فقط الأبدية يمكن أن تفهم تماما؛ وحقيقة عدم معرفة شيء هي معرفة تفوق الفكر، كما قال اللاهوتيان إغريغوريوس النزينزي وديونيسيوس.

المئوية الثانية

Second Century

١- من يحب الله حقا يصلى بدون أي تشتت، ومن يصلى بدون أي تشتت يحب الله حقا. ولكن من يكون فكره مثبتا على أي شيء دنيوي لا يصلى بدون تشتت، وبالتالي لا يحب الله.

٢- الفكر الذي يعبث مع شيئا ما حسي من الواضح إنه متعلق بشهوة ما، مثل الرغبة، السخط، الغضب أو الحقد؛ وإذا لم يصبح منفصلا عن هذا الشيء فلن يكون قادرا على أن يحرر نفسه من الشهوة التي تؤثر فيه.

٣- عندما تسيطر الشهوات على الفكر، فإنهم يفصلونه عن الله، رابطينه بالأشياء المادية وشاغلين باله بهم. ولكن عندما يسيطر حب الله على الفكر، فإنه يحرره من قيوده، حاثا إياه على أن يتسامى ليس فقط عن الأشياء الحسية ولكن حتى عن هذه الحياة الزائلة.

٤- تأثير طاعة الوصايا هو التحرر من الشغف بتصوراتنا الفكرية للأشياء. تأثير القراءة والتأمل الروحيين هو أن يُحرِر الفكر من الشكل والمادة. إن ذلك هو الذي يُحْدِث الصلاة غير المشتتة.

٥- إذا لم يُشغل الفكر أيضا بتأمل روحي متنوع متتابع، فإن ممارسة الفضائل نفسها لن تقدر أن تحرره كليا من الشهوات حتى يكون قادراً على أن يُصلى بدون تشتت. ممارسة الفضائل تحرر الفكر فقط من الانغماس في الملذات والكراهية؛ والتأمل الروحي يطلقه أيضا من الإهمال والجهل. بهذه الطريقة يمكن للفكر أن يصلى كما يجب.

٦- حالتان من الصلاة النقية تسموان عن كل الآخرين. واحدة توجد في هؤلاء الذين لم يتقدموا إلى ما وراء ممارسة الفضائل، والثانية في هؤلاء الذين يحيون الحياة التأملية. الأولى تنشأ في النفس بواسطة مخافة الله ورجاء راسخ فيه، الثانية بواسطة اشتياق شديد لله وبنقاوة كاملة. علامة الأولى هي أن الفكر، يهجر كل الصور الفكرية للعالم، ويركز نفسه وصلواته بدون تشتت أو إزعاج كما ولو أن الله نفسه حاضراً، وهو كذلك بالفعل. وعلامة الثانية هي في بداية الصلاة ذاتها حيث يُفتتن الفكر بالنور الإلهي الأبدي الذي لا يُدرِك فيه نفسه ولا أي شيء مخلوق، ولكن فقط الذي من خلال الحب نَشّط مثل هذا الإشعاع فيه. حينئذٍ لكونه جُعل مُدْرِكا لصفات الله، فإنه يستقبل انعكاسات واضحة وجلية له.

٧- كل ما يُحبه الإنسان فهو حتما يتعلق به، ومن أجل أن لا يفقده فهو ينبذ أي شيء يمنعه عنه. كذلك من يحب الله يُنمى الصلاة النقية، طارداً كل شهوة تمنعه عنه.

٨- من يطرد محبة الذات، أُم الشهوات، سوف يخلص نفسه بمعونة الله بسهولة من البقية، مثل الغضب، الإثارة، الحقد وهلم جرا. ولكن الذي تُسيطر عليه محبة الذات فسوف يُغلب من الشهوات الأخرى، حتى ضد إرادته. محبة الذات هي شهوة الارتباط بالجسد.

٩- الناس تحب بعضها البعض، بطريقة جديرة بالمديح أو بطريقة تستحق التوبيخ، للخمسة أسباب الآتية: إما لأجل الله، كما يحب الإنسان الفاضل كل أحد وكما يحب الإنسان الذي لم يصر فاضلا بعد (الإنسان) الفاضل؛ أو بالطبيعة، كما يحب الآباء أبنائهم والأبناء آبائهم، أو بسبب البر الذاتي، كالذي يُمدح يحب الإنسان الذي يمدحه؛ أو بسبب الطمع، كما (يحدث) مع من يحب إنسان غنى لأجل ما يمكن أن يأخذه منه؛ أو بسبب التساهل مع النفس (في السعي وراء اللذة)، كما (يحدث) مع الإنسان الذي يخدم بطنه وأعضاءه التناسلية. الأول فيهم جدير بالمديح، والثاني نوع وسط، والباقي مُسيطر عليه بالشهوات.

١٠- إذا كان هناك بعض الناس تكرههم والبعض الآخر لا تحبهم ولا تكرههم، وآخرون تحبهم بقوة وآخرون أيضا تحبهم ولكن بطريقة معتدلة، فإدرك من عدم التساوي هذا أنك بعيدا عند الحب الكامل. لأن الحب الكامل يستلزم أن تحب الناس بالتساوي.

١١- «حد عن الشر واصنع الخير» (مز ٣٤: ١٤)، بكلمة أخرى، حارب العدو لكي تُنقص الشهوات، وحينئذٍ كن يقظاً لئلا يزدادوا مرة أخرى. أيضا، حارب لكي تقتنى الفضائل وحينئذٍ كن يقظاً لكي تحتفظ بهم. هذا هو معنى «الزرع» و«الحفظ» (ق.م. تك ٢: ١٥).

١٢- تلك (الأشياء) التي بسماح من الله لاختبارنا إما أن تكون بإلهاب جانب الرغبة في النفس، أو بإثارة قوتها الغضبية، أو بإظلام ذكائها، أو بتغليف جسدها بالألم، أو بحرماننا من الضروريات الجسدية.

١٣- الشياطين إما أن يجربوننا بأنفسهم أو يُثيرون ضدنا أولئك الذين ليست لهم مخافة الرب. إنهم يجربوننا بأنفسهم عندما ننسحب من المجتمع البشرى، كما جربوا ربنا في الصحراء. ويجربوننا بواسطة أناس آخرين عندما نقضى وقتنا في صحبة آخرين، كما جربوا ربنا من خلال الفريسيين. ولكن أيٍّ كان المسلك الذي يختارونه، دعنا نقاومهم بحفظ نظرنا مثبتاً على مثال ربنا.

١٤- عندما يبدأ الفكر في التقدم في حب الله، يبدأ شيطان التجديف في أن يُجربه، موحيا بأفكار مثل تلك التي لا يستطيع إنسان (أن يخترعها) بل فقط إبليس، أبوهم، (يمكن) أن يخترعها. إنه يفعل ذلك نتيجة لحسده، لكي لا يتجرأ رجل الله ويحلق لله في صلاته المعتادة ليأسه بسبب التفكير في مثل هذه الأفكار. لكن الشيطان لا يعزز أهدافه بهذه الوسائل، بل بالعكس، إنه يجعلنا أكثر ثباتا. لأنه من خلال هجماته وردنا عليه نصبح أكثر خبرة وأصالة في حبنا لله. ليدخل سيفه في قلبه ولتنكسر أقواسه (هذا الشيطان) (ق.م. مز ٣٧: ١٥).

١٥- عندما يحول الفكر انتباهه إلى العالم المرئي، فإنه يدرك الأشياء من خلال ما تنقله الحواس بطريقة تتوافق مع الطبيعة. والفكر ليس شراً، ولا قدرته الطبيعة على تكوين صور عقلية للأشياء، ولا الأشياء نفسها، ولا الحواس، لأنها كلها أعمال الله. ما هو الشر إذاً؟ من الواضح إنها الشهوة التي تدخل في الصور العقلية التي تكونت طبقا للطبيعة بواسطة الفكر؛ وهذا لا يحدث بالضرورة إذا ظل الفكر يقظاً.

١٦- الشهوة هي دافع للنفس مضاد للطبيعة، كما في حالة الحب المجنون أو الكراهية المجنونة لشخصا ما أو لأجل بعض الأشياء الحسية. في حالة الحب، يمكن أن يكون لأجل طعام غير ضروري، أو لأجل امرأة، أو لأجل المال، أو لأجل مجد زائل، أو لأجل

أشياء حسية أخرى أو بسببهم. وفى حالة الكراهية، فيمكن أن تكون لأجل أي من الأشياء التي ذُكرت، أو لشخصا ما بسبب هذه الأشياء.

١٧- أيضا، الرزيلة هي الاستخدام الخاطئ للصور العقلية للأشياء، التي تقودنا إلى إساءة استخدام الأشياء نفسها. وبالنسبة للنساء، على سبيل المثال، الاتصال الجنسي، المستخدم بطريقة صحيحة، له هدفه لإنجاب الأطفال، بناء على ذلك، من يبحث فيه على اللذة الحسية فقط فإنه يستخدمه بطريقة خاطئة[1]، لأنه يعتبر كشيء جيد ما هو غير جيد. عندما يصنع رجل مثل هذا علاقة مع امرأة فإنه يسئ استخدامها. ونفس الشيء حقيقي فيما يخص الأشياء الأخرى وصورنا العقلية عنهم.

١٨- عندما تطرد الشياطين كبح النفس من فكرك وتحاصرك بأفكار النجاسة، فالتفت إلى الرب بدموع وقل، «الآن قد طردوني والتفوا حولي» (مز ١٧: ١١ س)؛ «يا من هو بهجتي الأسمى: خلصني من الذين يحيطون بي»(مز ٣٢: ٧ س). حينئذٍ ستكون آمنا.

١٩- شيطان النجاسة قوى ويهاجم بعنف هؤلاء الذين يجاهدون ضد الشهوات، وخصوصا إذا كانوا متساهلين في أمور نظام الأكل ويقابلون النساء في أغلب الأحيان. وبشحم الملذات الحسية ينزلق تدريجيا إلى الفكر وبعد ذلك يَضطهد الهدوئي[2] بواسطة الذاكرة، واضعا جسده في نار عارضا أشكالا متنوعة لفكره. بهذه الطريقة يأتي بموافقته على الخطيئة. فإذا لم تريد أن تتسكع هذه الأشكال فيك، فألتفت ثانية إلى الصوم، التعب، السهر، والسكون المبارك مع صلاة قوية.

٢٠- هؤلاء الذين يحاولون دائما أن يلقون قبضتهم على نفوسنا يفعلون ذلك بواسطة الأفكار الملتهبة، حتى أنه بذلك يمكن أن يقودونها إلى الخطية إما في العقل أو في الفعل. وبالتالي عندما يجدون الفكر غير مستعد لتقبل شيء (من ذلك)، فسوف يخزون ويخجلون؛ وعندما يجدون أن الفكر مشغولا بالتأمل الروحي فسوف «يعودون ويخزون بغتة» (مز ٦: ١٠).

٢١- من يكرس فكره للنضال الروحي ويطرد كل الأفكار الملتهبة منه له صفة الشماس. من يُنير فكره بالمعرفة الخاصة بالأشياء المخلوقة ويحطم بالكامل المعرفة الزائفة

---

(١) أى من يستخدم الجنس فى اللذة فقط خارج الزواج المقدس- م.

(٢) الذى يحيا فى هدوء- م.

١١- «حد عن الشر واصنع الخير» (مز ٣٤: ١٤)، بكلمة أخرى، حارب العدو لكي تُنقص الشهوات، وحينئذٍ كن يقظاً لئلا يزدادوا مرة أخرى. أيضا، حارب لكي تقتنى الفضائل وحينئذٍ كن يقظاً لكي تحتفظ بهم. هذا هو معنى «الزرع» و«الحفظ» (ق.م. تك ٢: ١٥).

١٢- تلك (الأشياء) التي بسماح من الله لاختبارنا إما أن تكون بإلهاب جانب الرغبة في النفس، أو بإثارة قوتها الغضبية، أو بإظلام ذكائها، أو بتغليف جسدها بالألم، أو بحرماننا من الضروريات الجسدية.

١٣- الشياطين إما أن يجربوننا بأنفسهم أو يُثيرون ضدنا أولئك الذين ليست لهم مخافة الرب. إنهم يجربوننا بأنفسهم عندما ننسحب من المجتمع البشرى، كما جربوا ربنا في الصحراء. ويجربوننا بواسطة أناس آخرين عندما نقضى وقتنا في صحبة آخرين، كما جربوا ربنا من خلال الفريسيين. ولكن أيًّ كان المسلك الذي يختارونه، دعنا نقاومهم بحفظ نظرنا مثبتاً على مثال ربنا.

١٤- عندما يبدأ الفكر في التقدم في حب الله، يبدأ شيطان التجديف في أن يُجربه، موحيا بأفكار مثل تلك التي لا يستطيع إنسان (أن يخترعها) بل فقط إبليس، أبوهم، (يمكن) أن يخترعها. إنه يفعل ذلك نتيجة لحسده، لكي لا يتجرأ رجل الله ويحلق لله في صلاته المعتادة ليأسه بسبب التفكير في مثل هذه الأفكار. لكن الشيطان لا يعزز أهدافه بهذه الوسائل، بل بالعكس، إنه يجعلنا أكثر ثباتا. لأنه من خلال هجماته وردنا عليه نصبح أكثر خبرة وأصالة في حبنا لله. ليدخل سيفه في قلبه ولتنكسر أقواسه (هذا الشيطان) (ق.م. مز ٣٧: ١٥).

١٥- عندما يحول الفكر انتباهه إلى العالم المرئي، فإنه يدرك الأشياء من خلال ما تنقله الحواس بطريقة تتوافق مع الطبيعة. والفكر ليس شراً، ولا قدرته الطبيعة على تكوين صور عقلية للأشياء، ولا الأشياء نفسها، ولا الحواس، لأنها كلها أعمال الله. ما هو الشر إذاً؟ من الواضح إنها الشهوة التي تدخل في الصور العقلية التي تكونت طبقا للطبيعة بواسطة الفكر؛ وهذا لا يحدث بالضرورة إذا ظل الفكر يقظاً.

١٦- الشهوة هي دافع للنفس مضاد للطبيعة، كما في حالة الحب المجنون أو الكراهية المجنونة لشخصا ما أو لأجل بعض الأشياء الحسية. في حالة الحب، يمكن أن يكون لأجل طعام غير ضروري، أو لأجل امرأة، أو لأجل المال، أو لأجل مجد زائل، أو لأجل

أشياء حسية أخرى أو بسببهم. وفى حالة الكراهية، فيمكن أن تكون لأجل أي من الأشياء التي ذُكرت، أو لشخصا ما بسبب هذه الأشياء.

١٧- أيضا، الرزيلة هي الاستخدام الخاطئ للصور العقلية للأشياء، التي تقودنا إلى إساءة استخدام الأشياء نفسها. وبالنسبة للنساء، على سبيل المثال، الاتصال الجنسي، المستخدم بطريقة صحيحة، له هدفه لإنجاب الأطفال، بناء على ذلك، من يبحث فيه على اللذة الحسية فقط فإنه يستخدمه بطريقة خاطئة[1]، لأنه يعتبر كشيء جيد ما هو غير جيد. عندما يصنع رجل مثل هذا علاقة مع امرأة فإنه يسئ استخدامها. ونفس الشيء حقيقي فيما يخص الأشياء الأخرى وصورنا العقلية عنهم.

١٨- عندما تطرد الشياطين كبح النفس من فكرك وتحاصرك بأفكار النجاسة، فالتفت إلى الرب بدموع وقل، «الآن قد طردوني والتفوا حولي» (مز ١٧: ١١ س)؛ «يا من هو بهجتي الأسمى: خلصني من الذين يحيطون بي»(مز ٣٢: ٧ س). حينئذٍ ستكون آمنا.

١٩- شيطان النجاسة قوى ويهاجم بعنف هؤلاء الذين يجاهدون ضد الشهوات، وخصوصا إذا كانوا متساهلين في أمور نظام الأكل ويقابلون النساء في أغلب الأحيان. وبشحم الملذات الحسية ينزلق تدريجيا إلى الفكر وبعد ذلك يَضطهد الهدوئي[2] بواسطة الذاكرة، واضعا جسده في نار عارضا أشكالا متنوعة لفكره. بهذه الطريقة يأتي بموافقته على الخطيئة. فإذا لم تريد أن تتسكع هذه الأشكال فيك، فألتفت ثانية إلى الصوم، التعب، السهر، والسكون المبارك مع صلاة قوية.

٢٠- هؤلاء الذين يحاولون دائما أن يلقون قبضتهم على نفوسنا يفعلون ذلك بواسطة الأفكار الملتهبة، حتى أنه بذلك يمكن أن يقودونها إلى الخطية إما في العقل أو في الفعل. وبالتالي عندما يجدون الفكر غير مستعد لتقبل شيء (من ذلك)، فسوف يخزون ويخجلون؛ وعندما يجدون أن الفكر مشغولا بالتأمل الروحي فسوف «يعودون ويخزون بغتة» (مز ٦: ١٠).

٢١- من يكرس فكره للنضال الروحي ويطرد كل الأفكار الملتهبة منه له صفة الشماس. من يُنير فكره بالمعرفة الخاصة بالأشياء المخلوقة ويحطم بالكامل المعرفة الزائفة

---

(١) أى من يستخدم الجنس فى اللذة فقط خارج الزواج المقدس- م.

(٢) الذى يحيا فى هدوء- م.

له صفة القس. ومن يكمل فكره بالمر المقدس الذي لمعرفة وعبادة الثالوث القدوس له صفة الأسقف.

٢٢- الشياطين تضعف عندما تتناقص الشهوات فينا من خلال حفظ الوصايا؛ وتُهزم بالتمام عندما يُدحرون بواسطة اللاهوىَ، لأنهم عندئذٍ لن يجدوا بعد أي شيء يمكن من خلاله أن يدخلوا النفس ويحاربونها. إن هذا ما يعنيه بـ «يسقطون ويهلكون من قدام وجهك» (مز ٩: ٣).

٢٣- بعض الناس يتعففون عن الشهوات بسبب الخوف البشرى، وآخرون بسبب البر الذاتي، وآخرون من خلال ضبط النفس. البعض، على أية حال، تحرروا من الشهوات بواسطة العناية الإلهية.

٢٤- كل أحاديث ربنا تحتوى على هذه الأربع عناصر: الوصايا، التعاليم، التهديدات والوعود. بمساعدة هذه (الأربع) نقبل بصبر كل أنواع المشقات، مثل الصوم، السهر، النوم على الأرض، التعب والعناء في أعمال الخدمة، الإهانات، العار، التعذيب، الموت وهكذا. «بمساعدة كلمات شفتيك» يقول المرتل، «أنا تحفظت من طرق المعتنف» (مز ١٧: ٤ س).

٢٥- مكافأة ضبط النفس هي اللاهوىَ، ومكافأة الإيمان المعرفة الروحية. اللاهوىَ يلد الإفراز، والمعرفة الروحية تلد محبة الله.

٢٦- عندما يمارس الفكر الفضائل بطريقة صحيحة، يتقدم في الفهم الأخلاقي. وعندما يمارس التأمل، يتقدم في المعرفة الروحية،الأولى تقود المتسابق الروحي للتمييز بين الفضيلة والرزيلة؛ والثانية تقود المشارك إلى الصفات الداخلية للأشياء المعنوية والأشياء المادية. وفى النهاية، يُمنح الفكر نعمة اللاهوت عندما، يُحمل على أجنحة الحب الذي يلي تلك المرحلتين السابقتين، إنه يُرفع إلى الله وبمساعدة الروح القدس يُدرِك - على قدر ما هو مستطاع للفكر البشرى- صفات الله.

٢٧- إذا كنت على وشك الدخول إلى مملكة اللاهوت، فلا تسعى لأن تكتشف طبيعة الله الأعمق، لأنه لا الفكر البشرى ولا الذي لأي كائن آخر دون الله يستطيع أن يختبر ذلك؛ ولكن حاول أن تدرك، على قدر الإمكان، الصفات التي تخص طبيعته- صفات الأبدية، الأزلية، غير المحدودية، الصلاح، الحكمة، والقدرة على الخلق، وحفظ وحكم المخلوقات، وهكذا. لأن من يكتشف هذه الصفات، حتى ولو بدرجة صغيرة، هو لاهوتي عظيم.

٢٨- من يجمع بين ممارسة الفضائل والمعرفة الروحية هو رجل القوة. لأنه بالأوُلى يُذبل رغباته ويُروض الإثارة (الغضبية)، وبالثانية يُعطِي أجنحة لفكره ويخرج من ذاته إلى الله.

٢٩- عندما يقول ربنا، «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠)، فهو يُظهر وحدتهم في الجوهر. أيضا، عندما يقول، «إني في الآب، والآب فيَّ» (يو ١٤: ١١)، فهو يُظهر أن الأقانيم لا يمكن أن تنفصل. الذين يؤمنون بثلاثة آلهة[١]، الذين يفصلون الابن عن الآب، من أجل ذلك، يجدون أنفسهم في حيرة. إما أن يقولوا أن الابن مماثل للآب في الأزلية، ولكن بالرغم من ذلك يفصلونه عن الآب. وبذلك فهم مجبرين على أن يقولوا إنه غير مولود من الآب؛ وهكذا يقعون في الخطأ في إدعائهم بأن هناك ثلاثة آلهة وثلاثة علل أولى، أو بخلاف ذلك يقولون بأن الابن مولود من الآب ولكن بالرغم من ذلك يفصلونه عن الآب، وبذلك فهم مُرغمون على أن يقولوا إنه غير مماثل في الأزلية مع الآب؛ وهكذا فإنهم يجعلون رب الزمن خاضع للزمن. لأنه كما يقول القديس إغريغوريوس النزنزي، إنه من الضروري التأكيد على كل من الإله الواحد والاعتراف بثلاثة أقانيم، كُلٌّ في إقنوميته الخاصة. وبحسب القديس إغريغوريوس، الإلوهة مقسمة ولكن دون انقسام ومتحدة ولكن بتمايزات، وذلك لأن كل من التقسيم والإتحاد متناقضين. لأنه أى تناقض يمكن أن يكون إذا كان الأبن متحداً بالآب ومنقسما عنه فقط بنفس الطريقة التى يتحد بها كائن بشرى وينقسم بآخر، ليس أكثر؟

٣٠- ليس هناك فرق لمن هو كامل في حبه ووصل إلى قمة اللاهوىَ بين ما له أو للآخر أو بين المسيحيين والغير مؤمنين، أو بين العبد والحر، أو حتى بين الذكر والأنثى. ولكن لأنه سَما فوق استبداد الشهوات وثبت انتباهه إلى الطبيعة الواحدة للإنسان، فإنه ينظر إلى الكل بنفس الطريقة ويظهر نفس التصرف للكل. لأن فيه: ليس يوناني ولا يهودي، ذكر أو أنثى، عبد أو حر؛ ولكن المسيح الذي هو «الكل في الكل» (كو ٣: ١١؛ ق.م. غل ٣: ٢٨).

٣١- الشهوات التي ترقد مختفية في النفس تمد الشياطين بوسائل إثارة الأفكار الملتهبة فينا. عندئذٍ، بمحاربتهم الفكر من خلال هذه الأفكار، فإنهم يجبرونه على أن يعطى موافقته على الخطيئة. وعندما ينغلب، فإنهم يقودونه لكي يخطئ في العقل؛ وعندما

---

(١) القديس مكسيموس يهاجم هنا نظريات يوحنا فيلوبونوس (القرن السادس).

يحدث ذلك فإنهم يغرونه، مأسورا كما هو، لكي يرتكب الخطيئة بالفعل. وبتدميرهم النفس هكذا بواسطة هذه الأفكار، تتراجع الشياطين عندئذٍ، آخذين معهم الأفكار، ويبقى فقط شبح أو صورة الخطيئة في الفكر. يقول الرب مشيرا إلى ذلك، «فمتى نظرتم رجسة الخراب... قائمة في المكان المقدس (ليفهم القارئ)...» (مت ٢٤: ١٥). لأن فكر الإنسان مكان مقدس وهيكل لله الذي تنصب فيه الشياطين صورة الخطيئة بتدميرهم النفس بواسطة الأفكار الملتهبة. إن هذه الأشياء أخذت بالفعل مكانا في التاريخ، لا أعتقد أن أحداً قد قرأ يوسفوس[1] Josephus سيشك (في ذلك)؛ ومع ذلك يقول البعض إنهم سوف يحدثون أيضا في وقت ضد المسيح.

٣٢- هناك ثلاثة أشياء تدفعنا تجاه ما هو مقدس: الغريزة الطبيعية، القوات الملائكية واستقامة النية. الغريزة الطبيعية تدفعنا عندما، على سبيل المثال، نفعل للآخرين ما نتمنى أن يفعله الآخرين لنا (ق.م. لو ٦: ٣١)، أو عندما نرى شخصا ما يعانى حرماناً أو في احتياج ونشعر على نحو طبيعي بالشفقة. والقوات الملائكية تدفعنا عندما، تكون أنفسنا مدفوعة لشيئاً ما ذو شأن، فنجد إننا مُعانين ومُرْشَدِين برعاية إلهية. ونكون مدفوعين باستقامة النية (إذا كنا) عند، المفاضلة بين الخير والشر، نختار الخير.

٣٣- هناك أيضاً ثلاثة أشياء تدفعنا تجاه الشر: الشهوات، الشياطين وسوء النية. الشهوات تدفعنا عندما، على سبيل المثال، نرغب في شيئا ما يتخطى حدود الاعتدال، مثل طعام غير ضروري أو في غير أوانه، أو في امرأة ليست زوجتنا أو لغرض آخر غير التناسل[2]، أو بخلاف ذلك نغضب أو نسخط بزيادة، علي سبيل المثال، بواسطة شخصا ما أهاننا أو جرحنا. الشياطين تدفعنا عندما، على سبيل المثال، يصطادونا على غير انتباه منا ويشنون فجأة هجوما عنيفا علينا، مثيرين الشهوات التي ذُكرت سابقا وأخرى لها نفس الطبيعة. ونحن نُدفع بسوء النية عندما، نعرف الخير، ونختار الشر بدلا منه.

٣٤- مكافآت العناء في الفضيلة هي اللاهوىَ والمعرفة الروحية. لأن هذه هي الوسائط إلى ملكوت السموات، كما أن الشهوات والجهل[3] هي الوسائط إلى العقاب الأبدي.

---

(١) مؤرخ يهودى من القرن الأول بعد الميلاد؛ إنظر على وجه الخصوص «الحرب اليهودية».

(٢) فى إطار الزواج المقدس- م.

(٣) الجهل الروحى- م.

بسبب ذلك من يسعى وراء هذه المكافآت لأجل مجد بشرى وليس لأجل صلاحهم الفعلي يُوبخ بكلمات الكتاب المقدس، «تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديا» (يع ٤: ٣).

٣٥- كثير من الأنشطة البشرية، صالحة في ذاتها، وغير صالحة بسبب الدافع إلى عملها. على سبيل المثال، الصوم والسهر، الصلاة وترتيل المزامير، أعمال الشركة والضيافة هي بالطبيعة صالحة، ولكن عندما تتم لأجل البر الذاتي فهي غير صالحة.

٣٦- في كل شيء نفعله يفحص الله هدفنا (منه) لكي يرى هل نقوم به من أجله أو من أجل دافع آخر.

٣٧- عند سماعك لكلمات الكتاب المقدس، «أنت تجازى الإنسان على أعماله» (مز ٦٢: ١٢ س)، لا تظن أن الله يمنح البركات عندما يُعمل شيئا ما لأجل الهدف خاطئ، حتى ولو كان يبدو صالحا. من الواضح تماما أنه يمنح البركات فقط عندما يُعمل شيئا ما لأجل الهدف الصالح. لأن حكم الله لا ينظر للأعمال ولكن للهدف الذي ورائهم.

٣٨- مكر شيطان الكبرياء يأخذ شكلين. إما أن يحث الراهب بأن ينسب إنجازاته لنفسه وليس لله، واهب كل صلاح والمساعد في كل إنجاز؛ أو إذا فشل هذا، فإنه يقترح له بأن عليه أن يحط من شأن إخوته من أولئك الذين حتى الآن أقل كمالا منه. متأثرا بهذه الطريقة، لا يدرك أن الشيطان يحثه على أن ينكر معونة الله. لأنه إذا حط من شأن أخوته لنقصهم الإنجاز، فهو يُظهر بوضوح أنه حقق شيئا ما من خلال قدراته الخاصة. ولكن هذا محال حيث، كما قال ربنا، «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا» (يو ١٥: ٥). لأنه حتى عندما نُدفع تجاه ما هو خير، فإن ضعفنا لا يمكن أن يأتي بأي شيء إلى الإثمار بدون واهب كل صلاح.

٣٩- الشخص الذي قد وصل لمعرفة ضَعفْ الطبيعة البشرية قد أكتسب خبرة في القوة الإلهية. مثل هذا الإنسان بتحقيقه بعض الأشياء وتحمسه لتحقيق غيرها من خلال هذه القوة الإلهية، لن يحط من شأن أي أحد أبداً. لأنه يعرف أنه مثلما ساعده الله وحرره من شهوات وصعوبات كثيرة، كذلك، عندما يشاء الله، فهو قادر على مساعدة كل الناس، خصوصا أولئك الذين يتبعون الطريق الروحي من أجله. وإذا لم يُخلص،

في عنايته الإلهية، كل الناس معا من الشهوات، فإنه كطبيب صالحٌ ومحبٌ يشفى بمعالجة فردية لكل من هؤلاء الذين يحاولون أن يصنعوا تقدما.

٤٠- نحن نصبح متكبرين عندما تكف الشهوات عن أن تكون نشطة فينا، وهذا سواء كانوا غير نشطين لأن أسبابهم قد إستئُصلت أو لأن الشياطين قد انسحبت متعمدة لكي تخدعنا.

٤١- تقريبا كل خطية تُرتكب من أجل اللذة الحسية؛ واللذة الحسية تنغلب بالمشقات والمحن التي تنشأ إما طوعا من التوبة، أو بخلاف ذلك كَرْهًا كنتيجة لبعض المعاكسات المفيدة والتي تأتى بترتيب من العناية الإلهية. «لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا. ولكن إذ قد حُكم علينا نؤدب من الرب لكي لا ندان مع العالم» (١كو ١١: ٣١- ٣٢).

٤٢- عندما تأتى عليك تجربة بطريقة غير متوقعة، لا تلوم الشخص التي أتت من خلاله ولكن حاول أن تكتشف السبب التي أتت بسببه، وعندئذٍ سوف تجد طريقة تتعامل بها معها. لأنه سواء من خلال هذا الشخص أو من خلال شخص آخر يجب عليك أن تتجرع مرارة أحكام الله.

٤٣- طالما عندك عادات سيئة لا ترفض المشقات، حتى إنك من خلالها يمكن أن تتضع وتطرد كبريائك.

٤٤- أحيانا يُمتحن الناس بالسعادة، وأحيانا أخرى بالمحن أو بمعاناة جسدية. طبيب النفوس يعطى الدواء بواسطة وصفاته الطبية طبقا لسبب الشهوات التي ترقد مختفية في النفس.

٤٥- التجارب تُرسل للبعض لكي تُبعدْ الخطايا السابقة، ولآخرين لاستئصال خطايا تُرتكب الآن، ولآخرين أيضا لكي تحبط الخطايا التي يمكن أن تُرتكب في المستقبل. هذا واضح من التجارب التي تثار لكي تمتحن الناس بالطريقة التي امتحن بها أيوب.

٤٦- الرجل العاقل، آخذاً في الحسبان التأثير العلاجي لوصفات العلاج الإلهية، يتحمل بفرح المعاناة التي تجلبها عليه، حيث أنه يعي أنه لا يوجد سبباً لهم سوى خطيئته الخاصة. ولكن عندما يُخطئ الأحمق، الجاهل بالحكمة الفائقة التي لعناية الله، ويتم تصحيحه، فإنه يعتبر إما الله أو الناس مسئولاً عن المشقات التي يُعانيها.

٤٧- أشياء مُعينه توقف حركة الشهوات ولا تسمح لهم بالنمو؛ وأخرى تُخضعهم وتجعلهم يَقلون تدريجيا. على سبيل المثال، عندما تكون الرغبة معنية، فالصيام، التعب

والسهر لا تسمح لها أن تنمو، بينما الانسحاب، التأمل، الصلاة والاشتياق الشديد لله يُخضِعها ويجعلها تختفي. بالمثل أيضا صحيح بالنسبة إلى الغضب. الصبر، التحرر من الحقد، الوداعة على سبيل المثال، كلهم يُوقفونه ويمنعونه من النمو، بينما الحب، أعمال الشركة، العطف والشفقة تجعله يقل تدريجيا.

٤٨- عندما يكون فكر إنسان مع الله دائماً، فإن رغبته تتطور بدون حدود إلى شوق قوى لله و(قوُىَ) الإثارة فيه تتحول بالكامل إلى حب إلهي. لأنه بأخذه المستمر من الإشعاع الإلهي يصبح فكره مملؤاً بالكامل من النور؛ وعندما يتم إعادة تكامل الجانب السريع التأثر منه، فإنه يُعيد توجيه هذا الجانب إلى الله، كما قلنا، مالئا إياه بشوق شديد لا يعبر عنه له[1] وبحب لا ينتهي، ساحبا إياه هكذا بالكامل من الأشياء الدنيوية إلى الإلهية.

٤٩- إذا كان إنسانٌ غير حسوداً أو غضوباً، ولا يحمل ضغينة تجاه شخصا ما آذاه، فهذا لا يعنى بالضرورة إنه يحبه. لأنه، في حين أنه ينقصه الحب، ربما يكون قادراً على عدم مقابلة الشر بالشر، طبقا للوصية (ق.م. رو ١٢: ١٧)، ولكن ولا بأي وسيلة يمكن أن يكون قادراً على أن يرد بالخير على الشر دون أن يُجبر نفسه. أن تكون ميال تلقائيا لـ «أحسنوا إلى مبغضيكم» (مت ٥: ٤٤) (فذلك) يعود إلى الحب الروحي الكامل وحده.

٥٠- إذا كان إنسان لا يحب شخصاً ما، فهذا لا يعنى بالضرورة إنه يكرهه؛ وبالعكس، إذا لم يكرهه، فهذا لا يعنى بالضرورة إنه يحبه، حيث إنه يمكن أن يكون محايداً تجاهه، أي، لا يكرهه ولا يحبه. لأن الميل إلى الحب يُخلْقَ فقط في الخمس طرق التي أُدرجت في النص التاسع من هذه المئوية، نوع جدير بالثناء، والثاني من نوع وسط والثالث يستحق التوبيخ.

٥١- عندما تجد فكرك مشغولا بتمتع بالأشياء المادية ويصبح متعلقا بولع بصورهم العقلية، فيمكن أن تتأكد من إنك تحب هذه الأشياء أكثر من الله. «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (مت ٦: ٢١).

٥٢- الفكر المرتبط بالله لمدة طويلة من خلال الصلاة والحب يصبح حكيماً، صالحاً، قوياً، عطوفاً، منعماً وطويل الأناة؛ باختصار، يحتوى في داخله تقريبا كل الصفات المقدسة. ولكن عندما يرجع الفكر عن الله ويلصق نفسه بالأشياء المادية، فإما أن

---

(١) أي الله- م.

يصبح مطلق العنان لأهوائه مثل بعض الحيوانات المنزلية، أو مثل وحش برى يحارب الناس من أجل هذه الأشياء.

٥٣- يدعو الكتاب المقدس الأشياء المادية بـ «العالم»؛ والناس العالميين هؤلاء الذين يشغلون فكرهم بهذه الأشياء. مثل هؤلاء الناس هم الذين يوبخهم الكتاب المقدس عندما يقول: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم... رغبة الجسد وشهوة العيون، وافتخار الواحد بممتلكاته، ليسوا من الله ولكن من العالم» (ق.م. ١يو ٢: ١٥- ١٦).

٥٤- الراهب هو الإنسان الذي حرر فكره من التعلق بالأشياء المادية وبواسطة ضبط النفس، الحب، ترتيل المزامير والصلاة يلتصق بالله.

٥٥- راعى المواشي يمثل الإنسان الذي يمارس الفضيلة، لأن الانجازات الأخلاقية يمكن أن تتمثل بواسطة القطيع. لذلك قال يعقوب، عبيدك أهل مواشٍ» (تك ٤٦: ٣٤). راعى الغنم يمثل العارف (روحيا)، لأن الخروف يمثل الأفكار التي ترعى بواسطة العقل في جبال التأمل. هذا الذي لأجله «كل راعى غنم رجس للمصريين» (تك ٤٦: ٣٤)، أي، للقوى الشيطانية.

٥٦- عندما يُحث الجسد بواسطة الحواس لكي ينغمس في الرغبات والملذات، يخضع الفكر الفاسد بسهولة ويوافق على خيالاته ونزواته الملتهبتين. ولكن الفكر الذي وُلِدَ ثانية يمارس ضبط النفس ويمنع نفسه منهم. علاوة على ذلك، وكفيلسوف حقيقي يدرس كيف يعالج مثل هذه النزوات.

٥٧- هناك فضائل للجسد وفضائل للنفس. تلك التي للجسد تشتمل على الصيام، السهر، النوم على الأرض، خدمة احتياجات الناس، العمل بيدي المرء حتى لا يكون حِمّلاً (على أحد) أو من أجل أن يعطى الآخرين (ق.م. ١تس ٢: ٩، أف ٤: ٢٨). وتلك التي للنفس تشتمل على الحب، طول الأناة، الوداعة، ضبط النفس والصلاة (ق.م. غل ٥: ٢٢). وإذا وجدنا أننا لا نستطيع أن نمارس الفضائل الجسدية المذكورة أعلاه كنتيجة لبعض المعوقات أو لبعض الظروف الجسدية، مثل المرض أو ما شابه ذلك، فالله يغفر لنا لأنه يعرف الأسباب. ولكن إذا فشلنا في أن نمارس فضائل النفس، فلن يكون لنا عذراً واحداً، لأنه في مقدورنا دائماً أن نمارسهم.

٥٨- حب الله يقود من يشارك فيه إلى أن يكون غير مبالياً بكل لذة فانية وكل تعب وحزن. دع كل القديسين، الذين تحملوا الكثير بفرح من أجل المسيح، يقنعونك بذلك.

٥٩- احرس نفسك من أم الرذائل هذه، محبة الذات، التي هي الحب الغبي للجسد. لأنها تلد بتبرير خادع الثلاثة الأوْل والأكثر شيوعا من الأفكار الملتهبة. أعنى تلك التي للبطنة، الطمع، البر الذاتي، التي تتخذ ما يسميه البعض خطئاً باحتياج الجسد كذريعة لها. كل رذائل أخرى تنتج من هذه الثلاثة. بناء على ذلك يجب أن تكون متنبها، كما قلنا قبلاً، وتحارب ضد محبة الذات بيقظة عظيمة. لأنه عندما تُستأصل هذه الرزيلة، فكل الآخرين قد إستئصلوا أيضا.

٦٠- شهوة محبة الذات توحي للراهب بأنه يجب أن تكون له شفقة على جسده وباسم العناية والتوجيه الصحيح يجب أن يأخذ طعام أكثر في غالب الأحيان عن اللازم؛ لأنه بهذه الطريقة سوف تقوده محبة الذات خطوة خطوة إلى حفرة التساهل مع النفس. ومن ناحية أخرى، محبة الذات تحرض هؤلاء الذين ليسوا رهباناً لكي يتمموا رغبات الجسد في الحال.

٦١- لقد قيل أن أسمى حالة للصلاة يتم الوصول إليها عندما يذهب الفكر إلى ما وراء الجسد والعالم، وعندما يكون أثناء الصلاة خالياً تماما من المادة والشكل. من يحافظ على هذه الحالة فقد أحرز حقاً الصلاة الدائمة.

٦٢- عندما يموت الجسد، فإنه ينفصل بالكامل من أشياء هذا العالم. بالمثل، عندما يموت الفكر في أثناء تلك الحالة العليا من الصلاة، فإنه ينفصل عن كل الصور العقلية التي لهذا العالم. وإذا لم يَمُت مثل هذا الموت، فإنه لن يقدر أن يكون مع الله ويحيا معه.

٦٣- لا تدع أحداً يخدعك، يا راهب، بفكرة أنك يمكن أن تخلص بينما أنت عبداً لـ اللذة الحسية والبر الذاتي.

٦٤- عندما يُخطئ الجسد من خلال الأشياء المادية، فعنده الفضائل الجسدية كي تُعلّمه كبح النفس. بالمثل، عندما يُخطئ الفكر من خلال الصور العقلية الملتهبة، فعنده فضائل النفس لكي تُرشده. لكي برؤية الأشياء بطريقة نقية وهادئة، يمكن أيضا أن يتعلم كبح النفس.

٦٥- كما يتبع الليل النهار والشتاء الصيف، كذلك الحزن والألم يتبعان البر الذاتي واللذة الحسية، سواء كان في هذه الحياة أو بعد الموت.

٦٦- لا يستطيع خاطئ أن يهرب من المحاكمة الآتية دون أن يختبر في هذه الحياة إما مشقات طوعية أو أحزان لم يختارها.

٦٧- لقد قيل أن هناك خمسة أسباب لسماح الله لنا بأن نُهاجم من الشياطين. الأول لكي، من خلال الهجوم والهجوم المضاد، وجب أن نتعلم أن نميز بين الفضيلة والرزيلة. الثاني لكي، باقتنائنا الفضيلة من خلال القتال والتعب، وجب أن نحفظها آمنة وثابتة. الثالث لكي، عندما نصنع تقدماً في الفضيلة، وجب أن لا نصبح متغطرسين ولكن نتعلم التواضع. الرابع لكي، باكتسابنا بعض الخبرة في الشر، وجب علينا أن «نكرهه كراهية تامة» (ق.م. مز ١٣٩: ٢٢). الخامس والأكثر أهمية لكي، بإحرازنا لـ الاهوىَ، وجب أن لا ننسى لا ضعفنا ولا قوة[1] من أعاننا.

٦٨- كما يتخيل فكر الجائع الخبز وذلك الذي للعطشان الماء، كذلك فكر (الإنسان) النهم يتخيل وفرة الطعام، والمنغمس في الشهوات أشكال النساء، والذي للإنسان المتكبر الكرامة الدنيوية، والذي للإنسان الطماع الكسب المالي، والذي للإنسان الحسود كيفية أذى هدف حسده، وهكذا مع كل الشهوات الأخرى. لأن الفكر المثار بالشهوة يُكتنف بالصور العقلية الملتهبة سواء كان الجسم مستيقظاً أم نائماً.

٦٩- عندما تصبح الرغبة قوية، فإن الفكر أثناء النوم يتخيل الأشياء التي تعطى لذة حسية؛ وعندما تصبح القوة الغضبية قوية، فإنها تتخيل الأشياء التي تسبب الخوف. لأن الشياطين النجسة، باكتشافها حليفا لها في إهمالنا، تُقوى وتثير الشهوات. ولكن الملائكة القديسين، بِحَثِنا على إنجاز أعمال الفضيلة، يجعلونهم أضعف.

٧٠- عندما يُثار الجانب الخاص بالرغبة في النفس باستمرار، فإنه يزرع في النفس عادة التساهل مع النفس التي يصعب كسرها. وعندما تستثار القوة الغضبية بطريقة مستمرة، فإنها تؤدى في النهاية إلى الجبن وعدم الرجولة. الأول من هذه الضعفات يُعالج بالتمرين الطويل على الصوم، السهر والصلاة؛ والثاني بالعطف، الشفقة، الحب والرحمة.

٧١- الشياطين تحاربنا إما من خلال الأشياء نفسها أو من خلال الصور العقلية الملتهبة لهذه الأشياء. إنهم يحاربون من خلال الأشياء ضد هؤلاء المشغولين بالأشياء ومن خلال الصور العقلية هؤلاء الغير متعلقين بالأشياء.

---

(١) أى الله- م.

٧٢- كما أن من الأسهل السقوط في الخطيئة في العقل عنها في الواقع، كذلك الحرب من خلال الصور العقلية الملتهبة للأشياء أصعب من الحرب من خلال الأشياء نفسها.

٧٣- الأشياء تكون خارج الفكر، ولكن الصور العقلية لهذه الأشياء تشكلت في داخله. وبالتالي فإنه في متناول الفكر أن يستخدم هذه الصور العقلية استخدام جيد أو ردئ. إن استخدامهم الخاطئ يُتبع بسوء استخدام الأشياء نفسها.

٧٤- الفكر يستقبل الصور العقلية الملتهبة بثلاثة طرق: من خلال الحواس، من خلال ظروف الجسد ومن خلال الذاكرة. إنه يستقبلهم من خلال الحواس عندما تستقبل الحواس نفسها انطباعات من أشياء لها علاقة بتلك التي نكن لها شهوة، وتثير هذه الأشياء أفكاراً ملتهبة في الفكر؛ من خلال ظروف الجسد عندما يختل توازن العناصر في الجسد، كنتيجة إما لطريقة حياة غير منضبطة، أو لنشاط الشياطين، أو بسبب مرض ما، وأيضا الفكر يُثار للأفكار الملتهبة أو لأفكار مضادة للصواب؛ من خلال الذاكرة عندما تستدعى الذاكرة الصور العقلية للأشياء التي تتعلق بتلك التي فعلناها بشهوة من قبل، وبذلك تثير الأفكار الملتهبة بطريقة مماثلة(١).

٧٥- بعض الأشياء تُعطى لنا بواسطة الله لاستخدامنا في النفس وأخرى في الجسد وأخرى تنتمي للجسد. في النفس تكون قدراتها؛ في الجسد تكون أعضاء الإحساس والأعضاء الأخرى؛ والتي تنتمي إلى الجسد تكون الطعام، المال، الممتلكات وهكذا. إن استخدامنا الجيد أو السيئ لتلك الأشياء التي أعُطِيَتْ لنا بواسطة الله، أو ما يمكن أن يتوقّفَّ عليهم، يكشف إن كنا فضلاء أو أشرار.

٧٦- في الأشياء التي يمكن أن تتوقّفَّ على تلك التي أعُطِيَتْ لنا بواسطة الله، البعض يكون في النفس، والبعض يكون في الجسد، والبعض ينتمي إلى الجسد. تلك التي في النفس هي المعرفة والجهل الروحيين، النسيان والذاكرة، الحب والكره، الخوف والشجاعة، الحزن والسعادة، وهكذا. وتلك التي في الجسد هي اللذة والألم، الإحساس وعدم الإحساس، الصحة والمرض، الحياة والموت، وهكذا. وتلك التي تنتمي إلى الجسد هي اقتناء أبناء أو عدم اقتناء أبناء، الغِنىَ والفقر، الشهرة وخمول الذكر، وهكذا. البعض من هذه يُعتبر خيراً والآخر شراً. ولا واحد فيهم شريراً في ذاته. (ولكن) طبقاً لكيفية استخدامهم يمكن أن يطلق عليهم خيراً أو شراً بطريقة صحيحة.

---

(١) أى مماثلة لما تم من قبل- م.

٧٧- كل من المعرفة الروحية والصحة خيراً بالطبيعة، إلا أن أضادهم يكونون أكثر فائدةً لكثير من الناس. لأن مثل هذه المعرفة قد لا تخدم أي هدف خيّرْ عندما يُعنَّىَ بها الأشرار، بالرغم من، إنها خيّرَةٌ في ذاتها، كما قلنا. بالمثل صحيح فيما يتعلق بالصحة، الغنى والسعادة، لأنهم لا يُستخدمون على نحو مفيد بواسطة هؤلاء الناس. ولكن أضدادهم يُفيدونهم بالتأكيد. وبناء على ذلك ولا واحد فيهم شريراً في ذاته، بالرغم من إنهم يمكن أن يبدوا أشراراً.

٧٨- لا تُسئ استخدام صورك العقلية للأشياء، مخافة أن تُجبر على أن تقوم باستخدام خاطئ للأشياء نفسها. لأنه إذا لم يُخطئ إنسان في عقله أولاً، فلن يخطئ بالفعل أبداً.

٧٩- الرذائل الرئيسية- الغباء، الجبن، الفجور، الظلم- هي«صورة» الإنسان «الترابي». الفضائل الرئيسية- الذكاء، الشجاعة، كبح النفس، العدل- هي «صورة» الإنسان «السماوي». وكما حملنا صورة الترابي، فدعنا نحمل صورة السماوي (ق.م. ١كو ١٥: ٤٩).

٨٠- إذا أردت أن تجد الطريق المؤدية إلى الحياة، فابحث عنها في الطريق الذي يقول، «أنا هو الطريق والباب والحق والحياة» (ق.م. يو ١٠: ٧؛ ١٤: ٦)، وهناك سوف تجده. ولكن ليكن بحثك فقط جاد ومجتهد، لأن «قليلون هم الذين يجدونه» (مت ٧: ١٤) وإذا لم تكن بين القليلين فسوف تجد نفسك مع الكثيرين.

٨١- خمسة أشياء تقطع النفس من الخطيئة: الخوف من الناس، الخوف من المحاكمة، الرجاء في مكافأة مستقبلية، مخافة الله، وأخيراً، يقظة الضمير.

٨٢- البعض يقول أنه لم يكن هناك شراً في العالم المخلوق إذا لم يكن هناك قوة ما خارج العالم تسحبنا إلى الشر. ولكن ما تسمى قوة هي في الواقع إهمالنا للقدرات الطبيعية التي للفكر. لأن هؤلاء الذين يُرَبّون هذه القدرات دائما يفعلون حسناً، لا شراً أبداً. إذا كان هذا، إذاً، هو ما تريد أن تفعله أنت أيضاً، فتخلص من الإهمال وسوف تطرد أنت أيضاً الشر، الذي هو الاستخدام الخاطئ لصورنا العقلية للأشياء، متبوعاً باستخدام خاطئ للأشياء نفسها.

٨٣- في حالته الطبيعية، يخضع العقل البشرى للعقل الإلهي وهو نفسه يسود على العناصر الغير عاقلة فينا. لِيَكُن هذا النظام مُصاناً في كل الأشياء، ولن يكون هناك شراً بين المخلوقات ولا أي شيء يسحبنا تجاه الشر.

٨٤- بعض الأفكار تكون بسيطة، وأخرى مُركبة. الأفكار الغير ملتهبة تكون بسيطة. الأفكار المشحونة بالشهوة تكون مُركبة، وتتكون كما تفعل (دائماً) من الصورة العقلية متحدة مع الشهوة. إن ذلك يكون هكذا، عندما تبدأ الأفكار المركبة في إثارة فكرة خاطئة في العقل، وقد يُرى كثير من الأفكار البسيطة تتبعهم. على سبيل المثال، ينهض فكر ملتهب عن الذهب في عقل شخصاً ما، عنده الحافز عقلياً أن يسرق الذهب ويرتكب الخطيئة في فكرهِ، حينئذٍ أفكاراً عن كيس الذهب، الخزينة، الغرفة[1] وهكذا تتابع بشدة وراء فكر الذهب. الفكر في الذهب مركب- لأنه كان متحداً بالشهوة- ولكن تلك التي عن كيس الذهب، الخزينة وهكذا كانت بسيطة؛ لأن الفكر لم يكن لديه شهوة فيما يتعلق بهذه الأشياء. وبالمثل صحيح في كل فكر- أفكار البر الذاتي، النساء، وهكذا. لأنه ليست كل الأفكار التي تتبع الفكر الملتهب هي نفسها ملتهبة، كما وضح مثلنا.من هذا، إذاً، يمكن أن نعرف أي من الصور العقلية يكون ملتهباً وأيها يكون غير ملتهب.

٨٥- البعض يقول أن الشياطين تلمس أولاً الأعضاء التناسلية أثناء النوم وبذلك تثير شهوة النجاسة. ومتى أثيرت، تأتى الشهوة بواسطة الذاكرة بشكل امرأة إلى الفكر. ولكن آخرون يقولون بأن الشياطين تظهر أولاً للفكر في هيئة امرأة وعندئذٍ تُثير الشهوة بلمس الأعضاء التناسلية وبذلك تُثار الخيالات. إلا إنه آخرون يقولون أن الشهوة التي تُهيمن على الشيطان المقترب تثير الشهوة المقابلة فينا، وهكذا يتم تحريض النفس على الأفكار الخاطئة وتأتى بتلك الأشكال الأنثوية إلى الفكر بواسطة الذاكرة. بالمثل صحيح في ما يتعلق بالخيالات الملتهبة الأخرى. البعض يقولون بأنهم يحدثون بطريقة ما، والبعض الآخر بطريقة أخرى، على أية حال، إذا كان الحب وضبط النفس موجودين في النفس، فإن الشياطين ليس لهم سلطة أن يُثيروا أي شهوة على الإطلاق بأي طريقة من تلك التي تم وصفها، سواء كان الجسد مستيقظاً أو نائماً.

٨٦- **بعض الوصايا في الناموس الموسوي يجب الالتزام بها جسدياً وروحياً. وأخرى روحياً فقط. على سبيل المثال، «لا تزن، لا تقتل، لا تسرق» (خر ٢٠: ١٣- ١٥) وهكذا يجب الالتزام بها جسدياً وروحياً {التقيد بها روحياً ثلاثة أضعاف، كما سيتم توضيحه فيما بعد}. الإختتان (ق.م. لا ١٢: ٣)، حفظ السبت (ق.م. خر ٣١: ١٣)، وذبح الحمل**

(١) الغرفة التى سيضع فيها الخزينة التى فيها كيس الذهب- م.

وأكل خبزاً غير مختمر مع أعشاب مُرة (ق.م. خر ١٢: ٨؛ ٢٣: ١٥) وما يماثلها من وصايا يُلتزم بها روحياً فقط.

٨٧- هناك ثلاث حالات داخلية رئيسية تصف حياة الراهب. الأولى تتكون من عدم الإثم في الأفعال؛ الثانية من عدم السماح للنفس بالعبث مع الأفكار الملتهبة؛ الثالثة من القدرة على التأمل في العقل في أشكال النساء و في هؤلاء الذين أهانوه بطريقة ليس بها أهواء.

٨٨- الإنسان الذي حقاً بدون ممتلكات هو من تخلى عن كل خيراته الدنيوية وليس له على الإطلاق أي شيء على الأرض سوى جسده؛ وقد عهد بنفسه إلى عناية الله والمؤمن[١]، كاسراً ارتباطه بالجسد.

٨٩- بعض الناس الذين لهم ممتلكات يمتلكونهم بطريقة خالية من الأهواء، لذلك عندما يُحرَمون منهم لا يُصيبهم الفزع ولكن مثل هؤلاء الذين قبلوا سلب أموالهم بفرح (ق.م. عب ١٠: ٣٤). آخرون يمتلكون بشهوة، لذلك عندما يكونون في خطر نزع الملكية فإنهم يصبحون محزونين جداً، مثل الرجل الغنى في البشارة الذي مضى مملوءاً من الحزن (ق.م. مت ١٩: ٢٢)؛ وإذا نُزعت منهم الملكية فعلاً، فإنهم يبقون محزونين إلى أن يموتوا. نزع الملكية، إذاً، يكشف إذا كانت حالة الإنسان الداخلية خالية من الأهواء أو مُسيطر عليها بواسطة الشهوة.

٩٠- الشياطين تهاجم الشخص الذي أحرز قمم الصلاة لكي تمنع صوره العقلية للأشياء الحسية من التحرر من الشهوة؛ ويهاجمون العارف (المعرفة الروحية) حتى يعبث مع الأفكار الملتهبة؛ ويهاجمون الشخص الذي لم يتقدم إلى ما بعد ممارسة الفضيلة لكي يغرونه ليخطئ من خلال أفعاله. إنهم يكافحون بكل وسيلة ممكنة لكي يفصلونهم عن الله.

٩١- هؤلاء الذين تقودهم العناية الإلهية إلى القداسة في هذه الحياة يُختبرون بالثلاث اختبارات التالية: بمنحهم الأشياء المقبولة، مثل الصحة، الجمال، الأبناء الرائعين، المال، الشهرة وهكذا؛ بالمحن التي تسبب الحزن، مثل فقدان الأبناء، المال والشهرة؛ وبالمعاناة الجسدية، مثل المرض، التشوه وهكذا. لهؤلاء الذين من الفئة الأولى يقول

---

(١) أى بما يمنحه إياه الله والمؤمنين من صدقات- م.

الرب «كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لو ١٤: ٣٣)؛ ولهؤلاء الذين في الثانية والثالثة يقول، «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو ٢١: ١٩).

٩٢- الأربع أشياء التالية قيل أنها تغير مزاج الجسد ومن خلاله تنتج إما أفكاراً ملتهبة أو هادئة في الفكر: الملائكة، الشياطين، الرياح والنظام الغذائي. قيل أن الملائكة تغيره بالفكر، الشياطين باللمس، الرياح بالتغير، والنظام الغذائي بواسطة نوعية طعامنا وشرابنا وبواسطة إما أن نأكل كثيراً جداً أو قليلاً جداً. هناك أيضاً تغيرات تحدث بواسطة الذاكرة، السمع والبصر- أعنى عندما تكون النفس متأثرة بالتجارب المفرحة أو المحزنة كنتيجة لإحدى هذه الوسائل الثلاث، وحينئذٍ تغير مزاج الجسد. وبتغيره هكذا، يُسبب هذا المزاج بدوره الأفكار المطابقة في الفكر.

٩٣- الموت في الوعي الحقيقي هو انفصال عن الله، و«شوكة الموت هي الخطية» (ق.م. ١كو ١٥: ٥٦). آدم، الذي أخذ الشوكة، أصبح في نفس الوقت منفياً من شجرة الحياة، من الفردوس ومن الله (ق.م. تك ٣)؛ وهذا كان من الضروري أن يُتبع بموت الجسد. الحياة، في الوعي الحقيقي، هي من قال، «أنا هو الحياة» (يو ١١: ٢٥)، ومن، بدخوله الموت، قد أعاد للحياة من مات.

٩٤- الإنسان يكتب إما ليساعد ذاكرته أو لكي يساعد الآخرين، أو لكلا السببين؛ أو بخلاف ذلك فإنه يكتب لكي يؤذى أناس مُعينين، أو سعياً للفت الأنظار، أو بدافع الضرورة.

٩٥- في المزمور ٢٣، الـ «مراعى الخضر» تمثل ممارسة الفضائل، «مياه الراحة»، المعرفة الروحية للأشياء المخلوقة.

٩٦- «ظل الموت» هي الحياة البشرية. وعلى ذلك إذا كان إنسان مع الله والله معه، فمن الواضح إنه قادراً على أن يقول، «إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شرا لأنك أنت معي».

٩٧- الفكر النقي يرى الأشياء بطريقة صحيحة. الذكاء المتمرن يضعهم في نظام. السمع الحاد يفهم ما يُقال. من ينقصه هذه الثلاث صفات يُهين الشخص الذي تكلم.

٩٨- من يعرف الثالوث القدوس، خليقة الثالوث، والعناية الإلهية، ومن أعاد الجانب الحساس من نفسه إلى حالة اللاهوىَ، هو مع الله.

٩٩- أيضاً في مزمور ٢٣ «العصا» تشير إلى حكم الله و «العكاز» إلى عنايته. لذلك من أخذ المعرفة الروحية لهذه الأشياء قادراً على أن يقول، «عصاك وعكازك هما يعزياني».

١٠٠- عندما يتجرد الفكر من الشهوات ويستنير بالتأمل في الكائنات المخلوقة، حينئذٍ، يمكن أن يدخل إلى الله ويصلي كما يجب.

المئوية الثالثة

Third Century

١- الاستخدام الذكي للصور العقلية وما يطابقها من أجسام مادية يُنتج كبح النفس، الحب والمعرفة الروحية؛ والاستخدام الغير ذكي ينتج فجوراً، كراهية وجهل.

٢- «هيأت مائدة قدامي... »(مز ٢٣: ٥). في هذه الفقرة، «مائدة» تعني ممارسة الفضائل، لأن هذه قد أُعِدَتْ لنا بواسطة المسيح لكي نستخدمها «تجاه مضايقينا». «الدهن» الذي يمسح الفكر هو التأمل في الأشياء المخلوقة. «كأس» الله هي معرفة الله. «رحمته» هو كلمته الإلهي. لأن الكلمة من خلال تجسده يتبعنا «كل الأيام» حتى يُدرك كل هؤلاء الذين سيخلصون، كما فعل في حالة بولس (ق.م. في ٣: ١٢). الـ «بيت» هو الملكوت الذي سيسكن فيه كل القديسون. «إلى مدى الأيام» تعني الحياة الأبدية.

٣- عندما نُسئ استخدام قوىَ النفس فإن الجانب الشرير منهم يُسيطر علينا. على سبيل المثال، سوء استخدام قوة ذكائنا ينشأ فينا الجهل والغباء؛ وسوء استخدام قوتنا الغضبية ورغبتنا تُنتج الكراهية والفجور. الاستخدام المناسب لهذه القوىَ يُنتج معرفة روحية، حكماً أخلاقياً، حباً، وكبحاً للنفس. هذا يكون هكذا، لأنه لا شيء خُلق وأُعطىَ وجوداً بواسطة الله يكون شريراً.

٤- ليس الطعام شريراً ولكن النهم، ولا إنجاب الأطفال ولكن النجاسة، ولا الأشياء المادية ولكن الطمع، ولا التقدير ولكن البر الذاتي. هذا يكون هكذا، لأن سوء استخدام الأشياء فقط هو الشر، ومثل سوء الاستخدام هذا يحدث عندما يفشل الفكر في تثقيف قواه الطبيعية.

٥- يقول المبارك ديونيسيوس[١]، يأخذ الشر بين الشياطين شكلًا من الغضب المجنون، الرغبة الغير مُسيطر عليها بواسطة الفكر، الخيال المتهور. ولكن الحماقة، ونقص

---

(١) Dionysios the Areopagite

التحكم العقلي والتهور في الكائنات العاقلة تكون محرومة من الذكاء، والفكر والحذر. لكن الحرمان يأتي بعد امتلاك شيئاً ما. كان هناك وقتاً، إذاً، كانت الشياطين تملك الذكاء، الفكر والحذر الورع. وإذا كانت الحالة هكذا، فحتى الشياطين ليست شريرة بالطبيعة[1]، ولكنهم أصبحوا أشراراً من خلال سوء استخدامهم لقواهم الطبيعية.

٦- بعض الشهوات تنتج الفجور، والبعض الكراهية، بينما آخرون ينتجون كل من الانغماس في الملذات والكراهية.

٧- الإفراط في الأكل والنهم يُسببان الفجور. الطمع والبر الذاتي يجعلان المرء يكره جاره. محبة الذات، أم الرذائل، هي سبب كل هذه الأشياء.

٨- محبة الذات هي حب ملتهب، أحمق لجسد المرء. ونقيضها هو الحب وضبط النفس. الإنسان المُسيطر عليه بمحبة الذات مُسيطر عليه بكل الشهوات.

٩- «لم يبغض أحد جسده قط» يقول الرسول (أف ٥: ٢٩)، ولكن يُؤدبه ويجعله خادماً له (ق.م. ١كو ٩: ٢٧)، غير سامحاً له بشيء سوى القوت والكسوة (ق.م. ١تى ٦: ٨)، وبعد ذلك فقط ما هو ضروري للحياة. بهذه الطريقة يحب الإنسان جسده بأسلوب خالي من الأهواء ويغذيه ويعتني به كخادم لأشياء مقدسة، مزوداً إياه بما يسد احتياجاته الأساسية فقط.

١٠- إذا أحب إنسان شخصاً ما، فمن الطبيعي أن يبذل كل جهد لخدمة هذا الشخص. إذا، كان ثمَ رجل يحب الله، فمن الطبيعي أن يبذل كل جهده كي يعمل وفق مشيئته. ولكن إذا كان يحب الجسد، فإنه يُرضى الجسد.

١١- الحب، كبح النفس، التأمل والصلاة تتوافق مع مشيئة الله، بينما النهم، الفجور والأشياء التي تزيدهم ترضى الجسد. لهذا «فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله» (رو ٨: ٨). ولكن «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء و الشهوات» (غل ٥: ٢٤).

١٢- إذا مال الفكر لله، فإنه يعامل جسده كخادم ويمده بما لا يزيد عن الاحتياجات التي تُبقى الحياة. ولكن إذا مال إلى الجسد، فإنه يصبح خادماً للشهوات ويفكر دائماً في كيفية إتمام رغباته.

---

(١) المقصود هنا الطبيعة الملائكية التى خلقوا عليها وبعد سقوطهم الإرادى إظلمت طبيعتهم الى الأبد- م.

١٣- إذا أردت أن تسود على أفكارك، ركز على الشهوات وسوف تطرد بسهولة الأفكار التي تنهض منها من فكرك. فيما يتعلق بالنجاسة، على سبيل المثال، الصوم وحفظ السهر، والتعب وتجنب مقابلة الناس. فيما يتعلق بالغضب والامتعاض، كن غير مبالياً بالشهرة، الكرامة والأشياء المادية. فيما يتعلق بالضغينة، صل لأجل من أذاك وسوف تتحرر (منها).

١٤- لا تقارن نفسك بالإنسان الأضعف لكن بالأحرى أعمل بجدية لكي تتمم وصية الحب. لأنه بمقارنة نفسك بالضعيف سوف تسقط في حفرة الغرور، ولكن بعملك بجدية في وصية الحب فسوف تصل إلى قمة الإتضاع.

١٥- إذا تممت وصية حب جارك بالكامل، فسوف لا تشعر بمرارة أو استياء منه مهما فعل. وإذا لم يكن الحال هكذا، حينئذٍ فمن الواضح أن السبب في محاربتك جارك هو لأنك تسعى وراء أشياء فانية وتفضلهم عن وصية الحب.

١٦- ليس كثيراً أن يصبح الذهب هدفاً للرغبة بين الناس بسبب الحاجة، وأيضاً بسبب القوة التي يُعطيها لمعظم الناس لينغمسوا في اللذة الحسية.

١٧- هناك ثلاثة أشياء هي التي تنتج محبة الثروة المادية: التساهل مع النفس، البر الذاتي ونقص الإيمان. ونقص الإيمان أخطر من الاثنين الآخرين.

١٨- الشخص المتساهل مع نفسه يحب الثروة لأنها تمكنه من العيش بيسر؛ والشخص الممتلئ بالبر الذاتي يحبها لأنه من خلالها يمكن أن يكتسب الاحترام من الآخرين؛ والشخص الناقص الإيمان يحبها لأنه خوفاً من العوز، الشيخوخة، المرض، أو النفي، يدخرها ويختزنها. إنه يضع ثقته في الثروة أكثر من الله، الخالق الذي يعتني بكل الخليقة، مسئولاً عن أصغر الأشياء الحية.

١٩- هناك أربعة أنواع من الناس الذين يختزنون الثروة: ثلاثة قد تم ذكرهم بالفعل، والخازن أو أمين الصندوق. من الواضح أن الأخير فقط هو الذي يحفظها لهدف جيد- أعني لكي تكون عنده دائما الوسائل التي يمد بها الاحتياجات الأساسية لكل شخص.

٢٠- كل الأفكار الملتهبة إما تُثير قوة الرغبة في النفس، أو تزعج قوتها الغضبية، أو تُظلِمْ ذكائها. بهذه الطريقة تتبلد قدرة الفكر على التأمل الروحي وعلى الابتهاج في الصلاة. ولأجل هذه الأسباب فإن الراهب وخصوصاً الهدوءى[1]، يجب أن يُعطى انتباه كبير لمثل هذه الأفكار، باحثاً عن أسبابها ومزيلاً لها. على سبيل المثال، (إذا) أثيرت قوة الرغبة

(١) أى الذى يحيا فى الهدوء والسكون- م.

في النفس بواسطة أفكاراً ملتهبة عن النساء، مثل هذه الأفكار سَبّبْها الإفراط في الأكل والشرب، وبسبب الحديث الفارغ المتكرر مع النساء المُتكلم عنهم؛ ويمكن قطعهم بالجوع، العطش، السهر والانسحاب من المجتمع البشرى[١]. القوة الغضبية تُزْعَجْ أيضاً بواسطة الأفكار الملتهبة عن هؤلاء الذين آذونا. إن هذا يحدث بسبب التساهل مع النفس، البر الذاتي ومحبة الأشياء المادية. لأنه بسبب مثل هذه الرذائل يشعر الإنسان المُسيطر عليه من الشهوات بالاستياء، لكونه محبطاً أو بطريقة أخرى فاشلاً في تحقيق ما يُريد، هذه الأفكار تُقطع عندما يتم نبذ وإلغاء الرذائل التي تُثيرها من خلال محبة الله.

٢١- الله يعرف نفسه ويعرف الأشياء التي خلقها. القوات الملائكية، أيضاً تعرف الله وتعرف الأشياء التي خلقها. لكنهم لا يعرفون الله والأشياء التي خلقها بنفس الطريقة التي يعرف بها الله نفسه والأشياء التي خلقها.

٢٢- الله يعرف نفسه من خلال معرفة جوهرهِ المبارك. والأشياء التي خُلقت بواسطته يعرفها من خلال معرفة حكمته، التي بواسطتها وفيها خلق كل الأشياء. ولكن القوات الملائكية تعرف الله بالشركة، بالرغم من أن الله نفسه يسمو فوق هذه الشركة[٢]؛ والأشياء التي خلقها يعرفونها بواسطة إدراك ما يمكن تأمله بطريقة روحية فيهم.

٢٣- بالرغم من أن الفكر يعي رؤيته للأشياء المخلوقة في داخله، فهم في الواقع خارجه. ليست هكذا الحال فيما يتعلق بمعرفة الله للأشياء المخلوقة، لأنه أزلي، أبدى وغير محدود، وأنعم على كل شيء كائن بوجوده، وجوداً حسناً، ووجوداً أبديا[٣].

٢٤- الطبائع التي وُهِبَتْ الذكاء والفكر تحيا مع الله من خلال وجودهم نفسه، من خلال قدرتهم على الوجود الحسن[٤]، الذي هو لأجل الصلاح والحكمة، ومن خلال النعمة التي تعطيهم وجوداً أبدياً. هذا، إذاً، كيف يعرفون الله. إنهم يعرفون مخلوقات الله، كما قلنا، من خلال فهم الحكمة المتناغمة التي يتم تأملها فيهم. هذه الحكمة يتم فهمها بالفكر بطريقة غير مادية، وليس لها وجود مستقل في ذاتها.

---

(١) الكلام هنا موجه للرهبان وليس للجميع- م.

(٢) المقصود هنا أن الملائكة تعرف الله من خلال عشرتها وخدمتها لله ومع ذلك فإن معرفتها بالله جزئية لأن الله غير محدود- م.

(٣) الكائنات العاقلة فقط انظر الفقرة رقم ٢٥- م.

(٤) أى فى حالة من الصحة الروحية والخير- م.

٢٥- عندما أتى الله بالطبائع الموهوبة العقل والفكر إلى الوجود نقل لهم، في صلاحه الفائق، أربعة من الصفات المقدسة التي بها يعول، ويحمي ويحفظ الأشياء المخلوقة. هذه الخواص هي الوجود، الحياة الأبدية، الصلاح والحكمة. بشأن الأربعة، منح الاثنين الأولين، الوجود والحياة الأبدية، لجوهرهم[1]، والاثنين الآخرين، الصلاح والحكمة، لمَلَكةْ الإرادة التي لهم، حتى أن ما هو في جوهره يمكن أن يُصبحه المخلوق من خلال الشركة. هذا الذي لأجله قيل عن الإنسان أنه قد خُلق على صورة الله ومثاله (ق.م. تك ١ : ٢٦). لقد خُلقَ على صورة الله، لأن وجوده على صورة وجود الله، وحياته الأبدية على صورة حياة الله الأبدية (من بعض النواحي، لأنه بالرغم من أنه ليس بلا بداية ومع ذلك هو بلا نهاية). هو أيضاً خُلق على مثال الله، حيث أنه صالح على مثال صلاح الله، وحكيم على مثال حكمة الله، الله يكون صالحاً وحكيماً بالطبيعة، والإنسان بالنعمة. كل طبيعة عاقلة هي على صورة الله، ولكن الصالح والحكيم فقط هو الذي على مثاله.

٢٦- كل الكائنات الموهوبة العقل والفكر إما أن تكون ملائكية أو بشرية. كل الكائنات الملائكية يمكن أن تقسم أكثر إلى فئتين أو درجتين أخلاقيتين عامتين، المقدسة والملعونة- أي القوات المقدسة والشياطين النجسة. كل الكائنات البشرية يمكن أن تقسم أيضاً إلى فئتين أخلاقيتين فقط، الأتقياء والغير أتقياء.

٢٧- حيث أن الله مُطلق الوجود، مُطلق الصلاح ومُطلق الحكمة، أو بالأحرى، لكي نكون أكثر دقة، حيث أن الله أعلى من كل مثل هذه الأشياء، فلا يوجد شيء على الإطلاق نقيضاً له. المخلوقات، من جهة أخرى، كلها توجد من خلال الشركة والنعمة، بينما أولئك الذين وُهِبْوا العقل والفكر لهم أيضاً قدرة على الصلاح والحكمة، ومن ثم فلهم نقيض. كنقيض للوجود عندهم عدم الوجود، وكنقيض للصلاح والحكمة عندهم الشر والجهل. وسواء وجودهم الأبدي أو عدم وجودهم فإن ذلك في سلطة صانعهم. ولكن شركة أو عدم شركة المخلوقات العاقلة في صلاحه وحكمته على السواء تعتمد على مشيئتهم.

٢٨- الفلاسفة الإغريق القدماء يقولون بأن الأشياء المخلوقة لها تواجد مع الله منذ الأزل وبأن الله قد أعطاها فقط الصفات. إنهم يقولون بأن الكائن نفسه ليس له نقيض، ولكن ذلك التناقض يكمن فقط في الصفات. ولكننا نؤكد على أن الجوهر الألهي فقط

(١) أي الروح- م.

(هو الذي) ليس له نقيض، حيث أنه أزلي أبدي ويمنح الأبدية للأشياء الأخرى. وجود الأشياء المخلوقة، من جهة أخرى، له عدم الوجود كنقيضاً له. ووجوده الأبدي أو عدمه على السواء يعتمدان على سلطة الذي وحده ذاتي الوجود. ولكن حيث أن «هبات الله... هي بلا ندامة» (رو ١١: ٢٩)، فوجود الأشياء المخلوقة دائماً وسوف يكون معلقاً على قوته القديرة، حتى لو كان له، كما قلنا، نقيض؛ لأنه قد أوتى به إلى الوجود من عدم الوجود، وسواء كان موجوداً أم لا فهذا يعتمد على مشيئة الله.

٢٩- كما أن الشر هو عدم وجود الخير، والجهل هو عدم وجود المعرفة، كذلك عدم الوجود هو عدم وجود الوجود- ليس الوجود في الوجود الذتي، لأن ذلك ليس له أي نقيض، ولكن بالوجود في هذا الوجود بالشركة مع ذلك الوجود الذاتي. الاثنان الأولان المذكوران من عدم الوجود يعتمدان على مشيئة المخلوقات؛ الثالث يكمن في مشيئة الخالق، الذي يشاء في صلاحه أن توجد الكائنات دائماً وأن تتلقى دائماً بركاته.

٣٠- كل المخلوقات إما وُهِبَتْ العقل والفكر، وهكذا امتلكت قدرة على المتناقضات مثل الفضيلة والرزيلة، المعرفة والجهل؛ أو بخلاف ذلك فإنهم أجسام مادية لأنواع متعددة صنعت من المتناقضات، التي هي، الأرض، الهواء، النار والماء. كل ما ذكر أولاً معاً غير جسماني وغير مادي، بالرغم من أن بعضهم متحد بالأجسام؛ وكل ما ذكر ثانياً هو مُؤلف من المادة والشكل.

٣١- بالطبيعة كل الأجسام تفتقر إلى القدرة على الحركة؛ إنهم يأخذون الحركة بواسطة النفس، إما بتلك (النفس) العاقلة أو بتلك التي بدون عقل، أو بتلك التي لا تحس ولا تدرك، كما يمكن أن تكون الحال.

٣٢- النفس لها ثلاث قوى: أولاً، قوة التغذية والنمو؛ ثانياً، التي للتخيل والغريزة؛ ثالثاً، التي للعقل والفكر. النباتات تشترك فقط في (القوة) الأولى من هذه القوى؛ الحيوانات تشترك في الأولى والثانية، البشر يشتركون في كل الثلاثة. القوتان الأولتان قابلتان للفناء؛ والثالثة من الواضح إنها غير قابلة للفناء وخالدة.

٣٣- بنقلهم الاستنارة لبعضهم البعض، فإن القوات الملائكية أيضاً تنقل إما فضيلتها أو معرفتها إلى الطبيعة البشرية. بالنسبة إلى فضيلتهم، فإنهم ينقلون الصلاح الذي يتمثل بصلاح الله، ومن خلال هذا الصلاح فإنهم يأخذون بركة لأنفسهم، ومن واحد للآخر، وللأدنى منهم، وهكذا يجعلونهم متشبهين بالله. بالنسبة لمعرفتهم، فإنهم

ينقلون إما معرفة أكثر تفوقاً عن الله- لأنه كما يقول الكتاب المقدس، «أما أنت يا رب فمتعال إلى الأبد» (مز ٩٢: ٨)- أو معرفة أكثر عمقاً عن الكائنات ذات الجسد، أو تلك (المعرفة) التي هي أكثر دقة عن الكائنات الغير مادية، أو الأكثر وضوحاً عن العناية الإلهية، أو الأكثر تحديداً عن حكم الله.

٣٤- عدم نقاوة الفكر تتكون أولاً من اقتناء المعرفة الزائفة؛ ثانياً من الجهل بأي من القضايا العامة (أنا أشير إلى الفكر البشرى، لأنه من خواص الفكر الملائكي أن لا يكون جاهلاً حتى في التفاصيل)؛ ثالثاً من اقتناء الأفكار الملتهبة؛ ورابعاً من الموافقة على الخطيئة.

٣٥- عدم نقاوة النفس تكمن في عدم أدائها لوظائفها طبقاً للطبيعة. إنه بسبب ذلك تنتج الأفكار الملتهبة في الفكر. النفس التي تؤدى وظائفها طبقاً للطبيعة يبقى جانبها السريع التأثر- الذي هو قوتها الغضبية والرغبة- غير متأثراً تجاه الإثارة من كل من الأشياء والصور العقلية التي لهذه الأشياء.

٣٦- عدم نقاوة الجسد تتكون من الارتكاب الفعلي للخطيئة.

٣٧- من لا ينجذب للأشياء الدنيوية يحب السكون. من لا يحب شيئاً هو ليس سوى إنسان يحب كل الناس. ومن لا يهاجم أي أحد سواء بسبب أخطائهم، أو بسبب أفكاره المتشككة، له معرفة الله وأشياء مقدسة.

٣٨- إنه لإنجاز كبير عدم الانجذاب للأشياء. ولكنه إنجاز أكبر بكثير أن نبقى غير متأثرين تجاه كل من الأشياء والأفكار العقلية التي نسوقها منهم.

٣٩- الحب وضبط النفس يحفظان الفكر غير متأثراً في مواجهة كل من الأشياء والصور العقلية التي نُشكلها منهم.

٤٠- فكر الإنسان الذي يتمتع بحب الله لا يحارب ضد الأشياء أو ضد الصور العقلية التي لهم. إنه يقاتل ضد الشهوات التي ترتبط بهذه الصور. إنه لا يحارب، على سبيل المثال، ضد إمرأة، أو ضد إنسان أساء إليه، أو حتى ضد الصور التي تتشكل منهم؛ ولكنه يحارب ضد الشهوات التي ترتبط بالصور (المُتخيلة).

٤١- كل الغرض من حرب الراهب ضد الشياطين هو فصل الشهوات عن الصور العقلية، وإلا لن يكون قادراً على النظر إلى الأشياء بطريقة تخلو من الأهواء.

٤٢- الشيء، والصورة العقلية، والشهوة كلهم مختلفين تماماً عن بعضهم البعض. على سبيل المثال، رجل، امرأة، ذهب، وهلم جرا هم أشياء؛ الصورة العقلية هي فكر خال من الشهوة في واحد من هذه الأشياء؛ الشهوة هي ميل طائش أو كراهية غير مميزة لواحد من هذه الأشياء. معركة الراهب بناء على ذلك هي ضد الشهوة.

٤٣- الصورة العقلية الملتهبة هي فكرة مركبة من الشهوة و صورة عقلية. إذا فصلنا الشهوة من الصورة العقلية، فلن يتبقى سوى فكرة خالية من الشهوة. نستطيع أن نصنع هذا الفصل بواسطة الحب الروحي وضبط النفس، إذا كنا نملك فقط الإرادة.

٤٤- الفضائل تفصل الفكر عن الشهوات؛ والتأمل الروحي يفصله عن الصور العقلية الخالية من الشهوة التي للأشياء؛ الصلاة النقية تأتى به إلى حضرة الله نفسه.

٤٥- الصفات توجد من أجل معرفة المخلوقات؛ والمعرفة من أجل العارف؛ والعارف من أجل ذاك الذي يُعرف من خلال عدم المعرفة والذي يَعرف ما يفوق كل معرفة.

٤٦- الله، الذي يفوق بالتمام كل ملئ، أتى بالمخلوقات إلى الوجود ليس لأنه كان محتاجاً إلى شيء، ولكن لكي (يَحيوا) في شركة مع الله بالتناسب مع قدرتهم ولكي يبتهج هو نفسه بأعماله (ق.م. مز ١٠٤: ٣١)، من خلال رؤيتهم مبتهجين ودائماً مملوءين لدرجة الفيضان بهباته التي لا تنضب.

٤٧- يوجد كثير من الناس في العالم مساكين بالروح، ولكن ليس بالطريقة التي يجب أن يكونوا عليها؛ يوجد كثيرون حزانى، ولكن من أجل خسارة مالية أو من أجل موت أطفالهم؛ كثيرون ودعاء، ولكن تجاه الشهوات النجسة؛ كثيرون جوعىَ وعطشىَ، ولكن للاستيلاء على ما هو ليس ملكهم وللاستفادة بالظلم؛ كثيرون رحماء، ولكن تجاه أجسادهم وتجاه الأشياء التي تخدم جسدهم؛ كثيرون أنقياء القلب، ولكن من أجل البر الذاتي، كثيرون صانعي السلام، ولكن بجعل النفس تخضع للجسد؛ كثيرون مطرودين، ولكن كفاعلي إثم؛ كثيرون يُشتمون، ولكن من أجل خطايا مخجلة. المطوبون هم فقط هؤلاء الذين يفعلون أو يعانون من هذه الأشياء لأجل المسيح وعلى مثاله. لماذا؟ لأن لهم ملكوت السموات، وسوف يُعاينون الله (ق.م. مت ٥: ٣- ١٢). ليس لأنهم يفعلون أو يُعانون تلك الأشياء فإنهم مطوبون، لأن هؤلاء الذين تكلمنا عليهم سابقاً يفعلون بالمثل؛ (ولكن) لأنهم يفعلونهم ويعانونهم من أجل المسيح وعلى مثاله.

٤٨- كما قيل مرات كثيرة، في كل شيء نفعله يفحص الله دافعنا، ليرى ما إذا كنا نفعله لأجله أو لأجل هدف ما آخر. وبالتالي عندما نرغب في أن نفعل شيئاً صالحاً، يجب أن لا نفعله لأجل الشهرة؛ يجب أن نأخذ الله لنا كهدف، لكي، بتثبيت نظرنا دائماً عليه، يمكن أن نفعل كل شيء لأجله. وإلا سوف نعاني من كل مشقات إنجاز الفعل ومع ذلك نخسر المكافأة.

٤٩- في وقت الصلاة نقى فكرك من كل من الصور العقلية الخالية من الشهوة التي للأشياء البشرية والتأمل في المخلوقات. وإلا بتخيلك للأشياء الأدنى يمكن أن تفقد شركة ذاك الذي هو أعظم بما لا يقارن من كل شيء مخلوق.

٥٠- من خلال الحب الأصيل لله نستطيع أن نطرد الشهوات. الحب لله هو: أن تختاره بدلاً من العالم، والنفس بدلاً من الجسد، بواسطة الازدراء بأشياء هذا العالم وبتكريس أنفسنا بطريقة دائمة له من خلال ضبط النفس، الحب، الصلاة، ترتيل المزامير وهلم جرا.

٥١- إذا كرسنا أنفسنا لله بمثابرة واحتفظنا بمراقبة دقيقة للجانب السريع التأثر من النفس، فلن نعود ننقاد بطياشة بالإثارات التي لأفكارنا. بل بالعكس، كلما اقتنينا فهماً أكثر دقة لأسبابهم وقمنا بقطعهم، نصبح أكثر إفرازاً. بهذه الطريقة فإن الكلمات التالية تأتى لتنطبق علينا: «عيني أيضاً ترى أعدائي، وأذني سوف تسمع الشرير الذي يقوم أمامي» (مز ٩٢: ١١ س).

٥٢- عندما ترى أن فكرك يتأمل في صورهِ العقلية التي للعالم بوقار واستقامة؛ فيمكن أن تتأكد أن جسدك، أيضاً، يبقى نقياً وبغير خطيئة. ولكن عندما ترى فكرك قد أُحتل بأفكار الخطيئة، وأنت لا تصدها، فيمكن أن تتأكد من أنه ليس بعد وقتل طويل جسدك، أيضاً، سوف يسقط في هذه الخطايا.

٥٣- كما أن عالم الجسد يتكون من أشياء، كذلك عالم الفكر يتكون من الصورة العقلية. وكما أن الجسد يزنى مع جسد امرأة، كذلك الفكر، بتشكيله صورة لجسدها، يزنى مع الصورة العقلية لامرأة. لأنه في العقل يرى شكل جسده في جماع مع شكل جسدها، إنه يُهاجم عقلياً شكل شخصا ما قد أذاه. بالمثل صحيح بالنسبة إلى بقية الخطايا. لأن ما يفعله الجسد على طريقته في عالم الأشياء، يفعله الفكر بالمثل أيضاً في عالم الصور العقلية.

٥٤- يجب على المرء أن لا يُذهل أو يتعجب لأن الله ألآب لا يُدين أحداً بل أعطى كل الدينونة للابن (ق.م. يو ٥: ٢٢). الابن يُعلمنا، «لا تدينوا لكي لا تدانوا» (مت ٧: ١)؛ «لا تقضوا على أحد فلا يُقضى عليكم» (لو ٦: ٣٧). القديس بولس يقول بطريقة مماثلة، «لا تحكموا في شيء قبل الوقت، حتى يأتي الرب» (١كو ٤: ٥)؛ و«لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك» (رو ٢: ١). ولكن الناس كفوا عن البكاء على خطاياهم وسلبوا الدينونة من الابن. إنهم أنفسهم يُدينون ويقضون على بعضهم البعض كما ولو أنهم بلا خطيئة. «بهتت السماء من ذلك» (أر ٢: ١٢ س) والأرض ارتعدت، ولكن الناس في عنادهم لا يخجلون.

٥٥- من يشغل نفسه بخطايا الآخرين، أو يُدين أخيه (بناء) على شكوك(١)، لم يبدأ حتى التوبة بعد أو لم يختبر نفسه حتى يكتشف خطاياه الخاصة، التي هي أثقل حقاً من كتلة كبيرة من الرصاص؛ ولا هو يعرف لماذا يصبح الإنسان منقبض الصدر عندما يحب الباطل ويسعى وراء الكذب (ق.م. مز ٤: ٢). هذا الذي لأجله (أصبح) كالأحمق الذي يسير في الظلام، فلم يعد يهتم بخطاياه الخاصة ولكن يسمح لخياله أن يُسهب في التفكير في خطايا الآخرين، سواء كانت هذه الخطايا حقيقية أو مجرد منتجات عقله الشكاك.

٥٦- محبة الذات، كما قيل كثيراً، هي سبب كل الأفكار الملتهبة. لأن منها يتم إنتاج الثلاثة أفكار الرئيسية التي للشهوة: تلك التي للبطنة، الطمع والبر الذاتي. من البطنة يتولد فكر النجاسة؛ ومن الطمع، فكر الجشع؛ ومن البر الذاتي، فكر الكبرياء. والباقي كله- أفكار الغضب، الاستياء، الحقد، الكسل، الحسد، الاغتياب وهلم جرا- ينتج من واحد أو أكثر من هذه الثلاثة. هذه الشهوات، إذاً، تربط الفكر بالأشياء المادية وتحطه إلى الأرض ضاغطة عليه مثل حجر ثقيل، بالرغم من أنها بالطبيعة[٢] أخف وأسرع من النار.

٥٧- أصل كل الشهوات هي محبة الذات؛ وكمالهم في الكبرياء. محبة الذات هي حب بلا عقل للجسد. ومن يقطعها يقطع في نفس الوقت كل الشهوات التي تأتى منها.

---

(١) وليست حقائق- م.

(٢) أي الأفكار- م.

٥٨- بالضبط مثل الأبوان اللذان لهما عاطفة خاصة تجاه الطفل الذي هو ثمرة جسديهما، كذلك الفكر يتعلق بطريقة طبيعية لأفكاره الخاصة. وكما يبدو للآباء المولعون بشكل عاطفي بأطفالهم أنهم الأكثر قدرة وجمالاً عن الكل- بالرغم من أنهم يمكن أن يكونوا الأكثر سخفاً تماماً من جميع النواحي- كذلك يظهر للفكر الأحمق أن أفكاره الخاصة هي الأكثر ذكاءً عن الكل، بالرغم من إنهم يمكن أن يكونوا منحطين تماماً. الإنسان الحكيم لا ينظر إلى أفكاره الخاصة بهذه الطريقة، على وجه الدقة عندما يشعر بالاقتناع بأنهم حق وجيدون فإنه بالأكثر يرتاب في حكمه الخاص. إنه يجعل أناس حكماء آخرين يحكمون على أفكاره وحججه- خشية أن يسعى، أو يمكن أن يسعى، في الباطل (ق.م. جل ٢: ٢)- ويأخذ منهم تأكيداً.

٥٩- عندما تتغلب على واحدة من الشهوات الجسيمة، مثل البطنة، النجاسة، الغضب أو الجشع، فكر البر الذاتي يهاجمك في الحال. إذا هزمت هذا الفكر، فإن فكر الكبرياء يخلفه.

٦٠- كل الشهوات الجسيمة التي تسيطر على النفس يأتي منها فكر البر الذاتي. ولكن عندما تكون كل هذه الشهوات قد انهزمت، فإنهم يتركون البر الذاتي حراً لكي يأخذ السيطرة.

٦١- البر الذاتي، سواء تم استئصاله أو بقى، يلد الكبرياء. عندما يتم استئصاله، فإنه يوّلد الغرور؛ وعندما يبقى، فإنه يُنتج التباهي.

٦٢- البر الذاتي يتم استئصاله بواسطة الممارسة المخفية للفضائل، والكبرياء، بأن ننسب إنجازاتنا لله.

٦٣- من قد مُنح معرفة الله، وابتهج بالكامل بالسعادة التي تأتى منها، يحتقر كل اللذات التي تنتجها قوة الرغبة في النفس.

٦٤- من يرغب في أشياء دنيوية يرغب إما في الطعام أو في الأشياء التي تشبع شهوته الجنسية، أو في الشهرة البشرية، أو في الثروة، أو في أشياء أخرى تترتب على هذه. إذا لم يجد الفكر شيئاً ما أكثر نبلاً يمكن أن يحول إليه رغبته، فلن يقتنع أن يحتقر تلك الأشياء تماماً. معرفة الله والأشياء المقدسة هي أكثر نبلاً بما لا يقارن من هذه الأشياء الدنيوية.

٦٥- هؤلاء الذين يحتقرون اللذة الحسية يفعلون ذلك إما بسبب الخوف، أو بسبب الرجاء، أو بسبب معرفة وحب الله.

٦٦- معرفة الأشياء المقدسة الخالية من الشهوة لا تقنع الفكر أن يحتقر الأشياء المادية بالكامل؛ إنها تشبه الفكر الخالي من الشهوة في شيء حسي. لذلك من الممكن أن نجد كثير من الناس الذين لهم كثير من المعرفة ولازالوا يتمرغون في شهوات الجسد مثل الخنازير في الحمأة. من خلال الاجتهاد ينظفون أنفسهم بصورة مؤقتة ويحرزون المعرفة، ولكن بعدئذٍ يصبحون مهملين. بهذه الطريقة يشبهون شاول: لأن شاول قد مُنح المملكة، وتصرف بشكل غير لائق وطرد بغضب شديد (ق.م. ١صم ١٠: ١٥).

٦٧- كما أن الفكرة الخالية من الشهوة في الأشياء البشرية لا تُلزم الفكر بأن يحتقر الأشياء المقدسة، كذلك المعرفة الخالية من الشهوة التي للأشياء المقدسة لا تقنعه بالكامل لكي يحتقر الأشياء البشرية. لأن في هذا العالم الحق يوجد في الظلال والتخمينات. هذا الذي لأجله هناك حاجة للشهوة المباركة التي للحب المقدس، الذي يربط الفكر بالتأمل الروحي ويقنعه بأن يُفضل ما غير مادي على ما هو مادي، وما هو مُدرك بواسطة العقل وما هو مقدس على ما يدرك بالحواس.

٦٨- إذا قطع إنسان الشهوات (من نفسه) وبذلك قد حرر أفكاره من الشهوة، فهذا لا يعني بالضرورة أن هذا الفكر قد تم توجيهه بالفعل تجاه ما هو إلهي. يمكن أن يكون هكذا إنه لا يشعر بانجذاب عاطفي سواء تجاه الأشياء البشرية أو الإلهية. هذا يحدث في حالة هؤلاء الذين يعيشون ببساطة حياة التدريب النسكي بدون أن يكونوا قد حازوا بعد المعرفة الروحية. مثل هؤلاء الناس يبقون الشهوات بعيداً إما بواسطة الخوف من العقاب أو بواسطة الرجاء في الملكوت.

٦٩- «لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان» (٢كو ٥: ٧)؛ ونكتسب المعرفة الروحية من خلال رموز، بطريقة غير واضحة كما في مرآة (ق.م. ١كو ١٣: ١٢). وهكذا يجب أن نكرس وقتاً أكثر لهذا النوع من المعرفة، حتى إنه بالدراسة الطويلة والتطبيق المستمر يمكن أن نحرز الحالة المستمرة التي للتأمل.

٧٠- إذا قطعنا أسباب الشهوات فقط لفترة قصيرة من الزمن، وشغلنا أنفسنا بالتأمل الروحي دون أن نجعله اهتمامنا الوحيد المستمر، فسوف نرجع بسهولة إلى شهوات الجسد، غير رابحين من تعبنا شيئاً سوى معرفة نظرية مقترنة بالغرور. والنتيجة هي إظلام تدريجي لهذه المعرفة نفسها وارتداد كامل للفكر تجاه الأشياء المادية.

٧١- شهوة الحب، عندما تكون مستحقة التوبيخ، تشغل الفكر بالأشياء المادية، ولكن عندما تُوجَه بطريقة صحيحة توحده مع (الأشياء) الإلهيّة. لأن الفكر يميل لتنمية قواه بين تلك الأشياء التي يُكرس لها انتباهه؛ وحيثما ينمى قواه، فهناك سوف يوجه رغبته وحبه. بمعنى آخر، سوف يوجههم، إما إلى ما هو إلهي، ومدرك بالعقل ومناسب لطبيعته، أو إلى الشهوات وأشياء الجسد.

٧٢- الله خلق كل من العالمين الغير مرئي والمرئي، وكذلك فمن الواضح أيضاً إنه صنع كل من النفس والجسد. وإذا كان العالم المرئي جميلاً جداً، فما يمكن أن يكون العالم الغير مرئي؟ وإذا كان العالم الغير مرئي اسمى من العالم المرئي، فكم بالأكثر يكون أسمى عن كل منهما لله خالقهم؟ إذا كان خالق كل شيء الذي هو أجمل وأسمى من كل خليقته، فحينئذٍ، على أي أساس يترك الفكر ما هو أسمى من الكل ويَشغِل نفسه بالكامل بما هو أسوأ الكل- أعنى شهوات الجسد؟ من الواضح إن هذا يحدث لأن الفكر قد عاش مع هذه الشهوات ونما معتاداً عليهم منذ الولادة، في حين إنه لم يقتنى بعد الخبرة الكاملة عن الذي هو أسمى من الكل وفوق كل الأشياء. وهكذا، إذا فطمنا الفكر من هذه العلاقة بالممارسة الطويلة لضبط انهماكنا في الملذات وبالتأمل المستمر في الحقائق الإلهية، فإن الفكر سوف يكرس نفسه بالتدريج أكثر فأكثر لهذه الحقائق، وسوف يدرك كرامته، ويحول كل رغباته للإلهي بصورة نهائية.

٧٣- من يتحدث بطريقة خالية من الأهواء عن خطايا أخيه يفعل ذلك إما لتقويمه أو لفائدة آخر. وإذا كان يتكلم لأي سبب آخر، سواء للأخ نفسه أو لشخص آخر، فإنه يتحدث لكي يسئ إليه أو ليسخر منه. في هذه الحالة لن يهرب من كونه متروكا من الله. وفى المقابل، سوف يسقط في نفس الخطيئة أو في خطايا أخرى، ولومه وتوبيخه بواسطة أناس آخرين، سوف يجلب عليه العار.

٧٤- لا يرتكب الخطاة دائماً نفس الخطيئة لنفس السبب، الأسباب متنوعة. على سبيل المثال، الوقوع في الخطيئة من خلال قوة العادة هو شيء والوقوع في الخطيئة من خلال الانجراف بواسطة دافع مفاجئ هو شيء آخر. في الحالة الأخيرة لم يختار الإنسان الخطيئة بتعمد سواء قبل ارتكابها أو بعدئذٍ؛ بل بالعكس، إنه حزن بشدة لأن الخطيئة قد حدثت. يوجد فرق كبير مع الإنسان الذي يخطئ من خلال قوة العادة، قبل الوقوع في الفعل نفسه كان بالفعل يخطئ بالفكر، وبعده فهو لازال في نفسه الحالة العقلية.

٧٥- من ينمى الفضائل من أجل البر الذاتي يسعى أيضاً وراء المعرفة الروحية لنفس السبب. إنسان مثل هذا من الواضح إنه لا يفعل أي شيء أو يناقش أي شيء من أجل تهذيب الآخرين. بل بالعكس، إنه يبحث عن المديح من هؤلاء الذين يرونه أو يسمعونه. شهوته تنكشف عندما ينتقد بعض من هؤلاء الناس أفعاله أو كلماته. إن هذا يحزنه بشدة، ليس بسبب إنه فشل في تهذيبهم- لأن ذلك لم يكن هدفه- ولكن لأنه قد أُهين.

٧٦- وجود شهوة الطمع يكشف نفسه عندما يبتهج إنسان بالأخذ في حين إنه يمتعض عندما يضطر للعطاء. مثل هذا الإنسان لا يصلح لأن يؤدى وظيفة الخازن أو أمين الصندوق.

٧٧- الإنسان يتحمل المشقات إما من أجل محبة الله، أو من أجل المكافأة، أو خوفاً من العقاب، أو خوفاً من الناس، أو بسبب طبيعته، أو من أجل اللذة، أو من أجل الربح، أو بسبب البر الذاتي، أو بسبب الضرورة.

٧٨- أن تتحرر من الأفكار الخاطئة شيء وأن تتحرر من الشهوات شيء آخر. كثيراً ما يتحرر الإنسان من مثل هذه الأفكار عندما تكون الأشياء التي تثير شهوته غير موجودة، ولكن الشهوة تكمن مختفية في النفس وتنكشف عندما تكون هذه الأشياء نفسها موجودة، ومن ثم يجب على المرء حراسة الفكر في وجود الأشياء ويجب أن يُميز أي منهم يُظهر الشهوة.

٧٩- الصديق الحقيقي هو الإنسان الذي في وقت التجربة يتحمل بهدوء ورباطة جأش مع جاره المشقات التي تأتى، من حرمان وكوارث كما ولو كانت له.

٨٠- لا تتعامل مع ضميرك باحتقار، لأنه ينصحك دائماً لكي تفعل ما هو أفضل. إنه يضع أمامك مشيئة الله والملائكة؛ إنه يحررك من الأدناس السرية التي للقلب؛ وعندما ترحل من هذه الحياة فهو يؤمن لك عطية العلاقة الحميمة مع الله.

٨١- إذا كنت تريد أن تكون شخصاً متفهماً ومعتدلاً، وليس عبداً لشهوة الغرور، فابحث باستمرار بين الأشياء المخلوقة عن ما هو مخفي عن معرفتك. عندما تجد أن هناك أعداد هائلة من الأشياء المختلفة تهرب من ملاحظتك، سوف تتحير في جهلك وتحط من وقاحتك. وعندما تأتى إلى معرفة نفسك، سوف تفهم كثيراً من الأشياء العظيمة والرائعة؛ لأنه إذا فكر المرء بأنه يعرف فذلك يمنعه من التقدم في المعرفة.

٨٢- الشخص الذي يُريد حقاً أن يُشفى هو الذي لا يرفض العلاج. العلاج يتكون من الألم والحزن الذي يأتي من محن متنوعة. من يرفضهم لا يُدرك ما ينجزونه في هذا العالم أو ما سوف يربحه منهم عندما يرحل من هذه الحياة.

٨٣- البر الذاتي والطمع يُنتجان بعضهم البعض. هؤلاء المملوءين من البر الذاتي يقتنون الثروات وهؤلاء الأثرياء يصبحون مملوءين من البر الذاتي. هذا هو مايحدث للناس الذي يعيشون في العالم. وفى حالة الراهب، إذا تخلى عن الممتلكات، فإنه يُصبح أكثر امتلاء بالبر الذاتي؛ ولكن إذا أقتنى مالاً فإنه يخجل ويُخبئهُ كشيئاً لا يليق بمن يرتدى الزى الرهباني.

٨٤- علامة البر الذاتي الرهبانى هي الانتفاخ بفضيلة المرء ونتائجها. وعلامة الكبرياء الرهبانى هو الغرور بإنجازات المرء الخاصة، ونسب هذه الانجازات لنفسه وليس لله، واحتقار الآخرين. علامة البر الذاتي والكبرياء الدنيويين هي الانتفاخ والغرور بجمال المرء، وبثروته، وقوته وحكمه الأخلاقي.

٨٥- إنجازات الرجل الذي في العالم تشكل ضعفات الراهب، وإنجازات الراهب تشكل ضعفات الرجل الذي في العالم. على سبيل المثال، منجزات الرجل الذي في العالم هي الثروة، الشهرة، القوة، الرفاهية، الراحة، الأبناء وما يترتب على كل هذه الأشياء. ولكن الراهب يتدمر إذا حصل على أي منهم، إنجازاته هي الطرح الكامل للممتلكات، نبذ التقدير والقوة، ضبط النفس، المشقات، وكل ما يترتب عليهم. إذا حدثت لمحب العالم هذه (الأشياء) رغماً عن إرادته، فإنه يعتبر ذلك كارثة عظيمة وفى أغلب الأحيان يكون في خطر حتى إنه يمكن أن يقتل نفسه؛ بعض الناس قد فعلوا ذلك فعلياً.

٨٦- الطعام خُلق للتغذية والشفاء. هؤلاء الذين يأكلون الطعام لأغراض غير هذان الاثنان يُدانون من أجل ذلك كمتساهلين مع النفس، لأنهم يُسيئون استخدام العطايا التي أعطانا الله لاستخدامها. في كل الأشياء سوء الاستخدام خطيئة.

٨٧- التواضع يتكون من صلاة مستمرة متحدة بالدموع والمعاناة. لأن هذه المناداة الغير منقطعة لله للمعونة تمنعنا من أن نزداد ثقة بحماقة في قوتنا وحكمتنا، ومن أن نضع أنفسنا فوق الآخرين. هذه أمراض خطيرة لشهوة الكبرياء.

٨٨- أن تحارب ضد فكراً خالياً من الشهوة لكي لا يستثير شهوة هو شيء؛ وأن تحارب ضد فكراً ملتهباً لكي لا يتم قبوله هو شيء آخر. كل من هذين الشكلين من الهجوم المضاد يمنعان الأفكار أنفسها من الاستمرار.

٨٩- الاستياء مرتبط بالحقد. عندما يُشكل الفكر صورة وجه أخ مع شعور بالاستياء، فمن الواضح أنه يكن حقداً ضده. «طريق الحاقد تؤدى إلى الموت» (أم ١٢: ٢٨ س)، لأن «من يكن حقداً فهو آثم» (أم ٢١: ٢٤ س).

٩٠- إذا كنت تضمر حقداً ضد أي أحد، صلّ لأجله و(بذلك) سوف تمنع الشهوة من أنت تثار؛ لأنه بواسطة الصلاة سوف تفصل استيائك من الفكر في الخطأ الذي فعله بك، وعندما تصبح محباً وعطوفاً تجاهه، فسوف تمحو الشهوة تماماً من نفسك. إذا كان شخصاً ما يشعر تجاهك بحقد، فكن لطيفاً معه، وكن متواضعاً ومنسجماً في صحبته، وسوف تنجيه من شهوته.

٩١- سوف تجد أنه من الصعب ضبط استياء شخصاً حسوداً، لأن ما يحسدك عليه يعتبره سوء حظه. لا تستطيع ضبط حسده إلا بإخفائك عنه الشيء الذي يثير شهوته. إذا كان هذا الشيء يفيد كثيرين ولكن يملأه بالاستياء، فإلى أي جانب سوف تنحاز؟ يجب أن تساعد الأغلبية ولكن بدون، تجاهله، على قدر الإمكان، وبدون أن تغوى بالشهوة الخبيثة نفسها، لأنك لا تدافع عن الشهوة ولكن الذي يعانى (منها). يجب أن تعتبره من خلال التواضع أنه أفضل من نفسك، ودائما، في كل مكان وفى كل موضوع ضع اهتمامه قبل الذي لك. وبخصوص حسدك أنت، فسوف تكون قادراً على ضبطه إذا فرحت مع الإنسان الذي تحسده متى يفرح وحزنت متى يحزن، وهكذا يتمم كلمات القديس بولس، «فرحاً مع الفرحين وبكاءً مع الباكين» (رو ١٢: ١٥).

٩٢- إن فكرنا يقع بين ملاك وشيطان، الذي يعمل كل منهما على إنجاز عمله، واحد يُشجع على الفضيلة والآخر على الرزيلة. الفكر له كل من السلطة والقوة لكي يتبع أو يقاوم مهما كان ما يرغب فيه.

٩٣- القوات الملائكية تحثنا إلى ما هو مقدس، ومواهبنا الطبيعية واستقامة نيتنا يساعداننا. ولكن الشهوات وسوء النية تعزز إثارات الشياطين.

٩٤- عندما يكون الفكر نقياً، فإن الله أحياناً يقترب ويعلمه؛ وأحياناً القوات الملائكية، أو طبيعة الأشياء المخلوقة التي يتأمل فيها، موحية بأشياء مقدسة له.

٩٥- الفكر الذي قد مُنح المعرفة الروحية يجب أن يحفظ صورهِ العقلية خالية من الشهوة، وتأمله لا يفتر، وحالته في الصلاة هادئة. ولكنه لا يستطيع أن يحرس هذا دائماً من الاقتحامات التي بواسطة الجسد، لأنه يَظلّم بواسطة حيل الشياطين.

٩٦- الأشياء التي تحزننا ليست دائماً مثل تلك الأشياء التي تجعلنا غاضبين، الأشياء التي تحزننا تكون أكثر بكثير من الأشياء التي تجعلنا غاضبين. على سبيل المثال، حقيقة أن شيئاً ما قد كُسر، أو ضاع، أو أن شخص معين قد مات، يمكن أن تحزننا فقط، ولكن أشياء أخرى يمكن أن تحزننا وتغضبنا معاً، إذا كان ينقصنا روح الفلسفة الإلهية.

٩٧- عندما يعطى الفكر انتباه للصور العقلية التي للأشياء المادية، فإنه يصبح مشابها لشكل كل صورة. إذا تأمل في هذه الأشياء بطريقة روحية، فإنه يتحول بطرق متنوعة بحسب أي منهم يتأمله. ولكن متى تأسس في الله، فإنه يفقد الشكل والتشبه معاً، لأنه بالتأمل في الذي هو بسيط فهو نفسه يصبح بسيطاً ومملوءاً بالكامل بأشعاعا روحياً.

٩٨- النفس تكون كاملة إذا كان الجانب سريع التأثر منها موجهاً بالكامل تجاه الله.

٩٩- الفكر الكامل هو الذي يعرف بواسطة الأيمان الحقيقي وبطريقة أعلى من كل معرفة بشكل فائق الغير معروف بشكل فائق؛ والذي، في فحصه لمجموع خليقة الله، قد أخذ من الله معرفة شاملة عن العناية والحكم اللذان يسوسهم بهما- بالطبع، على قدر ما هو ممكن في كل هذا لإنسان.

١٠٠- الوقت له ثلاثة أقسام[1]. الإيمان ممتد في الزمان بالتساوي مع كل الثلاثة، الرجاء مع واحد، والمحبة مع الاثنين الباقيين. علاوة على ذلك، الإيمان والرجاء سوف يبقيان إلى نقطة معينة؛ ولكن المحبة، المتحدة بشكل يفوق الإتحاد بالذي هو أكثر من مُطلقْ، سوف تبقى إلى كل الأبدية، وتزداد فوق كل قياس. هذا الذي لأجله «أعظمهن المحبة» (١كو ١٣: ١٣).

---

(١) على الأرجح يقصد الطفولة والشباب والشيخوخة فالإيمان يستمر فى الثلاثة والمحبة فى الشباب والشيخوخة والرجاء فى الشيخوخة- م

المئوية الرابعة

Fourth Century

١- في البداية يندهش الفكر عندما يتأمل في لانهائية الله المطلقة، هذا البحر الغير محدود الذي يتوق إليه كثيراً، حينئذٍ يتعجب على كيفية إتيان الله بالأشياء إلى الوجود من لا شيء. ولكن كما أن «عظمته ليس لها حدود» (مز ١٤٥: ٣ س)، كذلك «ليس عن فهمه فحص» (أش ٤٠: ٢٨).

٢- كيف يمكن للفكر أن لا يتعجب عندما يتأمل في هذا ولا يندهش عندما يمعن النظر في كيف ومن أي مصدر هناك قد أتى للوجود كل من الطبيعة الممنوحة الذكاء والفكر، والأربعة عناصر التي تكون الأجسام المادية، بالرغم من عدم وجود مادة قبل نشأتهم؟ أي نوع من الإمكانية تلك التي، متى تفعلت، تأتى بهذه الأشياء إلى الوجود؟ لكن كل هذا غير مقبول لأولئك الذين يتبعون الفلاسفة الإغريق الوثنيين، جاهلين كعادتهم بالصلاح كلى القدرة وحكمته ومعرفته الفعالتين، (الذي) يفوق الفكر البشرى.

٣- الله هو الخالق منذ الأزل، وهو يخلق عندما يشاء، في صلاحه الغير متناهي، من خلال الكلمة والروح (القدس) الواحد في الجوهر معه. لا تثير الاعتراض: «لماذا خلق في لحظة معينة في حين أنه صالح كل الأزل؟» لأنني سوف أرد بأن الحكمة الغير قابلة للفحص التي للجوهر الغير محدود لا تدخل في نطاق المعرفة البشرية.

٤- عندما شاء الخالق، منح الوجود وأظهر تلك المعرفة التي للأشياء المخلوقة التي هي موجودة بالفعل فيه منذ الأزل. لأنه في حالة الله القدير من السخف الشك في أنه يستطيع أن يمنح الوجود لأي شيء عندما يشاء هكذا.

٥- حاول أن تعلم لماذا خلق الله (الخليقة)؛ لأن هذه معرفة حقيقية. ولكن لا تحاول أن تعلم كيف خلق أو لماذا فعل ذلك متأخراً نسبياً؛ لأن هذا لا يأتي في حدود فكرنا. البعض من الحقائق الإلهية يمكن أن يُدرك بواسطة الناس والبعض الآخر لا يمكن (إدراكه). التخمين الحر، كما قال أحد القديسين، يمكن أن يقود المرء بتهور إلى الهاوية.

٦- البعض يقولون بأن النظام المخلوق موجود مع الله منذ الأزل؛ ولكن هذا مستحيل. لأنه كيف يمكن لتلك الأشياء التي هي محدودة من كل النواحي أن تتواجد منذ الأزل مع الغير محدود بكل ما في الكلمة من معنى؟ أو كيف يكونون مخلوقات بالحقيقة إذا

كانوا أزليين مع الخالق؟ هذه الفكرة الحمقاء أثيرت من قبل الفلاسفة الإغريق الوثنيين، الذين أدعوا بان من المستحيل أن يكون الله هو خالق الوجود ولكن فقط الصفات. نحن، على أية حال، الذين نعرف الله القدير، نقول بأنه ليس خالق الصفات فقط ولكن وجود الأشياء المخلوقة. وإذا كان كذلك، فإن الأشياء المخلوقة ليس لها وجود مع الله منذ الأزل.

٧- اللاهوت والحقائق الإلهية قابلين للمعرفة في بعض النواحي وفى بعض النواحي غير قابلين للمعرفة. إنهما قابلين للمعرفة بالتأمل فيما يتعلق بجوهر الله وغير قابلة للمعرفة بالنسبة لهذا الجوهر نفسه.

٨- لا تبحث عن الحالات والخواص في الجوهر البسيط الغير محدود الذي للثالوث القدوس؛ وإلا سوف تجعله مُركباً مثل الأشياء المخلوقة- إنه لشيئاً سخيفاً ومُجدفاً يتم فعله في حالة الله.

٩- الكائن الغير محدود، كلى القدرة وخالق كل شيء، هو فقط البسيط، لا مثيل له، المطلق، الهادئ والدائم. كل مخلوق، يتكون كما هو من الوجود والعَرَضّ(١)، فهو مُرَكّبْ ويحتاج دائماً العناية الإلهية، لأنه ليس خالياً من التغير.

١٠- الطبيعة العاقلة والقادرة على الفهم، في الكائن الذي أتى للوجود بواسطة الله، أخذت قدرات كي تفهم الأشياء المخلوقة. الطبيعة العاقلة أخذت قدرات الفكر، وقدرات الطبيعة العاقلة في الإدراك الحسي.

١١- الله فقط هو الذي يتم الشركة معه. المخلوق يُشارك ويتواصل: إنه يشترك في الوجود والخير، ولكن يتواصل في الخير فقط. ولكن الطبيعة الجسدية تتواصل بطريقة والطبيعة الغير جسدية بطريقة أخرى.

١٢- الطبيعة الغير جسدية تتواصل في الخير بالقول، بالفعل، وبالتأمل فيها؛ والطبيعة الجسدية بالتأمل فيها فقط.

١٣- سواء كانت الطبيعة الموهوبة العقل والفكر موجودة إلى الأبد ام لا فهذا يعتمد على مشيئة الخالق الذي كل مخلوق له صالح؛ ولكن سواء كانت مثل هذه الطبيعة صالحة أم شريرة فهذا يتوقف على مشيئتها الخاصة.

(١) أى الصفة الغير جوهرية- م.

١٤- الشر لا يلتصق بجوهر الكائنات المخلوقة، ولكن بالدوافع الخاطئة والطائشة التي لهم.

١٥- دوافع النفس تنظم بطريقة صحيحة عندما تكون قوة الرغبة التي لها خاضعة لضبط النفس، وعندما تنبذ قوتها الغضبية الغضب وتلتصق بالحب، وعندما تتقدم قوتها العقلية تجاه الله، من خلال الصلاة والتأمل الروحي.

١٦- إذا لم يتحمل المرء بصبر أحزانه في وقت التجربة، ولكن يقطع نفسه من محبة أخوته الروحيين، فإنه لم يمتلك بعد الحب الكامل أو المعرفة العميقة التي للعناية الإلهية.

١٧- هدف العناية الإلهية هو توحيد هؤلاء المتفرقين بواسطة الرزيلة بطرق متنوعة وذلك عن طريق الإيمان الحقيقي والحب الروحي. لقد تحمل المخلص حقاً آلامه «ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد» (يو ١٢: ٥٢). وبالتالي، فمن لا يتحمل المشاكل بشكل حازم، ويكابد الأحزان، ويقاسى المشقات بصبر، فقد ضل عن مسار الحب الإلهي وعن هدف العناية الإلهية.

١٨- إذا كانت «المحبة تتأنى وترفق» (١كو ١٣: ٤)، فإن الإنسان الذي يَجبُن في مواجهة أحزانه وبناء على ذلك يتصرف بطريقة شريرة تجاه هؤلاء الذين ضايقوه، ويتوقف عن محبتهم، فإنه ينحرف بالتأكيد عن هدف العناية الإلهية.

١٩- لاحظ نفسك، لئلا تكون الرزيلة التي تفصلك عن أخيك ليست كامنة فيه ولكن فيك، كن متصالحاً معه بدون تأخير، وذلك حتى لا تحيد عن وصية المحبة.

٢٠- لا تحتقر وصية المحبة، لأنه من خلالها سوف تصبح ابنا لله، ولكن إذا خالفتها، فسوف تصبح أبنا لجهنم.

٢١- ما يفصلنا عن محبة الأصدقاء هو أن نكون حاسدين أو محسودين، متسببين أو مستقبلين للأذى، شاتمين أو مشتومين، وأفكار الشك. ألم يسبق لك أن فعلت أو اختبرت أي شيء من هذا النوع وبهذه الطريقة فصلت نفسك عن محبة صديق.

٢٢- ألم يكن أخاً لك سبباً في تجربة ما لك واستياءك قادك للكراهية؟ لا تترك نفسك تنهزم من هذه الكراهية، ولكن انتصر عليها بالحب. سوف تنجح في هذا بالصلاة لله بإخلاص من أجل أخيك وبقبول اعتذاره؛ أو باسترضائه باعتذارك له، باعتبارك مسئولاً عن التجربة ومن خلال الإنتظار بصبر حتى تنقشع السحابة.

٢٣- الإنسان الطويل الأناة هو الذي ينتظر بصبر تجربته حتى تنتهي مؤملاً أن لمثابرته هذه مكافأة.

٢٤- «بطئ الغضب كثير الفهم» (أم ١٤: ٢٩)، لأنه يتحمل كل شيء إلى نهايته، وفى أثناء انتظاره لهذه النهاية، يتحمل بصبر حزنه، والنهاية، كما يقول القديس بولس، حياة أبدية (ق.م. رو ٦: ٢٢). «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧: ٣).

٢٥- لا تطرح عنك الحب الروحي باستهتار: لأنه ليس للبشر طريقاً للخلاص سواه.

٢٦- لا تحكم على أخ بأنه منحط وشرير بسبب هجوماً لإبليس قد أثار بعض الكراهية فيك اليوم، وهو الذي كنت تعتبره بالأمس ك(إنسان) روحي وفاضل؛ ولكن (احكم عليه) بالحب طويل الأناة كثير الطيبة الذي أدركته (فيه) بالأمس واطرد كراهية اليوم من نفسك.

٢٧- لا تدين اليوم كمنحط وشرير الإنسان الذي امتدحته بالأمس كصالح وأثنيت عليه كفاضل، منقلباً من الحب إلى الكراهية، لأنه انتقدك؛ ولكن بالرغم من إنك لازلت ممتلئاً بالاستياء، أثنى عليه كالسابق، وسوف تستعيد على الفور نفس الحب المُخلّصْ.

٢٨- عندما تتكلم مع أخوة آخرين، لا تغش مدحك المعتاد لأخ بإدخالك لوماً عليه إلى المحادثة بشكل مستتر لأنك لازلت تأوي بعض الاستياء الخفي ضده. على العكس، في صحبة الآخرين قدم مدح غير مغشوش وصل لأجله بإخلاص كما ولو كنت تصلى لأجل نفسك؛ حينئذٍ سوف تنجو سريعاً من هذه الكراهية المدمرة.

٢٩- لا تقل «أنا لا أكره أخي»، عندما تمحو ببساطة من عقلك التفكير فيه. أنصت لموسى الذي يقول، «لا تكره أخاك في عقلك؛ ولكن أنذره وسوف لا تجلب على نفسك خطيئة بسببه» (لا ١٩: ١٧ س).

٣٠- أذا حدث وتجرَّب أخاً وأصر على إهانتك فلا تجعل ذلك يجبرك على ترك حالة الحب التي أنت فيها، حتى ولو كان نفس الشيطان الشرير يتعب عقلك. لن تُجبر على ترك هذه الحالة إذا كنت، عندما يُساء إليك، تبارك؛ عندما يُفترى عليك، تمدح؛ عندما تُخدع تبقى مودّتك. هذا هو طريق فلسفة المسيح: إذا لم تتبعه فلن يكون لك نصيب في صحبته.

٣١- لا تعتقد بأن هؤلاء الذين يجلبون لك الأخبار التي تملأُك بالاستياء وتجعلك تكره أخوك يتخذون موقفا ودياً تجاهك، حتى ولو بدا إنهم يقولون الحقيقة. بل بالعكس، ابتعد عنهم كما ولو كانوا أفاعي سامة، حتى بذلك يمكن أن تمنعهم من النطق بالافتراءات وفى نفس الوقت تنجى نفسك من الشر.

٣٢- لا تثير أخيك بالتحدث إليه بكلام ذو معنيين؛ لئلا قد يعاملك بنفس المعاملة وبذلك تخسر كل من حُبك وحُبهِ. بالأحرى عاتبه بصراحة ومودة، مزيلاً بذلك أسباب الاستياء ومحرراً كل من أخوك ونفسك من غضبك وضيقك.

٣٣- أختبر ضميرك بتدقيق، وفى حالة كان خطأك في كون أخيك لازال عدائياً، فلا تخدع ضميرك، لأنه يعرف أسرارك، وفى ساعة موتك سوف يتهمك وفى ساعة صلاتك سوف يكون حجر عثرة لك.

٣٤- في أوقات العلاقات الهادئة لا تتذكر ما قاله أخ عندما كان هناك شعوراً سيئاً بينكما، حتى ولو قيلت أشياء عدوانية في وجهك، أو لشخص آخر عنك وسمعت لاحقاً عنهم. وإلا سوف تضمر أفكار الحقد وتعود إلى كراهيتك المدمرة لأخيك.

٣٥- النفس التي على صورة الله لا تستطيع أن تربى الكراهية ضد إنسان وفى نفس الوقت تكون في سلام مع الله، معطى الوصايا. «لأنه» يقول «إذا كنتم لا تغفرون للناس أخطائهم، فسوف لا يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي خطاياكم» (ق.م. مت ٦: ١٤- ١٥). وإذا كان أخوك لا يُريد أن يعيش بسلام معك، فبالرغم من ذلك احرس نفسك من الكراهية، مصلياً من أجله بإخلاص ولا تسئ إليه عند أي أحد.

٣٦- السلام الكامل الذي للملائكة المقدسين يكمن في حبهم لله وحبهم لبعضهم البعض. هذا هو الوضع أيضاً مع كل القديسين منذ بدء الزمان. لذلك قد قيل حقاً «بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء» (مت. ٢٢: ٤٠).

٣٧- كف عن إسعاد[١] نفسك وسوف لا تكره أخوك: كف عن محبة نفسك وسوف تحب الله.

٣٨- متى قررت أن تتشارك في معيشتك مع أخ روحاني، فاترك رغباتك الخاصة منذ البداية. وإذا لم تفعل ذلك فلن تكون قادراً على العيش بسلام لا مع الله ولا مع أخوك.

---

(١) المقصود هنا الجرى وراء الأهواء-م.

٣٩- من أقتنى الحب الكامل، ورتب حياته بالكامل بموجبه، فهو الشخص الذي يقول «يسوع رب» بالروح القدس (ق.م. ١كو ١٢: ٣).

٤٠- محبة الله تتوق دائماً لأن تعطى أجنحة للفكر في شركته مع الله؛ ومحبة الإنسان لجاره تجعل الإنسان يفكر أفكاراً جيدة تجاهه.

٤١- الإنسان الذي لازال يحب الشهرة الفارغة، أو يتعلق ببعض الأشياء المادية، فمن الطبيعي أن يغتاظ من الناس بسبب أشياء فانية، أو يضمر حقداً أو كراهية تجاههم، أو أن يكون عبداً لأفكار مخجلةً. مثل هذا الشيء غريب تماماً عن النفس التي تحب الله.

٤٢- إذا لم يكن عندك فكراً لأي كلمة مخجلة أو فعل مخجل في عقلك، ولا تضمر حقداً أو كراهية تجاه شخصاً ما قد آذاك أو شوه سمعتك، وفى صلاتك تحفظ فكرك دائماً حراً من المادة والشكل، فيمكن أن تتأكد بأنك قد اقتنيت القياس الكامل لـ اللاهوا(١) والحب الكامل.

٤٣- ليس جهاداً صغيراً أن تتحرر من البر الذاتي، مثل هذه الحرية تُقتنى بالممارسة الداخلية للفضيلة وبمزيد من الصلوات المتواترة؛ وعلامة اقتنائك لها هي إنك لا تعود تضمر حقداً تجاه أي أحد يسيء أو قد أساء إليك.

٤٤- إذا أردت أن تكون شخصاً مستقيماً، فأختار لكل جهة منك - في كل من نفسك وجسد- ما يتوافق معها. لجهة العقل في النفس حدد القراءة الروحية، التأمل، والصلاة؛ ولجهة الإثارة، الحب الروحي، المضاد للكراهية؛ ولجهة الرغبة، الاعتدال وضبط النفس؛ وللجزء الجسدي، الطعام والمَلبس، لأن هذان فقط هما الضروريان (ق.م. ١تيم ٦: ٨).

٤٥- الفكر يعمل بما يتوافق مع الطبيعة عندما يُبقى الشهوات تحت السيطرة، ويتأمل في الجواهر(٢) الداخلية للكائنات المخلوقة، ويثبت في الله.

٤٦- كما الصحة والمرض لجسم الشيء الحي، والنور والظلمة للعين، كذلك الفضيلة والرزيلة للنفس، والمعرفة والجهل للفكر.

---

(١) أي التحرر من الأهواء- م.

(٢) الجواهر جمع جوهر- م.

٤٧- الوصايا، التعاليم، الإيمان: هذه هي الثلاثة مواضيع التي لفلسفة المسيحي. الوصايا تُبعد الفكر عن الشهوات؛ التعاليم تقوده إلى المعرفة الروحية التي للكائنات المخلوقة؛ والإيمان إلى التأمل في الثالوث القدوس.

٤٨- البعض ممن يتبعون الطريق الروحي يطردون الأفكار الملتهبة فقط؛ والبعض الآخر يقطع الشهوات نفسها. مثل هذه الأفكار تُطرد بتلاوة المزامير، أو بالصلاة، أو برفع عقل الإنسان إلى الله، أو بشغل عقل الإنسان بطرق مماثلة. والشهوات تُقطع من خلال الانفصال المناسب عن تلك الأشياء التي تثار (الشهوات) بواسطتها.

٤٩- الشهوات تثار فينا، على سبيل المثال، بواسطة النساء، الثروة، الشهرة وهلم جرا. يمكن أن نحقق الانفصال فيما يختص بالنساء عندما، ننسحب من العالم، نُذْبِل الجسد، كما يجب علينا، من خلال ضبط النفس. ويمكن أن نحقق الانفصال فيما يتعلق بالثروة عندما نجعل عقلنا مقتصداً في كل الأشياء. ويمكن أن نكون غير مبالين بالشهرة بممارسة الفضيلة داخلياً، بطريقة ظاهرة لله فقط. ويمكن أن نعمل بنفس الطريقة فيما يختص بالأشياء الأخرى. الشخص الذي حقق مثل هذا الانفصال بهذا الشكل سوف لا يكره أبدا أي أحد.

٥٠- من يترك أشياء مثل، الزواج، الممتلكات والمساعي الدنيوية الأخرى هو راهب خارجياً، ولكن يمكن أن لا يكون راهباً داخلياً بعد. فقط الذي ترك الصور العقلية الملتهبة التي لهذه الأشياء قد أصبح راهباً في نفسه الداخلية، الفكر. من السهل أن يكون المرء راهباً في نفسه الخارجية متى أراد، ولكن أن يكون راهباً في نفسه الداخلية فهذا يتطلب جهاداً ليس بقليل.

٥١- من في هذا الجيل قد تحرر بالكامل من الأفكار العقلية الملتهبة، ووُهِبَ صلاة غير منزعجة ونقية وروحية؟ ومع ذلك فهذه هي علامة الراهب الداخلي.

٥٢- كثير من الشهوات مختفية في أنفسنا؛ (ولكن) يمكن أن يُكشفوا فقط عندما تكون الأشياء التي تثيرهم حاضرة.

٥٣- يستطيع إنسان أن يتمتع بـ لاهوىَ[1] جزئي ولا يكون منزعجاً بالشهوات عندما تكون الأشياء التي تثيرهم غائبة، ولكن متى حضرت هذه الأشياء، تشتت الشهوات سريعاً فكره.

---

(١) اللاهوىَ تعبير رهبانى عن التحررى من الأهواء أو عدم التألم- م.

٥٤- لا تتخيل أنك تتمتع بـ اللاهوىَ التام عندما يكون الشيء الذي يُثير شهوتك غير موجوداً، (ولكن) إذا بقيت في حالة وجوده غير متحركاً بكل من الشيء والفكر الناتج عنه، فيمكن أن تتأكد أنك قد دخلت مملكة اللاهوىَ. ولكن بالرغم من ذلك لا تكن مفرط الثقة؛ لأن الفضيلة عندما تكون معتادة تقتل الشهوات، ولكن عندما يتم إهمالها فإنهم يحيون ثانية.

٥٥- من يحب المسيح مقيد بتقليده على قدر ما يستطيع. المسيح، على سبيل المثال، كان ينعم بالبركات على الناس دائماً، كان طويل الأناة عندما كانوا غير شاكرين ومجدفين عليه؛ وعندما ضربوه وقتلوه، تحمل ذلك، غير ناسباً أي شر لأي أحد على الإطلاق. هذه هي الثلاثة أفعال التي تظهر المحبة لجار الإنسان. وإذا كان الشخص الذي يقول بأنه يحب المسيح أو قد أحرز الملكوت غير قادراً عليهم فإنه يخدع نفسه. لأنه «ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبى الذي في السموات» (مت ٧: ٢١)؛ وأيضاً، «من يحبني يحفظ وصاياي» (ق.م. يو ١٤: ١٥، ٢٣).

٥٦- الهدف الكامل من وصايا المخلص هو تحرير الفكر من الانغماس في الملذات والكراهية، ولكي يقوده إلى محبته و(محبة) جاره. من هذا الحب ينبع نور المعرفة المقدسة النشطة.

٥٧- عندما يمنحك الله درجة من المعرفة الروحية، لا تهمل المحبة وضبط النفس؛ لأنهما متى قاما بتنقية الجانب السريع التأثر من النفس يحفظان لك الطريق لمثل هذه المعرفة مفتوح دائماً.

٥٨- اللاهوىَ والتواضع يقودان إلى المعرفة الروحية. بدونهم لا يرى أحد الرب.

٥٩- لأن «المعرفة تنفخ ولكن المحبة تبنى» (ق.م. ١كو ٨: ١)، وحد المحبة مع المعرفة وسوف تحرر نفسك من العجرفة وتصبح بناءاً روحياً، بانياً كل من نفسك وكل من يقترب منك.

٦٠- المحبة تبنى لأنها لا تحسد، ولا تشعر بأي مرارة تجاه هؤلاء الحاسدين، أو الذين يُظهرون بشكل متفاخر ما يثير الحسد؛ إنها لا تعتقد بان هدفها قد تحقق بعد (ق.م. في ٣: ١٣)، وتعترف بجهلها بما لا تعرفه بغير تردد. ومن ثم تحرر الفكر من العجرفة وتعده دائماً لكي يتقدم في المعرفة.

٦١- من الطبيعي للمعرفة الروحية أن تنتج الغرور والحسد، خاصة في المراحل المبكرة. الغرور يأتي فقط من الداخل، ولكن الحسد يأتي من الداخل والخارج- من الداخل عندما نشعر بالحسد من هؤلاء الذين لديهم معرفة، ومن الخارج عندما يشعر هؤلاء الذين يحبون المعرفة بالحسد تجاهنا. المحبة تحطم هذه الثلاثة مشاعر: الغرور، لأن المحبة لا تنفخ؛ الحسد من الداخل، لأن المحبة لا تحسد؛ والحسد من الخارج، لأن المحبة «تتأنى وترفق» (١كو ١٣: ٤). الشخص الذي له معرفة روحية يجب أن، يقتنى أيضاً المحبة، حتى يمكن أن يحفظ فكره دائماً في حالة صحية.

٦٢- من وُهِبَ نعمة المعرفة الروحية ولازال يضمر الاستياء والحقد والكراهية تجاه أي أحد، هو مثل شخصاً ما يُمزق عينيه بالشوك والحسك، لذلك يجب أن تكون المعرفة مصحوبة بالحب.

٦٣- لا تكرس كل وقتك لجسدك ولكن طبق عليه قدراً من النسك يتناسب مع قوته، وعندئذٍ حول كل فكرك إلى ما هو في الداخل. «لأن الرياضة الجسدية[١] نافعة لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شيء» (١تى ٤: ٨).

٦٤- من يُركز دائماً على الحياة الداخلية يصبح متحفظاً، طويل الأناة، طيباً، ومتواضع. سوف يكون قادراً أيضاً على التأمل، التلهوت[٢] والصلاة. هذا هو الذي قصده القديس بولس عندما قال: «أسلكوا بالروح» (غل ٥: ١٦).

٦٥- الجاهل بالطريق الروحي لا يقوم بحراسته ضد الأفكار العقلية الملتهبة، ولكن يكرس نفسه بالكامل للجسد. فهو إما شره، أو فاسق، أو ممتلئ بالاستياء، الغضب والحقد. كنتيجة لذلك فهو يُظلم فكره، أو يمارس نسك زائد وبذلك يُشوُش عقله.

٦٦- الكتاب المقدس لم يمنع أي شيء قد أعطاه الله لنا لاستخدامنا؛ ولكن أدان السلوك المتطرف والطائش. على سبيل المثال، لم يمنعنا من الأكل، أو إنجاب الأطفال، أو من امتلاك أشياء مادية وإدارتها بطريقة مناسبة. ولكنه يمنعنا من أن نكون شرهين ومن أن نزني وهكذا. إنه لا يمنعنا من التفكير في هذه الأشياء- لقد خُلِقوا للتفكير فيهم- ولكنه يمنعنا من التفكير فيهم بشهوة.

---

(١) المقصود هنا النسك الجسدى وذلك حسب النص الأصلى- م.

(٢) التلهوت هو التأمل فى الموضوعات اللاهوتية- م.

٦٧- بعض الأشياء التي نفعلها من أجل الله تتم في طاعةً الوصايا؛ والبعض الآخر لا تتم في طاعة الوصايا، ولكن، إذا جاز التعبير، كتقدمة تطوعية. على سبيل المثال، نحن مطالبون من قبل الوصايا أن نحب الله وجارنا، وأن نحب أعدائنا، ولا نزني أو نقتل وهكذا. وعندما نخالف هذه الوصايا، نُدان. ولكننا لم نؤمر أن نحيا كبتوليين، وأن نمتنع عن الزواج، وأن نزهد في الممتلكات، وأن ننسحب إلى الوحدة وهلم جرا. هذه هي من طبيعة العطايا، حتى إذا كنا غير قادرين على تتميم بعض الوصايا بسبب الضعف، فيمكن بواسطة هذه العطايا المجانية أن نستعطف معلمنا المبارك.

٦٨- من يُكرم العزوبة والبتولية يجب أن يحفظ أحقاؤه ممنطقة وسراجه متقد (ق.م. لو ١٢: ٣٥). إنه يحفظ أحقاؤه ممنطقة من خلال ضبط النفس، وسراجه متقد من خلال الصلاة، التأمل والحب الروحي.

٦٩- البعض من الأخوة يعتقدون بأنهم مُستثنون من مواهب النعمة التي للروح القدس. ولأنهم يهملون تطبيق الوصايا فإنهم لا يعرفون أن الذي لديه إيمان عديم الغش في المسيح قد أخذ في داخله مجموع المواهب الإلهية. وحيث إننا في كسلنا بعيدين عن اقتناء حب نشط له[1]- الحب الذي يُظهر لنا الكنوز الإلهية في داخلنا- فإننا نعتقد بطريقة طبيعية بأننا مستثنون من هذه المواهب.

٧٠- إذا كان المسيح، كما قال القديس بولس، بالإيمان يسكن في قلوبنا (ق.م. أف ٣: ١٧)، وكل كنوز الحكمة والمعرفة الروحية مُذخرة فيه (ق.م. كو٢: ٣)، فإن كل كنوز الحكمة والمعرفة الروحية مذخرة في قلوبنا. إنهم ينكشفون للقلب بالتناسب مع تنقيتنا بواسطة الوصايا.

٧١- هذه هو الكنز المخفي في حقل قلبك (ق.م. مت ١٣: ٤٤)، الذي لم تجده بعد بسبب كسلك. ومتى وجدته فسوف تبيع كل شيء وتشترى هذا الحقل. ولكنك الآن هجرت هذا الحقل وأعطيت كل انتباهك للأرض المجاورة، حيث لاشيء ولكن حسك وشوك.

٧٢- لأجل هذا السبب يقول المخلص، «طوبى لأنقياء القلب، لأنهم يُعاينون الله» (مت ٥: ٨): لأنه يختفي في قلوب الذين يُؤمنون به. سوف يُعاينونه والغِنَى الذي فيه عندما يُنَقون أنفسهم من خلال الحب وضبط النفس؛ وكلما ذادت نقاوتهم، كلما عاينوا أكثر.

(١) أي المسيح- م.

٧٣- وهذا الذي لأجله قال أيضاً، «بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة» (لو ١٢: ٣٣)، «فهوذا كل شيء يكون نقياً لكم» (لو ١١: ٤١). إن هذا ينطبق على هؤلاء الذين لم يعودوا يضيعون وقتهم في أشياء للجسد، ولكن يجاهدون لتنقية الفكر (الذي يسميه الرب «القلب») من الكراهية والانغماس في الملذات. لأن هذه (الأشياء) تدنس الفكر ولا تسمح له بمعاينة المسيح، الذي يسكن فيه بالنعمة التي من المعمودية المقدسة.

٧٤- في الكتاب المقدس يقال على الفضائل «طرق»، أعظمهن جميعاً المحبة. هذا الذي لأجله قال القديس بولس،«وأيضاً أريكم طريقاً أفضل» (١كو ١٢: ٣١)، الذي يحثنا على ازدراء الأشياء المادية وعدم إعطاء أهمية للأشياء الفانية أكثر من الباقية.

٧٥- محبة الله مضادة للرغبة، لأنها تحث الفكر على السيطرة على نفسه فيما يتعلق باللذات الحسية. محبة جارنا مضادة للغضب، لأنها تجعلنا نحتقر الشهرة والثروة. هذان هما قطعتي العملة التي أعطاهما مخلصنا لصاحب الفندق (ق.م. لو ١٠: ٣٥)، حتى يعتني بك. ولكن لا تكن طائشاً وترافق اللصوص؛ وإلا سوف تضرب ثانية وتترك ليس فاقداً للوعي فقط ولكن ميتاً.

٧٦- طهر فكرك من الغضب، الحقد والأفكار المخجلة، وسوف تكون قادراً على إدراك سكنى المسيح (في داخلك).

٧٧- من الذي أنارك بالإيمان بالثالوث القدوس الواحد في الجوهر الجدير بالعبادة والتوقير والحب؟ أو من الذي جعلك تعرف تدبير التجسد لواحد من الثالوث القدوس؟ من الذي علَّمك عن الجوهر الداخلي للكائنات الغير متجسدة، أو عن أصل وتمام العالم المرئي، أو القيامة من الأموات والحياة الأبدية، أو عن مجد ملكوت السموات والدينونة المرعبة؟ ألم تكن نعمة المسيح الساكنة فيك، التي هي عربون الروح القدس؟ أي شيء أعظم من النعمة؟ ما هو أكثر نبلاً من هذه الحكمة والمعرفة؟ ما هو أكثر سمواً من هذه الوعود؟ ولكن إذا كنا كسالى ومهملين، وإذا كنا لا نطهر أنفسنا من الشهوات التي تدنسنا، وتعمى فكرنا وبذلك تمنعنا من رؤية الطبيعة الداخلية لهذه الحقائق الأكثر وضوحاً من الشمس، دعنا نلوم أنفسنا ولا نرفض سكنى النعمة (فينا).

٧٨- الله، الذي وعدكم ببركات أبدية (ق.م. تي ١: ٢) وأعطاكم عربون الروح القدس في قلوبكم (ق.م. ٢كو ١: ٢٢)، قد أمركم بأن تنتبهوا لكيفية حياتكم، حتى يتحرر الإنسان الداخلي من الشهوات ويبدأ من هنا ومن الآن في التمتع بهذه البركات.

٧٩- عندما تُمنح الأشكال العليا من التأمل في الحقائق الإلهية، أعط أقصى انتباهك للحب وضبط النفس، حتى تحفظ الجانب السريع التأثر من نفسك غير منزعجاً وتُبقى نور نفسك في الإشراق الغير مضمحل.

٨٠- ألجم قوة الغضب في نفسك بالحب، وأطفئ رغبتها بضبط النفس، وأعط أجنحة للعقل بالصلاة، وسوف لا يَظلَم نور فكرك أبداً.

٨١- الإهانة، التجريح، الافتراء سواء على إيمان المرء أو على أسلوب حياته، الجَلد، الضرب وهلم جرا- هذه هي الأشياء التي تلاشي الحب، سواء كانت تحدث للمرء نفسه أو لأي من أقاربه أو أصدقاءه. من يفقد حبه بسبب هذه الأشياء لم يفهم بعد هدف وصايا المسيح.

٨٢- جاهد بقدر ما تستطيع لكي تحب كل إنسان. وإذا لم تتمكن من أن تفعل ذلك بعد، فعلى الأقل لا تكره أي أحد، وحتى هذا يكون أبعد من قدراتك إلا إذا احتقرت الأشياء العالمية.

٨٣- هل شوه أحد سمعتك؟ لا تكرهه؛ اكره تشويه السمعة والشيطان الذي أغواه لتتميمها. إذا كرهت مشوه السمعة، فقد كرهت إنسان وبذلك كسرت الوصية. الذي قد عمله هو بكلمة تعمله أنت بفعل. كي تحفظ الوصايا، أظهر صفات المحبة وساعده بكل طريقة تستطيعها، حتى بذلك تستطيع أن تنقذه من الشر.

٨٤- المسيح لا يريدك أن تشعر بأقل كراهية، استياء، غضب أو حقد تجاه أي أحد بأي طريقة أو بسبب أي شيء فاني مهما كان. هذا مُعلن في كل مكان في الأناجيل الأربعة.

٨٥- الكثير منا متكلمين، والقليل منا فاعلين. ولكن لا يجب على أحد أن يشهوه كلمة الله من خلال إهماله. يجب أن يعترف بضعفه ولا يخفى حق الله. وإلا سوف يكون مذنباً ليس فقط بكسره الوصايا ولكن أيضاً بتحريفه كلمة الله.

٨٦- الحب وضبط النفس يحرران النفس من الشهوات؛ القراءات الروحية والتأمل يُنقذان الفكر من الجهل؛ وحالة الصلاة تُأتى به إلى محضر الله نفسه.

٨٧- عندما ترى الشياطين إننا نحتقر أشياء هذا العالم لكي لا نكره الناس بسبب مثل هذه الأشياء، ولكي يسقطوننا من الحب، فإنهم يحرضون الافتراءات ضدنا. إنهم يرجون بهذه الطريقة أن لا نقدر على أن نحتوى استياءنا، وبذلك سوف نُثار لكراهية هؤلاء الذين يَفترونَ علينا.

٨٨- لا شيء يؤلم النفس أكثر من الافتراء، سواء كان موَّجَه لإيمان المرء أو لأسلوب حياته. لا يستطيع أحد أن لا يبالى به سوى هؤلاء الذين مثل سوسنه قد ثبتوا أعينهم على الله (ق.م. تتمة دانيال). لأن الله وحده القادر على أن ينجى من الخطر، كما نجاها، وأن يقنع الناس بالحق، كما فعل في حالتها، وأن يشجع النفس بالرجاء.

٨٩- بنفس الدرجة التي تصلى بكل نفسك بها للشخص الذي يفترى عليك، سوف يُظهر الله الحق لهؤلاء الذين قد صُدموا بالافتراء.

٩٠- الله هو فقط الصالح بالطبيعة (ق.م. مت ١٩: ١٧)، والذي يُقلد الله فقط هو الصالح في الإرادة والهدف. لأن نية مثل هذا الشخص هي جمع الأشرار إلى الذي هو صالح بالطبيعة، حتى إنهم يمكن أن يصبحوا صالحين أيضاً. هذا الذي لأجله، بالرغم من شتمهم إياه يبارك؛ يُضطهد، فإنه يحتمل؛ يُفترى عليه، فيتضرع (إلى الله من أجلهم) (ق.م. ١كو ٤: ١٢- ١٣)؛ يُقتلونه، فيصلى من أجلهم. إنه يفعل كل شيء حتى لا ينحرف عن هدف الحب، الذي هو الله نفسه.

٩١- وصايا الرب تعلمنا أن نستخدم الأشياء المحايدة(١) بطريقة ذكية. مثل هذا الاستخدام يُنقى حالة النفس. وحالة النقاوة تلد الإفراز؛ والإفراز يلد اللا هوى؛ ومن اللا هوى هذا يولد الحب الكامل.

٩٢- إذا كنت لا تستطيع أن تفحص خطأ لصديق، إذا كان حقيقياً أو بالظاهر (فقط) أثناء حدوث تجربة ما، فإنك لم تحرز اللا هوى بعد. لأنه عندما تضطرب الشهوات التي تكمن في عمق النفس، تعمى العقل، مانعة إياه من رؤية نور الحق ومن التمييز بين الخير والشر. إذا كنت في مثل هذه الحالة فأنت أيضاً لم تحرز الحب الكامل، الحب الذي يطرد الخوف من الدينونة (ق.م. ١يو ٤: ١٨).

٩٣- «الصديق الأمين لا يعادله شيء» (سي ٦: ١٥)، حيث أنه يعتبر محن صديقه كأنها له ويعانى معه، مشاركاً تجاربه إلى الموت.

٩٤- الأصدقاء كثيرون، ولكن في وقت الرخاء (ق.م. أم ١٩: ٤). وفى وقت الشدة ستجد صعوبة لتجد حتى واحدٍ.

(١) المقصود هنا بكلمة محايدة أن الأشياء فى حد ذاتها محايدة ليست شراً و لا خيراً- م.

٩٥- يجب على المرء أن يحب كل إنسان من النفس، ولكن يجب على المرء أن يضع رجاءه في الله فقط وأن يخدمه بكل قوته. لأنه طالما يحمينا من الأذى، فكل أصدقائنا يعاملوننا باحترام وكل أعدائنا أضعف من أن يؤذوننا. ولكن متى هجرنا، فكل أصدقائنا ينصرفون عنا وكل أعدائنا ينتصرون علينا.

٩٦- هذه هي الأربع طرق الرئيسية التي يهجرنا فيها الله. الأولى هي طريق التدبير الإلهي، حتى إنه من خلال الهجر الواضح فإن الآخرين المهجورين يمكن أن يخلصوا. ربنا هو مثال لذلك (ق.م. مت ٢٧: ٤٦). الثانية هي طريق التجربة والامتحان، كما في حالة أيوب ويوسف (ق.م. تك ٣٩: ٨). الثالثة هي طريق التأديب الأبوى، كما في حالة القديس بولس، حتى إنه من خلال تواضعه يستطيع أن يحفظ فيض النعمة (ق.م. ٢كو ١٢: ٧). الرابعة هي طريق الرفض، كما في حالة اليهود، حتى إنه من خلال عقابهم يمكن أن يأتون إلى التوبة. هذه هي كل طرق الخلاص، مملوءة بالبركات الإلهية و الحكمة.

٩٧- فقط هؤلاء الذين يحفظون الوصايا بتدقيق، ومبتدئين حقيقيين في الأحكام الإلهية، هم الذين لا يتخلون عن أصدقائهم عندما يسمح الله بتجربة هؤلاء الأصدقاء. هؤلاء الذين يحتقرون الوصايا والذين يجهلون الأحكام الإلهية يفرحون مع صديقهم في وقت الرخاء؛ ولكن في أوقات التجربة التي يعانى فيها المشقات، فإنهم يهجرونه وفى بعض الأحيان يؤيدون الذين يهاجمونه.

٩٨- أصدقاء المسيح يحبون الجميع حقاً ولكن هم أنفسهم غير محبوبين من الجميع؛ أصدقاء العالم لا يحبون الكل ولا محبوبين من الكل؛ أصدقاء المسيح يثابرون في الحب حتى النهاية؛ أصدقاء العالم يثابرون فقط حتى يتشاجروا مع بعضهم البعض على بعض الأشياء الدنيوية.

٩٩ «الصديق الأمين معقل حصين» (سي ٦: ١٤)؛ لأنه عندما تسير الأمور جيداً معك، فإنه مشير جيد ومتعاون متعاطف، في حين إنه عندما تسير الأمور بطريقة سيئة، فإنه أوثق المساعدين والداعم الأكثر رحمة.

١٠٠- كثيرون قالوا الكثير عن الحب، ولكنك تجد الحب نفسه فقط إذا بحثت عنه بين تلاميذ المسيح. لأنهم هم فقط الذين عندهم حب حقيقي كمعلم الحب. «وإن كانت لي نبوة» يقول القديس بولس «وأعلم جميع الأسرار وكل علم... ولكن ليس لي محبة، فلست شيئاً» (١كو ١٣: ٢-٣). من يمتلك الحب يمتلك الله نفسه، لأن «الله محبة» (١يو ٤: ٨). له المجد كل أوان. أمين.

مئتا نص فى علم معرفة الله والتدبير الإلهى لتجسد إبن الله

كُتِبَتْ لطلاسيوس

Two Hundred Texts on Theology and the Incarnate Dispensation of Son of God Written for Thalassios

المئوية الأولى

١- الله واحد، ليس له بداية، لا يُدرك، يَمتلك بالكامل الإمكانية الكاملة للوجود، بالإجمال هو فوق أفكار أين وكيف، لا يمكن الوصول إليه أو التأثير فيه، ولا يُعرف من خلال الصورة الطبيعية بواسطة أي مخلوق.

٢- بقدر ما نستطيع من فهم، الله نفسه لا يُشكل بداية أو حالة متوسطة أو نهاية، أو أي شيء آخر على الإطلاق يمكن أن يُرى لتحديد الأشياء التي خلقها - بشكل طبيعي. لأنه لا يمكن إدراكه، غير متغير، وأبدى، حيث أنه فوق أي وجود بشكل لا نهائي، من حيث الإمكانية والتحقيق.

٣- كل كائن حدوده الذاتية ناشئة منه هو بالطبيعة أصل النشاط الذي يُرى كإمكانية موجودة فيه. كل نشاط طبيعي في عملية التحقيق - ومثل هذا النشاط، ينتج من الكائن نفسه على المستوى التخيلي ولكن سابقاً على تحقيقه- هو حالة متوسطة، حيث أنه يقع بالطبيعة بين الكائن الذي توجد فيه هذه الإمكانية وتحقيقها. كل تحقيق، محدود كما هو بشكل طبيعي بمبدئه الداخلي، هو نهاية لهذا النشاط الذي بدايته في الكائن والذي، بالحديث التخيلي، يسبق التحقيق.

٤- الله ليس كائناً[1] سواء بالمعنى العام أو بأي معنى خاص للكلمة، وهو بذلك لا يمكن أن يكون بداية، ولا هو إمكانية سواء بالمعنى العام أو بأي معنى خاص للكلمة، وبذلك فهو ليس حالة متوسطة. وليس هو تحقيق في المعنى العام أو بأي معنى خاص للكلمة، وبذلك لا يمكن أن يكون نهاية لهذا النشاط الذي ينبثق من كائن الذي يُرى على أنه سابق الوجود كإمكانية. بالعكس، إنه مبدع الوجود وفى نفس الوقت كينونة تسمو فوق

(١) المقصود بكائن هنا أحد الكائنات الموجودة فى الوجود حيث أن الله يسمو فوق الوجود - م.

٩٥- يجب على المرء أن يحب كل إنسان من النفس، ولكن يجب على المرء أن يضع رجاءه في الله فقط وأن يخدمه بكل قوته. لأنه طالما يحمينا من الأذى، فكل أصدقائنا يعاملوننا باحترام وكل أعدائنا أضعف من أن يؤذوننا. ولكن متى هجرنا، فكل أصدقائنا ينصرفون عنا وكل أعدائنا ينتصرون علينا.

٩٦- هذه هي الأربع طرق الرئيسية التي يهجرنا فيها الله. الأولى هي طريق التدبير الإلهي، حتى إنه من خلال الهجر الواضح فإن الآخرين المهجورين يمكن أن يخلصوا. ربنا هو مثال لذلك (ق.م. مت ٢٧: ٤٦). الثانية هي طريق التجربة والامتحان، كما في حالة أيوب ويوسف (ق.م. تك ٣٩: ٨). الثالثة هي طريق التأديب الأبوى، كما في حالة القديس بولس، حتى إنه من خلال تواضعه يستطيع أن يحفظ فيض النعمة (ق.م. ٢كو ١٢: ٧). الرابعة هي طريق الرفض، كما في حالة اليهود، حتى إنه من خلال عقابهم يمكن أن يأتون إلى التوبة. هذه هي كل طرق الخلاص، مملوءة بالبركات الإلهية و الحكمة.

٩٧- فقط هؤلاء الذين يحفظون الوصايا بتدقيق، ومبتدئين حقيقيين في الأحكام الإلهية، هم الذين لا يتخلون عن أصدقائهم عندما يسمح الله بتجربة هؤلاء الأصدقاء. هؤلاء الذين يحتقرون الوصايا والذين يجهلون الأحكام الإلهية يفرحون مع صديقهم في وقت الرخاء؛ ولكن في أوقات التجربة التي يعانى فيها المشقات، فإنهم يهجرونه وفى بعض الأحيان يؤيدون الذين يهاجمونه.

٩٨- أصدقاء المسيح يحبون الجميع حقاً ولكن هم أنفسهم غير محبوبين من الجميع؛ أصدقاء العالم لا يحبون الكل ولا محبوبين من الكل؛ أصدقاء المسيح يثابرون في الحب حتى النهاية؛ أصدقاء العالم يثابرون فقط حتى يتشاجروا مع بعضهم البعض على بعض الأشياء الدنيوية.

٩٩ «الصديق الأمين معقل حصين» (سي ٦: ١٤)؛ لأنه عندما تسير الأمور جيداً معك، فإنه مشير جيد ومتعاون متعاطف، في حين إنه عندما تسير الأمور بطريقة سيئة، فإنه أوثق المساعدين والداعم الأكثر رحمة.

١٠٠- كثيرون قالوا الكثير عن الحب، ولكنك تجد الحب نفسه فقط إذا بحثت عنه بين تلاميذ المسيح. لأنهم هم فقط الذين عندهم حب حقيقي كمعلم الحب. «وإن كانت لي نبوة» يقول القديس بولس «وأعلم جميع الأسرار وكل علم... ولكن ليس لي محبة، فلست شيئاً» (١كو ١٣: ٢-٣). من يمتلك الحب يمتلك الله نفسه، لأن «الله محبة» (١يو ٤: ٨). له المجد كل أوان. أمين.

مئتا نص فى علم معرفة الله والتدبير الإلهى لتجسد إبن الله

كُتِبَتْ لطلاسيوس

Two Hundred Texts on Theology and the Incarnate Dispensation of Son of God Written for Thalassios

المئوية الأولى

١- الله واحد، ليس له بداية، لا يُدرك، يَمتلك بالكامل الإمكانية الكاملة للوجود، بالإجمال هو فوق أفكار أين وكيف، لا يمكن الوصول إليه أو التأثير فيه، ولا يُعرف من خلال الصورة الطبيعية بواسطة أي مخلوق.

٢- بقدر ما نستطيع من فهم، الله نفسه لا يُشكل بداية أو حالة متوسطة أو نهاية، أو أي شيء آخر على الإطلاق يمكن أن يُرى لتحديد الأشياء التي خلقها - بشكل طبيعي. لأنه لا يمكن إدراكه، غير متغير، وأبدى، حيث أنه فوق أي وجود بشكل لا نهائي، من حيث الإمكانية والتحقيق.

٣- كل كائن حدوده الذاتية ناشئة منه هو بالطبيعة أصل النشاط الذي يُرى كإمكانية موجودة فيه. كل نشاط طبيعي في عملية التحقيق - ومثل هذا النشاط، ينتج من الكائن نفسه على المستوى التخيلي ولكن سابقاً على تحقيقه- هو حالة متوسطة، حيث أنه يقع بالطبيعة بين الكائن الذي توجد فيه هذه الإمكانية وتحقيقها. كل تحقيق، محدود كما هو بشكل طبيعي بمبدئه الداخلي، هو نهاية لهذا النشاط الذي بدايته في الكائن والذي، بالحديث التخيلي، يسبق التحقيق.

٤- الله ليس كائناً[1] سواء بالمعنى العام أو بأي معنى خاص للكلمة، وهو بذلك لا يمكن أن يكون بداية، ولا هو إمكانية سواء بالمعنى العام أو بأي معنى خاص للكلمة، وبذلك فهو ليس حالة متوسطة. وليس هو تحقيق في المعنى العام أو بأي معنى خاص للكلمة، وبذلك لا يمكن أن يكون نهاية لهذا النشاط الذي ينبثق من كائن الذي يُرى على أنه سابق الوجود كإمكانية. بالعكس، إنه مبدع الوجود وفى نفس الوقت كينونة تسمو فوق

(١) المقصود بكائن هنا أحد الكائنات الموجودة فى الوجود حيث أن الله يسمو فوق الوجود - م.

الوجود؛ إنه مبدع الإمكانية وفى نفس الوقت الأساس الذي يفوق الإمكانية؛ وهو الحالة النشطة الغير مضمحلة لكل،تحقيق وكل بداية، وكل حالة متوسطة ونهاية.

٥- البداية، الحالة المتوسطة والنهاية تمثل أشياء مقسمة بالزمن، كما تمثل حقاً أشياء تقع في الدهر[1]. لأن الزمن، الذي بواسطته يقاس التغير، يُعرف بطريقة عددية؛ بينما الدهر، يفترض وجوده مقدماً «متى» لها مقياسية، حيث أن وجوده له بداية. وإذا كان الزمن والدهر لهما بداية، فكم بالأكثر تلك الأشياء التي توجد فيهم.

٦- الله بالطبيعة واحد دائماً ووحيد، يحتوى في ذاته بطريقة جوهرية ومطلقة وبشكل شامل مجموع الوجود الذاتي، حيث إنه يتجاوز حتى الوجود الذاتي نفسه. وإذا كان الأمر كذلك، فلا يوجد شيء مهما كان بين كل الأشياء يمكن أن ننسب له وجوداً له ذاتية الوجود. وهكذا فلا شيء مختلف في الجوهر عن الله مهما كان يمكن تصوره على أنه مشاركاً للوجود معه منذ الأزل - لا الدهر ولا الزمن ولا أي شيء يوجد فيهم. حيث أن الوجود الذاتي والوجود الغير ذاتي لا يمكن أبداً أن يتزامنا.

٧- لا بداية أو حالة متوسطة أو نهاية يمكن أبداً أن تكون خالية بالكامل من تصنيف القرابة. الله، لكونه أعلى بشكل لا نهائي عن أي نوع من القرابة، هو بالطبيعة لا بداية ولا حالة متوسطة ولا نهاية، ولا أي شيء من هذه الأشياء التي من الممكن ينطبق عليها تصنيف القرابة.

٨- الكائنات المخلوقة تصنف على إنها مفهومة لأن كل منها له بداية يمكن أن تُعرَف بالعقل. لكن الله لا يمكن أن يعتبر مفهوماً، في حين إننا من خلال إدراك الأشياء التي يمكن فهمها لا يمكن أن نفعل شيئاً أكثر من أن نؤمن بأن الله موجود. ولهذا السبب لا يمكن لأي كائن يمكن فهمه أن يُقارن بأي حال من الأحوال به.

٩- الكائنات المخلوقة يمكن أن تُعرف بواسطة المبادئ الداخلية التي هي بالطبيعة جوهرية لمثل هذه الكائنات المخلوقة والتي بواسطتها يتم تعريفها بشكل طبيعي. ولكن من خلال فهمنا لهذه المبادئ المتأصلة في الكائنات المخلوقة لا يمكن أن نفعل شيئاً أكثر من أن نؤمن بأن الله موجود. الله يعطى للمؤمن التقى شيئاً أكثر تأكيداً من أي إثبات:

---

(١) الدهر فترة لا نهائية - م.

الإدراك والإيمان بأنه ذاتي (الوجود). الإيمان هو معرفة حقيقية، ومبادئ الذى هو أبعد من الشرح والبرهان العقلي؛ لأن الإيمان يجعل لنا الأشياء التي هي فوق الفكر والعقل حقيقية (ق.م. عب ١١: ١).

١٠- الله هو البداية والحالة المتوسطة ونهاية كل الأشياء المخلوقة، ولكن ليس العمل في الأشياء كعمل الأشياء، التي هي أيضاً الحالة التي يتعلق بها كل شيء آخر نطلبه منه. إنه البداية كخالق، والحالة المتوسطة كحاكم مُدبِر، ونهاية كنهاية أخيرة، كما يقول الكتاب المقدس «لأن منه وبه وله كل الأشياء» (رو ١١: ٣٦).

١١- لا توجد نفس على صورة الله أعظم في جوهرها عن نفس أخرى على صورة الله. لأن الله في صلاحه السماوي عندما يخلق كل نفس على صورته، فإنه يأتي بها إلى الوجود ممنوحة (حق) تقرير المصير. وبتدريب هذه الحرية في الاختيار فإن كل نفس إما أن تعيد تأكيد نبلها الحقيقي أو من خلال أفعالها المتعمدة تعتنق ما هو خسيس.

١٢- قيل أن الله هو شمس البر (ق.م. مل ٤: ٢)، وأشعة صلاحه السماوي تشرق على كل الناس بالتساوي. النفس تكون شمعاً إذا التصقت بالله، ولكن طيناً إذا التصقت بالمادة، وما تفعله يعتمد على مشيئتها وهدفها. الطين يتصلب في الشمس، بينما الشمع يصبح أنعم. بالمثل، كل نفس، تحتقر تحذيرات الله، تلتصق بتعمد بالعالم المادي، مقسية ذاتها مثل الطين ومؤدية بها إلى الهلاك، مثلما فعل فرعون (ق.م. خر ٧: ١٣). ولكن كل نفسه تلتصق بالله تنعم مثل الشمع وتأخذ طابع وختم الحقائق الإلهية، إنها تصبح «مسكناً لله في الروح» (أف ٢: ٢٢).

١٣- إذا استنار فكر شخص بالأفكار الإلهية، وإذا كان حديثه مكرس بغير انقطاع لترتيل تسابيح الخالق، وإذا قُدست أحاسيسه بالصور التي لا تشوبها شائبة؛ فقد عزز تلك القداسة التي هي بالطبيعة، مخلوقة على صورة الله، بأن أضاف إليها قداسة المثال الإلهي التي تتحقق من خلال تدريب مشيئته الحرة.

١٤- يحفظ الإنسان نفسه نقية أمام الله إذا ألزم عقله بالتأمل فقط في الله وصلاحه الفائق، جاعلاً فكره مترجماً وداعياً حقيقياً لصلاحه، ومعلماً حواسه أن تشكل صوراً مقدسة للعالم المرئي ولكل الأشياء التي فيه، وتنقل للنفس روعة المبادئ الداخلية التي تكمن في كل الأشياء.

١٥- لقد حررنا الله من العبودية المُرة التي للشياطين المستبدين وأعطانا الإتضاع كنير رحيم للتقوى. إنه الإتضاع الذي يُروض كل قوة شيطانية، وينتج في الذين يقبلونه كل نوع من القداسة، ويحفظ هذه القداسة سليمة.

١٦- من يؤمن يخاف؛ ومن يخاف هو متضع؛ ومن هو متضع يصبح مهذباً ويجعل تلك الدوافع التي للإثارة والرغبات التي هي مضادة للطبيعة خاملة. والشخص المهذب يحفظ الوصايا؛ ومن يحفظ الوصايا قد تنقى؛ ومن قد تنقى قد استنار؛ ومن قد استنار قد أصبح صديق الختن الإلهي والكلمة في مَقدْس الإسرار.

١٧- أحياناً عندما يبحث فلاح عن مكان مناسب لكي ينقل إليه شجرة، فإنه على غير توقع يجد كنزاً. شيء مشابهٌ يمكن أن يحدث للذي يطلب الله، إذا كان متضعاً وغير متأثراً، وإذا كانت نفسه، على غرار مثال المبارك يعقوب (ق.م. تك ٢٧: ١١)، ملساء من المادية وليست مشعرة بها، حينئذٍ يمكن أن ينعم الله عليه بالتأمل في الحكمة الإلهية حتى ولو لم يتعب لأجلها. ولكن إذا سأل (الله) الآب حينئذٍ كيف أتى بهذه المعرفة سريعاً، قائلاً له «ما هذا الذي وجدته سريعاً يا بني؟» فيجب أن يرد مثلما فعل يعقوب «إنه ما أنعم به الله عليَّ» (تك ٢٧: ٢٠ س). يجب أن نفهم بوضوح في حالة مثل هذه أن ما قد وجده هو كنزاً روحياً؛ لأن الطالب التقى لله هو الفلاح الروحي الذي ينقل، تأملاته في الأشياء المرئية والمحسوسة، كما ولو كانت شجرة، إلى حقل الحقائق العقلية؛ وبفعله هذا فإنه يجد كنزاً- (وهو) إستعلان الحكمة في الأشياء المخلوقة (وذلك) بالنعمة.

١٨- الطالب لله يمكن أن يأخذ فجأة المعرفة الروحية التي للتأمل المقدس، بالرغم من إنه في إتضاعه لم يتوقعها، ولكن هذا يمكن أن يحطم عقل شخص آخر الذي يتعب بدون فائدة لكي يقتنى مثل هذه المعرفة من أجل التباهي بالنفس، الذي يعمله بالغيرة، إنه يخطط لكي يقتل أخيه ويصبح مريضاً بالاستياء لأنه لم يختبر الابتهاج الذي يأتي من كونه ممدوحاً.

١٩- هؤلاء الذين يبحثون عن المعرفة الروحية بتعب كثير، ولكن لا ينجحون في أن يجدوها، يفشلون إما من نقص الإيمان أو ربما بسبب إنه في غبائهم وحسدهم فإنهم يقتنونها في العقل لكي يهاجمون هؤلاء الذين يمتلكون معرفة، مثلما فعل الناس قديما عندما هاجموا موسى. إننا يمكن أن نطبق عليهم بحق الفقرة التي في الكتاب

المقدس التي تقول أنه عندما شق بعض الرجال طريقهم بالقوة إلى الجبل، فخرج الأموريين الساكنين في الجبل وجرحوهم. (ق.م. تث ١: ٤٣-٤٤). لأن هؤلاء الذين يلبسون مظهر القداسة من أجل التباهي بالنفس حتما لايفشلون في تحقيق أي شيء من خلال تقواهم الزائفة فقط، ولكن يُجرَحُون من ضميرهم.

٢٠- من يتبع الطريق الروحي من أجل التباهي ويفشل في أن تحقيقه يجب أن لا يحسد جاره أو يصبح مهموماً، بل بالعكس، كما أوصِيَّ، ليقوم بالاستعداد للسبت في مكان ما مجاور: من خلال التدرب على الفضائل، وبالعمل بجد مع جسده، سوف يُعد نفسه لهذه المعرفة.

٢١- هؤلاء الذين يشتاقون حقاً وبإخلاص لفهم الكائنات المخلوقة، وليس لهم فكر التباهي بالنفس، سوف يجدوا أنهم قد مُنحوا بصيرةِ واضحة في مثل هذه الكائنات وهذا أيضاً إنه من خلال هذه البصيرة يُحرزون المعرفة التي يسعون إليها في أكثر أشكالها دقه. لمثل هؤلاء الناس يقول الناموس، «ستأتي وترث مدن كبيرة وجيدة، ومنازلاً لم تبنيها، مملوءة بأشياء جيدة، وأبار عميقة لم تحفرها، وكروم وأشجار زيتون لم تغرسها» (ق.م. تث ٦: ١٠- ١١). لان من لا يعيش لنفسه ولكن لأجل الله (ق.م. ٢كو ٥: ١٥) هو مملوء بكل مواهب الروح القدس، التي لم تكن تظهر فيه قبلاً بسبب الاضطراب الناتج عن الشهوات.

٢٢- قيل أن هناك شكلان من الإدراك الحسي، الأول حالة معتادة وتستمر حتى عندما نكون نائمين. إنها لا تدرك أي شيء معين ولا تخدم أي هدف لأنها غير موجهه تجاه فعلٌ ما. الثانية هي الإدراك الحسي النشط الذي من خلاله ندرك الأشياء المحسوسة. بالمثل، يوجد شكلان من المعرفة، أولاً هناك معرفة أكاديمية، التي هي معلومات نظرية، جُمعت فقط من مظاهر، حول المبادئ الداخلية للأشياء المخلوقة، والتي لا تخدم أي هدف لأنها غير موجهه تجاه التنفيذ العملي للوصايا. ثانياً، هناك المعرفة النشطة المؤثرة، التي تمنح فهماً مختبراً حقيقياً للأشياء المخلوقة.

٢٣- المرائي، الذي يُطارد المجد الذي يأتي من البر الظاهر، لا يضطرب طالما إنه يعتقد بأنه غير مُلاحظ. ولكن عندما يتم كشفه، فإنه ينطق بسيل من اللعنات، متخيلاً بأنه عندما يسئ للآخرين يمكن أن يُخفى انحرافه. وبسبب مهارته قارنه الكتاب المقدس بأولاد الأفاعي، وأمره بأن يصنع أثماراً تليق بالتوبة (ق.م. مت ٣: ٧-٨)، التي هي، إعادة تشكيل الحالة الخفية لقلبه حتى تطابق سلوكه الخارجي.

٢٤- البعض يقول بأن أي كائن حي يسكن في الهواء أو الأرض أو البحر قد حكم علية الناموس بأنه غير طاهر (ق.م. لا ١١: ١-٤٣) هو متوحش، حتى ولو كان يبدو من سلوكه بأنه مستأنس. بنفس المبدأ، كل إنسان يخضع لشهوة ما هو أيضاً متوحش، مهما كان سلوكه الخارجي.

٢٥- من يرتدى مظهر الصداقة من أجل أن يؤذى جاره هو ذئب يخفى شره تحت ثياب الحملان. ومتى وجد عادة أو قول هما أصلا مسيحيان، وبالرغم من إنه إلى حد ما بسيط، فإنه يضع يده عليه ويهاجمه؛ وبطرق لا تعد يجد خطأ في هذه الأقوال أو العادات، متدخلاً في حرية الأخ التي أخذها في المسيح (ق.م. غل ٢: ٤).

٢٦- من يحفظ الصمت برياء وذلك من أجل هدفاً ما شرير يعد فخاً لجاره؛ وإذا فشلت خطته، فإنه ينسل، جالباً على نفسه الخزن بسبب شهوته. ولكن من هو صامت من أجل غاية صالحة يُغذى الصداقة ويذهب في طريقه مبتهجاً، لأنه قد أخذ الاستنارة التي تطرد الظلمة.

٢٧- أذا كان إنسانٌ يقاطع الحديث بطياشة في اجتماع عام، فمن الواضح أنه يكشف عن شهوته في المجد الذاتي. ويحاول، متقوياً بهذه الشهوة، أن يُعيق مسار النقاش بما لا ينتهي من الاقتراحات المعقدة.

٢٨- الإنسان الحكيم، مهما عَلّم أو تعلم، يتمنى فقط أن يُعلم أو يتعلم تلك الأشياء التي هي مفيدة. ولكن من يملك بالكاد مظهر الحكمة، سواء كان يسأل أو يُجيب أسئلة، يتعامل فقط مع الأشياء التافه نسبياً.

٢٩- الشخص الذي من خلال نعمة الله يتلقى البركات هو تحت الالتزام بأن يتشارك بهم بغير تذمر مع الآخرين. لأن الكتاب المقدس يقول، «مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا» (مت ١٠: ٨). من يخفى العطية في الأرض يتهم الرب بأنه قاسى القلب وبخيل (ق.م. مت ٢٥: ٢٤)، ولكي يحفظ ماء وجهه يتظاهر بأنه لا يعرف شيئاً عن القداسة؛ في حين إنه الذي يبيع الحق للأعداء، وحينئذٍ ينكشف كَشَرِه للمجد الذاتي، شانقاً نفسه، غير قادراً على تحمل الخزي (ق.م. مت ٢٦: ١٥؛ ٢٧: ٥).

٣٠- هؤلاء الذين لازالوا خائفين من الحرب ضد الشهوات ويرتعبون من اعتداءات الأعداء الغير مرئيين يجب أن يصمتوا؛ في جهادهم من أجل الفضيلة يجب أن لا يدخلوا في

جدال مع أعداءهم ولكن من خلال الصلاة يجب أن يعهدوا بكل قلق على أنفسهم إلى الله. وينطبق على هؤلاء كلمات (سفر) الخروج: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤: ١٤). ثانياً، هؤلاءالذين قد تحرروا من اعتداءات الأعداء والذين يطلبون بصدق تعلم طرق اقتناء الفضائل، يحتاجون فقط إلى أن يبقوا أذن عقلهم مفتوحة. لهؤلاء يقول الكتاب المقدس، «أسمع يا إسرائيل» (تث ٦: ٤). ثالثاً، هؤلاء الذين كنتيجة لنقاوتهم يشتاقون بحرارة إلى المعرفة الإلهية يمكن أن يُناجوا الله بحرية. لهؤلاء سيقال «ما بالك تستغيث بي؟» (خر ١٤: ١٥ س). وهكذا، من أُمر بالصمت بسبب خوفه يجب أن يبحث عن ملاذ في الله؛ ومن أُمر بأن يسمع يجب أن يكون مستعداً لأن يطيع الوصايا؛ ومن يسعى وراء المعرفة الروحية يجب أن ينادى الله بغير انقطاع، متوسلاً إليه من اجل النجاة من الشر وشاكراً إياه من أجل تمتعه ببركاته.

٣١- النفس لا يمكن أبداً أن تحرز معرفة الله إلا إذا أمسكها الله، في تنازله، ورفعها إليه. لأن الفكر البشرى ينقصه القوة على الارتقاء والمشاركة في الاستنارة الإلهية، إلا إذا سحبه الله نفسه إلى أعلى على قدر ما يمكن للفكر البشرى- وينيره بأشعة النور الإلهي.

٣٢- من يقلد تلاميذ الرب لا يرفض، بسبب الخوف من الفريسيين، أن يتمشى في حقول القمح في السبت ويفرك سنابل القمح (ق.م. مت ١٢: ١-٢). بل بالعكس، بعد التدرب على الفضائل يحرز حالة التحرر من الأهواء، إنه يغربل المبادئ الداخلية للأشياء المخلوقة وبإيمان يغذى نفسه بالمعرفة الإلهية التي تحتويها.

٣٣- بحسب الإنجيل، الشخص الذي هو ببساطة رجل الإيمان يمكن أن ينقل جبل خطاياه من خلال التدرب على الفضائل (ق.م. مت ١٧: ٢٠)، محرراً نفسه هكذا من ارتباطه بالدوران المتواصل الذي للأشياء الحسية. وإذا كان عنده القدرة على أن يكون تلميذاً فسيأخذ قطع من أرغفة المعرفة الروحية من أيدي الكلمة ويُغذى آلاف من الناس (ق.م. مت ١٤: ١٩-٢٠)، مظهراً بفعله كيف تزايدت وتضاعفت قوة الكلمة بواسطة التدرب على الفضائل. وإذا كان عنده أيضاً القدرة على أن يكون رسولاً فسيشفى كل مرض وعجز: إنه يخرج الشياطين (ق.م. مت ١٠: ٨؛ لو ١٠: ١٧)، أي، إنه يتخلص من نشاط الشهوات؛ إنه يشفى المريض، ومن خلال الرجاء يعيد حالة التقوى للذين فقدوها، ومن خلال تعليمه عن الدينونة يُصَلِّبْ عزيمة هؤلاء الذين لانوا بسبب الكسل.

لأنه منذ ذلك الحين الذي قد أُمر فيه بأن يدوس «الحيات والعقارب» (لو ١٠: ١٩)، فهو يحطم بداية ونهاية الخطيئة.

٣٤- الرسول هو بالضرورة تلميذ ورجل إيمان. التلميذ ليس بالضرورة رسولاً ولكنه بالتأكيد رجل إيمان. الإنسان الذي هو ببساطة رجل إيمان هو ليس تلميذاً ولا رسولاً. على أية حال، من خلال أسلوب حياته ومن خلال التأمل يمكن أن يُرفع إلى مرتبة وكرامة الرسول.

٣٥- عندما يصل ما قد خُلق في الزمن بحسب أمر مؤقت إلى نضج، فإنه يتوقف عن النمو الطبيعي. ولكن عندما ما يصل ما قد أتى بواسطة معرفة الله إلى النضج من خلال ممارسة الفضائل، فإنه يبدأ في النمو من جديد. لأن نهاية مرحلة تؤسس نقطة البداية للتالية. من قد وضع نهاية لأصل الفساد في نفسه من خلال ممارسة الفضائل قد دخل إلى اختبارات إلهية أخرى أعمق. لا توجد هناك أبداً نهاية، كما لا توجد أبداً بداية، للخير الذي يفعله الله : كما أن من خواص النور أن يُنير، كذلك من صفات الله أن يفعل الخير. وهكذا في الناموس الذي يخص بنية الأشياء المؤقتة الخاضعة للتوالد والانحلال، كُرم السبت بالراحة من العمل (ق.م. خر ٣١: ١٤)، بينما في الإنجيل، هو الذي يُدخلنا إلى مملكة الحقائق الروحية، ويسبغ على السبت بهاءٌ بالأفعال الصالحة (لو ٦: ٩؛ يو ٥: ١٦-١٧). أنه هكذا بالرغم من نقمة هؤلاء الذين لم يفهموا بعد أن «السبت إنما جعل من أجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت»، وأن «ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً» (مر ٢: ٢٧- ٢٨).

٣٦- في الناموس والأنبياء تمت الإشارة إلى السبت (ق.م. أش ٦٦: ٢٣)، والسبوت (ق.م. خر ٣١: ١٣)، وسبوت السبوت (ق.م. لا ١٦: ٣١ س)؛ والختان وختان الختان (ق.م. تك ١٧: ١٠- ١٣)؛ والحصاد (ق.م. تك ٨: ٢٢) وحصاد الحصاد، كما في النص، «عندما تحصد حصادك» (ق.م. لا ٢٣: ١٠). النصوص التي عن السبت تشير بالتأكيد إلى الإحراز الكامل للفلسفة العملية، الطبيعية واللاهوتية؛ والنصوص التي عن الختان، تشير إلى الانفصال عن الأشياء التي تخضع إلى التوالد والى المبادئ الداخلية لهذه الأشياء؛ والنصوص التي عن الحصاد، تشير إلى جمع المبادئ الروحية السامية أكثر والتمتع بها من جهة الأحاسيس والفكر. من خلال دراسة هذه الثلاثة مجموعات من النصوص يمكن للشخص ذو المعرفة الروحية أن يكتشف الأسباب التي جعلت موسى،

عندما مات، أخذ راحة السبت خارج الأرض المقدسة (ق.م. تث ٣٤: ٥)، ولماذا أجرى يشوع الختان بعد عبور الأردن (ق.م. يش ٥: ٣)، ولماذا أحضر هؤلاء الذين ورثوا أرض الميعاد لله الثمار الوافرة التي للحصاد المضاعف (ق.م. لا ١١:٢٣).

٣٧- السبت يعبر عن لا هوى النفس التي على صورة الله التي من خلال ممارسة الفضائل قد نزعت علامات الخطيئة تماماً.

٣٨- السبوت تعبر عن حرية النفس التي على صورة الله التي من خلال التأمل الروحي في الطبيعة المخلوقة هدّأتْ حتى النشاط الطبيعي الذي للإدراك الحسي.

٣٩- سبوت السبوت تعبر عن الهدوء الروحي للنفس التي على صورة الله التي قد عزلت الفكر حتى عن كل المبادئ الإلهية في الأشياء المخلوقة، والتي من خلال نشوة الحب قد غَطّته بالتمام بالله وحده، والتي من خلال اللاهوت السري قد أتت به بالكامل لكي يستريح في الرب.

٤٠- الختان يعبر عن قمع ولع النفس الملتهب للأشياء التي تخضع للتوالد[١].

٤١- ختان الختان يعبر عن النبذ والإزالة أيضاً حتى لمشاعر النفس الطبيعية تجاه الأشياء الخاضعة للتوالد.

٤٢- الحصاد يعبر عن جمع ومعرفة النفس للمبادئ الأكثر روحية التي للكائنات المخلوقة بأسلوب يتوافق مع كل من الفضيلة والطبيعة.

٤٣- حصاد الحصاد يعبر عن فهمٍ لله، يتبع التأمل المستيكي[٢] للحقائق العقلية التي، هي غير متاحة للجميع، ويتحقق في الفكر بأسلوب يفوق الفهم. مثل هذا الفهم يجنيه بشكل مناسب الشخص الذي يكرم الخالق بأسلوب ملائم من أجل ما قد خلقه، سواء كان مرئي أو غير مرئي.

٤٤- هناك حصاداً أكثر روحانية، الذي يقال إنه يخص الله نفسه؛ وهناك ختاناً أكثر مستيكية؛ وهناك سبتاً أخر أكثر احتجابا، الذي يحتفل به الله عندما يستريح من أعماله، ويظهر ذلك في النصوص التالية: «الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون» (مت

(١) المقصود بالتوالد هنا التغير والتبدل- م.

(٢) المستيكى أى السرى أو الباطنى- م.

٩: ٣٧)؛ و«ختان القلب بالروح» (رو ٢: ٢٩)؛ و«بارك الله اليوم السابع وقدسه، لأن فيه استراح الرب من كل أعماله التي بدأ في عملها» (تك ٢: ٣ س).

٤٥- حصاد الرب يُعبر عن السكنى والاستقرار الكاملين للقديسين في الله في كمال الدهور.

٤٦- ختان القلب بالروح يعبر عن النزع الكامل للنشاطات الطبيعية التي تتعلق بالأشياء المحسوسة والمعقولة من الحواس والفكر. هذا النزع يتم بالحضور المباشر للروح القدس، الذي يغير الجسد والنفس بالكامل جاعلاً إياهم أكثر قداسة.

٤٧- راحة السبت لله، تعبر عن العودة الكاملة للكائنات المخلوقة إلى الله. وعندها سيوقف الله عملية الطاقة الطبيعية في الكائنات المخلوقة بتنشيط طاقته الإلهية فيهم بشكل يفوق الوصف. وبواسطة فاعلية هذه الطاقة الطبيعية يعمل كل كائن مخلوق؛ والتي يُعلق الله عملها في كل كائن مخلوق إلى الدرجة التي يأخذ فيها من طاقته المقدسة وبذلك يرسخ طاقته الطبيعية في الله نفسه.

٤٨- يجب على المرء أن يتعلم من المتشبعين بالمعرفة الروحية ما يجب فهمه من خلال الأعمال التي بدأ الله بعملها وما يجب فهمه من خلال ما لم يبدأ في عمله. لأنه إذا استراح من كل الأعمال التي بدأ في عملها، فمن الواضح إنه لم يسترِيح من الأعمال التي لم يبدأ في عملها. ربما، عندئذٍ، كل ما يشترك في الوجود، مثل الجواهر المتنوعة للمخلوقات، هي عمل الله الذي بدأ أن يكون في الزمن، لأنه لم يكن لهم وجود يسبق وجودهم، حيث أن الكائنات المتشاركة لم تكن موجودة أبداً. الموجودات القابلة للشركة، التي فيها تتشارك الكائنات المشاركة بالنعمة، كالصلاح وكل ما يشتمل على مبادئ الصلاح، ربما، هي أعمال الله التي لم تبدأ لتكون في الزمن. باختصار، هذا يشمل كل حياة، خلود، بساطة، ديمومة وأبدية، وكل الصفات الأخرى التي تُدركها الرؤية التأملية كأشياء تتعلق بالله جوهرياً، هي أعمال الله، التي لم تبدأ مع ذلك في الزمن. لأنه لا يوجد كائن يسبق الصلاح، ولا أي شيء من الأشياء التي أدرجناها، حتى ولو كانت هذه الأشياء التي تتشارك فيهم لها هي نفسها بداية في الزمن، كل صلاح هو بلا بداية لأنه لا يوجد وقت قبله؛ الله هو أزلياً المبدع الأصلي لوجوده[1].

٤٩- الله هو فوق كل الموجودات بطريقة لا نهائية، سواء كانت مشاركة أو قابلة للشركة. لأن كل ما ينتمي إلى فئة الموجود هو عمل الله، حتى بالرغم من أن الموجودات

---

(١) المقصود هنا الصلاح - م.

المشاركة لها أصل مؤقت، بينما الموجودات القابلة للشركة قد زرعت بالنعمة بين الأشياء التي تأتى إلى الوجود في الزمن. بهذه الطريقة الموجودات القابلة للشركة هي نوع من القوة الفطرية تظهر بوضوح حضور الله في كل الأشياء.

٥٠- كل الأشياء الخالدة والخلود نفسه، وكل الأشياء الحية والحياة نفسها، وكل الأشياء المقدسة والقداسة نفسها، وكل الأشياء الصالحة والصلاح نفسه، وكل البركات والبركة نفسها، وكل موجود والوجود نفسه هم بطريقة واضحة أعمال الله. بعض الأشياء بدأت لتكون في الزمن، لأنهم لم يكونوا موجودين أبداً. وأشياء أخرى لم تبدأ في الزمن، لأن الصلاح، البركة، القداسة والخلود هي موجودة أبداً. تلك الأشياء التي بدأت في الزمن توجد وقيل إنها توجد بالمشاركة في الأشياء التي لم تبدأ في الزمن . لأن الله هو الخالق لكل حياة، خلود، قداسة وصلاح؛ وهو يتجاوز وجود كل الأشياء التي يمكن أن تُدرك بالعقل والقابلة للوصف.

٥١- اليوم السادس للخليقة، بحسب الكتاب المقدس، يمثل كمال الكائنات التي تخضع للطبيعة. اليوم السابع يُحدد حد تدفق الوجود المؤقت. اليوم الثامن يدل على نوعية الحالة التي تفوق الطبيعة والزمن.

٥٢- من يدرك اليوم السادس بحسب الناموس فقط، هارباً من سيطرة الشهوات المحزنة للنفس، ويعبر بلا خوف من خلال البحر إلى الصحراء (ق.م. خر ١٦: ١): يكون سبته مكون ببساطة من الراحة من الشهوات. ولكن عندما عبر الأردن (ق.م. يش ٣: ١٧) وترك خلفه حالة الراحة ببساطة من الشهوات، فهو يدخل إلى امتلاك الفضائل.

٥٣- من يدرك اليوم السادس بحسب الإنجيل، وقد أمات بالفعل الدوافع الأولية للخطيئة، ومن خلال تنمية الفضائل يحرز حالة التحرر من الأهواء التي هي، كالصحراء، خالية من كل شر: يكون سبته هو راحة لفكره حتى من أصغر الصور التي توحي بها الشهوات. ولكن عندما يعبر الأردن يعبر إلى أرض المعرفة الروحية، حيث يصبح الفكر، الهيكل الذي بُنيَّ سرياً بالسلام، مسكناً لله بالروح.

٥٤- من على مثال الله قد أكمل اليوم السادس بأعمال وأفكار مناسبة، وهو نفسه بمعونة الله أتى بأعماله إلى نهاية ناجحة، قد تجاوز بفهمه حالة كل شيء يخضع للطبيعة والزمن، وقد دخل إلى التأملات المستيكية التي للدهور والأشياء المتضمنة فيهم: وسبته هو تجاوز وتخلى كامل وغامض لفكره عن الأشياء المخلوقة. ولكن إذا وُجِدَ

مستحقاً لليوم الثامن فقد أُقيم من الموت - أي من كل ما هو تالي لله، سواء كان مُدركاً بالحواس أو مُدركاً بالعقل، أو يمكن التعبير عنه أو تخيله. إنه يختبر الحياة المباركة التي من الله، الذي هو الوحيد الحياة الحقيقية، وهو نفسه يصبح إله (بالنعمة) بواسطة التأله.

٥٥- اليوم السادس هو الإنجاز الكامل، بالنسبة إلى هؤلاء الذين يمارسون الحياة النسكية، والنشاطات الطبيعية التي تؤدى إلى الفضيلة. اليوم السابع هو الخاتمة والتوقف، لهؤلاء الذين يَقُودُون الحياة التأملية، لكل الأفكار الطبيعية التي للمعرفة الروحية التي لا يعبر عنها، اليوم الثامن هو نقل وتحول لهؤلاء الذين وُجدوا مستحقين الى حالة التأله. الرب، ربما أعطى تلميحاً سرياً لليومين السابع والثامن، عندما تحدث عن يوم وساعة النهاية التي تطوق الأسرار والجواهر الداخلية لكل الأشياء. وبإستثناء خالقهم، الإله المبارك نفسه، لا توجد قوة مهما كانت في السماء أو على الأرض تستطيع أن تعرف اليوم والساعة قبل مجيئهم فعلياً.

٥٦- اليوم السادس يمثل الجوهر الداخلي لوجود الأشياء المخلوقة. اليوم السابع يعبر عن نوعية الوجود الحسن[١] للأشياء المخلوقة. واليوم الثامن يُشير إلى السر الذي لا يعبر عنه للوجود الحسن الأبدي للأشياء المخلوقة.

٥٧- حيث أننا قد عرفنا أن اليوم السادس هو رمز للنشاط العملي، فدعنا نسدد أثناء هذا اليوم دين الأعمال الفاضلة الذي علينا، حتى يمكن أن يقال لنا أيضاً «ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسنٌ جداً» (تك ١: ٣١).

٥٨- من يبذل نفسه جسدياً من أجل أن يُزين النفس بفضائل متنوعة يدفع لله دين العمل الحسن المطلوب منه.

٥٩- من أكمل اليوم السادس، يوم الاستعداد، في أعمال الصلاح قد عبر إلى نياح التأمل الروحي. وفى أثناء هذا التأمل يُدرك فكره الجواهر الداخلية للكائنات المخلوقة بطريقة مقدسة، متوقفاً عن كل حركة.

٦٠- من يشارك في راحة الرب في اليوم السابع من أجلنا، أيضاً يأخذ نصيبه من أجلنا في قوة الله المُقدِسَة في اليوم الثامن، التي هي في القيامة السرية، ويترك لفائف الكتان

---

(١) أى فى حالة من الصحة الروحية والخير - م.

والمنديل الذي كان ملفوفا حول رأسه ملقاة في القبر (ق.م. يو ٢٠: ٧- ٦). هؤلاء الذين يدركون ذلك، مثل بطرس ويوحنا، اقتنعوا بأن الرب قد قام.

٦١- قبر الرب يعنى بشكل متساوي إما هذا العالم أو قلب كل مسيحي مؤمن. اللفائف الكتانية هي الجواهر الداخلية التي للأشياء المدركة بالحواس، مع صفاتها التي للصلاح. المنديل هو المعرفة البسيطة والمتجانسة التي للحقائق المدركة بالعقل، مع رؤية الله، على قدر ما يُمنح. من خلال هذه الأشياء تم إدراك (الله) الكلمة مبدئيا، لأن بدونهم فإن أي فهم أعمق عما سيكون عليه بالإجمال هو فوق طاقتنا.

٦٢- هؤلاء الذين دفنوا الرب بإكرام سوف يرونه أيضاً قائماً بمجد، ولكن لا يراه أحد آخر. لأنه لم يعد يُدرك من أعدائه كما إنه لم يعد يرتدى تلك الأغطية[١] الخارجية التي بدا من خلالها أنه ترك نفسه كي يُقبض عليه من هؤلاء الذين كانوا يبحثون عنه، والتي تحمل فيها المعاناة من أجل خلاص الجميع.

٦٣- من يدفن الرب بإكرام يُوَقره كل من يحب الله، لأنه لم يسمح لجسد الرب، الذي سمر في الصليب، لأن يترك معرضا لتجديف الغير مؤمنين، ولكن بطريقة ملائمة منع عنه السخرية والإهانة. وهؤلاء الذين ختموا القبر ووضعوا جنودا للحراسة (ق.م. مت ٢٧: ٦٦) هم مكروهين بسبب تآمرهم. عندما قام (الله) الكلمة، أفتروا عليه، قائلين أن جسده قد سُرق خلسة. وبنفس الطريقة، كما رشوا بالفضة التلميذ المزيف لكي يخون الرب - أعنى بالتلميذ المزيف الإدعاء بالقداسة من أجل الظهور- كذلك رشوا الحراس كي يصنعوا اتهام كاذب ضد المخلص القائم. من يمتلك معرفة روحية يعرف روعة ما قد قيل، لأنه ليس جاهلاً كيف يصلب المسيح بطرق عديدة، ويدفن ويقوم ثانية. مثل هذه الشخص يجعل، إذا جاز التعبير، جثث الأفكار التي دُست في قلبه بواسطة الشياطين، والتي تقترح من خلال التجارب بتمزيق صفات الجمال الأخلاقي إلى إرب كما ولو كانت ثياباً (ق.م. مت ٢٧: ٣٥)؛ وهو يكسر كالأختام الانطباعات التي انطبعت بعمق في نفسه بواسطة الخطايا التي ينشغل بها الذهن.

٦٤- متى وجد محب الغنى الذي يدعى الفضيلة بالاستعراض الخارجي للتقوى إنه قد حصل على الممتلكات المادية التي يرغب فيها، فهو يجحد طريق الحياة الذي جعل الناس تعتقد بأنه كان تلميذا (لله) الكلمة.

---

(١) المقصود بالأغطية هنا هو كل ما حجب لاهوت المسيح عن الناس وعن صالبية- م.

٦٥- عندما ترى أناس متعجرفين غير قادرين على تحمل المدح لكونه أعطى لآخرين أفضل منهم، ويخترعون ما لا يعد من التلميحات والافتراءات العارية عن الصحة لكي يطمسوا الحق بإنكاره، يجب أن تفهم أن الرب صلب ثانية بواسطة هؤلاء الناس ودفن وتم حراسته بالجنود والأختام. ولكن (الله) الكلمة يقوم مرة أخرى ويشتتهم. وكلما يتم مهاجمة (الله) الكلمة، كلما يكشف نفسه بوضوح، مثلما ظهرت قوته من خلال معاناته. (الله) الكلمة أقوى من كل الآخرين: لا يسمى فقط الحق ولكنه هو الحق نفسه.

٦٦- سر تجسد (الله) الكلمة هو المفتاح إلى كل الرمزية الغامضة وعلم دراسة الرموز في الكتاب المقدس، وبالإضافة إلى إنه يعطينا معرفة عن الأشياء المخلوقة، التي تُرى والتي تُدرك بالعقل. من يفهم سر الصليب والدفن يفهم الجواهر الداخلية للأشياء المخلوقة؛ بينما من هو مبتدئ في القوة التي لا توصف التي للقيامة يفهم الهدف الذي لأجله أسس الله أولاً كل شيء.

٦٧- كل الحقائق المرئية تحتاج للصليب، الذي هو، الحالة التي يُقطعون فيها من الأشياء التي تعمل بموجبها من خلال الحواس. كل الحقائق العقلية تحتاج للدفن، الذي هو، السكون الكلى للأشياء التي تعمل بموجبها (تلك الحقائق) من خلال الفكر. عندما تُقطع كل العلاقات مع مثل هذه الأشياء، وعندما ينقطع نشاطهم الطبيعي ودافعهم، حينئذٍ فإن (الله) الكلمة، الذي يوجد وحده في نفسه، يظهر كالقائم من الأموات. إنه يشمل كل ما يأتي منه، ولكن لا شيء يتمتع بالانتساب إليه بفضيلة القرابة الطبيعية[١]، لأن خلاص المُخَلصين بالنعمة وليس بالطبيعة (ق.م. أف ٢: ٥).

٦٨- العصور، الأزمنة والأماكن تنتمي إلى فئة القرابة، وبالتالي لا يوجد شيء يشترك بالضرورة مع هذه الأشياء يمكن أن يكون شيء آخر سوى قريب. ولكن الله يتجاوز فئة القرابة؛ لأنه لا يوجد شيء آخر مهما كان يشترك بالضرورة معه. بناء عليه فإن ميراث القديسين هو الله نفسه، فمن وُجد مستحقاً لهذه النعمة سوف يكون فوق كل عصور، وأزمنة وأماكن: سوف يكون له الله نفسه كمكان له، وبالمقارنة مع النص «كن لي يا الله المدافع والمكان الحصين الذي لخلاصي» (مز ٧١: ٣ س).

---

(١) المقصود بالقرابة الطبيعية هم اليهود الذين هم خاصة الله الكلمة وأهله بالطبيعة- م.

٦٩- التأملات لا تحمل أي تشابه مهما كان مع الحالة المتوسطة، وإلا لن تكون نهاية. الحالة المتوسطة تتكون من كل شيء يأتي بعد البداية ولكن يقصر عن بلوغ النهاية. ولكن إذا كانت كل العصور، والأزمنة والأماكن، مع كل ما يتشارك بالضرورة معهم، تأتى بعد الله- حيث إنه البداية التي لا بداية لها - وأيضا أبعد ما تكون عن أن تبلغ إلى الله- حيث أنه النهاية التي لا نهاية لها- فمن الواضح عندئذٍ إنهم ينتمون إلى الحالة المتوسطة. نهاية هؤلاء الذين خلصوا هي الله؛ في النهاية العظمى لا يوجد أي أثر للحالة المتوسطة يمكن ملاحظته في هؤلاء الذين قد خلصوا.

٧٠- العالم بأكمله، كما هو محدود بواسطة بمبادئه الداخلية، يسمى بكل من المكان والعصر لهؤلاء الذين يسكنون فيه، هناك أشكال من التأمل فيه بطريقة طبيعية القادرة على أن تولد في الأشياء المخلوقة فهم جزئي لحكمة الله التي تحكم كل الأشياء. طالما إنهم يستعملون هذه الأشكال لكي يكتسبوا فهماً، فلن يستطيعوا أن يأخذوا أكثر من فهما متوسطاً وجزئياً. ولكن عندما يظهر ما هو كامل، فإن ما هو جزئي يبطل: كل المرايا والصور الغير واضحة تموت عندما تتواجه مع الحق وجهاً لوجه (ق.م. ١كو ١٣: ١٠- ١٢). عندما يكون من خَلُصَ كاملاً في الله، سوف يتجاوز كل العوالم، والعصور والأماكن التي قد تدرب فيها حتى الآن كطفل.

٧١- بيلاطس يمثل الناموس الطبيعي؛ جموع اليهود تمثل الناموس المكتوب. من لا يرتفع من خلال الإيمان فوق الناموسين لا يمكن بالتالي أن يأخذ الحق الذي يفوق الطبيعة والتعبير، بل بالعكس، فهو يصلب (الله) الكلمة بطريقة ثابتة، لأنه يرى الإنجيل إما، كاليهودي، كحجر عثرة أو، كاليوناني، كجهالة (ق.م. ١كو١: ٢٣).

٧٢- عندما ترى هيرودس وبيلاطس يصنعان صداقة مع بعضهم البعض لكي يدمروا يسوع (ق.م. لو ٢٣: ١٢)، يمكن أن تميز في هذا تطابقاً بين شيطانين النجاسة والبر الذاتي، من يوحدهما معاً كي يقتل (الله) الكلمة (إله) الفضيلة والمعرفة الروحية. لأن شيطان البر الذاتي، صانعاً إدعاءاً بالمعرفة الروحية، يرجع لشيطان النجاسة، وشيطان النجاسة، واضعاً عرضاً زائفاً للنقاوة، يرجع ثانية إلى شيطان البر الذاتي. لهذا قيل «فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً ورده إلى بيلاطس» (لو ٢٣: ١١).

٧٣- الفكر لا يجب أن يخضع للجسد أو يتعلق بالشهوات، لأنه قد قيل«لا يجمع الناس من الشوك تيناً»، أي، لا يجمعون الفضائل من الشهوات، «ولا من العُلّيق عنباً» (ق.م. مت ٧: ١٦)، أي، لا يجنون من الجسد تلك المعرفة الروحية التي تفرح القلب.

٧٤- الناسك المجرب بالقبول الصبور للتجارب والإغراءات، والذي تنقى بالتدريبات الجسدية، وتكمل بالانتباه إلى الأشكال العليا للتأمل، يأخذ بركات النعمة الإلهية. «لأن الرب» يقول موسى «يأتي من سيناء، أي، من التجارب» وظهر لنا من سعير «أي، المشقات الجسدية، وأسرع ونزل من جبل فاران مع ربوات من قادش» (تث ٣٣: ٢ س)، أي من جبل الإيمان بمعرفة مقدسة هائلة.

٧٥- هيرودس يمثل مشيئة الجسد؛ وبيلاطس الحواس؛ وقيصر؛ الأشياء المحسوسة؛ واليهود أفكار النفس. عندما تشترك النفس من خلال الجهل مع الأشياء المحسوسة، فهي تُسَلِم (الله) الكلمة لأيدي الحواس لقتله وتدعى في نفسها مَلَكيّة الأشياء الفانية. لأن اليهود قالوا «ليس لنا ملك إلا قيصر» (يو ١٩: ١٥).

٧٦- هيرودس يمثل أيضاً نشاط الشهوات؛ وبيلاطس، السلطة التي ضُللت بواسطتهم؛ وقيصر، حاكم عالم الظلمة؛ واليهود، النفس. عندما تخضع النفس للشهوات وتسلم الفضيلة ليد سلطة شريرة، فمن الواضح إنها تنكر ملكوت الله وتعرض نفسها لدمار استبداد إبليس.

٧٧- إخضاع الشهوات ليس كافياً لتأمين السعادة الروحية للنفس إلا إذا اقتنت النفس أيضاً الفضائل بحفظ الوصايا، يقول الكتاب المقدس «لا تفرحوا بهذا الأرواح تخضع لكم» أي، فعاليات الشهوات، ولكن «لأن أسماءكم كتبت في السموات» (لو ١٠: ٢٠)، منقولين إلى موضع اللا هوى بنعمة البنوة المكتسبة من خلال الفضائل.

٧٨- من يمتلك المعرفة الروحية يجب أيضاً أن يملك باستمرار الغنى المذخر في الفضيلة المكتسبة من خلال تصرفاته. الكتاب المقدس يقول «من له كيس» أي، المعرفة الروحية «فليأخذه، ومذود كذلك»، أي، المخزن الذي يُغذى نفسه بحرية بالفضيلة منه. من ليس له كيس ومزود، أي، المعرفة والفضيلة، «فليبع ثوبه ويشترى سيفاً» (لو ٢٢: ٣٦). يقصد الكتاب المقدس بهذا: فليقدم جسده طواعية للأتعاب في سعيه للفضيلة، ومن أجل سلام الله دعه يشن بحكمة حرباً على الشهوات والشياطين، أي، ليقتنى مهارة التمييز بكلمة الله بين الأدنى والأعلى.

٧٩- لقد ظهر الرب عندما كان في سن الثلاثين، وبهذا الرقم يُعلم بطريقة سرية هؤلاء الذين لهم فطنة أسراراً تتعلق به. لأنه بفهم مِستيكي للرقم ثلاثين، فهو يظهر الرب كخالق حاكم وراعى للزمن وللطبيعة وللحقائق العقلية التي تقع فوق نطاق الطبيعة المرئية. الرقم سبعة يشير إلى إنه خالق الزمن، لأن الزمن له شكل سباعي، والرقم خمسة يشير إلى إنه خالق الطبيعة، لأن الطبيعة لها شكل خماسي بسبب التقسيم الخماسي للحواس. والرقم ثمانية[1] يشير إلى أنه خالق الحقائق العقلية، لأن الحقائق العقلية تأتى إلى الوجود خارج الدائرة التي تقاس بالزمن. والرقم عشرة يشير إلى إنه الحاكم الراعي، لأن الوصايا العشرة هي التي تقود الناس تجاه الكمال، وأيضا الحرف الذي يرمز إلى رقم عشرة (حرف اليوتا في اللغة اليونانية) هو أو حرف في الاسم الذي أخذه الرب عندما تأنس. بجمع خمسة وسبعة وثمانية وعشرة تحصل على رقم ثلاثين. وهكذا، فمن يعرف حقاً كيف يتبع الرب كمعلم سوف يفهم لماذا، متى بلغ سن الثلاثين، يجب أيضاً أن يكون مفوضاً لأن يُعلن بشارة الملكوت. لأنه عندما أبدع بطريقة لا تشوبها شائبة عالم الفضيلة كما ولو أنه عالم منظور، من خلال ممارسته للنسك، غير سامحاً لنفسه لأن تنحرف عن مسارها بواسطة القوات المعادية أثناء مروره من خلال الزمن؛ وعندما يجمع المعرفة الروحية بطريقة صائبة من خلال التأمل، وبنعمة إلهية قادر على أن يُحدث نفس الحالة في الآخرين، حينئذ هو نفسه، مهما كان سنه الحقيقي، سيكون في الثلاثين من عمره بالروح ويُظهر للآخرين قوة البركات التي يملكها هو نفسه.

٨٠- من يخضع لملذات الجسد هو غير مجتهد في الفضيلة ولا يتقبل بسهولة المعرفة الروحية. لهذا السبب لا يوجد أحد - أي، لا يوجد فكر عاقل - يضعه في البِركة عندما يتحرك الماء (ق.م. يو ٥: ٧)، أي، في حالة الفضيلة قادراً على تلقى المعرفة الروحية وشفاء كل مرض. بل بالعكس، بالرغم من مرضه، فإنه يؤجل بسبب الكسل ويُسبق من شخص آخر، الذي يمنعه من أن يشفى. وهكذا يرقد هناك بمرضه حتى يظهر فيه مجد الله، ولا يرفع رؤيته الداخلية بوقار إلى العالم العقلي، ومن المنطقي تماماً أن يبقى مريضاً لعدد السنين التي ذُكرت. لأن الرقم ثلاثين، بفهمه بمرجعية الطبيعة، يشير إلى العالم المحسوس، بينما بفهمه بمرجعية الحياة النسكية فهو يشير إلى

(١) رقم ثمانية يأتى بعد رقم سبعة الذى يرمز الى الزمن وبالتالى هو خارج دائرة الزمن- م.

ممارسة الفضائل. الرقم ثمانية، بفهم مِستيكي، يدل على الطبيعة العقلية التي للكائنات الغير مادية، بينما بفهمه بحسب المعرفة الروحية فهو يدل على الحكمة الفائقة التي لعلم اللاهوت. من لا يتقدم تجاه الله بهذه الوسائط يبقى مفلوجاً حتى يأتي له (الله) الكلمة ليُعلمه كيف يستطيع أن يحصل على شفاء فوري، قائلاً له «قم احمل سريرك وامش» (يو ٥: ٨)؛ بمعنى آخر، (الله) الكلمة أمره أن، يحمل على منكبه جسم الفضائل ويذهب إلى البيت، الذي هو السماء. من الأفضل أن العالي يرفع المنخفض إلى الفضيلة على أكتاف التداريب النسكية من أن المنخفض يسحب العالي من خلال الحياة المترفة إلى أسفل إلى انغماس النفس في الملذات.

٨١- حتى تتجاوز عقولنا وجودنا الذاتي وكل الأشياء التي تأتي بعد الله، فإننا لم نقتنى بعد الحالة الدائمة للقداسة. عندما تتأسس هذه الحالة النبيلة فينا، بواسطة الحب، فيجب علينا أن نعرف قوة الوعد الإلهي. لأننا يجب أن نؤمن أنه حيثما، أخذ الفكر القيادة، وأسس قوته بواسطة الحب، فهناك سيجد القديسون مقراً ثابتاً. من لم يتجاوز نفسه وكل ما هو خاضع للتفكير، ولم يأتي إلى ثبات في الصمت الذي هو فوق التفكير، لا يمكن أن يتحرر بالكامل من التغير.

٨٢- كل تفكير له عدة أوجه أو على الأقل وجهان. لأنه علاقة متوسطة بين طرفين - الكائن المفكر والكائن المُدرك بالعقل - ويصل بين الاثنين. ومن ثم لا هذا الطرف ولا ذاك يمكن أن يمتلك بساطة مطلقة. الكائن المفكر هو موضوع[1] وكذلك القدرة على الفهم لشيئاً ما يُدرك بالعقل بالضرورة مرتبطة به ذهنيا. والكائن المُدرَك بالعقل بالضرورة إما هو شيء أو يوجد في شيء: كشيء يمتلك القدرة الطبيعية لأن يُفهم بواسطة الكائن المفكر؛ وكموجود في شيء يستلزم كائناً يوجد فيه بطريقة كامنة. لأنه لا يوجد مخلوق بمثل هذه الطريقة هو في ذاته وجوداً بسيطاً أو تفكيراً بسيطاً، كي يُكوِّنْ وحدة لا تتجزأ. وهكذا، إذا دعونا الله كائناً، حينئذٍ القدرة على الفهم بواسطة عملية التفكير ليست متأصلة في طبيعته، لأنها لو كانت لأصبح مُركباً. أو إذا دعوناه فكراً، حينئذٍ لن يملك جوهراً وقدرة طبيعة على كونه موضوع فكرى، ولكنه هو نفسه تفكيراً في جوهرهُ ذاته؛ الله كله تفكير وتفكير فقط. ولكن بالنسبة للتفكير هو أيضاً

(١) أى هو أيضاً موضوع للتفكير- م.

كائن: الله كله كائن وكائن فقط. ولازال الله فوق الكائن وفوق الفكر، لأنه وحدةٌ لا تتجزّأ، بسيط وبدون أجزاء. هكذا فأي أحد، وبأي درجة، لا يزال يُفهم بواسطة الفكر لم يتجاوز بعد الثنائية، ولكن من تقدم إلى ما فوق الفكر بالكامل، وهجره لأنه تجاوزه، قد أتى للسكن بدرجة ما في الوحدة[1].

٨٣- في كثرة الكائنات يوجد تنوع، عدم تماثل، وتمايز. ولكن في الله، الذي هو بمعنى مطلق واحد ووحيد، هناك أيضاً هوية ذاتية، بساطة، تماثل. وبالرغم من ذلك فليس آمناً أن يكرس المرء نفسه للتأمل في الله قبل أن يتقدم إلى ما فوق التعددية التي للكائنات. موسى أظهر هذا عندما نصب خيمة عقله خارج المحلة (ق.م. خر ٣٣: ٧) وعندئذٍ تكلم مع الله. لأنه من الخطر محاولة النطق بما لا يعبر عنه بواسطة الكلمة المنطوقة، لأن الكلمة المنطوقة مشوشة بالازدواجية أو أكثر من الازدواجية. الطريق الأكثر تأكيداً للتأمل في الوجود النقي بطريقة صامته هي في النفس فقط، لأن الوجود النقي تأسس في وحدة لا تنفصم وليس بين تعددية الأشياء. رئيس الكهنة، الذي تم أمره بالدخول إلى قدس الأقداس وراء الحجاب مرة في السنة (ق.م. لا ١٦؛ عب ٩: ٧)، يظهر لنا أن: من مر من خلال ما هو غير مادي ومقدس ودخل إلى قدس الأقداس - أي، الذي تجاوز العالم الطبيعي الذي للأشياء المحسوسة والحقائق المعقولة بكامله، الحر من كل ما هو مصنف تحت المخلوقات التي عقلها غير مغطى وعاري- هو فقط القادر على إحراز رؤية الله.

٨٤- عندما نصب موسى خيمته خارج المحلة (ق.م. خر٣٣: ٧) - أي، عندما أسس مشيئته وعقله خارج عالم الأشياء المرئية - بدأ يعبد الله. عندئذٍ، بدخوله إلى الظلام (ق.م. خر ٢٠: ٢١) - أي إلى مملكة اللا شكل واللا مادية التي للمعرفة الروحية- واحتفل هناك بالطقس الأكثر قداسة.

٨٥- الظلام هو اللا شكل، اللا مادية، والحالة اللا جسدية التي تطوق معرفة النماذج الأولية لكل الأشياء المادية، من هو مثل موسى آخر يدخل فيه، وبالرغم من إنه فاني بالطبيعة، فهو يفهم الأشياء الغير فانية. ومن خلال هذه المعرفة يصور في نفسه جمال التميز الإلهي، كما ولو كان يرسم صورة التي هي نسخة طبق الأصل من جمال النموذج الأصلي. حينئذٍ، ينزل من الجبل ويقدم نفسه كمثال لهؤلاء الذين يتمنون تقليد هذا التميز. بهذه الطريقة يُظهر الحب والمروءة التي للنعمة التي أخذها.

---

(١) المقصود بالوحده (unity) هنا الإتحاد - م.

٨٦- هؤلاء الذين ينكبون بجدية بقلب نقي على الفلسفة الإلهية يستمدون أعظم مكسب من المعرفة التي تحتويها. لأن مشيئتهم وهدفهم لا يعودان يتغيران بحسب الظروف، ولكنهم يتعهدون عن طيب خاطر وبتأكيد قوى كل ما يتوافق مع مقاييس القداسة.

٨٧- بمعموديتنا في المسيح بالروح القدس، نأخذ أول ما لا يفسد بحسب الجسد، محتفظين بعدم الفساد هذا خالياً من البقع بإعطاء أنفسنا للأعمال الصالحة وبالموت عن مشيئتنا الخاصة، وننتظر عدم الفساد النهائي الممنوح من في المسيح بالروح القدس. لا أحد يمتلك عدم الفساد النهائي هذا يخاف فقدان البركات التي حصل عليها.

٨٨- عندما عزم الله في رحمته على إرسال نعمة قوته الإلهية من السماء لنا على الأرض، أسس خيمة الاجتماع المقدسة بكل محتوياتها كصورة رمزية، ومثال، وتقليد للحكمة.

٨٩- نعمة العهد الجديد مخفية مستيكيا في حرف القديم. هذا الذي لأجله يقول القديس بولس «الناموس روحي» (رو ٧: ١٤). وهكذا فحرف الناموس، بطل، وأصبح عتيقاً، ويتحلل (ق.م. عب ٨: ١٣)، بينما روحه، تتجدد على الدوام، وتبقى شابة. لأن النعمة منيعة تماما ضد التحلل.

٩٠- الناموس هو ظل الإنجيل. والإنجيل هو صورة البركات المُذخرة. الناموس يكبح تحقيق الشر، والإنجيل يأتي بتحقيق البركات الإلهية.

٩١- كل الكتاب المقدس يمكن أن يُقسم إلى جسد وروح كما لو جاز التعبير إنساناً روحياً. لأن الإدراك الحرفي للكتاب المقدس هو جسد والمعنى الداخلي هو نفس أو روح. ومن الواضح أن الحكيم يترك ما هو قابل للفساد ويوُحد كل كيانه مع ما هو غير قابل للفساد.

٩٢- الناموس هو جسد الإنسان الروحي الذي يقابل هنا الكتاب المقدس؛ الأنبياء يقابلون الحواس؛ الإنجيل هو النفس العاقلة التي تعمل من خلال جسد الناموس وحواس الأنبياء، كاشفة عن قوتها من خلال أعمالها.

٩٣- الناموس هو ظل والأنبياء هم صورة البركات الإلهية والروحية التي في الإنجيل. الحق نفسه، تم الإنذار به في الناموس وتم تصوره في الأنبياء، وكشف عنه في الإنجيل كما هو حاضر لنا من خلال الأحداث الفعلية.

٩٤- من يتمم الناموس في حياته الخاصة والعامة يمتنع فقط عن ارتكاب الخطيئة، مضحياً لله بالتتميم الخارجي للشهوات الحمقاء. وهو يرضى بهذه الطريقة في البحث عن الخلاص بسبب عدم نضجه الروحي.

٩٥- من قد تمرن بواسطة كلمة الأنبياء لا يُحجم فقط عن التتميم الخارجي للشهوات ولكن أيضاً يهجر كل ميل إليها في نفسه. إنه ليس راضياً ببساطة عن ظهوره كممتنع عن الخطيئة في الجزء الأدنى فيه، الجسد، بينما يطلق العنان سراً للجزء الأعلى، النفس.

٩٦- من اعتنق حقاً حياة الإنجيل قد جعل نفسه محصناً ضد كل من الحض على أو القيام بالشر، ويسعى وراء كل فضيلة بالفعل والفكر. إنه يقدم ذبيحة الحمد والشكر (ق.م. مز ١١٦: ١٧)، لأنه قد طلق حراً من كل اضطراب ينتج من الشهوات وتم تحريره من الحرب العقلية معهم؛ ويغذى نفسه بالرجاء في البركات المذخرة، فرحه الوحيد الذي لا يفتر.

٩٧- يظهر الله بوضوح لدارسي الكتاب المقدس الأكثر جدية، وكأنه يأخذ شكلان، الأول عام وأكثر شعبية، ويمكن إدراكه من الكثيرين. النص «رأيناه ولم يكن له صورة ولا جمال» (أش ٥٣: ٢ س) يشير لهذا الشكل. الثاني هو أكثر احتجابا، ويمكن إدراكه فقط من قلة، أي، من هؤلاء الذين أصبحوا فعلاً مثل الرسل القديسون بطرس ويوحنا، الذين تجلى أمامهم الرب بمجد يُربك الحواس (ق.م. مت ١٧: ٢). النص «أنت أبرع جمالاً من بني البشر» (مز ٤٥: ٢) يشير إلى هذا الشكل. الأول في هذين الشكلين يتوافق مع المبتدئين؛ والثاني يتوافق مع هؤلاء الذين تكملوا في المعرفة الروحية، على قدر ما يمكن أن يكون مثل هذا الكمال. الأول هو على صورة المجيء الأول للرب، الذي يشير إليه المعنى الحرفي للإنجيل، والذي بواسطة المعاناة ينقى هؤلاء الذين يمارسون الفضيلة. الثاني يصور المجيء الثاني، الذي يُفهم فيه روح الإنجيل، والذي يغير ويقدس بواسطة الحكمة هؤلاء المتشبعين بالمعرفة الروحية؛ بسبب التغيير الذي (لله) الكلمة فيهم فإنهم ينظرون «مجد الرب بوجه مكشوف» (٢كو ٣: ١٨).

٩٨- من يتحمل المعاناة من أجل الفضيلة، دون أن يهتز عزمه، هو ملهم بالمجيء الأول (لله) الكلمة، الذي يطهره من كل نجاسة. ومن رفع فكره من خلال التأمل إلى الحالة الملائكية يملك قوة المجيء الثاني، الذي ينتج فيه اللا هوى وعدم القابلية للفساد.

٩٩- الإدراك الحسي يتعلق بالناسك الذي يجاهد لكي يحرز الفضيلة من خلال تحمل المشقات. من تحرر من الإدراك الحسي إلى الإدراك التأملي هو من سحب فكره بعيداً عن الجسد والعالم وركز في الله. الأول في جهاده النسكي لحل الرابطة الطبيعية التي تربط بين النفس بالجسد، يخضع مشيئته باستمرار للمشقات التي يكابدها، الثاني، الذي قد كسر هذه الرابطة من خلال التأمل، لا يمكن أن يتراجع بواسطة أي شيء على الإطلاق: إنه قد حرر نفسه بالفعل من سيطرة هؤلاء الذين يحاولون أن يُخضعوه.

١٠٠- المن الذي أُعطيَّ لإسرائيل في الصحراء (ق.م. خر ١٦: ١٤-٣٥) هو اللوغوس الذي من الله. الذين يأكلونه يجدون أنه يُمدّهم بكل فرح روحي. إنه مؤلف بطريقة تناسب مختلف أذواق الذين يرغبون في أكله، لأنه له صفات كل أنواع الطعام الروحي. وهكذا يأتي لهؤلاء الذين قد وُلِدوا بالروح من الأعالي بواسطة البذار التي لا تفسد (ق.م. يو ٣: ٣- ٥) كاللبن الروحي النقي (ق.م. ١بط ٢: ٢)؛ وللضعيف يأتي كخضار (ق.م. رو ١٤: ٢) مغذياً للجانب السريع التأثر من النفس؛ ولهؤلاء الذين قد تدربت فيهم أعضاء الإدراك التي للنفس بالتدريب الطويل على التمييز بين الخير والشر فهو يُقدم كطعام قوى[1] (ق.م. عب ٥: ١٤). اللوغوس الذي من الله له قوى أخرى لا نهاية لها التي لا يمكن أن يسعها هذا العالم. وإذا كان إنسان عند موته مستحقاً لأن يكون مسئولاً عن أشياء كثيرة لأنه كان أميناً في هذا العالم في الأشياء القليلة (ق.م. مت ٢٥: ٢١)، فهو أيضاً سوف يأخذ كل أو بعض هذه القوة التي لـ اللوغوس. لأن العطية الأكثر عظمة في العطايا الإلهية التي للنعمة التي تُمنح في هذا العالم هي ضئيلة وأقل ما تكون بالمقارنة بتلك المذخرة لنا.

---

(١) أى طعام البالغين- م.

المئوية الثانية

Second Century

١- الله واحد لأنه لا يوجد سوى لاهوت واحد: لا بداية له، بسيط، يسمو على الوجود، بدون أجزاء، غير قابل للتقسيم. اللاهوت هو وحدةٌ وثالوث معا - واحد كامل وثالوث كامل. إنه واحد كامل فيما يتعلق بجوهره، وثالوث كامل فيما يتعلق بالأقانيم. لأن اللاهوت هو الآب والابن والروح القدس، وفى الآب والابن والروح القدس، كل اللاهوت في كل الآب وكل الآب في كل اللاهوت. كل اللاهوت هو في كل الابن وكل الابن في كل اللاهوت. كل اللاهوت في كل الروح القدس وكل الروح القدس في كل اللاهوت. كل اللاهوت هو الآب وفى كل الآب معاً، كل الآب في كل اللاهوت وكل اللاهوت هو في كل الآب، كل الابن هو في كل اللاهوت وكل اللاهوت هو في كل الابن، وكل الابن هو كل من كل اللاهوت وفى كل اللاهوت؛ كل اللاهوت هو في كل الروح القدس وكل الروح القدس هو كل من كل اللاهوت وفى كل اللاهوت. لأن اللاهوت غير موجود جزئياً في الآب، ولا الآب جزء من الله. اللاهوت غير موجود جزئياً في الابن ولا الابن جزء من الله. اللاهوت غير موجود جزئياً في الروح القدس ولا الروح القدس جزء من الله. لأن اللاهوت لا يتجزأ، ولا الآب أو الابن أو الروح القدس إله غير كامل. بل بالعكس فإن كل وكامل اللاهوت هو بالكامل في كل الآب وكل وكامل اللاهوت هو بالكامل في كل الابن وكل وكامل اللاهوت هو بالكامل في كل الروح القدس. لأن كل الآب هو بالكامل في كل الابن والروح القدس؛ وكل الابن هو بالكامل في كل الآب والروح القدس؛ وكل الروح القدس هو بالكامل في كل الآب والابن. لذلك الآب والابن والروح القدس إله واحد. جوهر وقوة وقدرة الآب، والابن والروح القدس واحد، لأنه لا يمكن لأي من الأقانيم أن يوجد أو يُدرك دون الآخرين.

٢- كل تفكير يشمل كل من: فكراً يُفهم ووجوداً يُدرك بالعقل يتم فهمه. ولكن الله ليس فكرا يَفهم ولا وجوداً يُدرك بالعقل: إنه يتجاوز كليهما. لأنه لو كان فكرا يَفهم فسوف يُحد باحتياجه لعلاقة مع وجود يُدرك بالعقل؛ ولو كان وجوداً يُدرك بالعقل سوف يكون محدوداً لأنه من الطبيعي أن يكون خاضعاً لفكر يفهم قادر على إدراكه. بالتالي فإن الله لا يُدرك كفكر أو كوجود يمكن إدراكه بالعقل، وأنه يفوق الفكر والإمكانية على الإدراك بالعقل. التفكير وإمكانية الإدراك بالعقل تخص بالطبيعة كل ما هو تالٍ لله.

٣- كل تفكير ملازم كصفة للوجود الذي يَفهم؛ ونشاطه مُوَجّه إلى وجود مُنح صفات. لأنه لا يوجد تفكير يمكن أن يُوَجّه إلى وجود مستقل بطريقة مطلقة، بسيط وذاتي الوجود، حيث أن التفكير نفسه ليس مستقلاً ولا بسيطاً. ولكن الله في كلا الجانبين بسيط بشكل مطلق: على قدر ما هو موجود، فهو مستقل عن أي موضوع يُدرَك؛ وعلى قدر ما هو تفكير، فهو مستقل عن أي موضوع قابل للإدراك. هكذا الله ليس موضوعا قابلاً للإدراك بالعقل، ولا موضوعاً فكرياً، لأنه من الواضح أنه يتجاوز كل من الوجود والتفكير.

٤- مركز الدائرة يُعتبر هو المصدر الذي لا يتجزأ للأشعة التي تمتد منه؛ بالمثل، بواسطة فعل بسيط وغير منقسم للمعرفة الروحية، فإن الشخص الذي وُجِدَ مستحقاً للسكنى في الله سوف يفهم الوجود المسبق للجواهر الداخلية للأشياء المخلوقة في الله[1].

٥- عندما يُعطىَ تفكيراً شكلاً من خلال فهمه لأشياء تدرك بالعقل، فإنه يتوقف عن أن يكون وحيد ويصبح تفكيرات كثيرة؛ لأنه يوسم بشكل كل شيء مدرك بالعقل يفهمه. لكن حيث إنه يتجاوز تعددية الأشياء المحسوسة والمعقولة التي تعطيه بهذه الطريقة أشكالاً متنوعة، فهو يصبح خالياً بالكامل من الشكل. الآن يُوَجِد اللوغوس، الذي هو فوق التفكير، نفسه معه ويجعله له، معطياً إياه راحة من هذه الأشياء التي بالطبيعة تغيره وتشكله بالأشكال العقلية الكثيرة التي تُفرض عليه. من يختبر هذا قد ارتاح من أعماله، مثلما فعل الله من التي له (ق.م. تك ٢: ٢؛ عب ٤: ١٠).

٦- من يصل إلى مثل هذا الكمال على القدر الذي يمكن أن يُحرز بواسطة الناس في هذا العالم يقدم لله ثمار المحبة، الفرح، السلام وطول الأناة (ق.م. غل ٥: ٢٢)، وسوف يقدم في الدهر الآتي تلك التي من عدم الفساد، والخلود وتقدمات مشابهة. الصفات الأولى يمكن أن توجد في الإنسان الكامل في ممارسة الفضائل؛ والثانية في الإنسان الذي من خلال المعرفة الروحية الحقيقية قد عبر إلى ما وراء العالم الذي للأشياء المخلوقة.

٧- كما أن نتيجة عدم الطاعة هي الخطيئة، كذلك نتيجة الطاعة هي الفضيلة. وكما أن عدم الطاعة يقود إلى كسر الوصايا والانفصال عن من أعطاهم، كذلك الطاعة تؤدى إلى

---

(١) أى وجودها فى سابق علم الله قبل أن توجد – م.

حفظ الوصايا والإتحاد مع من أعطاهم. هكذا من قد حفظ الوصايا من خلال الطاعة قد حقق الصلاح وعلاوة على ذلك، لم يقطع نفسه من الإتحاد بالحب مع من أعطاهم؛ والعكس صحيح على حد سواء.

٨- إذا شفيت من الانفصال الذي سببه السقوط، فأنت قد انقطعت أولاً عن الشهوات وحينئذٍ عن الأفكار الملتهبة، وثانياً أنت قد انقطعت عن الطبيعة والمبادئ الداخلية التي للطبيعة، وأخيراً، عندما مررت من خلال المبادئ المتنوعة المتعلقة بالعناية الإلهية، فأنت قد أحرزت دون أن تدرى مبدأ الوحدة الإلهية ذاته. حينئذٍ فإن الفكر يتأمل فقط في ثباته، ويفرح فرحاً لا ينطق به لأنه أخذ سلام الله الذي يفوق كل فكر والذي يحفظ باستمرار من قد مُنح إياه من السقوط (ق.م. في ٤: ٧).

٩- الخوف من الجحيم يجعل المبتدئين يجتنبون الشر. الرغبة في المكافأة بالبركات الإلهية تنعم على هؤلاء المتقدمين باستعداد لممارسة الفضائل. ولكن سر الحب يتجاوز كل الأشياء المخلوقة ويجعل الفكر أعمى لكل ما هو تالٍ لله. الرب يمنح الحكمة فقط لهؤلاء الذين أصبحوا عمياناً لكل ما هو تالٍ له، مظهراً لهم ما هو أكثر قداسة.

١٠- كلمة الله هو مثل حبة الخردل (ق.م. مت ١٣: ٣١): قبل زراعتها تبدو صغيرة جداً، ولكن عندما تزرع بالطريقة الصحيحة تنمو كثيراً حتى أن أعلى المبادئ لكل من الخليقة المحسوسة والمعقولة تأتى مثل الطيور لكي يُحيوا أنفسهم فيها. لأن المبادئ أو الجواهر الداخلية لكل الأشياء مطوقة (بالله) الكلمة، ولكن (الله) الكلمة غير مطوق بأي شيء. ومن ثم فإن الرب قد قال من له إيمان مثل حبة خردل يستطيع أن ينقل جبلاً بكلمة أمر (ق.م. مت ١٧: ٢٠)، أي، أنه يستطيع أن يحطم سيطرة إبليس علينا ويزيله من أساسه.

١١- حبة الخردل هو الرب، الذي يُبذَر روحياً بالإيمان في قلوب هؤلاء الذين يقبلونه. من يزرع البذرة باجتهاد بممارسة الفضائل ينقل جبل الكبرياء المربوط بالأرض، ومن خلال القوة التي حصل عليها، يطرد من نفسه عادة الخطيئة العنيدة. وبهذه الطريقة يُحي في نفسه نشاط المبادئ والصفات أو القوة الإلهية التي في الوصايا، كما ولو كانوا طيوراً.

١٢- دعنا نبنى على الرب، كأساس الأيمان، بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، رافعين هيكلاً للقداسة (ق.م. ١كو ٣: ١٢). دعنا نبنى، بمعنى آخر، بلاهوت طاهر غير

مغشوش، بطريقة حياة مشرقة ومنيرة، مع أفكار مقدسة وصوراً عقلية أغلى من الجواهر. دعنا لا نستخدم الخشب، ولا القش أو التبن، أي الوثنية - التي هي رغبة ملتهبة للأشياء الحسية - أو الحياة التي بلا معنى، أو الأفكار المتقدة الخالية من الفهم الحكيم كالقش.

١٣- إذا كان إنسان يسعى للمعرفة الروحية، فدعه يُثبت أساسات نفسه بلا تزعزع أمام الرب، وذلك بحسب كلمة الله لموسى: «قف هنا معي» (تث ٥: ٣١). ولكن يجب أن يدرك أن هناك فرقاً بين هؤلاء الذين يقفون أمام الرب، كما هو واضح من النص، «من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة» (مر ٩: ١). لأن الرب لا يُظهر مجده دائماً لكل الواقفين أمامه. للمبتدئين يظهر كخادم (ق.م. في ٢: ٧)؛ ولهؤلاء القادرين على إتباعه في الصعود إلى جبل تجليه يظهر في شكل الله (ق.م. مت ١٧: ١-٩)، الشكل الذي يوجد فيه من قبل إنشاء العالم (ق.م. يو ١٧: ٥). وبناء على ذلك فمن الممكن لنفس الرب أن لا يظهر بنفس الطريقة لكل الواقفين أمامه، ولكن يظهر للبعض بطريقة وللآخرين بطريقة أخرى، طبقاً لدرجة إيمان كل شخص.

١٤- عندما يصبح كلمة الله ظاهراً ومنيراً فينا، ووجه يشرق كالشمس، حينئذٍ فإن ملابسه سوف تبدو أيضاً بيضاء (ق.م. ١٧: ٢). بمعنى آخر، كلمات الإنجيل سوف تصبح واضحة وجلية عندئذٍ، بدون أي شيء مخفي. وموسى وإيليا - المبادئ الأكثر روحانية في الناموس والأنبياء - سوف يكونان حاضران معه.

١٥- مكتوب أن «إبن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته» (مت ١٦: ٢٧). بالمثل، فإن كلمة الله سيتجلى في هؤلاء الذين وُجدوا مستحقين لذلك، بالدرجة التي قد تقدم فيها كل منهم في القداسة، ويأتي إليهم في مجد أبيه مع ملائكته. لأن المبادئ الأكثر روحانية في الناموس والأنبياء - ممثلان في موسى وإيليا عندما ظهرا مع الرب في تجليه- تظهر مجدها طبقاً للقدرة الفعلية على الاستقبال لهؤلاء الذين تنكشف لهم.

١٦- من بدأ بدرجة ما في المبدأ الداخلي للوحدة الإلهية يكتشف بطريقة ثابتة المبادئ الداخلية للعناية الإلهية والحكم المرتبط بها. هذا الذي لأجله، مثل القديس بطرس، يعتقد إنه من الجيد أن يصنع ثلاثة مظال في نفسه لهؤلاء الذين ظهروا له (ق.م. مت ١٧: ٤). هذه المظال تمثل ثلاث مراحل للخلاص، أعنى التي للفضيلة، والتي للمعرفة الروحية والتي لـ اللاهوت. الأولى تتطلب ثبات وكبح للنفس في ممارسة الفضيلة:

وإيليا هو طراز هذه المرحلة. الثانية تتطلب إفرازاً صحيحاً في تأمل الطبيعة: وموسى يكشف عن هذه المرحلة في شخصه. الثالثة تتطلب الكمال التام في الحكمة: وهذه المرحلة كُشفت بواسطة الرب. لقد تم تسميتهم بالمظال، أو السكنى المؤقتة، لأنه لازال يوجد ورائهم مراحل أكثر امتيازاً وروعةً، التي من خلالها سوف يمر هؤلاء الذين وُجِدُوا مستحقين إلى الدهر الآتي.

١٧- الإنسان المشغول بممارسة الفضائل يقال عنه «متغرب» في الجسد (ق.م. تك ١٢: ١٠)، لأنه بممارسته الفضائل فإنه يقطع علاقة النفس بالجسد وينزع من نفسه خداع الأشياء المادية. إنسان المعرفة الروحية يقال أنه متغرب في الفضيلة نفسها، لأنه لازال يتأمل الحق بطريقة غير واضحة، كما في مرآة (ق.م. ١كو ١٣: ١٢): لم يتمتع بعد برؤية الوجه للوجه التي للأشكال الذاتية الوجود التي للصلاح، ناظراً لهم كما هم في ذاتهم. لأنه فيما يتعلق ببركات الدهر الآتي، فإن كل قديس لا يفعل أكثر من أن يمشي في صورتهم، صارخا، «أنا غريب عنك ونزيل مثل أبائي» (مز ٣٩: ١٢).

١٨- من يصلي لا يجب أبداً أن يقف ساكناً على المنحدر الصاعد الشاهق الذي يقود إلى الله. كما يجب أن يتقدم إلى أعلى من قوة إلى قوة في ممارسة الفضيلة (ق.م. مز ٨٤: ٥- ٧)، وأن يرتفع في تأملاته للحقائق الروحية من مجد إلى مجد (ق.م. ٢كو ٣: ١٨)، وأن يعبر من حرف إلى روح الكتاب المقدس، لذلك يجب أن يتقدم بأسلوب مماثل في داخل مملكة الصلاة. يجب أن يُنهض فكره وانحلال نفسه من ما هو بشرى إلى ما هو إلهي، حتى يتمكن فكره من إتباع يسوع ابن الله، الذي اجتاز السموات (ق.م. عب ٤: ١٤) وموجود في كل مكان. لأنه اجتاز كل الأشياء لأجلنا بتدبير تجسده، لذلك، فبإتباعنا له، يمكن أن نجتاز كل ما هو تالٍ له وبذلك نأتي لأن نكون معه، مزودين بفهمه ليس بحسب الحدود التي أسكن نفسه فيها في تجسده ولكن بحسب جلال لانهائيته الطبيعي.

١٩- يجب أن نكرس أنفسنا دائماً لله وأن نطلبه كما أُمِرْنا (ق.م. من ٦: ٣٣)، بالرغم من إننا عندما نطلبه في هذه المرحلة الحالية للحياة لا نستطيع أن نأتي إلى حد أعماقه، إلا إنه ربما لو اخترقنا إلى أعماقه ولو حتى قليلاً فسوف نتأمل ما هو أكثر قداسة من القداسة وما هو أكثر روحانية من الروحانية. رئيس الكهنة يبين لنا ذلك بطريقة رمزية عندما يمر من القدس، الذي هو أكثر قداسة من الرواق، إلى قدس الأقداس، الذي هو أقدس من القدس (ق.م. لا ١٦).

٢٠- كلمة الله بالكامل ليس مستفيضاً ولا مسهباً ولكن وحدة تطوق تنوع في المبادئ، كل منها من التي هي جهة من الكلمة. وهكذا فمن يتكلم عن الحق، بأي طريقة يعالج بها موضوعه، فإنه يتكلم دائماً عن كلمة الله الواحد (اللوغوس).

٢١- المسيح هو الله وكلمة الآب، و«فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» بأسلوب يتوافق مع الجوهر (كو ٢: ٩). المسيح يسكن فينا بالنعمة عندما نجمع في أنفسنا كل فضيلة وحكمة، الحكمة التي، لا تقصر بأي شكل عن أن تعمل محاكاة طبق الأصل للنموذج الإلهي الأصلي، على قدر ما يمكن أن يكون في إنسان.

٢٢- الفكر الذي ينبع طبيعياً من فكرنا هو مُراسل نشاط فكرنا الخفي. بالمثل من هو واحد مع الله في الجوهر ويعرف الآب كما تعرف الفكرة الفكر الذي يلدها، نرى فيه الآب الذي يعرفه، ولا يستطيع أي كائن مخلوق أن يأتي إلى الآب إلا من خلاله. هذا الذي لأجله دعي «رسول المشورة العظيمة» (أش ٩: ٦ س).

٢٣- مشورة الله الآب العظيمة هي سر لا يُنطق ولا يُعرف للتدبير الإلهي. إنه الابن الوحيد الذي كشفه من خلال تجسده، عندما أصبح رسول المشورة العظيمة القبل-أبدى الذي لله الآب. من يعرف المبدأ الداخلي للسر يصبح رسولاً للمشورة العظيمة لله، ويُرفع باستمرار بالفعل والفكر من خلال كل الأشياء حتى يقابل (الله الكلمة) الذى ينزل تجاهه بنفس الدرجة.

٢٤- كلمة الله نزل بنعمته من أجلنا إلى أقسام الأرض السفلية، وأيضاً صعد أعلى من كل السموات (ق.م. أف ٤: ٩- ١٠)، حتى ولو كان بالطبيعة لا يتحرك على الإطلاق. حيث أن الكلمة أتم بالفعل كإنسان في نفسه كل ما يجب أن يكون من خلال التجسد، فليفرح داخلياً كل من يبتهج بالمعرفة الروحية عندما ينظر للوعد الذي تم لهؤلاء الذين يحبون الرب.

٢٥- إذا أصبح كلمة الله الآب إبناً للإنسان وإنسان فهو قادر على أن يجعل الناس آلهة[١]

---

(١) المصطلح من الكتاب المقدس (مز ٨٢: ٦) وقد استشهد السيد المسيح أيضاً بهذه الآية ويفسرها القديس كيرلس عمود الدين فى شرح إنجيل يوحنا قائلاً: «نحن أبنا الله بل دعينا آلهة فى الأسفار الإلهية حسب المكتوب «ألم أقل أنكم آلهة وبنو العلى كلم» (يو ١٠: ٣٤). هل يعنى هذا أن نتخلى عن كياننا ونرتفع الى جوهر اللاهوت غير المنطوق به وأن نخلع الأبن الكلمة من بنوته ونجلس نحن مكانه مع الآب ونجعل محبة الذى أكرمنا عذراً للكفر؟ حاشا لله. فالأبن هو كائن غير متغير، أما نحن فبالتبنى أبناء وآلهة بالنعمة»» - مؤسسة القديس أنطونيوس، شرح أنجيل يوحنا للقديس كيرلس، المجلد الأول، ٢٠٠٩،

وأبناء لله، دعنا نؤمن بأننا سوف نصل إلى الملكوت الذي يوجد فيه المسيح نفسه الآن؛ لأنه رأس الجسد كله (ق.م. كو ١: ١٨)، وذهب إلى الآب آخذاً بشريتنا كرائد لنا. الله سوف يقف «في وسط مجلس الآلهة» (مز ٨٢: ١ س)- موزعاً مكافآت بركات الملكوت لهؤلاء الذين وُجدوُا مستحقين لأن يأخذوها، غير منفصلاً عنهم بأي مسافة.

٢٦- من لازال راضياً باللذات الشهوانية التي للجسد يسكن في أرض الكلدانيين كصانع وكعابد للأوثان. ولكن عندما يبدأ في تمييز الموقف ويكتسب بعض التبصر في نظام الحياة التي تتطلبه الطبيعة، فإنه يترك أرض الكلدانيين ويأتي إلى حاران في بلاد بين النهرين (ق.م. تك ١١: ٣١). أعنى بحاران الحالة المتوسطة بين الفضيلة والرزيلة- حالة لم تتنقى بعد من تضليل الحواس. ولكن إذا ذهب أبعد من الفهم المتوسط للصلاح الذي أحرزه من خلال الحواس، فسوف يُسرع تجاه الأرض المباركة، أي، إلى الحالة الخالية من كل خطيئة وجهل التي يظهرها الله، الذي لا يكذب، لهؤلاء الذين يحبونه، واعداً أن يعطيها لهم كمكافأة على فضيلتهم.

٢٧- إذا كان كلمة الله «قد صلب من ضعف» من أجلنا واقيم «بقوة الله» (٢كو ١٣: ٤)، إذاً فهو بحس روحي يفعل ويعانى ذلك دائماً لحسابنا. ويصبح كل شيء لكل أحد حتى يمكن أن يُخلص الكل (ق.م. ١كو ٩: ٢٢). وهكذا، حيث أن الكورنثيين كانوا ضعفاء، فإن القديس بولس عندما كان معهم قد عزم بحق على أن لا يعرف شيئاً «إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً» (١كو ٢: ٢). ولكن حيث أن الأفسسيين كانوا كاملين، كتب لهم بأن الله قد «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف ٢: ٦)، وبهذا يؤكد أن كلمة الله يكيف نفسه طبقاً لقوة كل شخص. وبهذه الطريقة، فإنه يُصلب لهؤلاء الذين يبدأون خطوتهم الأولى في الحياة النسكية، ويسمر طاقاتهم الملتهبة على الصليب بالخوف الإلهي. إنه يقوم ثانية ويصعد إلى السموات لأجل هؤلاء الذين خلعوا كل الأنانية الساقطة، المفسودة برغبات الخداع (ق.م. أف ٤: ٢٢)؛ والذين تجددوا بالكامل بالروح القدس كإنسان مخلوق على صورة الله (ق.م. أف ٤: ٢٤)؛ والذين جذبهم ليقتربوا من الآب من خلال نعمته التي فيهم، وبهذا قد

ترجمة د. نصحي عبد الشهيد وآخرون، ص ١١١، ١١٢. نظر أيضاً كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي- ترجمة د. جوزيف موريس فلتس عن النص اليوناني فصل ٥٤ فقرة ٣ ص ١٥٩، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤.- م.

رُفعوا «فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط ولكن في المستقبل أيضاً» (أف ١: ٢١). لأن كل الأشياء، وكل الأسماء والكرامات التالية لله، هي بالمثل أدنى مِمَن يسكن في الله بالنعمة.

٢٨- قبل المجئ المرئي لكلمة الله في الجسد سكن بين الآباء البطاركة والأنبياء بطريقة روحية، سابقاً ومشيراً إلى أسرار مجيئه. وبعد تجسده هو حاضر بطريقة مماثلة ليس فقط لهؤلاء الذين لايزالوا مبتدئين، مغذياً إياهم روحياً وقائداً إياهم تجاه النضج الذي للكمال الإلهي، ولكن أيضاً للكاملين، سابقاً وراسماً فيهم سراً ملامح مجيئة المستقبلى كما ولو في أيقونه.

٢٩- كما أن تعاليم الناموس والأنبياء، تقود أنفسنا للمسيح لأنها المبشر بالمجئ الآتي للكلمة في الجسد (ق.م. غل ٣: ٢٤)، كذلك فإن كلمة الله المتجسد الممجد هو نفسه المبشر لمجيئه الروحى، قائداً أنفسنا إلى الأمام بتعاليمه لكي نستلم القداسة ونظهر المجئ. إنه يفعل ذلك باستمرار، بواسطة الفضيلة يحول هؤلاء الذين وُجدوُا مستحقين من الجسد إلى الروح. وسوف يفعل ذلك في نهاية الزمان، مظهراً ماهو مخفى حتى الآن عن كل إنسان.

٣٠- طالما بقيت ناقصاً وعنيداً، ولا أطيع الله بتطبيق الوصايا ولا بأن أن أكون كاملاً في المعرفة الروحية، فإن المسيح من وجهة نظرى يظهر أيضاً ناقصاً وعنيداً بسببى. لأننى أضعفه وأعيقه بعدم النمو بالروح معه، حيث أننى «جسد المسيح» وأحد أعضاؤة (١كو ١٢: ٢٧).

٣١- «الشمس تشرق والشمس تغرب»، (جا ١: ٥). بالمثل يظهر الكلمة أحياناً كأنه يشرق وأحياناً كأنه يغرب، معتمداً على أسلوب الحياة والحالة الروحية وجوهر أو نوعية هؤلاء الذين يسعون وراء الفضيلة ويبحثون عن المعرفة الإلهية[1]. مبارك هو من يحفظ مثل يشوع (ق.م. ١٠: ١٢-١٣) شمس البر من الغروب في نفسه أثناء كامل يوم هذه الحياة، غير سامحاً له بأن يتوارى بغبار الخطيئة والجهل. بهذه الطريقة سوف يكون قادراً بحق على إجبار الشياطين المخادعين الذين ينهضون ضدنا على الفرار.

---

(١) أى التى يعطيها الله - م.

٣٢- عندما ينهض كلمة الله فينا من خلال ممارستنا الفضائل ومن خلال التأمل، فإنه يسحب كل الأشياء لنفسه (ق.م. يو ١٢: ٣٢)؛ فإنه يقدس أفكارنا وكلماتنا عن الجسد والنفس وطبيعة الأشياء بالفضيلة والمعرفة الروحية؛ إنه يقدس أيضاً أعضاء أجسادنا وحواسنا، ويضعهم كلهم تحت نيره. لذا دع رائي الأشياء الإلهية يرتفع بحماس في البحث عن اللوغوس حتى يصلى إلى المكان الذي هو به. لأن، كما قال الجامعة، «يسرع إلى مكانه» (ق.م. جا ١: ٥) بكل هؤلاء الذين يتبعونه، كرئيس كهنة عظيم يأتي بهم إلى قدس الأقداس، حيث يوجد هو نفسه، الذي أصبح مثلنا، وقد دخل كسابق لنا (ق.م. عب ٦: ٢٠).

٣٣- من يجاهد بإخلاص لاقتناء الحكمة ومنتبه بحذر للقوات الغير منظورة، يجب أن يصلى لكي يلازمه كل من الإفراز[١] الطبيعي - الذي نورة محدود - والنعمة المنيرة التي للروح القدس. الأولى من خلال الممارسة تمرن الجسد على الفضيلة، الثانية تنير الفكر لذلك يختارها دون الكل مرفقة مع الحكمة؛ ومن خلال الحكمة يدمر القبضة القوية التي للشر ويهدم «كل علو يرتفع ضد معرفة الله» (٢كو ١٠: ٥). يشوع يمثل هذا في كل من صلاته لكي تقف الشمس على جبعون، أي، نور معرفة الله يبقى مشرقاً غير غارباً على جبل التأمل الروحي؛ وعندما يسأل أن يبقى القمر على الوادي، أي لأجل الإفراز الطبيعي، لأن الإفراز الطبيعي هو الذي يحرس الجسد الضعيف لكي يبقى مقترنا بثبات بالفضيلة (ق.م. يش ١٠: ١٢-١٣).

٣٤- جبعون هي الفكر الروحي. الوادي هو الجسد وقد أُزِلَ بالموت. الشمس هي اللوغوس، الذي ينير الفكر، مزوداً إياه بقوة التأمل الروحي ومنقذاً إياه من كل جهل. القمر هو الناموس الطبيعي، الذي يحث الجسد لكي يخضع كما ينبغي للروح ويقبل نير الوصايا. القمر هو رمز للطبيعة بسبب تقلبه؛ ولكن بين القديسين تبقى غير متقلبة، لأن حالة الفضيلة فيهم غير متغيرة.

٣٥- من يطلبون الرب يجب أن لا يبحثوا عنه خارج أنفسهم؛ بل بالعكس، يجب أن يبحثوا عنه في أنفسهم من خلال إيمان يظهر في الفعل. لأنه قريب منك: «الكلمة في فمك وفى قلبك أي كلمة الإيمان» (رو ١٠: ٨) - المسيح نفسه الكلمة المبحوث عنها.

---

(١) أى التمييز - م.

٣٦- عندما نفكر في علو لانهائية الله يجب أن لا نيأس من وصوله الحنون لنا من مثل هذا العلو؛ وعندما نستدعى العمق اللانهائي لسقوطنا من خلال الخطيئة يجب أن لا نرفض تصديق أن الفضيلة التي قُتلت فينا سوف تنهض ثانية. لأن الله يستطيع أن ينجز هذين الشيئين: يستطيع أن ينزل وينير فكرنا بالمعرفة الروحية، ويستطيع أن يُنهض الفضيلة فينا ويُعليها بنفسه من خلال أعمال البر، لأنه مكتوب: «لا تقل في قلبك من يصعد إلى السموات أي ليحدر المسيح أو من يهبط إلى الهاوية (الأعماق) أي ليُصعد المسيح من الأموات» (رو ١٠: ٦- ٧). وبتفسيرها بطريقة أخرى، الهاوية (الأعماق) تعنى كل ما هو تال لله، الكل الذى فى الكل الكلمة الإلهي يأتي بنعمته ليسكن (فيهم)، مثل عودة الحياة إلى ما هو ميت. لأن كل الأشياء التي تعتمد حياتها على اشتراكها في الحياة هي ميتة في ذاتها. والسماء تعنى احتجاب الله الطبيعي، الغير مدرك من كل الأشياء. بطريقة اختيارية، إذا شرح أحد السماء على إنها تعليم الثالوث الأقدس، والهاوية (الأعماق) على إنها سر التجسد، سوف لا يكون بعيداً عن الهدف. لأنه من الصعب إدراك معنى كلا التعليمين من خلال الشرح العقلي؛ أو بالأحرى، أن معناهما غير متاح إلا إذا أُكتشفَ بالإيمان.

٣٧- في حياة الممارسة النسكية الكلمة، تكيف للفعل المادي للفضيلة، وأصبح جسداً (ق.م. يو ١: ١٤). وفى حياة التأمل الكلمة، يتمجد بالصور العقلية الروحية، ويصبح ما هو في حالته الأولية، الكلمة الذي هو الله وكان عند الله (ق.م. يو ١: ١-٢).

٣٨- إذا شرحت تعاليم الكلمة من وجهة نظر الحياة الأخلاقية، مستخدما الكلمات المادية نسبياً والأمثال التي تتناسب مع قدرة سامعيك، فسوف تظهر الكلمة جسداً. وبالمقابل، إذا وضحت اللاهوت المِستيكي بواسطة أعلى أشكال التأمل فإنك تظهر الكلمة روحاً.

٣٩- إذا تكلمت عن اللاهوت بطريقة إيجابية[١]، بادئاً من الجمل الإيجابية عن الله، فأنت تظهر الكلمة جسداً، لأنه لا يوجد لديك أي وسيلة أخرى لمعرفة الله كعلة (كل علة) إلا من ما هو مرئي وملموس. وإذا تكلمت عن اللاهوت بطريقة سلبية[٢]، من خلال تجريد الصفات الإيجابية[٣]، تظهر الكلمة روحاً أو الله كما في حالته الأولية عند الله:

---

(١) باللغة اليونانية (Cataphatic)- م.

(٢) باللغة اليونانية (Apophatic)- م.

(٣) الصفات الإيجابية مثل الإحتواء والفحص فيقال عن الله غير المحوى غير المفحوص وهكذا - م.

بادئاً من الأشياء التي لا يمكن على الإطلاق معرفتها، تأتي إلى طريق رائع لمعرفة من يتجاوز المعرفة.

٤٠- عندما نتعلم أن نحفر مثل الآباء البطاركة أبار الفضيلة والمعرفة الروحية في أنفسنا بواسطة التدريب النسكي والتأمل، سوف نجد في داخلنا المسيح نبع الحياة (ق.م. تك ٢٦: ١٥- ١٨). الحكمة تأمرنا بأن نشرب من هذا النبع، قائلة «اشرب مياها من جبك ومياها جارية من بئرك» (أم ٥: ١٥). إذا فعلنا ذلك فسوف نجد أن كنوز الحكمة هي حقاً بداخلنا.

٤١- هؤلاء الذين مثل الحيوانات يحبون فقط طبقاً للحواس يسيرون في طريق خطرة: إنهم يسيئون استعمال خليقة الله من أجل الانغماس في الشهوات. إنهم لا يفهمون مبدأ هذه الحكمة الذي قد تم كشفه للكل: وهو إننا يجب أن نعرف ونسبح الله من خلال خليقته وأن نفهم بواسطة العالم المرئي من أين أتينا، ومن نحن، ولأي غرض خُلقنا والى أين سنمضى، ولكن على العكس فإنهم يتجولون في هذا الدهر الحاضر في الظلام، ولا يتحسسون بأيديهم سوى جهلهم بالله.

٤٢- هؤلاء الذين يلتزمون فقط بحرف الكتاب المقدس ويربطون كرامة النفس بالعبادة الخارجية التي للناموس يجعلون الكلمة جسداً لأنفسهم بطريقة تستحق التوبيخ. إنهم يعتقدون بأن الله سوف يُسر بذبائح الحيوانات العجماوات. إنهم يعطون انتباه كبير للجسد بالتطهيرات الخارجية ولكن يهملون جمال النفس، ملطخاً كما هو بالشهوات. ولكن كل قوة أتت للعالم المرئي وكل تعليم وناموس إلهي قد أعلن هو للنفس.

٤٣- «إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل» يقول الإنجيل المقدس (لو ٢: ٣٤). يجب أن نسأل بناء على ذلك أي الاثنين يمكن أن لا يكون قد وضع لسقوط هؤلاء الذين يتأملون في الخليقة المرئية فقط طبقاً للحواس وهؤلاء الذين لصقوا بالحرف المجرد للكتاب المقدس، غير قادرين في حماقتهم على أن يذهبوا أبعد ويدركوا الروح الجديد الذي للنعمة. ويجب أن نسأل أي الاثنين يمكن أن لا يكون قد وضع لقيام هؤلاء الذين يتأملون في مخلوقات الله وينصتون فقط لكلماته بأسلوب روحي، صاقلين بطرق مناسبة فقط الصورة الإلهية التي هي في النفس.

٤٤- إذا تم فهم أن الرب قد وضع لسقوط وقيام كثيرين بطريقة صحيحة، حينئذٍ فإن السقوط يشير إلى الشهوات والأفكار الشريرة التي في كل مؤمن، والقيام إلى الفضيلة وكل فكر يتمتع ببركة الله.

٤٥- هؤلاء الذين يعتقدون بان الرب خالق فقط للأشياء التي تتوالد وتنحل يُخطئون، كما فعلت مريم المجدلية، مع البستاني. لذلك من مصلحتهم أن الرب يتجنب مثل هؤلاء الأشخاص، قائلاً، «لا تلمسوني» (ق.م. يو ٢٠: ١٧)؛ لأنهم غير قادرين بعد على الصعود معه إلى الآب. إنه يعرف أن هؤلاء المعرضين لأن يعتقدوا فيه بهذه المعاني الفقيرة سوف يتأذون إذا اقتربوا منه.

٤٦- الناس الذين تجمعوا في الجليل في العلية والأبواب مغلقة بسبب الخوف من اليهود الذين يوصلوهم بأمان لعلو التأمل الإلهي في أرض الرؤى وبقفلهم حواسهم بسبب الخوف من أرواح الشر، يأخذون الحضور الإلهي لكلمة الله بطريقة لا يمكن تخيلها. إنه يتجلى لهم بدون أنشطة حواسهم؛ من خلال كلماته «سلام لكم» ينعم عليهم باللاهوىَ، وبنفخه فيهم يمنحهم شركة الروح القدس، معطياً إياهم قوة لمحاربة الأرواح الشريرة ويظهر لهم رموز أسراره (ق.م. يو ٢٠: ١٩- ٢٢؛ مر ١٦: ١٧- ١٨).

٤٧- الرب لا يصعد إلى الآب من أجل هؤلاء الذين يستكشفون الحق الإلهي بمواهبهم بينما هم في حالتهم الساقطة؛ ولكنه يصعد إلى الآب من أجل هؤلاء الذين يطلبون الحق بالروح القدس بواسطة أعلى أشكال التأمل. الكلمة نزل إلينا من أجل الحب. دعنا لا نبقيه معنا هنا دائماً، ولكن دعنا نذهب معه إلى الآب، تاركين الأرض والأشياء الأرضية خلفنا، لئلا يقول لنا ما قاله لليهود بسبب عنادهم: «حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا» (يو ٨: ٢١). لأنه بدون الكلمة من المستحيل أن نقترب إلى أبو الكلمة.

٤٨- أرض الكلدانيين هي طريقة الحياة التي تسيطر عليها الشهوات، التي صُنعت فيها أصنام الخطايا وعُبدت. بلاد بين النهرين، الأرض التي بين الأنهار، هي طريقة الحياة التي تتأرجح بين المتناقضات. أرض الميعاد هي حالة مملوءة بكل بركة. إذاً كل إنسان يُهمل، مثل إسرائيل القديم، هذه الحالة، يخسر الحرية التي مُنحت له، ويسمح لنفسه مرة أخرى أن يُجر إلى عبودية الشهوات.

٤٩- يجب أن يُلاحظ أن لا أحد من القديسين نزل إلى بابل بمشيئته. لأنه سيكون من السخف والتفاهة لهؤلاء الذين يحبون الله أن يختاروا ما هو سيئ على ما هو جيد. إذا كان بعضهم قد أُخذوا بالقوة إلى هناك برفقة الناس (ق.م. ٢مل ٢٥، ٢أخ ٣٦)، فهؤلاء يتم فهمهم على إنهم، يتركون انهماكهم في المبدأ الأعلى للمعرفة الروحية، ليس عن

تعمد ولكن في وقت الأزمة، ولأجل خلاص هؤلاء الذين يحتاجون المساعدة، لكي يعطوهم إرشادات تتعلق بالشهوات. لهذا السبب أحس القديس بولس بأنه سيكون مفيداً أكثر لو كان في الجسد - أي، منهمكاً في إعطاء الإرشادات الأخلاقية للتلاميذ - بالرغم من أن رغبته الكاملة كانت في أن يطلق حراً من التعليم الأخلاقي وأن يكون مع الله (ق.م. في ١: ٢٣) من خلال التأمل العقلي النقي الذي يتجاوز العالم.

٥٠- عندما كان شاول يختنق من روح شرير، غنى داود بمصاحبة القيثارة وأراحه (ق.م. ١صم ١٦: ١٤- ٢٣). بطريقة مماثلة كل مقالة روحية، محلاة بتأملات مستيكية، تجلب الراحة للفكر المسكون بالأرواح الشريرة وتحرره من القلق الذي يخنقه.

٥١- إن بشرة داود الوردية وعيناه الجميلتان (ق.م. ١صم ١٦: ١٢ س) تشير إلى الإنسان الذي فيه قد أُثريت روعة الطريقة المقدسة في الحياة بحضور مبدأ المعرفة الروحية. في هذه الحالة التدريب النسكي والتأمل يأتيان معاً. التدريب النسكي يُعطىَ رونقاً بواسطة صفات الفضيلة؛ والتأمل يُنار بالصور العقلية الإلهية.

٥٢- عهد شاول هو صورة للعبادة الخارجية للناموس؛ التي ألغاها الرب لأنها لم تكمل شيئاً. «إذ الناموس» يقول الكتاب المقدس «لم يكمل شيئا» (عب ٧: ١٩). ولكن عهد داود العظيم يمثل العبادة التي بدأت في الإنجيل، لأنها تحفظ إلى الكمال أهداف الله الأكثر عمقاً.

٥٣- شاول هو الناموس الطبيعي الذي تأسس أصلاً بواسطة الرب لكي يحكم الطبيعة. ولكن شاول كان غير مطيعاً: لقد عفا عن أجاج، ملك عماليق (ق.م. ١صم ١٥: ٨-١٦)، أي، الجسد، وانزلق إلى عالم الشهوات، وعُزِلَ بناء على ذلك حتى يمكن لداود أن يملك على إسرائيل. داود هو ناموس الروح الناموس الذي يولد السلام الذي يبنى بشكل ممتاز هيكل التأمل.

٥٤- صموئيل يشير إلى طاعة الله، طالما أن مبدأ الطاعة يمارس سلطته المشابهة لسلطة الكاهن في داخلنا، فحتى ولو عفا شاول عن أجاج- أي، المشيئة الأرضية - إلا أن هذا المبدأ في غيرته سوف يقتله (ق.م ١صم ١٥: ٣٣): أنه يضرب الفكر المحرض على الخطيئة ويخجله لتعديه الطاعة الإلهية.

٥٥- عندما يحتقر الفكر التعاليم التي تنقيه من الشهوات ويكف عن امتحان ما يجب فعله وما لا يجب فعله، فسوف يُهزم حتماً من الشهوات من خلال الجهل. كلما انفصل الفكر عن الله بالتدريج، فهو يتورط أكثر وأكثر في مصاعب ليست من اختياره. إنه يصنع إله البطن طاعةً للشياطين ويحاول أن يرتاح هناك مما يحزنه. ليقنعك شاول بحقيقة هذا: لأنه لم يتخذ صموئيل مرشداً له في كل الأشياء فتحتم عليه الارتداد إلى الوثنية، واضعاً ثقته في امرأة متكلمة من بطنها ومستشيراً إياها كما ولو كانت إله (ق.م. ١صم ٢٨: ٧-٢٠).

٥٦- من يطلب أن يأخذ خُبزه اليومي (ق.م. مت ٦: ١١) لا يأخذه في ملئه بطريقة آلية كما ولو كان في ذاته: إنه يأخذه طبقاً لقدرته كمُستَقبِلْ. خبز الحياة (ق.م. يو ٦: ٣٥) يعطى نفسه في محبته لكل من يسأل، ولكن ليس بنفس الطريقة للكل؛ لأنه يعطى نفسه بأكثر امتلاء لهؤلاء الذين أنجزوا أعمال بر عظيمة، وبمقدار أصغر لهؤلاء الذين لم يحققوا الكثير. إنه يعطى نفسه لكل شخص طبقاً للقدرة الروحية على استقباله التي لهذا الشخص.

٥٧- أحياناً يغيب الرب عنا؛ وفى أحيان أخرى يكون حاضراً فينا. يكون غائباً عندما نتأمله بطريقة غير واضحة، كما في مرآة؛ ويكون حاضراً فينا عندما نتأمله وجهاً لوجه (ق.م. ١كو ١٣: ١٢).

٥٨- الرب يكون حاضراً من خلال الفضائل للإنسان الذي يحيا حياة التدريب النسكي؛ ولكن يكون غائباً عن الإنسان الذي لا يبالى بالفضيلة. بالمثل، يكون حاضراً في المعرفة الأصيلة للكائنات المخلوقة، للإنسان المنهمك في حياة التأمل، ولكن يغيب عندما يحدث بعض الانحراف عن هذا.

٥٩- عندما يعبر إنسان من حياة التدريب النسكي إلى مرحلة المعرفة الروحية، فهو يتغرب عن الجسد (ق.م. ٢كو ٥: ٨). من يُخطف كما على السحاب بالصور العقلية الأكثر رفعة من خلال الهواء النصف شفاف الذي للتأملات المستيكية، يكون قادراً على أن يكون كل حين مع الرب» (ق.م. ١تى ٤: ١٧). الإنسان «يتغرب عن الرب» (ق.م. ٢كو ٥: ٩) إذا لم يكن قادراً بعد على التأمل في صوره العقلية التي للأشياء بفكر نقى خالي من عمليات الحواس (على قدر ما يكون هذا ممكن)، وإذا لم يستطيع بعد أن يعتنق معرفة الرب في بساطتها الحقيقية، بدون مساعدة الرموز.

٦٠- كلمة الله لم يدعى متجسداً لأنه تجسد فقط، ولكن أيضاً بمعنى آخر. عندما يتم التأمل في بساطته الحقيقية، في حالته الأولية مع الله الآب (ق.م. يو١: ١- ٢)، بالرغم من إنه يطوق نماذج الحق في كل الأشياء بطريقة واضحة ومجردة، فهو لا يحتوى في نفسه أمثال، أو رموز وروايات تحتاج لتفسير مجازى. ولكن عندما يقترب من الناس الذين لا يستطيعون أن يأتوا بالفكر المجرد إلى التلامس مع الحقائق العقلية في حالتها المجردة، فإنه يختار أشياء مألوفة لديهم، مركباً معاً، حكايات متنوعة، ورموزاً، وأمثالاً وأقوالاً خفية؛ وبهذه الطريقة يتجسد. وهكذا ففي المواجهة الأولى يأتي فكرنا إلى التلامس مع الكلمة المتجسد وليس مع الكلمة المتجرد، بالرغم من أن الكلمة بالطبيعة، هو جسداً بحسب ظهوره. ومن ثم فإن معظم الناس يعتقدون بأنهم ينظرون جسداً وليس الكلمة، بالرغم من أنه في الحقيقة هو الكلمة. فكر الكتاب المقدس - أي، المعنى الداخلي- ليس كما يبدو عليه لمعظم الناس، لأن الكلمة يصبح جسداً في كل من الأقوال المدونة.

٦١- المراحل الأولية لتعلم الورع الديني هي بالطبيعة متعلقة بالجسد. لأننا في أول مواجهة مع الدين نأتي إلى التلامس مع الحرف وليس مع الروح. ولكن كلما اقتربنا أكثر إلى الروح ونُصَفيِ مادية الكلمات بواسطة أكثر أشكال التأمل دقة، نأتي إلى السكنى - على قدر ما يمكن هذا لإنسان- بنقاوة في المسيح النقي، حتى نستطيع أن نقول مع القديس بولس، «إن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد» بهذه الطريقة (٢كو ٥: ١٦). بمعنى، إننا لم نعد نعرفه بحسب الجسد لأنه، من خلال المواجهة المجردة للفكر مع الكلمة مجردا من الأحجبة التي تحجبه، نكون قد تقدمنا من معرفته بحسب الجسد إلى معرفة «مجده مجداً كما لوحيد من الآب» (يو ١: ١٤).

٦٢- من يحيا في المسيح قد ذهب أبعد من بر كل من الناموس والطبيعة. القديس بولس أظهر ذلك عندما قال، «لأنه في المسيح يسوع لا يوجد ختان أو غرلة» (ق.م. غل ٥: ٦). قصد بالختان البر الذي بحسب الناموس؛ وبالغرلة يلمح إلى العدل الطبيعي، أو الإنصاف.

٦٣- البعض قد وُلِدُوا ثانية من الماء والروح (ق.م. يو ٣: ٥)؛ والبعض الآخر أخذوا المعمودية بالروح القدس ونار (ق.م. مت ٣: ١١). لقد أخذت هذه الأربع أشياء - الماء والروح والنار والروح القدس - بمعنى روح الله الواحد نفسه. للبعض الروح

القدس هو ماء لأنه يطهرهم من البقع الخارجية التي لأجسادهم، ولآخرين هو ببساطة روح لأنه يجعلهم نشطاء في ممارسة الفضيلة، ولآخرين هو نار لأنه يطهر النجاسات الداخلية التي ترقد عميقاً في أنفسهم، ولآخرين، طبقاً لدانيال، هو الروح القدس لأنه ينعم عليهم بالحكمة والمعرفة الروحية (ق.م. دا ١: ١٧؛ ٥: ١١- ١٢). لأن الروح الواحد ذاته يأخذ أسماءه المختلفة من الطرق المختلفة التي يعمل بها في كل شخص.

٦٤- الناموس أسس السبت، يقول الكتاب المقدس، حتى يمكن لثورك وعبدك أن يرتاحا (ق.م. خر ٢٠ :١٠)، كلا الاثنان هما رمزا للجسد. لأنه بالنسبة للشخص المنهمك في ممارسة الفضيلة، الجسد هو الثور تحت نير فكره: إنه مجبر على تحمل الأحمال التي تفرض عليه في الحياة النسكية من خلال ممارسة الفضائل. لأنه من خلال التأمل قد منح الآن الذكاء وهكذا يخدم أوامر الفكر الروحية بذكاء. لأن لكل من الثور والعبد يشير السبت إلى الهدف النهائي اللذان يسعيان له من خلال الحياة النسكية والتأملية، وبذلك يعطى لكل منهما الراحة المناسبة.

٦٥- الإنسان الذي يحرز الفضيلة مع معرفة روحية ثابتة يعامل جسده كثور: ويديره بذكائه ليفعل ما يجب أن يفعله. حياة الفضيلة النشطة هي عبده – الحياة التي تنهض بالفضيلة بطريقة طبيعية والتي يتم اقتنائها من خلال التدرب على الإفراز وكأنه يُشترى بمال. السبت هو فاضل، وخالي من الأهواء، وحالة سلمية لكل من الجسد والنفس، إنه حالة غير متغيرة.

٦٦- هؤلاء الذين لازالوا مهتمون بالدرجة الأولى بالأشكال الجسدية التي للفضيلة، يصبح كلمة الله بالنسبة لهم قش وتبن، مغذياً الجانب السريع التأثر من أنفسهم وقائداً إياهم إلى خدمة الفضيلة. وهؤلاء الذين قد تقدموا إلى التأمل الحقيقي في الأشياء الإلهية، الكلمة بالنسبة لهم هو خبز، يغذى الجانب المفكر من أنفسهم وقائداً إياهم إلى كمال يشبه كمال الله[1]. هذا الذي لأجله نجد أن الآباء البطاركة في رحلاتهم كانوا يُزودون أنفسهم بالخبز وحميرهم بالعلف (ق.م. ٢٤: ٢٥؛ ٤٢: ٢٥، ٢٧). ولنفس السبب قال اللاوي الذي في سفر القضاة للرجل الشيخ الذي سأله في شارع الذي في جبعة (ق.م. قض ١٩: ١٩).

---

(١) «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل» (مت ٥: ٤٨) – م.

٦٧- في الكتاب المقدس دعي كلمة الله وهو بالحقيقة كذلك ندى (ق.م. تث ٣٢: ٢)، وماء، وينبوع (ق.م. يو ٤: ١٤) ونهر (ق.م. يو ٧: ٣٨)، وذلك طبقاً للقدرة الفاعلة للمتلقي. للبعض هو ندى لأنه يطفئ الطاقة الملتهبة التي للشهوات التي تهاجم الجسد من الخارج. ولهؤلاء الذين ذبلوا في أعماق كيانهم بواسطة شهوة الشهر هو ماء، ليس فقط لأن الماء من خلال مقاومته الفطرية يدمر ما هو مضاد ولكن أيضا لأنه يمنح قوة منعشة تؤدى إلى الصحة. ولهؤلاء الذين فيهم سبيل الخبرة التأملية نشط على الدوام هو ينبوع يمنح الحكمة. ولهؤلاء الذين يتدفق منهم التعليم الحقيقي عن الخلاص، هو نهر يروى بغزارة، الناس، الحيوانات الأليفة، الوحوش البرية، والنباتات. بمعنى، أن هؤلاء الذين بقوا بشراً قد رُفعوا بواسطة الصور العقلية التي قد أُعْطِيت لهم وبهذا تقدسوا؛ وهؤلاء الذين تشبهوا بالحيوانات الأليفة بسبب الشهوات قد تم إعادتهم إلى الحالة البشرية بإظهار الشخصية الصحيحة التي لطريقة الحياة الفضلى لهم وبهذا يستعيدون ذكائهم الطبيعي؛ هؤلاء الذين تشبهوا بالوحوش البرية من خلال العادات والأفعال الشريرة قد تم ترويضهم بالمشورة الطيبَة والعطوفة وإرجاعهم إلى الوداعة الطبيعية؛ وهؤلاء الذين تقسوا كالنباتات تجاه البركات الإلهية قد تم جعلهم مرنين من خلال مرور الكلمة بعمق من خلالهم، وقد استعادوا الحساسية التي تمكنهم من أن يحملوا ثماراً وأن يعززوا الكلمة في داخلهم.

٦٨- كلمة الله هو الطريق (ق.م. يو ١٤: ٦) لهؤلاء الذين يركضون في مضمار الفضيلة في حياتهم النسكية بنبل وقوة، غير منحرفين يميناً من خلال البر الذاتي، ولا يساراً من خلال الميل إلى الشهوات، ولكن موجهين خطواتهم بالتوافق مع مشيئة الله. آسا، ملك يهوذا، لم يثابر على ذلك إلى النهاية ولهذا قيل إنه عانى في شيخوخته من رجليه (ق.م. ١مل ١٥: ٢٣)، لأنه ترنح في ركضه في سباق حياته طبقاً لمشيئة الله.

٦٩- كلمة الله دعي الباب (ق.م. يو ١٠: ٩) لأنه يقود هؤلاء الذين، لا تشوبهم شائبة في الحياة النسكية، وقد عبروا كامل طريق الفضائل، إلى المعرفة الروحية ولأنه يكشف، كما يفعل النور،الكنوز اللامعة التي للحكمة. لأنه هو نفسه الطريق، الباب، المفتاح والملكوت. إنه الطريق لأنه يُرشد؛ وهو المفتاح لأنه يفتح ومفتوح لهؤلاء الذين وُجِدوا مستحقين لأن يتلقوا البركات الإلهية؛ وهو الباب لأنه يعطى إذناً بالدخول؛ وهو الملكوت لأنه الوارث ولأنه يدخل من خلال الشركة إلى كل الأشياء.

٧٠- الرب دعي النور، الحياة، القيامة والحق (ق.م. يو ٨: ١٢؛ ١١: ٢٥؛ ١٤: ٦). هو النور لأنه يعطى لمعاناً للنفس، ويبدد ظلام الجهل، وينير الفكر كي يدرك ما لا ينطق به، ويكشف الأسرار التي يمكن أن يدركها الأنقياء فقط. هو الحياة لأنه يعطى النفوس التي تحبه النشاط الذي يتلائم مع المملكة الإلهية. هو القيامة لأنه يقيم الفكر من ارتباطه المميت بالأشياء المادية وينقيه من انحلال وفناء. هو الحق لأنه يعطى هؤلاء الذين وُجِدوا مستحقين حالة من القداسة الغير متغيرة.

٧١- الكلمة الإلهي الذي لله الآب هو حاضر بالطبيعة في كل وصاياه، الله الآب هو بالطبيعة موجود بالكامل وبدون انقسام في كامل كلمته الإلهي. ولهذا، من يقبل الوصايا الإلهية وينفذها يقبل كلمة الله الذي فيها؛ ومن يقبل الكلمة من خلال الوصايا يقبل أيضاً من خلاله الآب الذي هو موجود بالطبيعة فيه، والروح القدس الذي هو بالطبيعة فيه. «الحق الحق أقول لكم الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني» (يو ١٣: ٢٠). بهذه الطريقة، من يقبل وصية وينفذها يقبل بطريقة مستيكية الثالوث القدوس.

٧٢- ليس الإنسان الذي يعبد الله بالكلمات وحدها هو الذي يمجد الله في نفسه ولكن من يتحمل المشقات من أجل الله ويعانى في طلبه للفضيلة. مثل هذا الإنسان يمجد بالمقابل من الله بالمجد الذي من عند الله[1]، آخذاً من خلال الشركة نعمة اللاهوتَ كمكافأة على الفضيلة. لأن كل إنسان يحيا حياة التدريب النسكي ويمجد الله في نفسه بالمعاناة من أجل الفضيلة فهو نفسه يمجد في الله من خلال الاستنارة الخالية من الأهواء التي للحقائق الإلهية التي يأخذها أثناء التأمل. لأن الرب قال عندما اقترب من آلامه، «الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه، إن كان الله قد تمجد فيه فإن الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعاً» (يو ١٣: ٣١-٣٢). واضح من هذا أن العطايا الإلهية تتبع المعاناة التي يتم تحملها من أجل الفضيلة.

٧٣- طالما نحن نرى كلمة الله فقط كمُجسد لرموز متعددة في حرف الكتاب المقدس، فنحن لم نحقق بعد البصيرة الروحية في الآب الغير مادي، البسيط، الواحد، الفريد كموجود في الابن الغير مادي، البسيط، الواحد، والفريد، طبقاً للقول «الذي رآني فقط رأى الآب... أنا في الآب والآب فيَّ» (يو ١٤: ٩- ١٠). نحن نحتاج لمعرفة أكثر حتى إنه

(١) «وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى» (يو ١٧: ٢٢)- م.

باختراقنا لأحجبة الأقوال التي تغطى الكلمة، يمكن أن نرى بفكر متجرد - على قدر ما يستطيع الناس- الكلمة النقي، كما هو موجود في ذاته، مظهراً لنا بوضوح الآب في نفسه. ومن ثم فالشخص الذي يطلب الله بإخلاص حقيقي يجب أن لا تسيطر عليه النصوص الحرفية، لئلا يأخذ دون أن يدرى أشياء تتعلق بالله وليس الله؛ بمعنى، لئلا يشعر بمودة خطرة لكلمات الكتاب المقدس بدلاً من (الله) الكلمة. لأن الكلمة يخلص الفكر الذي يفترض إنه أدرك الكلمة من خلال رداءه الخارجي، مثل المرأة المصرية التي أمسكت برداء يوسف بدلاً من يوسف (ق.م. تك ٣٩: ٧- ١٣)، أو مثل القدماء الذين كانوا مكتفين فقط بجمال الأشياء المرئية فأخطئوا وعبدوا المخلوق بدلاً من الخالق (ق.م. رو ١: ٢٥).

٧٤- بواسطة الصور العقلية الأكثر سمواً يمكن أن يتجرد المبدأ الداخلي للكتاب المقدس بالتدريج من الرداء المركب الذي للكلمات التي تكسيه فيزيائياً. حينئذٍ، يكشف نفسه للفكر ذو الرؤية الثاقبة- الفكر الذي من خلال الهجر الكامل للأنشطة الطبيعية هو قابل على إحراز لمحة من البساطة التي تفتح بدرجة ما هذا المبدأ- كأنه صوت نسيم رقيق. هذه هي الحالة التي كانت مع إيليا، الذي كان قد منح مثل هذه الرؤية في كهف حوريب (ق.م. ١مل ١٩: ١٢). حوريب تشير إلى الأرض المُراحة[١] التي تحطمت، التي هي امتلاك ثابت للفضائل تأسس من خلال الروح الجديدة التي للنعمة. الكهف هو المَقدِس الخفي الذي للحكمة في الفكر؛ من يدخله يأخذ بطريقة سرية المعرفة الروحية التي تفوق الإدراك الحسي، والذي قيل أن الله يسكن فيه. بناء على ذلك فكل واحد يطلب الله حقاً مثل إيليا فلن يصل فقط إلى حوريب- بمعنى، لن يحرز فقط حالة الفضيلة بالتدريب النسكي - ولكن أيضاً يدخل كهف حوريب- بمعنى، سوف يدخل كمتأمل المقدس الخفي الذي للحكمة الذي يجده فقط هؤلاء الذين قد أحرزوا حالة الفضيلة.

٧٥- عندما ينفض الفكر أرائه الكثيرة عن الأشياء المخلوقة، حينئذٍ، فإن المبدأ الداخلي للحق يظهر له بوضوح، مزوداً إياه بأساسات المعرفة الحقيقية وينزع الأفكار السابقة كأنه ينزع القشور من العينين، كما حدث في حالة القديس بولس (ق.م. أع ٩: ١٨). لأن الفهم الذي لا يذهب أبعد من المعنى الحرفي للكتاب المقدس، والنظرة التي للعالم

(١) أرض تحرث ثم تترك موسماً كاملاً من غير زرع بهدف إراحتها - م.

المحسوس التي تُعوّل بشكل حصري على الإدراك الحسي، هي حقاً قشور، تعمى ملكة الرؤية في النفس وتمنعها من الدخول إلى كلمة[1] الحق النقي.

٧٦- الرسول بولس يقول بأنه كان له معرفة جزئية عن الكلمة (ق.م. ١كو ١٣: ٩). يوحنا الإنجيلي يقرر بأنه قد عاين مجده: «ورأينا مجده» يقول «مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» (يو ١: ١٤). ربما يقول القديس بولس أنه ليس لديه سوى معرفة جزئية عن الكلمة الإلهي لأن الكلمة يُعرف من خلال قواه بدرجة محدودة فقط، بينما معرفته كما هو في الجوهر وكأقنوم غير متاح لكل من الملائكة والبشر على السواء. القديس يوحنا، الذي بدأ بقدر ما يمكن أن يكون من كمال لإنسان في أن يدخل إلى سر تجسد الكلمة، قال إنه رأى مجد الكلمة كجسد، بمعنى، إنه رأى الهدف الذي لأجله أصبح الله المملوء من النعمة والحق إنسان. لأنه ليس كما هو في جوهر الله وواحد مع الله الآب قد أعطى لنا الابن الوحيد ؛ فقط بقدر فضيلة تدبير العناية الإلهية أصبح إنساناً، ولأجلنا صنع وحدة في الطبيعة معنا، لقد أُعطِيَ لنا نحن المحتاجين لهذه النعمة. ومن ملئه نحن نأخذ دائماً النعمة التي تتناسب مع كل خطوة نأخذها على طول المسار الروحي. وهكذا فمن يحفظون المبدأ الداخلي للأشياء نقياً بالتمام في أنفسهم سوف يقتنون كلمة الله، الممجد، المملوء نعمة وحقاً، الذي أخذ جسداً من أجلنا، الذي من خلال مجيئه مجد وقدس نفسه في طبيعته البشرية من أجلنا. لأنه «إذا ظهر» يقول الكتاب المقدس «نكون مثله» (١يو ٣: ٢).

٧٧- طالما أن النفس تتقدم «من قوة إلى قوة» (مز ٨٤: ٧) و«من مجد إلى مجد» (٢كو ٣: ١٨)، بمعنى، طالما تتقدم من درجة في الفضيلة إلى درجة أكبر ومن مستوى في المعرفة الروحية إلى مستوى أعلى، تبقى «متغربة»، كمن ليس له بيت دائم، كما في القول «نفسي تغربت طويلاً» (مز ١٢٠: ٦ س). لأن عظيم هو مدى المعرفة الروحية وكثيرة هي مستوياتها التي من خلالها يجب أن تمر النفس قبل أن تصل إلى «موضع خيمة الاجتماع العجائبية، بيت الله نفسه، بصوت التمجيد والشكر، وبصوت الأعياد» (مز ٤٢: ٤ س). إنها تتقدم باستمرار من ترتيلة للحمد إلى أخرى، ومن مستوى للتأمل الروحي إلى آخر، مملوءاً من الفرح والشكر لأجل ما قد رأته بالفعل. لأن كل هؤلاء الذين قد أخذوا الروح القدس، روح النعمة، في قلوبهم يحتفلون بأسلوب بهيج، صارخين «يا أبا الآب» (غل ٤: ٦).

---

(١) المقصود هنا اللوغوس - م.

٧٨- «مكان خيمة الاجتماع العجائبية» هو حالة متحررة من الأهواء وغير مضطربة للفضيلة التي يُزين بها كلمة الله النفس مثل خيمة الاجتماع بالجمال المتنوع الذي للفضيلة. «بيت الله» هو معرفة روحية مركبة مع أشكال مختلفة كثيرة من التأمل عندما يسكن الله في نفس، مالئاً إياها من إناء الحكمة. «التمجيد» هو قفزة النفس من الفرح عند ثروة الفضائل. «الشكر» هو الإقرار بفضل السيل الوفير من الحكمة. «صوت الأعياد» هو ترتيله مستيكية مستمرة من المجد، التي يتحد معها التمجيد والشكر في تكوين (واحد).

٧٩- الإنسان الذي جاهد بشجاعة مع شهوات الجسد، وحارب بمهارة ضد الأرواح النجسة، وطرد من نفسه الصور العقلية التي يثيرونه بها، يجب أن يصلى من أجل أن يُعطىَ قلباً طاهرً، ويجدد روحاً مستقيماً في داخله (ق.م. مز ٥١: ١٠). وبكلمات أخرى، يجب أن يُصليِ لكي بواسطة النعمة يستطيع أن يكون خالياً من الأفكار الشريرة تماماً ويمتلئ بالأفكار الإلهية، حتى يمكن أن يصبح، عَالَمَاً روحياً لله، فخماً وواسعاً، ومُزخرفاً بأشكال التأمل الأخلاقي والطبيعي واللاهوتي.

٨٠- من قد طهر قلبه سوف لا يعرف الجواهر الداخلية لما هو تالٍ لله ويعتمد عليه فقط ولكن، بعد المرور من خلالهم جميعاً، سوف يرى الله نفسه بدرجة ما، وهذا هو كمال كل البركات. عندما يأتي الله للسكنى في مثل هذا القلب، فإنه يُكرمه بنقش حروفه عليه من خلال الروح القدس، مثلما فعل على الألواح الموسوية (ق.م. خر ٣١: ١٨). إنه يفعل ذلك طبقاً للدرجة التي كرس القلب بها نفسه، من خلال ممارسة الفضائل والتأمل، للنصح الذي يأمرنا، بمعنى مِستيكي، «أثمر وأكثر» (تك ٣٥: ١١).

٨١- القلب النقي ربما هو الذي ليس له دفع طبيعي تجاه أي شيء بأي طريقة مهما كان. عندما يكون في بساطته المتناهية يصبح مثل هذا القلب مثل ألواح الكتابة المصقولة بشكل جميل ومُلمعة، ويأتي الله للسكنى فيه ويكتب هناك ناموسه.

٨٢- القلب النقي هو الذي يقدم العقل لله خالياً من كل صورة وشكل، وجاهز لكي تطبع فيه نماذجه الأصلية، التي يُظهر الله نفسه بها.

٨٣- طبقاً للنص، «وأما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو ٢: ١٦)، يقول القديسون بأن يكون لنا فكر المسيح. ولكن هذا لن يتأتى لنا من خلال فقدان قوة فكرنا؛ ولا ينتقل جوهرياً وإقنومياً إلى فكرنا. بل بالأحرى، ينير قوة فكرنا برفعته ويطابق نشاط فكرنا على

الذي له. في رأييِّ الشخص الذي له فكر المسيح هو الذي تفكيره يتطابق مع الذي للمسيح وهو الذي يفهم المسيح من خلال كل الأشياء.

٨٤- طبقاً للنص، «نحن جسد المسيح وكل منا واحد من أعضاءه» (ق.م. ١كو ١٢: ٢٧)، نقول بأننا جسد المسيح. نحن لا نصبح هذا الجسد من خلال فقدان أجسادنا؛ ولا أيضاً لأن جسد المسيح ينتقل لنا إقنومياً أو يتقسم إلى أعضاء؛ ولكن بالأحرى لأننا نتطابق مع مثال جسد الرب بالتخلص من فساد الخطيئة. لأنه مثلما المسيح في إنسانيته كان بلا خطيئة بالطبيعة في كل من الجسد والنفس، كذلك نحن أيضاً الذين نؤمن به، وكسونا أنفسنا به بالروح القدس، نستطيع أن نكون بلا خطيئة فيه إذا اخترنا ذلك.

٨٥- طبقاً للكتاب المقدس هناك دهور مؤقتة في نفسها، ودهور مؤقتة التي تتمم كمال دهور أخرى. إن هذا واضح من النص: «لكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور» (عب ٩: ١٦). هناك أيضاً دهور أخرى أو عصور، خالية من الطبيعة المؤقتة، بعد هذا الدهر المؤقت، مؤسسة على انقضاء الدهور. إن هذا قد تم إظهاره بالنص: «ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق» (أف ٢: ٧). ولكن نجد أيضاً في الكتاب المقدس عدد كبير من الدهور الماضية، والحالية، والمستقبلية: وهناك إشارات لـ «دهر الدهور» (مز ٨٤: ٤ س)، «دهر الدهر» (مز ٩: ٥ س)، «الأزمنة الأزلية» (٢تى ١: ٩)، «أجيال الدهر» (تك ٩: ١٢). ولكن الآن لئلا ننحرف بعيداً عن موضوعنا بتفسير ما يعنيه الكتاب المقدس بالدهور المؤقتة أو الأزمنة الأزلية أو أجيال الدهر، أو بشرح ما هو ببساطة دهر ودهر الدهور، لنترك هذه المسائل لبحوث العلماء ونعود إلى موضوع فصولنا.

٨٦- نحن نعلم بأنه طبقاً للكتاب المقدس يوجد شيئاً ما يتجاوز الدهر. الكتاب المقدس قد أظهر أن هذا الشيء موجود ولكن لم يحدد ماهيته، كما يبين النص التالي: «الرب يملك إلى الدهر، وفوق الدهر، والى الأبد» (خر ١٥: ١٨ س). بناء على ذلك هناك شيئاً ما فوق الدهر، أي ملكوت الله الطاهر. لأنه ليس من الصواب أن نقول بأن ملكوت الله له بداية أو بأنه كان هناك دهوراً أو زمناً قبله، نحن نؤمن بأن الملكوت سيكون ميراثاً لهؤلاء المُخَلَصين، إنه مقرهم ومكانهم، كما عَلَّمَنا الكلمة الحقيقي، لأنه هدف نهائي لهؤلاء الذين يشتاقون للذي هو رغبة كل الرغبات. ومتى وصلوا إليه فإنهم يُمنحون راحة من كل الحركات مهما كانت، كما لن يكون هناك بعد أي زمن أو دهر يحتاجون

أن يمروا من خلاله. لأنه بعد المرور من كل الأشياء سوف يأتون إلى الراحة في الرب، الموجود قبل كل الدهور والذي لا تستطيع طبيعة الدهور أن تصل إليه.

٨٧- حتى ولو أحرز إنسان أعلى درجة في التدريب النسكي والتأمل الممكنان في هذه الحياة الأرضية، إلا إنه طالما لازال في هذه الحياة فسوف يمتلك المعرفة الروحية، والقدرة على التنبؤ وعربون الروح القدس جزئياً فقط وليس في ملئهم، ولكن عندما يصبح، فوق حدود الدهور، في هذا الميراث الكامل الذي يرى فيه، الذين وُجِدُوا مستحقين، الحق وجهاً لوجه وكما هو في الواقع (ق.م. ١كو ١٣: ١٢)، فلن يعد لديهم جزء فقط من الملء ولكن سوف يقتنون بالشركة كل امتلاء النعمة. لأنه كما قال القديس بولس، كل الذين قد خَلِصُوا سوف يحققون إنسانية كاملة إلى «قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣)، المذخر فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة الروحية (ق.م. غل ٢: ٣). عندما تُكشف هذه الأشياء، فإن كل ما هو جزئي سوف يبطل.

٨٨- البعض يبحث كي يكتشف كيف تبدو حالة الكمال التي للقديسين في ملكوت الله. هل هي تتضمن تقدم وتغير أم هي حالة ثابتة؟ وبأي طريقة يجب أن نفكر بها في وجود الأجساد والأنفس؟ إذا تكلمنا على سبيل التخمين، فيمكن أن يقترح المرء توازى بين الحياة في الجسد وتلك التي في النفس. في حالة الحياة الفيزيائية السبب في تناول الطعام مزدوج: أولاً للنمو وثانياً من أجل البقاء عندما نكون قد بلغنا بالفعل. نحن نغذى أنفسنا كي ننمو حتى نصل إلى النضج؛ ولكن عندما يصل الجسد إلى كامل قامته فلا يتغذى بعد لكي ينمو ولكن من أجل البقاء. بنفس الطريقة سبب تغذية النفس هو أيضاً مزدوج، أثناء تقدمها في المسار الروحي تتغذى بالفضيلة والتأمل، حتى تتجاوز كل الأشياء المخلوقة وتحقق «قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣). ومتى دخلت هذه الحالة فإنها تكف عن كل زيادة ونمو يتم تغذيته بوسائل غير مباشرة وتتغذى بشكل مباشر، بطريقة تفوق الفهم. والآن وقد أكملت مرحلة النمو، تأخذ النفس النوع الغير قابل للفساد من التغذية التي تعزز كمال مثال الله الممنوح لها، وتأخذ حالة من الوجود الأبدي الحسن. عندئذٍ فإن الميراث الأبدي العظيم في هذه التغذية قد كُشف للنفس، وتتأله بالشركة في النعمة الإلهية، متوقفة عن كل نشاط للفكر والحس، وفى نفس الوقت تُعلق كل عملية طبيعية للجسد. لأن الجسد يـتأله مع النفس من خلال مشاركته المماثلة في عملية التأله. وهكذا فإن الله وحده هو الذي

يظهر مجده من خلال النفس والجسد، حيث أن خواصهم الطبيعية تم التغلب عليهم بواسطة مجده الفائق الغنى.

٨٩- بعض العلماء يحاولون أن يكتشفوا كيف تختلف أماكن السكنى الأبدية والأشياء الموعود بها عن بعضها البعض. هل هناك اختلاف من الناحية الفعلية؟ أم أن الاختلاف ينشأ من فهمنا للكم والكيف الروحي الخاص بكل مكان للسكنى؟ البعض يعتقد في الأولى والبعض يعتقد في الثانية. من يعرف معنى «ملكوت الله داخلكم» (لو١٧: ٢١)، و«في بيت أبى منازل كثيرة» (يو ١٤: ٢)، سوف يفضل الشرح الثاني.

٩٠- البعض يحاول أن يكتشف كيف يختلف ملكوت السموات عن ملكوت الله، هل هناك اختلاف في طبيعتهم الفعلية، أم أن الاختلاف له علاقة بالمفهوم؟ الإجابة هي إنهم لا يختلفون في طبيعتهم الفعلية، ولكن فقط في فهمنا لهم. ملكوت السموات يتكون من امتلاك معرفة طاهرة وقبل أبدية عن الأشياء المخلوقة من خلال فهم جواهرهم الداخلية كما أوجدها الله. ملكوت الله هو منح البركات التي تخص الله طبيعيا من خلال النعمة. الأول يتعلق بكمال الأشياء المخلوقة، والثاني بفهمنا لحالتهم بعدما يصلوا إلى كمالهم.

٩١- النص «قد اقترب ملكوت السموات» (مت ٣: ٢؛ ٤: ١٧) لا يتضمن في رأيي أي تحديد زمني، لأن «ملكوت الله لا يأتي بمراقبة، ولا يقولون هوذا هَهنا أو هوذا هناك» (لو ١٧: ٢٠-٢١). العبارة تشير إلى العلاقة بين القديسين والملكوت[1]، كل طبقاً لحالته أو حالتها الداخلية. لأن «ملكوت الله» يقول الكتاب المقدس، «داخلكم» (لو ١٧: ٢١).

٩٢- ملكوت الله الآب هو حاضر في كل المؤمنين كإمكانية؛ وهو يحضر فعلياً في هؤلاء الذين، بعد أن يطردوا كل حياة طبيعية في النفس والجسد من الحالة الداخلية التي لهم، قد أحرزوا حياة الروح القدس وقادرون على أن يقولوا «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠).

٩٣- البعض يقول بأن ملكوت السموات هو طريقة الحياة التي تقود القديسين إلى السماء؛ والبعض الآخر بأنها حالة مشابهة لتلك التي للملائكة، تتحقق بواسطة هؤلاء الذين خلصوا؛ وآخرون بأنها الشكل ذاته الذي للجمال الإلهي الذي لهؤلاء الذين يلبسون

(١) أى أن الملكوت قد أقترب من القديسين طبقاً لحالتهم وليس زمنياً - م.

«صورة السماوي» (١كو ١٥: ٤٩). في رأيي كل من هذه الثلاثة وجهات نظر صحيح. لأن نعمة الملكوت تُعطى للكل طبقاً للكيف والكم الذي للبر الذي فيهم.

٩٤- طالما نحن مشتبكين في القتال بعزم في الحرب المقدسة التي للفلسفة النسكية أو العملية فنحن نُبقى معنا اللوغوس، الذي هو في شكل الوصايا التي أتت من الآب إلى هذا العالم. ولكن عندما نُعفى من الجهاد النسكي مع الشهوات وتم إعلان النصر عليهم وعلى الشياطين، نعبر بواسطة التأمل، إلى الفلسفة المعرفية؛ وبهذه الطريقة نسمح لـ اللوغوس بأن يترك العالم ثانية بطريقة مستيكية ويذهب إلى الآب. ومن ثم يقول الرب لتلاميذه: «لأنكم قد أحببتموني وآمنتم إني من عند الله خرجت. خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب» (يو ١٦: ٢٧- ٢٨). ربما يقصد بالعالم بالمهمة الصعبة التي للممارسة الفضائل؛ وبالآب، الحالة الفكرية التي تتجاوز العالم وهى خالية من كل نزعة مادية. عندما نكون في هذه الحالة فإن اللوغوس الإلهي يدخل فينا، واضعاً نهاية لمعركتنا مع الشهوات والشياطين.

٩٥- من نجح في إماتة كل ما هو أرضى فيه من خلال ممارسة الفضائل (ق.م. كو ٣: ٥)، ومن انتصر على عالم الشهوات الذي بداخله بواسطة إتمام الوصايا، فلن يلاقى أي حزن بعد؛ لأنه سيكون قد ترك العالم بالفعل وأتى ليكون في المسيح، المنتصر على عالم الشهوات ومصدر كل سلام. ومن لم يقطع ارتباطاته بالأشياء المادية سوف يلاقى الحزن دائماً، حيث أن حالته العقلية تعتمد على أشياء قابلة للتغَيُر بشكل طبيعي، وبذلك تتبدل عندما يتغيرون. لكن من أتى ليكون في المسيح سيكون غير متأثر بالكامل بمثل هذا التغير المادي. هذا الذي لأجله يقول الرب، «قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام، في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣). بكلمات أخرى، «فيَّ أنا لوغوس الفضيلة، لكم سلام، لأنكم قد تحررتم من دوامة واضطراب الشهوات والأشياء المادية؛ وفى العالم - أي، في حالة الارتباط بهذه الأشياء المادية - سوف تُحزنون بسبب التغير المتوالي لهذه الأشياء.» كلا الاثنان من يمارس الفضيلة ومن يحب العالم يلاقى الحزن، الأول بسبب التعب الذي تتطلبه ممارسة الفضيلة والثاني بسبب عبثية أو لا جدوى الأشياء المادية. ولكن الحزن الذي للأول مفيد، والذي للثاني مفسد ومدمر. الرب يمنح تحرراً لكل منهما: في حالة الأول يسكن ألم تعب ممارسة النسك بالتأمل الذي يتم إحرازه من خلال اللاهوىَ، وفى حالة الثاني يلغى الارتباط بالأشياء الفاسدة بواسطة التوبة.

٩٦- الاتهام الذي تم توجيهه للمخلص في الكتابة التي (عُلِّقَتْ) على الصليب أظهرت بوضوح أن من صُلِبَ كان رب وملك الفلسفة العملية والطبيعية واللاهوتية. لأن الكتاب المقدس يقول أن الكتابة قد كُتبت باللاتينية واليونانية والعبرية (ق.م. يو ١٩: ٢٠). إنني آخذ اللاتينية للإشارة إلى الفرع العملي للفلسفة، حيث إنه طبقاً لدانيال (ق.م. دا ٢: ٤٠) فإن الإمبراطورية الرومانية تم تحديدها على إنها الأكثر عزما وشجاعة في كل ممالك الأرض؛ لأن السمة المميزة في ممارسة الفضائل، أو الفلسفة العملية، هي العزم والشجاعة. وآخذ اليونانية للإشارة إلى للتأمل الطبيعي، حيث أن الأمة اليونانية قد اتبعوا أكثر من أي شعب آخر الفلسفة الطبيعية. وآخذ العبرية للإشارة إلى الدخول في أسرار اللاهوت، حيث أن هذه الأمة مقدسة بوضوح من البداية لله من خلال الآباء البطاركة.

٩٧- يجب أن لا نميت شهواتنا الجسدية فقط ولكن ندمر أيضاً الأفكار الملتهبة التي للنفس. ومن ثم يقول المرنم، «باكراً أبيد جميع أشرار الأرض لأقطع من مدينة الرب كل فاعلي الإثم» (مز ١٠١: ٨)- أي، شهوات الجسد والأفكار الشريرة التي للنفس.

٩٨- إذا حافظنا على طريق الفضيلة طاهراً من خلال التقوى والمعرفة الحقيقية، مع عدم الانحراف لأي جانب، فسوف نختبر مجيء الرب متجلياً لنا بسبب تحررنا من الأهواء. لأننا «سوف نترنم وفى طريق طاهر سوف نفهم متى تأتى إلينا» (ق.م. مز ١٠١: ١- ٢). المزمور يعنى السلوك الفاضل؛ والفهم الذي ينم على معرفة روحية، مكتسبة من خلال الفضيلة، التي بواسطتها ندرك مجيء الرب عندما ننتظر الرب متيقظين في الفضيلة.

٩٩- من هو مبتدئ في الطريق الروحي يجب أن لا يأتي إلى ممارسة الوصايا بالطيبة فقط، ولكن يجب أن يُحَث أكثر على مواصلة الكفاح بالتذكر القوى لدينونة الله. بهذه الطريقة لن يُدفع بالحب ليرغب في ما هو إلهي فقط ولكن سوف يُدفع بالخوف لتجنب ما هو شرير. لأنه «لرحمتك وعدلك أترنم لك يا رب» (مز ١٠١: ١ س). سوف يترنم للرب مفتوناً بالحب، ومتقوياً بالمخافة سوف يكون له قوة للترنم.

١٠٠- من أتى بجسده إلى توافق مع النفس من خلال الفضيلة والمعرفة الروحية أصبح قيثارة، ومزماراً، وهيكلاً لله. لقد أصبح قيثارة بحفظة توافق الفضائل؛ ومزماراً بتلقيه نفخة حياة الروح القدس من خلال التأمل الإلهي؛ وهيكلاً بأن يصبح مكاناً لسكنى اللوغوس من خلال نقاوة فكره.

نصوص متنوعة في علم معرفة الله، والتدبير الإلهي، والفضيلة والرذيلة

Various Texts on Theology, the Divine Economy, and Virtue and Vice

١- الله الذي هو أعلى من الوجود وأعلى من اللا بداية هو واحد، الوحدة المقدسة التي للثلاثة أقانيم، الآب والابن والروح القدس. إنه إتحاد غير محدود لثلاثة غير محدودين. مبدأ وجوده، مع حالة، وطبيعة ونوعية وجوده غير متاحين معا للمخلوقات. لأنها تمتنع على كل فكر للكائنات المفكرة، من المستحيل ظهورها من جوهرها المخفي طبيعيا، والمتجاوز بشكل لانهائي قمة كل معرفة روحية.

٢- الصالح الموجود ذاتياً وجوهرياً هو ذلك الذي ليس له بداية، ولا نهاية، ولا علة لوجوده ولا تغير مهما كان، في كل ما يتعلق بوجوده، تجاه أي علة نهائية. الخير الذي تطبقه مثل هذه الشروط ليس موجود ذاتياً حيث أن له بداية، ونهاية، وسبب لوجوده، وتغير،في كل ما يتعلق بوجوده،تجاه أي علة نهائية. حتى ولو أن ما هو ليس موجود بالمعنى الذاتي يقال بأنه، موجود بواسطة الشركة، من خلال مشيئة الموجود ذاتياً.

٣- لا يسبق فقط اللوغوس الإلهي تكوين الكائنات المخلوقة، ولكن لم يكن هناك أو سيكون مبدأ يعلو على اللوغوس. اللوغوس ليس بدون فكر أو ليس محروماً من الحياة؛ إنه يمتلك الفكر والحياة لأن الآب هو الفكر الموجود جوهريا الذي يلده، والروح القدس هو حياته الموجود جوهريا والمشارك[١].

٤- الله واحد، لأن الآب هو الوالد للابن الوحيد والباثق للروح القدس: واحد بدون تشوش وثلاثة بدون انقسام. الآب هو عقل لا بداية له، الوالد الجوهري الوحيد لـ اللوغوس الوحيد، الغير مبتدأ أيضاً، والباثق للحياة الوحيدة الأزلية الأبدية، الروح القدس.

٥- الله واحد لأن اللاهوت وحدةٌ، غير مبتدأ، بسيط، فوق الوجود، بدون أجزاء وغير منقسم. نفس الوحدة ثالوث، غير مبتدأ أيضاً، بسيط، وهلم جرا.

٦- كل شيء يستمد وجوده من الشركة مع حقيقة أخرى يُستلزم الأسبقية الوجودية لهذه

---

(١) الأبن له فكر وحياة ليس فقط لأنه واحد مع الآب والروح القدس ولكن لأن له حياة في ذاته (ق.م. يو ٥: ٢٦).

الحقيقة الأخرى. وهكذا فمن الواضح أن العلة الإلهية للكائنات المخلوقة التي تستمد وجودها من الشركة في هذه العلة - التي تسمو بما لا يقارن على كل مثل هذه المخلوقات من كل جهة، حيث أن وجودها يسبق بالطبيعة وجودهم ويستلزم أسبقيتها الوجودية، إنها لم توجد بالصدفة، لأنه لو كان الوضع هكذا فإن اللاهوت سيكون مُركب، ويكون وجودها مستمد كماله من وجود الكائنات الموجودة. بل بالعكس، إنها موجودة كفوق وجودية على الوجود. لأنه لو كان الفنانين يتصورون في فنهم أشكال تلك الأشياء التي يصنعونها، وإذا كانت طبيعة الكون تتصور الأشكال التي فيها، فكم بالأكثر جداً يجلب الله نفسه للوجود كل الأشياء المخلوقة من لا شيء، حيث أنه فوق الوجود ويتجاوز حتى بطريقة لا نهائية صفة الفوق وجودية. لأنه هو الذي قد ربط العلوم بالفنون كي تُبتكر الأشكال؛ إنه هو الذي أعطى للطبيعة القدرة التي تنتج أشكالها، وهو الذي أسس كينونة الكائنات نفسها بالفاعلية التي بها يُوجَدون.

٧- لا تتشارك الكائنات المخلوقة في جوهر الله، ولكن يشاء بأن هؤلاء القادرين على فعل المشاركة سوف يشتركون فيه طبقاً لأسلوب ما آخر، لا يصدر إطلاقاً من إحتجابية جوهره؛ لأنه حتى لو كان هذا الأسلوب طبقاً لما يشاء أن يُشارك به يبقى مخفياً بشكل دائم عن كل الناس. وهكذا، مثل أن الله في مشيئته الخاصة متشارك معه - أسلوب هذا الوجود معروف له وحده - فإنه في قوة صلاحه الفائق، يجلب بحرية للوجود الكائنات المتشاركة، طبقاً للمبدأ الذي يفهمه هو وحده. وبناء على ذلك فإن ما جاء إلى الوجود بمشيئة من صنعه لا يمكن أبداً أن يكون مماثلا في الأزلية مع من شاء أن يوجد.

٨- اللوغوس الإلهي، الذي وُلِدَ مرة واحدة والى الأبد في الجسد، يرغب دائما في رحمته أن يولد بالروح في هؤلاء الذين يرغبونه. إنه يصبح رضيعاً ويشكل نفسه فيهم من خلال الفضائل. إنه يكشف نفسه بالقدر الذي يعرف أن المُستَقبِل يستطيع أن يقبله؛ إنه لا يقلل من ظهوره في عظمته نتيجة نقص الكرم ولكن (بحسب) تقييمه لقدرة التلقي للذين يرغبون في رؤيته. بهذه الطريقة فإن اللوغوس الإلهي يظهر بشكل أبدى بأساليب مختلفة من المشاركة، إلا إنه يبقى بشكل أبدى غير مرئي للكل بفاعلية نشاطه الخفي الذي يفوق الطبيعة. هذا الذي لأجله يقول الرسول، عندما بحكمة أخذ في الاعتبار هذا النشاط الخفي، «يسوع المسيح هو أمساً واليوم والى الأبد» (عب ١٣: ٨)؛ لأنه يرى النشاط الخفي كشيئاً ما جديداً دائماً ولا يصبح أبداً عتيق من خلال كونه يُقبل بالفكر.

٩- المسيح إلهنا ولِدَ وأصبح إنسان بأخذه لنفسه جسداً ممنوح نفساً مفكرة. من يأتي بالكائنات المخلوقة من اللا وجود إلى الوجود هو نفسه ولِدَ بطريقة تفوق الطبيعة من عذراء، التي لم تفقد بذلك بكوريتها. لأنه مثلما هو نفسه أصبح إنسان بدون تغيير طبيعته، أو تغير قوته، كذلك جعل التي ولدته إماً وفى نفس الوقت حافظاً إياها عذراء. بهذه الطريقة يكشف معجزة من خلال معجزة أخرى، وفى نفس الوقت يخفى الواحدة بالأخرى. هذا لأنه، طبقاً لجوهره، فإن الله يبقى في نفسه دائماً سراً. إنه يوضح خفائه الطبيعي بتلك الطريقة التي تجعلها أكثر خفاءاً من خلال الكشف.

١٠- الطبيعة تغيرت إلى شيء ما جديداً وأصبح الله إنساناً. لم تتحرك الطبيعة الإلهية، الثابتة وغير المتحركة، تجاه ما هو غير ثابت وخاضع للحركة، من أجل أن توقفها عن الانجراف فقط، وليس فقط لكي تأتى طبيعة بشرية بدون بذرة، بطريقة تفوق الطبيعة، الجسد الذي أتى إلى الكمال بواسطة اللوغوس، لكي تمنعه أيضاً من الانجراف؛ ولكن نجم من المشرق أشرق في النهار وقاد المجوس (ق.م. مت ٢: ٢-١٠) إلى الموضع الذي أصبح فيه اللوغوس متجسداً، كي يظهر بطريقة مستيكية أن التعليم الداخلي للناموس والأنبياء يفوق الحواس ويقود الأمم إلى النور الفائق الذي للمعرفة الروحية. لأن التعليم الداخلي للناموس والأنبياء، عندما يتم تأملهم بإخلاص مثل النجم، يقود بالفعل هؤلاء الذين يستجيبون بحرية لنداء النعمة إلى المعرفة بالكلمة المتجسد.

١١- كإنسان أتعدى الوصية الإلهية بتعمد، عندما يغويني إبليس بالرجاء في الإلوهية (ق.م. تك ٣: ٥)، ساحباً إياي إلى أسفل من اتزاني الطبيعي إلى مملكة الملذات الحسية؛ وكان مفتخراً لجلبه مثل هذا الموت إلى الوجود، لأنه يبتهج بفساد الطبيعة البشرية. بسبب هذا، أصبح الله إنساناً كاملاً، آخذاً كل شيء ينتمي للطبيعة البشرية ما عدا الخطيئة (ق.م. عب ٤: ١٥)؛ وحقاً الخطيئة ليست جزءاً من الطبيعة البشرية[١]. بهذه الطريقة، بغواية الحية النهمة بطعم الجسد، أثاره لكي يفتح فمه ويبتلعه، هذا الجسد أثبت إنه سام له، مدمراً إياه بالكامل بواسطة قوة اللاهوت التي فيه؛ ولكن بالنسبة للطبيعة البشرية ثبت إنه دواء يُعيدها إلى نعمتها الأصلية بواسطة نفس قوة اللاهوت التي فيه. لأنه مثلما نفث إبليس سم الخطيئة على شجرة المعرفة وأفسد الطبيعة

(١) بحسب ما خلقها الله- م.

الحقيقة الأخرى. وهكذا فمن الواضح أن العلة الإلهية للكائنات المخلوقة التي تستمد وجودها من الشركة في هذه العلة - التي تسمو بما لا يقارن على كل مثل هذه المخلوقات من كل جهة، حيث أن وجودها يسبق بالطبيعة وجودهم ويستلزم أسبقيتها الوجودية، إنها لم توجد بالصدفة، لأنه لو كان الوضع هكذا فإن اللاهوت سيكون مُركب، ويكون وجودها مستمد كماله من وجود الكائنات الموجودة. بل بالعكس، إنها موجودة كفوق وجودية على الوجود. لأنه لو كان الفنانين يتصورون في فنهم أشكال تلك الأشياء التي يصنعونها، وإذا كانت طبيعة الكون تتصور الأشكال التي فيها، فكم بالأكثر جداً يجلب الله نفسه للوجود كل الأشياء المخلوقة من لا شيء، حيث أنه فوق الوجود ويتجاوز حتى بطريقة لا نهائية صفة الفوق وجودية. لأنه هو الذي قد ربط العلوم بالفنون كي تُبتكر الأشكال؛ إنه هو الذي أعطى للطبيعة القدرة التي تنتج أشكالها، وهو الذي أسس كينونة الكائنات نفسها بالفاعلية التي بها يُوجَدون.

٧- لا تتشارك الكائنات المخلوقة في جوهر الله، ولكن يشاء بأن هؤلاء القادرين على فعل المشاركة سوف يشتركون فيه طبقاً لأسلوب ما آخر، لا يصدر إطلاقاً من إحتجابية جوهره؛ لأنه حتى لو كان هذا الأسلوب طبقاً لما يشاء أن يُشارك به يبقى مخفياً بشكل دائم عن كل الناس. وهكذا، مثل أن الله في مشيئته الخاصة متشارك معه - أسلوب هذا الوجود معروف له وحده - فإنه في قوة صلاحه الفائق، يجلب بحرية للوجود الكائنات المتشاركة، طبقاً للمبدأ الذي يفهمه هو وحده. وبناء على ذلك فإن ما جاء إلى الوجود بمشيئة من صنعه لا يمكن أبداً أن يكون مماثلا في الأزلية مع من شاء أن يوجد.

٨- اللوغوس الإلهي، الذي وُلِدَ مرة واحدة والى الأبد في الجسد، يرغب دائما في رحمته أن يولد بالروح في هؤلاء الذين يرغبونه. إنه يصبح رضيعاً ويشكل نفسه فيهم من خلال الفضائل. إنه يكشف نفسه بالقدر الذي يعرف أن المُستَقبِل يستطيع أن يقبله؛ إنه لا يقلل من ظهوره في عظمته نتيجة نقص الكرم ولكن (بحسب) تقييمه لقدرة التلقي للذين يرغبون في رؤيته. بهذه الطريقة فإن اللوغوس الإلهي يظهر بشكل أبدى بأساليب مختلفة من المشاركة، إلا إنه يبقى بشكل أبدى غير مرئي للكل بفاعلية نشاطه الخفي الذي يفوق الطبيعة. هذا الذي لأجله يقول الرسول، عندما بحكمة أخذ في الاعتبار هذا النشاط الخفي، «يسوع المسيح هو أمساً واليوم والى الأبد» (عب ١٣: ٨)؛ لأنه يرى النشاط الخفي كشيئاً ما جديداً دائماً ولا يصبح أبداً عتيق من خلال كونه يُقبل بالفكر.

٩- المسيح إلهنا ولِدَ وأصبح إنسان بأخذه لنفسه جسداً ممنوح نفساً مفكرة. من يأتي بالكائنات المخلوقة من اللا وجود إلى الوجود هو نفسه ولِدَ بطريقة تفوق الطبيعة من عذراء، التي لم تفقد بذلك بكوريتها. لأنه مثلما هو نفسه أصبح إنسان بدون تغيير طبيعته، أو تغير قوته، كذلك جعل التي ولدته إماً وفى نفس الوقت حافظاً إياها عذراء. بهذه الطريقة يكشف معجزة من خلال معجزة أخرى، وفى نفس الوقت يخفى الواحدة بالأخرى. هذا لأنه، طبقاً لجوهره، فإن الله يبقى في نفسه دائماً سراً. إنه يوضح خفائه الطبيعي بتلك الطريقة التي تجعلها أكثر خفاءاً من خلال الكشف.

١٠- الطبيعة تغيرت إلى شيء ما جديداً وأصبح الله إنساناً. لم تتحرك الطبيعة الإلهية، الثابتة وغير المتحركة، تجاه ما هو غير ثابت وخاضع للحركة، من أجل أن توقفها عن الانجراف فقط، وليس فقط لكي تأتى طبيعة بشرية بدون بذرة، بطريقة تفوق الطبيعة، الجسد الذي أتى إلى الكمال بواسطة اللوغوس، لكي تمنعه أيضاً من الانجراف؛ ولكن نجم من المشرق أشرق في النهار وقاد المجوس (ق.م. مت ٢: ٢-١٠) إلى الموضع الذي أصبح فيه اللوغوس متجسداً، كي يظهر بطريقة مستيكية أن التعليم الداخلي للناموس والأنبياء يفوق الحواس ويقود الأمم إلى النور الفائق الذي للمعرفة الروحية. لأن التعليم الداخلي للناموس والأنبياء، عندما يتم تأملهم بإخلاص مثل النجم، يقود بالفعل هؤلاء الذين يستجيبون بحرية لنداء النعمة إلى المعرفة بالكلمة المتجسد.

١١- كإنسان أتعدى الوصية الإلهية بتعمد، عندما يغويني إبليس بالرجاء في الإلوهية (ق.م. تك ٣: ٥)، ساحباً إياي إلى أسفل من اتزاني الطبيعي إلى مملكة الملذات الحسية؛ وكان مفتخراً لجلبه مثل هذا الموت إلى الوجود، لأنه يبتهج بفساد الطبيعة البشرية. بسبب هذا، أصبح الله إنساناً كاملاً، آخذاً كل شيء ينتمي للطبيعة البشرية ما عدا الخطيئة (ق.م. عب ٤: ١٥)؛ وحقاً الخطيئة ليست جزءاً من الطبيعة البشرية[1]. بهذه الطريقة، بغواية الحية النهمة بطعم الجسد، أثاره لكي يفتح فمه ويبتلعه، هذا الجسد أثبت إنه سام له، مدمراً إياه بالكامل بواسطة قوة اللاهوت التي فيه؛ ولكن بالنسبة للطبيعة البشرية ثبت إنه دواء يُعيدها إلى نعمتها الأصلية بواسطة نفس قوة اللاهوت التي فيه. لأنه مثلما نفث إبليس سم الخطيئة على شجرة المعرفة وأفسد الطبيعة

(١) بحسب ما خلقها الله- م.

البشرية عندما تزوقتها، كذلك عندما أراد أن يبتلع جسد السيد تدمر هو نفسه بقوة اللاهوت التي فيه.

١٢- السر العظيم الذي للتجسد يبقى سراً إلى الأبد. ليس فقط لأن ما لم يُرى منه بعد أعظم مما تم كشفه- لأنه بالكاد قد تم كشفه بالدرجة التي يمكن أن يفهمه بها هؤلاء الذين خلصوا بواسطته - ولكن ما تم كشفه لازال أيضاً باقياً مخفياً بالكامل ولا توجد وسيلة لمعرفته على حقيقته. ما قلته لا يجب أن يبدو محيراً. لأن الله فوق الوجود ويتجاوز الفوق وجودية؛ وبذلك، عندما أراد أن ينزل إلى مستوى الوجود، أصبح كائناً بطريقة تتجاوز الوجود. وهكذا، أيضاً، بالرغم من تجاوزه الإنسان، إلا إنه بسبب حبه للإنسان أصبح حقاً إنسان بأخذه ما للإنسان؛ ولكن الطريقة التي أصبح بها إنسان تبقى غير معروفة، لأنه أصبح إنسان بطريقة تتجاوز الإنسان.

١٣- دعنا نتأمل بإيمان سر التجسد الإلهي وبكل بساطة دعنا نسبح ببساطة هذا الذي في جوده العظيم أصبح إنسان من أجلنا. لأن من يُعَوّل على قوة الشرح العقلي، كيف يمكن أن يوضح كيف حدث الحمل باللوغوس الإلهي؟ كيف ولِدَ الجسد بدون بذرة؟ كيف كان هناك ولادة دون فقد البكورية؟ كيف تبقى أم بعد الولادة عذراء؟ كيف ينمو الفائق الكمال كما نما هو؟ (ق.م. لو ٢: ٥٢)؟ كيف تعمد من هو طاهر؟ كيف يعطى من كان جائعاً طعام (ق.م. مت ٤: ٢؛ ١٤: ١٤- ٢١)؟ كيف من كان مرهقاً يعطى قوة (ق.م. يو ٤: ٦)؟ كيف من عانى يمنح شفاء؟ كيف من كان يموت يمنح حياة؟ ولكي نضع أهم جزء على الإطلاق أخيراً، كيف أصبح الله إنساناً؟ و- ما هو أكثر غموضاً حتى- كيف لـ اللوغوس أن يبقى بالكامل، وجوهرياً وإقنومياً في الآب، ويوجد أيضاً جوهرياً وإقنومياً في الجسد؟ كيف للذي هو إله كامل يصبح إنسان كامل؟ الإيمان وحده يمكن أن يعتنق هذه الأسرار، لأنه الإيمان هو الذي يجعل لنا الأمور التي تفوق الفكر والعقل واقع (ق.م. عب ١١: ١).

١٤- لأن آدم لم يطيع؛ أصبحت الطبيعة البشرية تتوالد من خلال اللذة الحسية؛ وبإبعاد مثل هذه اللذة من الطبيعة البشرية، لن يتم التوالد بواسطة البذرة. ولأن المرأة تعدت الوصية، فأن توالد الطبيعة البشرية يبدأ بالألم (ق.م. تك ٣: ١٦)؛ الرب طرد هذا من الطبيعة البشرية من خلال ميلاده عندما لم يسمح لمن ولدته بأن تفقد بكوريتها. لقد فعل ذلك لكي يطرد من الطبيعة البشرية كل من اللذة المبحوث عنها بتعمد والألم

الناتج عند ذلك الغير مبحوث عنه. من خلال ذلك يُعلمنا أيضاً بطريقة مستيكية أن نباشر توافقنا بطريقة أخرى للحياة، التي ربما بدأت بالألم والتعب ولكن بالرغم من ذلك تنتهي بلذة مقدسة وسعادة أبدية. هذا الذي لأجله أصبح من خلق الإنسان إنسان وَوُلِدَ كإنسان، حتى يمكن أن يخلص الإنسان، وبشفائه لأوجاعنا بألآمه، يمكن أن يدمر بنفسه بطريقة تفوق الطبيعة الشهوات التي تدمرنا، وفى رحمته يجددنا بالروح من خلال تجرداته في الجسد.

١٥- من يشتاق للإلهيات وتغلب على ميل النفس للجسد قد تحرر من الحدود الفيزيائية بالرغم من إنه في الجسد. لأن الله، الذي يجذب رغبة الشخص الذي يشتاق إليه، أعلى بما لا يقارن من كل الأشياء، ولا يسمح لأي أحد يشتاق إليه بأن يوجه رغبته تجاه أي شيء تالي له. دعنا بناء على ذلك نشتاق إلى الله بكل قوة طبيعتنا ولنبقى تصميمنا غير مقيد بأي احتياجات جسدية. لننهض فوق كل حقائق محسوسة أو معقولة، ودعنا لا نسمح لأي حدود فيزيائية أن تحل عزمنا لأن نكون مع الله، الذي هو بالطبيعة فوق كل حدود.

١٦- معاناة القديسين تكمن في جهادهم بين الحقد والفضيلة، الأول يحارب لكي يكسب السيطرة، والأخيرة تكابد كل الأشياء لكي تتفادى الهزيمة. الأول يكافح كي يغذى الخطيئة بضرب البار؛ الثانية تحفظ الناس الأخيار ثابتين بالرغم من إنهم يُجربون بأكثر من نصيبهم من المحن.

١٧- مهمة الفضيلة هي أن تناضل المشقات والمعاناة. جائزة النصر، التي تعطى لهؤلاء الذين يثبتون، هي تحرر النفس من الأهواء. في هذه الحالة تتحد النفس مع الله بالحب، وهى منفصلة في عزمها الداخلي عن الجسد والعالم. هؤلاء الذين يثبتون يجدون أن قوة النفس تكمن في أحزان الجسد.

١٨- لقد سُلبنا من حالتنا الأصلية بخداع اللذات الحسية، واخترنا الموت بدلاً من الحياة الحقيقية. دعنا إذاً نكابد بسعادة المشقات الجسدية التي تميت مثل هذه اللذة. بهذه الطريقة سوف يدمر موت اللذة الموت الذي حدث بواسطة اللذة، وسوف نستعيد، الحياة، التي لا تُشترى بمشقات جسدية هينة، التي بعناها من أجل اللذة الحسية.

١٩- إذا عاش الجسد حياة سهلة فإن قوة الخطيئة تميل إلى نمو أقوى، من الواضح أن الجسد عندما يعانى الأحزان فإن قوة الفضيلة سوف تزداد أيضاً. لذلك دعنا نتحمل

بشجاعة أحزان الجسد، التي تنظف بقع النفس وتأتى لنا بالمجد الآتي. لأن «آلام الزمان الحاضر لا يمكن أن تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا» (رو ٨: ١٨).

٢٠- عندما يعالج الأطباء الجسد فأنهم لا يعطون نفس الدواء في كل الحالات. ولا الله، عند معالجته لمرض النفس، يعتبر نوعاً واحداً من العلاج مناسباً لكل الظروف؛ ولكنه يخصص لكل نفس ما هو مناسب لها ويؤدى إلى شفاءها. لذلك لنكن شاكرين أثناء علاجنا، مهما كانت معاناتنا عظيمة، لأن النتيجة مباركة.

٢١- لا شيء يربى اللاهوىَ في النفس بطريقة جيدة مثل احتجاجات الجسد المحزون[1]. إذا أعطت النفس مخرجاً لهم فسوف تبرهن على إنها تحب الجسد أكثر من الله. ولكن إذا بقيت غير متزعزعة من هذا الاضطراب، فسوف تظهر إنها تكرم الفضيلة أكثر من الجسد. من خلال الفضيلة سيأتي الله للسكنى فيها - الله الذي من أجل النفس يحمل بصبر معاناتنا البشرية - وسوف يقول لها كما قال مرة للتلاميذ، ثقي «أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣).

٢٢- إذا كان كل القديسين قد أخذوا نصيبهم من التأديب، فيجب نحن أيضاً أن نشكر الله لأننا نتأدب معهم. حتى يمكن أن نوجد مستحقين أن نشترك في مجدهم. «لأن من يحبه الرب يؤدبه، ويهذب كل ابن يقبله» (أم ٢: ١٢ س).

٢٣- عندما قبل آدم اللذة الحسية التي قُدمتها له حواء، التي أتت من جانبه، طرد البشرية من الفردوس (ق.م. تك ٣: ٢٤). ولكن الرب عندما طعن في جانبه بالحربة أثناء معاناته لسكرات الموت، أتى باللص إلى الفردوس (ق.م. لو ٢٣: ٤٣). دعنا، إذاً، نحب معاناة الجسد ونكره لذته؛ لأن الأولى تأتى بنا إلى بركات الله وتجددها لنا، بينما الثانية تقودنا بعيداً عن هذه البركات وتفصلنا عنها.

٢٤- أذا كان الله قد تألم في الجسد عندما أصبح إنساناً، ألا يجب أن نبتهج عندما نتألم نحن، لأن عندنا الله الذي تشارك في آلامنا؟ هذه الآلام المشتركة تنعم علينا بالملكوت. لأنه تكلم بالحق الذي قال، «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (رو ٨: ١٧).

٢٥- إذا كان يجب علينا أن نتألم لأن جدينا الأولان ورطوا طبيعتنا في اللذة الحسية، فدعنا

---

(١) المقصود هنا الحزن الذى يأتى علية وليس الحزن الذى سببه هو لنفسه - م.

نتحمل بشجاعة آلامنا المؤقتة؛ لأنها تكلّ[1] لنا السن الحاد الذي لمثل هذه اللذة، وتحررنا من العذاب الأبدي التي تجلبه علينا (تلك اللذة).

٢٦- المحبة هي كمال كل البركات، حيث أن كل من يمشون فيها ترشدهم المحبة وتقودهم إلى الله، البركة الفائقة وسبب كل بركة، وتوحدهم معه؛ لأن المحبة أمينة ولا تسقط أبداً (ق.م. ١كو ١٣: ٨). الإيمان هو أساس ما يأتي بعده، أي الرجاء والمحبة، حيث إنه يوفر قواعد ثابتة للحق. الرجاء هو قوة العطيتان الفائقتان الحب والإيمان، حيث أن الرجاء يعطينا نظرات خاطفة لكل من: ما نؤمن به وما نشتاق إليه، ويعلمنا أن نصنع طريقنا تجاه هدفنا. المحبة هي كمال الاثنان الآخران، وتشمل بالكامل كامل كل رغبة في كل الرغبات، وتلبى الحنين الذي لإيماننا ورجائنا لها؛ لذلك فإن ما نؤمن به وما نرجو أن يحدث، المحبة تمكننا من أن نتمتع به كحقيقة حاضرة.

٢٧- العمل الأكثر كمالاً للمحبة، وتمام نشاطها، هو أن تحدث تبادلاً بين هؤلاء الذين تربطهم معاً، والتي توحد بدرجة ما صفاتهم المتميزة وتكيف ظروفهم الخاصة لبعضهم البعض. المحبة تجعل الإنسان على مثال الله، وتكشف وتظهر الله كمتأنس[2]، من خلال الهدف الوحيد والمتطابق ونشاط مشيئة كل منهما.

٢٨- إذا كنا قد خلقنا، كما نحن، على صورة الله (ق.م. تك ١: ٢٧)، فدعنا نكون على صورة كل من أنفسنا والله؛ أو بالأحرى دعنا نكون جميعاً صورة الله الواحد الكامل، غير حاملين أي شيء أرضى في أنفسنا، حتى نتمكن من أن نرافق الله ونصبح على مثاله، أخذين من الله وجودنا على مثاله. لأنه بهذه الطريقة يتم تكريمنا بالعطايا الإلهية وحلول السلام الإلهي.

٢٩- المحبة بركة عظيمة وهى الأولى والفائقة على كل البركات، حيث إنها تربط الله والبشر معاً حول من له محبة، وتجعل خالق البشر يظهر نفسه كإنسان من خلال مثاله الذي وضعه الله في الإنسان، على قدر ما يكون هذا ممكناً لإنسان. هذا ما أخذه ليكون تفعيلاً للوصية، «تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، وقريبك كنفسك» (ق.م. لا ١٩: ١٨؛ تث ٦: ٥؛ مت ٢٢: ٣٦- ٣٩).

---

(١) أى تجعله كليلا غير حاد - م.

(٢) لأنه من أجل محبته تأنس لكى يفدينا - م.

٣٠- إبليس قد خدعنا بالمكر بطريقة خبيثة ومخادعة، مثيراً إيانا من خلال محبة الذات إلى اللذة الحسية (ق.م. تك ٣: ١-٥). لقد فصلنا بمشيئتنا عن الله وعن بعضنا البعض؛ لقد أفسد الحق المستقيم وبهذه الطريقة قسم البشرية، قاطعاً إياها إلى أراء وأوهام كثيرة.

٣١- أعظم مؤلفين ومحرضين للشر هم، الجهل، محبة الذات، الطغيان. كل منهم يعتمد على الاثنين الآخرين ويُعضِّد بواسطتهم: من الجهل بالله تأتى محبة الذات، ومن محبة الذات يأتي الطغيان على نوع المرء نفسه. إبليس يؤسس هذا فينا عندما نسئ استخدام قوانا، أي ذكائنا، ورغبتنا وقوتنا الغضبية.

٣٢- يجب أن نُحفز بواسطة ذكائنا على هزيمة جهلنا ونبحث عن الله الواحد والوحيد بواسطة المعرفة الروحية؛ من خلال الرغبة- أي من خلال شهوة محبة الذات التي تم تطهيرها- يجب أن ننجذب إلى الاشتياق لله الواحد؛ ومن خلال القوة الغضبية ننفصل تماماً عن كل ميل للطغيان يجب أن نجاهد كي نبلغ إلى الله فقط. من هذه الثلاث قوى التي للنفس يجب أن نُفَعِلْ هذه المحبة الإلهية المباركة طالما هم موجودين، هذه المحبة التي تربط الإنسان التقى بالله وتظهره على مثاله.

٣٣- حيث أن محبة الذات هي، كما قلت، الأصل والأم للشر، فعندما تُستأصل هذه فكل الأشياء التي تأتى منها تُستأصل أيضاً. لأنه عندما تغيب محبة الذات، لا يمكن أن يوجد أي أثر أو شكل للشر بأي طريقة على الإطلاق.

٣٤- يجب أن نعتني بأنفسنا وببعضنا البعض بالطريقة التي أظهرها المسيح نفسه في شخصه، الذي عانى بصبر من أجلنا.

٣٥- من أجل المحبة قاوم كل القديسين الخطيئة، غير معطين أي اعتبار لهذه الحياة الحاضرة، وكابدوا أشكال كثيرة من الموت، لكي ينفصلوا عن العالم ويتحدوا مع أنفسهم والله، رابطين معاً في أنفسهم الأجزاء المكسورة التي للطبيعة البشرية. **لأن هذه هي معرفة المؤمن لله عن طريق التأمل. كمالها هي الصلاح والحق - إذا كان حقاً الصلاح كرحمة والحق كتقوى لله بالإيمان هما علامات المحبة، إنها توحد البشر مع الله ومع بعضهم البعض، وبناء على ذلك تحتوى على كل البركات الدائمة الغير متغيرة.**

٣٦- تحقيق وإثبات المحبة الكاملة لله هو موقف أصيل ورغبة في النية الحسنة تجاه جار المرء. لأنه «إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره» (١يو ٤: ٢٠).

٣٧- طريق الحق هو الحب. كلمة الله دعا نفسه الطريق (ق.م. يو ١٤: ٦، ١يو ٤: ٨)؛ وهؤلاء المسافرين على هذا الطريق يحضرهم لله الآب مُطهَرين من أي بقع.

٣٨- هذا هو الباب الذي يدخل من خلاله الإنسان إلى قدس الأقداس ويؤتىَ به إلى رؤية الجمال الذي لا يمكن الوصول إليه الذي للثالوث الأقدس.

٣٩- إنه لأمر مخيف وشنيع لنا، أن نقتل بتعمد الحياة التي أعطانا الله إياها كهبة من الثالوث الأقدس، بسبب محبتنا لأشياء قابلة للفساد. هؤلاء الذين قد دربوا أنفسهم على تفضيل الحق على محبة الذات سوف يعرفون بالتأكيد هذا الخوف.

٤٠- دعنا نستخدم السلام بالطريقة الصحيحة: بجحدنا الإتحاد الشرير مع العالم ورئيسه، لننهى الحرب التي نشنها على الله من خلال الشهوات، عاقدين عهد سلام لا ينفصم معه بتدميرنا لجسد الخطيئة في داخلنا (ق.م. رو ٦: ٦)، لنضع نهاية لعدائيتنا تجاهه.

٤١- بتمردنا على الله كما نفعل من خلال الشهوات والموافقة على دفع الجزية في هيئة شر لذلك الطاغية الخبيث والقاتل للنفوس، إبليس، لا نستطيع أن نتصالح مع الله حتى نبدأ أن نحارب أولاً ضد إبليس بكل قوتنا. لأنه بالرغم من إننا (بمجرد أن) نحمل اسم مسيحيين مؤمنين، حتى نجعل أنفسنا أعداء إبليس ونحاربه، فنحن نستمر، باختيار متعمد، في خدمة الشهوات المخجلة. ولن نستفيد شيئاً من سلامنا في العالم، لأن نفسنا في حالة شريرة، متمردة على خالقها وغير راغبة في تكون إحدى رعايا ملكوته. إنها لا تزال مباعة في قيودها في حشود السادة المتوحشين، الذين يحثونها على الشر والدمار بدلاً من الذي يأتي بها إلى الخلاص.

٤٢- لقد خلقنا الله حتى يمكن أن نصبح «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤) ونشاركه في الأبدية، وبذلك يمكن أن نكون مثله (ق.م. ١يو ٣: ٢) من خلال التأله بالنعمة. من خلال هذا التأله كل الأشياء يعاد تشكيلها وتحقق دوامها؛ ومن أجله ما هو غير موجود يأتي للوجود ويُعطىَ وجوداً.

٤٣- إذا رغبنا في أن ننتمي لله في كل من الاسم والواقع، يجب علينا أن نجاهد لا لكي نُسلم اللوغوس للآلام، كما فعل يهوذا (ق.م. مت ٢٦: ١٤- ١٦)، أو لكي ننكره كما فعل بطرس (ق.م. مت ٢٦: ٦٩-٧٥). أن تنكر المسيح هو أن تفشل في عمل ما هو صالح بسبب الخوف؛ وأن تسلمه هو أن تختار بتعمد أن تقترف الخطيئة.

٤٤- محصلة كل حزن نتحمله من أجل الفضيلة هي فرح، وكل تعب راحة، وكل معاملة سيئة مجد؛ باختصار محصلة كل الآلام من أجل الفضيلة هي الوجود مع الله، والبقاء معه إلى الأبد والتمتع بالراحة الأبدية.

٤٥- لأنه يريد أن يوّحدنا في الطبيعة والإرادة مع بعضنا البعض، وفى صلاحه يحث كل البشرية على هذا الهدف، عهد الله في محبته لنا بالوصايا الخلاصية، راسماً ببساطة أن علينا أن نظهر رحمة ونأخذ رحمة (ق.م. مت ٥: ٧).

٤٦- محبة الذات ومهارة البشر، تبعدهم عن بعضهم البعض وتفسد الناموس، وتقطع طبيعتنا البشرية الواحدة إلى أجزاء كثيرة. لذلك مدوا عدم الإحساس الذي أدخلوه في طبيعتنا والذي يسيطر الآن عليها، وذلك بأن تحارب طبيعتنا، المنقسمة في الإرادة والهدف، نفسها. وهكذا فمن نجح بالحكم الحسن والنبل اللذان للذكاء في حل هذه الحالة الشاذة التي لطبيعتنا قد أظهر رحمة لنفسه قبل أن يظهرها للآخرين؛ لأنه قد صب مشيئته وهدفه في قالب متطابق مع الطبيعة، ومن خلالهم تقدم تجاه الله بواسطة الطبيعة؛ لقد كشف في نفسه معنى أن يكون «على صورته» وأظهر كيف خلق الله طبيعتنا في البداية بشكل ممتاز على مثاله ونسخة نقية من صلاحه، وكيف خلق طبيعتنا واحدة مع نفسها من كل جهة- مسالمة، خالية من الشقاق والنزاع، مرتبطة بالله ونفسها بالمحبة، جاعلة إيانا نتمسك بالله بالرغبة ولبعضنا البعض بالمودة المتبادلة.

٤٧- في محبته للإنسان أصبح الله إنسان حتى يمكن أن يوحد الطبيعة البشرية مع نفسه ويوقفها من العمل بطريقة شريرة تجاه نفسها، أو بالأحرى من التنازع والانقسام ضد نفسها، ومن عدم أخذها راحة بسبب عدم استقرار مشيئتها وهدفها.

٤٨- لا شيء تالٍ لله أكثر قيمة للكائنات التي مُنحت فكراً، أو بالأحرى أعز عند الله، من المحبة الكاملة، لأن المحبة توحد هؤلاء الذين قد انقسموا وهى قادرة على خلق هوية

واحدة للمشيئة والهدف، خالية من النزاع، بين كثيرين أو بين الجميع؛ لأن من خواص المحبة أن تنتج مشيئة واحدة وهدف واحد في هؤلاء الذين يبحثون على ما يلائمها.

٤٩- إذا كان الخير بالطبيعة يوحد ويربط معاً ما قد انفصل، فمن الواضح أن الشر يقسم ويفسد ما قد تم توحيده. لأن الشر بالطبيعة مُفرق، غير مستقرا، متعدد الأشكال ومسبب للخلاف والشقاق.

٥٠- المحبة الحقيقية لله، المؤسسة على معرفة حقيقية، مع رفض تام لميل النفس للجسد وهذا العالم، هي الطريق المختصر إلى الخلاص وتنجى من كل الخطايا. في هذا الطريق، بنزعنا الرغبة لــ اللذة والخوف من الألم، نتحرر من محبة الذات الشريرة ونُنهض لمعرفة روحية للخالق. وعوضاً عن محبة الذات الشريرة، نأخذ محبة للذات غير فاسدة وروحية، منفصلة عن الميل للجسد؛ ولا نكف عن عبادة الله من خلال محبة الذات هذه، طالبين دائماً منه غذاءً لأنفسنا. لأن العبادة الحقيقية، التي تسر الله حقاً، هي التهذيب التام للنفس بواسطة الفضائل.

٥١- إذا كنت لا تشتاق لــ اللذة الجسدية ولا يوجد عندك أي خوف من الألم، فأنت قد أحرزت اللاهوىَ. لأنه بواسطة التغلب على مثل هذا الاشتياق وهذا الخوف، معاً مع محبة الذات التي ولدتهم، فقد قتلت بضربة واحدة كل الشهوات التي أتت إلى الوجود من خلالهم ومنهم، وأيضاً مبدأ كل الشرور، الجهل. لقد أصبحت مملوءاً بهذا الصلاح الذي هو مستقر وثابت ويبقى دائماً هو نفسه بالطبيعة؛ وفى هذا الصلاح تقف راسخاً تماماً، ناظراً «مجد الرب بوجه مكشوف» (٢كو ٣: ١٨) وتتأمل من خلال البريق المشع في داخلك المجد الإلهي الذي لا يدنى منه.

٥٢- دعنا ننبذ اللذة والألم اللذان لهذه الحياة الحاضرة بما لدينا من قوة، وبذلك نحرر أنفسنا بالكامل من كل أفكار الشهوة وكل مكايد الشياطين. لأننا نحب الشهوات بسبب اللذة ونتجنب الفضيلة بسبب الألم.

٥٣- حيث أن طبيعة كل شر هي تدمير ذاته مع العادات التي جلبها للوجود، فإن الإنسان يجد بالخبرة أن كل لذة تُتبع حتماً بالألم، ولذلك يوجه كل جهده تجاه اللذة ويفعل كل ما يمكنه لتجنب الألم. إنه يكافح بكل قوته لتحقيق اللذة ويحارب الألم بحماسة هائلة. إنه يأمل بفعله هذا أن يحتفظ بالاثنين متباعدين عن بعضهما - وذلك مستحيل - وأن ينهمك في محبة الذات بالطرق التي تجلب اللذة فقط وخالية بالكامل من الألم.

وسيطرة شهوة محبة الذات عليه، تظهره جاهلاً بأن اللذة لا يمكن أبداً أن توجد بدون الألم. لأن الألم مضفور باللذة، حتى ولو بدا إنه غير ملحوظ من هؤلاء الذين يعانونه. إنه يهرب من ملاحظتهم لأن الرغبة في اللذة هي القوة المسيطرة في محبة الذات، والذي يسيطر هو بالطبيعة بارز ويحجب عن وعى المرء ما هو حاضر معه. وهكذا فلأننا في محبتنا للذات نتبع اللذة - وأيضاً نتيجة لمحبة الذات - نحاول أن نهرب من الألم، فإننا نوَلّد ما لا يحصى من الشهوات المفسدة في أنفسنا.

٥٤- لا يعود الإنسان يختبر اللذة والألم عندما، يحرر فكره من العلاقة مع الجسد، ويربطه أو بالأحرى يوحده مع الله، الهدف الحقيقي للمحبة، والاشتياق والرغبة.

٥٥- كما أن المرء لا يستطيع أن يعبد الله بطريقة نقية دون أن ينقى نفسه بالكامل، كذلك لا يستطيع المرء أن يعبد الخليقة دون أن يشبع رغبة الجسد. بالتتميم، الناتج عن الاهتمام بالجسد، لهذه العبادة التي تسبب الفساد، وباقتنائه بذلك محبة الذات، يصبح الإنسان خاضعاً للفعل الدائم الذي للذة والألم - شجرة معرفة الخير والشر - وفى هذا الطريق يقتنى عن طريق الخبرة من خلال الإدراك الحسي المعرفة التي يختلط فيها الخير والشر. ولن يكون من الخطأ أن نقول بأن شجرة معرفة الخير والشر هي العالم المخلوق المرئي. لأن هذا العالم هو خاضع بالطبيعة لهذا التعاقب الذي ينتج اللذة والألم.

٥٦- عندما لا يحكم الذكاء، فإن الحواس تأخذ على عاتقها الحكم المسيطر، إن قوة الخطيئة مختلطة بطريقة ما مع الحواس وتغوى النفس بواسطة اللذة الحسية لكي تشفق على الجسد، المرتبطة به. عندما تتبع النفس الاهتمام الملتهب والملتذ بالجسد كمهمة لها، فإنها تُحرم من الحياة التي تعاش طبقاً للطبيعة وتُدفع لتكون مصدراً للشر، الذي لا يوجد له وجود ذاتي.

٥٧- شرير هو نسيان النفس العاقلة لما هو خير طبقاً للطبيعة؛ وهذا النسيان ينتج من علاقة مشبوبة العاطفة مع الجسد والعالم. عندما يكون الذكاء هو المتحكم يطرد هذا النسيان من خلال المعرفة الروحية، حيث أن الذكاء، عندما يتفحص طبيعة العالم والجسد، يسحب النفس إلى مملكة الحقائق الروحية التي هي بيته الحقيقي. ولا يمكن لناموس الخطيئة أن يخترق هذه المملكة؛ لأن الوصلة بين النفس والحواس قد تم كسرها الآن، والحواس، المحدودة بعالم الأشياء المحسوسة، لا تستطيع أن

تعمل بعد كجسر ينقل ناموس الخطيئة للفكر. عندما يتجاوز الفكر علاقته مع الأشياء المحسوسة والعالم الذي ينتمون إليه، يصبح حراً بالكامل من سيطرة الحواس.

٥٨- عندما يُسيطر الذكاء على الشهوات فإنه يجعل الحواس آلات للفضيلة. وبالعكس عندما تسيطر الشهوات على الذكاء فإنهم يجعلون الحواس تعمل طبقاً للخطيئة. يجب على المرء أن يدرس ويتأمل بانتباه كيف أن النفس تستطيع أن تعكس الموقف للأفضل وتستخدم تلك الأشياء التي أخطأت من خلالهم سابقاً لتلد وتغذى الفضائل.

٥٩- الإنجيل المقدس يعلم الناس أن ينبذوا الحياة التي بحسب الجسد وأن يعتنقوا الحياة التي بحسب الروح. أنا أتكلم على هؤلاء الذين يموتون دائماً عن ما هو بشرى - أعنى الحياة البشرية في الجسد طبقاً للدهر الحالي- ويعيشون لله بالروح فقط، على مثال القديس بولس وأتباعه. إنهم لا يعيشون حياتهم بأي شكل ولكن المسيح يحيا فيهم (ق.م. غل ٢: ٢٠). إذاً،هؤلاء، الذين ماتوا عن الجسد في هذا الدهر يمكن تميزهم بهذه الطريقة: حتى ولو كانوا يعانون المشقات، والعذاب، والحزن والاضطهاد، ويُلاقون ما لا يعد من أشكال التجارب والمحن، ومع ذلك يتحملون كل شيء بفرح.

٦٠- كل شهوة تتكون دائماً من إتحاد بعض الأشياء المدركة بالحواس، ومَلَكة الإدراك الحسي وقوة طبيعية- القوة الغضبية، الرغبة أو الذكاء، على حسب ما يمكن أن يكون السبب- واللائي قد تشوهت وظيفتهن الطبيعية. وهكذا، فإذا فحص الفكر النتيجة النهائية لهذه الثلاثة عوامل المتداخلة - الأشياء الحسية، مَلَكَة الإدراك الحسي والقوى الطبيعية المرتبطة بَمَلكة الإدراك الحسي- يمكن أن يميز كل واحد عن الاثنين الآخرين، ويُرجع كل واحد منهم إلى وظيفته الطبيعية المحددة. بمعنى آخر،إنه يستطيع أن يرى الشيء المحسوس في ذاته، منفصلاً عن علاقته بَمَلكة الإدراك الحسي، ومَلَكة الإدراك الحسي نفسها، منفصلة من ارتباطها بالشيء المحسوس، والقوة الطبيعية - الرغبة، على سبيل المثال - منفصلة عن إتحادها المشبوب العاطفة مع مَلَكة الإدراك الحسي والشيء المحسوس. بهذه الطريقة، يسحق الفكر أي شهوة يفحصها مهما كانت إلى أجزاءها المكونة لها، بنفس الطريقة تقريباً طُحن عجل إسرائيل الذهبي إلى بودرة وخُلِطَ بالماء (ق.م. خر ٣٢: ٢٠): إنه يذيبه بماء المعرفة الروحية، مدمراً بالكامل حتى الصورة الخالية من الشهوة التي للشهوات، بإرجاع كل من مكوناتها إلى حالتها الطبيعية.

٦١- الحياة الملطخة بكثير من الأخطاء الناتجة عن شهوات الجسد هي ثوب مدنس. لأن كل إنسان يُظهر نفسه إذا كان صالحاً أم شريراً من أسلوب حياته، كما ولو من ثوب ما. الرجل الصالح له حياة مقدسة كالثوب النظيف؛ الرجل الشرير له حياة ملوثة بالأفعال الشريرة. وهكذا فإن «الثوب المدنس من الجسد» (يه أية ٢٣) هو حالة داخلية وطبع في النفس عندما يتشوه الضمير بتذكر الدوافع والأفعال الشريرة التي تنهض من الجسد. عندما تغلف هذه الحالة أو الطبع النفس بشكل دائم مثل الثوب، فإنها تمتلئ بنتن الشهوات. ولكن عندما تنسج الفضائل بذكاء، من خلال قوة الروح القدس، فإنهم يشكلون ثوباً من عدم الفساد للنفس: وعندما ترتدي النفس هذا، تصبح النفس جميلة ومتألقة. وبطريقة عكسية، عندما تُنسج الشهوات تحت تأثير الجسد، فإنهم يشكلون ثوباً ملوثاً وقذراً، الذي يُظهر شخصية النفس، فارضاً عليها شكل وصورة متناقضة مع القداسة.

٦٢- ضمانة أكيدة للتطلع برجاء لتأله الطبيعة البشرية قدمت بواسطة تجسد الله، التي تجعل الإنسان على مثال الله مثلما أصبح الله إنساناً. لأنه من الواضح أن من أصبح إنسان دون خطيئة (ق.م. عب ٤: ١٥) سوف يؤله الطبيعة البشرية دون أن يغيرها إلى طبيعة إلهية، وسوف يقيمها ثانية من أجله بنفس الدرجة التي تنازل هو بها من أجل الإنسان. هذا هو ما يعلمه القديس بولس بطريقة مسيتيكية عندما يقول، «ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق» (أف ٢: ٧).

٦٣- عندما يكون الذكاء هو المتحكم في القوة الغضبية والرغبة، ينتج الفضائل. وعندما يكرس الفكر انتباهه إلى الجوهر الداخلي للأشياء المخلوقة، فإنها تجنى معرفة روحية أصيلة. وهكذا فإن الذكاء، بعد نبذ كل شيء غريب، يكتشف ما هو مرغوب طبقاً لطبيعتنا الحقيقية؛ ويدرك الفكر، بعد عبوره إلى ما وراء الأشياء المعروفة، علة[1] الأشياء المخلوقة الذي يتجاوز الوجود والمعرفة. حينئذٍ تتحقق شهوة التأله بواسطة النعمة:وتتوقف قوة الذكاء عن التمييز الطبيعي؛ لأنه لن يعود هناك شيئاً لتميزه؛ والتفكير الطبيعي الذي للفكر سوف يأتي إلى نهاية، لأنه لن يوجد بعد أي شيء ليعرفه؛ والشخص الذي يوجد مستحقاً للشركة الإلهية يصبح إله (بالنعمة) ويؤتى به إلى الراحة.

(١) أى الله علة كل علة – م.

٦٤- المعاناة تنظف النفس المصابة بقذارة اللذة الحسية وتفصلها بالكامل من الأشياء المادية بإظهارها لها العقاب الذي تجلبه على نفسها كنتيجة لتعلقها بهم. هذا الذي لأجله سمح الله في عدله أن يُبلِي إبليس الناس بالعذاب.

٦٥- اللذة والحزن، الرغبة والخوف، وما يتبعهم، لم يكونوا مخلوقين في الأصل كعناصر من الطبيعة البشرية لأنه في هذه الحالة سوف يشكلون جزءاً من تعريف هذه الطبيعة. أنا أتبع في هذه القضية القديس غريغوريوس النيصى[١]، الذي قرر أن هذه الأشياء قد نتجت عن سقوطنا من الكمال، لأنها قد تسللت إلى هذا الجزء من طبيعتنا الممنوح أقل قدر من الذكاء. من خلالهم تبدلت في الحال الصورة المباركة والإلهية في الإنسان وقت مخالفتنا بشبه واضح وجلي بالحيوانات. عندما أصبحت كرامة الذكاء مظلمة، كان من المحتم والعدل (أيضاً) أن الطبيعة البشرية يجب أن تُعاقب بواسطة تلك العناصر الحمقاء التي أنتجتهم في نفسها. بهذه الطريقة صنع الله في عنايته الإنسان بحكمة واعياً بسمو فكره.

٦٦- حتى الشهوات تصبح جيدة إذا فصلناهم بحكمة واجتهاد عن ما هو جسدي ووجهناهم إلى طلب ما هو سماوي. إن هذا يحدث، على سبيل المثال، عندما نحول الرغبة إلى اشتياق عقلي للبركات السمائية، أو عندما نحول اللذة إلى الفرح النبيل الذي هو طاقة إرادية للفكر يجدها في العطايا الإلهية؛ أو عندما نحول الخوف إلى اهتمام واقي للهرب من العقوبات التي تهددنا بسبب خطايانا؛ أو عندما نحول الحزن إلى ندم مصحح للخطيئة الحاضرة. باختصار، الشهوات تصبح جيدة إذا استخدمناهم- مثل الطبيب الذي يستخدم جسم الأفعى كدواء للضرر الحالي أو المتوقع من عضتها- لتدمير الشر الحالي أو المتوقع، ولكي نقتنى ونحفظ بأمان الفضيلة والمعرفة الحقيقية.

٦٧- ناموس العهد القديم ينظف الطبيعة البشرية من خلال الفلسفة العملية من كل الأدناس. ناموس العهد الجديد، ينهض بالفكر من خلال الدخول في أسرار التأمل، بواسطة المعرفة الروحية، من النظر إلى الأشياء المادية إلى رؤية الحقائق الروحية.

٦٨- هؤلاء المبتدئين الواقفين على بوابة الرواق المقدس الذي للفضائل (ق.م. ٢٧- ٩) يُدعوهم الكتاب المقدس «الخائفون الله» (ق.م. أع ١٠: ٢؛ ١٣: ١٦، ٢٦). وهؤلاء

(١) إنظر فى خلق الإنسان ١٨ (P.G. xliv. 192B)

الذين بقدر من الاستقرار قد اقتنوا مبادئ وصفات الفضيلة، يصفهم بـ «المتقدمين». وهؤلاء الذين في سعيهم للقداسة قد اقتنوا بالفعل بواسطة المعرفة الروحية قمة الحق الذي يكشف الفضائل، يُلقبهم بـ «الكاملين». وهكذا فمن هجر طريقة حياته السابقة المسيطر عليها من الشهوات، وبسبب الخوف أخضع مشيئته بالكامل للوصايا الإلهية، سوف لا ينقصه أي من البركات التي تتناسب مع المبتدئين، حتى ولو كان لم يقتنى الاستقرار بعد في ممارسة الفضائل أو لم يشارك بعد في الحكمة التي يتم التحدث بها بين الكاملين (ق.م. ١كو ٢: ٦). ومن هو متقدم سوف لا ينقصه أي من البركات التي تخص درجته، حتى ولو لم يقتنى بعد المعرفة الفائقة التي للحقائق الإلهية التي يملكها الكامل. لأن الكاملون قد بدئوا بالفعل بطريقة مستيكية في اللاهوت التأملي: وبتطهيرهم فكرهم من كل خيالات مادية وبحملهم دائماً طابع صورة الجمال الإلهي في كل ملئها، يظهرون المحبة الإلهية حاضرة في قلوبهم.

٦٩- الخوف نوعان؛ نوع طاهر، والآخر غير طاهرا. هذا الذي إلى حد كبير خوف من العقاب على الآثام التي تم ارتكابها هو غير طاهر، لأن الخطيئة هي التي تنهضه، ولن يبقى إلى الأبد، لأنه عندما يتم إزالة الخطيئة بواسطة التوبة فسوف يختفي أيضاً. الخوف الطاهر، من جهة أخرى، هو موجود دائماً حتى بعيداً عن الندم على الآثام التي تم ارتكابها. مثل هذا الخوف سوف لن ينقطع وجوده أبداً، لأنه متجذر جوهرياً بطريقة ما في الخليقة بواسطة الله ويجعل تأثير رهبة طبيعته فيهم واضحاً لأي أحد، التي تتجاوز كل مُلك وسلطة.

٧٠- من لا يخاف الله كقاضي ولكن ينظر إليه برهبة بسبب التمَّيُز الفائق لقوته الغير محدودة سوف لا يَعوزهُ بحق أي شيء؛ لأن بوُصوله للكمال في المحبة، يحب الله برهبة وتوقير مناسب. لقد اقتنى الخوف الذي يتحمل إلى الأبد وسوف لا يِعوزهُ شيء (ق.م. مز ١٩: ٩؛٣٤: ٩- ١٠).

٧١- من الكائنات المخلوقة نأتي إلى علّتهم؛ ومن الاختلافات بين الكائنات المخلوقة نتعلم الحكمة الساكنة في الخليقة؛ ومن النشاط الطبيعي للكائنات المخلوقة نميز الحياة الساكنة في الخليقة، القوة التي تعطى الكائنات المخلوقة حياتهم- الروح القدس[1].

---

(١) «وروح الله يرف على وجه المياه» (تك ١: ٢) - م.

٧٢- الروح القدس ليس غائباً عن أي كائن مخلوق، خاصة الذي له شركة في الذكاء بأي طريقة. لكونه الله وروح الله، فهو يشمل المعرفة الروحية لكل الأشياء المخلوقة، وبنعمة عنايته الإلهية ينفذ في كل الأشياء بقوته، وينعش جواهرهم الداخلية طبقاً لطبيعتهم. بهذه الطريقة يجعل الناس واعيين بالأشياء التي تُفعل بشكل خاطئ ضد ناموس الطبيعة، ويصيرهم قادرين على اختيار المبادئ الحقيقية والمنسجمة مع الطبيعة. وهكذا نجد كثير من شعوب البرابرة والبدو ينقلبون إلى طريقة متحضرة في الحياة ويضعون جانباً القوانين الهمجية التي احتفظوا بها بينهم من زمن سحيق.

٧٣- الروح القدس حاضر بطريقة غير مشروطة في كل الأشياء، وبهذا يطوق كل الأشياء، يعول الجميع، ويُحيي البذور الطبيعية فيهم. هو حاضر بطريقة خاصة في كل من هو تحت الناموس، وبهذا يظهر لهم أين كسروا الوصايا وينيرهم على الوعد الخاص بالمسيح الذي تم إعطاءه لهم. وهو حاضر أيضاً في كل الذين هم مسيحيين ولكن بطريقة أخرى بالطريقة التي يجعلهم بها أبناء الله. ولكن لا يحضر كمبدع للحكمة في أحد سوى هؤلاء الذين يفهمون[1]، والذين من خلال طريقة حياتهم المقدسة قد جعلوا أنفسهم لائقين لقبول سكناه وحضوره المُقَدِس. لأن كل واحد لا يُنفذ المشيئة الإلهية، حتى ولو كان مؤمناً، له قلب ينقصه الفهم، لأنه معمل للأفكار الشريرة، وجسد مرهون للخطيئة، لأنه متورط دائماً في نجاسات الشهوات.

٧٤- الله، الذي يشتاق إلى خلاص كل الناس ويشتهى أن يكونوا على مثاله، يُذبل غرورهم مثل شجرة التين الغير مثمرة (ق.م. مت ٢١: ١٩- ٢١). إنه يفعل ذلك حتى يمكن أن يُفضلوا أن يكونوا أبراراً في الواقع بدلا من المظهر، طارحين عباءة العرض الأخلاقي النفاقي، ويتبعوا بصدق الحياة الفاضلة بالطريقة التي يتمناها اللوغوس الإلهي. سوف يَحيون إذاً بوقار، كاشفين حالة نفسهم لله، بدلاً من استعراض المظهر الخارجي للحياة الأخلاقية لأتباعهم.

٧٥- مبدأ الإنجاز النشط هو شيء، وذلك الذي للمعاناة السلبية هو شيء آخر. مبدأ الإنجاز النشط يشير إلى القدرة الطبيعية على تنفيذ الفضائل. مبدأ المعاناة السلبية يشير إلى اختبار إما نعمة ما يفوق الطبيعة أو حدوث ما هو مضاد للطبيعة. لأنه مثل إننا

---

(١) «أما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذى يسمع الكلمة ويفهم، وهو الذى يأتي بثمر فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاين» (مت ١٣: ٢٣)- م.

ليس لدينا قدرة طبيعية على ما هو فوق الوجود، كذلك ليس لدينا بالطبيعة قدرة على ما ينقصه الوجود. وهكذا نختبر بطريقة سلبية التأله بالنعمة كشيئاً يفوق الطبيعة، ولكن لا نتممه بنشاط؛ لأنه بالطبيعة ليس لدينا القدرة على تحقيق التأله. أيضاً، نعانى من الشر كشيئاً مضاداً للطبيعة الذي يظهر في المشيئة؛ لأنه ليس لدينا قدرة طبيعية لتوليد الشر[1]. وهكذا وبينما نحن في حالتنا الحاضرة يمكن أن ننجز بنشاط الفضائل بالطبيعة، حيث أن لدينا قدرة طبيعية على إنجازهم. ولكن، عندما نرتفع إلى مستوى أعلى، نختبر التأله بطريقة سلبية، متلقين هذه الخبرة كعطية مجانية من النعمة.

٧٦- نحن ننجز الأشياء بنشاط على قدر ما يكون ذكائنا، الذي مهمته الطبيعية أن ينجز الفضائل، نشطاً في داخلنا، وعلى قدر ما يكون فكرنا نشطاً في داخلنا، القادر على تلقى، بشكل غير مشروط، كل المعرفة الروحية، التي تتجاوز كامل طبيعة الكائنات المخلوقة وكل ما هو معروف، وتتجاوز كل الدهور. نحن نختبر الأشياء بطريقة سلبية عندما، نتجاوز بالكامل الجواهر الداخلية التي للأشياء المخلوقة، ونأتي بطريقة تفوق التصور إلى العلة[2] نفسها التي أتت بالأشياء المخلوقة، وهناك نوقف أنشطة قوانا، معاً مع كل ما هو بالطبيعة له نهاية. حينئذٍ نصبح شيئاً هو في اللاوعي تحقيقاً لقدراتنا الطبيعية، حيث أن الطبيعة لا تملك القدرة على فهم ما يتجاوز الطبيعة. لأن الكائنات المخلوقة غير قادرة بالطبيعة على التأله حيث أنهم لا يقدرون على فهم الله. إن منح قدر متوافق من التأله للكائنات المخلوقة هو في سلطة النعمة الإلهية وحدها. النعمة تنير الطبيعة بنور يفوق الطبيعة وبسمو مجدها ترفع الطبيعة فوق حدودها الطبيعية.

٧٧- نحن نكف عن إنجاز الفضائل بعد هذه المرحلة الحالية من الحياة. ولكن، في مستوى أعلى من الذي للفضائل، لن نكف أبداً عن اختبار التأله بالنعمة. لأن الخبرة، أو الشهوة[3] التي تتجاوز الطبيعة هي غير محدودة، ونشطة وفعالة دائماً؛ بينما الخبرة أو الشهوة، المضادة للطبيعة لا يوجد لها وجود حقيقي، وعقيمة.

---

(١) أى لم يخلقنا الله لفعل الشر- م.

(٢) أى الله- م.

(٣) الشهوة هنا بالمعنى الإيجابى للكلمة أى الشهوة الى البر والقداسة وهلم جرا- م.

٧٨- صفات الفضائل والمبادئ الداخلية للكائنات المخلوقة كلاهما صور للبركات الإلهية، ويتمجد الله فيهم باستمرار. ففي جسده كان له صفات الفضائل، وله في نفسه المبادئ الداخلية للمعرفة الروحية. بهذه الطريقة يقدس على مثالة هؤلاء الذين وُجدوا مستحقين، معطياً إياهم الطابع الحقيقي للفضيلة ومنعماً عليهم بجوهر المعرفة التي لا تخطئ.

٧٩- الفكر الأمين في ممارسة الفضائل هو مثل القديس بطرس عندما سجنه هيرودس (ق.م. أع ١٢: ٣- ١٨). الاسم «هيرودس» يعنى «مصنوع من الجلد»، وبذلك يرمز هيرودس إلى ناموس الجلد، أي، مشيئة الجسد. القديس بطرس كان محروساً بفرقتين من الجنود وقُفل عليه ببوابة حديدية. الفرقتان ترمزان إلى الهجمات التي يعانيها الفكر من نشاط الشهوات ومن موافقة العقل على الشهوات. عندما عبر الفكر بأمان من الفرقتين أو المحرسين، بواسطة تعليم الفلسفة العملية، أتى إلى البوابة الحديدية التي تؤدى إلى المدينة. أعنى بهذا الارتباط الفظّ والعنيد للحواس بالأشياء المحسوسة. ليس أقل من أن البوابة انفتحت تلقائياً بواسطة التأمل الروحي في الجواهر الداخلية للكائنات المخلوقة؛ ومثل هذا التأمل يدفع الفكر عندئذٍ بشجاعة، متحرراً الآن من جنون هيرودس، تجاه الحقائق الروحية حيث ينتمي حقاً.

٨٠- إبليس هو كل من عدو لله ومنتقم (ق.م. مز ٨: ٢). إنه عدو الله عندما يبدو في كراهيته لله إنه قد اقتنى إلى حد ما حب مدمر لنا نحن البشر، حاثاً إيانا بواسطة اللذة الحسية كي نوافق على الشهوات التي تحت سيطرتنا، وأن نعطى قيمة لما هو فانى أكثر مما هو باقي. بهذه الطريقة يغوى كل رغبات نفسنا، ويفصلنا بالكامل من المحبة الإلهية ويجعلنا أعداء متحمسين للذي خلقنا. إنه منتقم عندما - أصبحنا الآن خاضعين له من خلال الخطيئة- يكشف كراهيته المجردة لنا ويطالب بعقابنا. لأنه لا شيء يسر الشيطان أكثر من عقابنا. عندما يُعطىَ إذناً بتنفيذ ذلك، فهو يخترع هجمات متتالية من الشهوات الموجهة ضد مشيئتنا، ويهاجمنا مثل العاصفة بعنف دون رحمة، نحن الذين، بسماح من الله، قد أخذ سلطان علينا. إنه يفعل ذلك، ليس بنية تتميم وصية الله، ولكن بسبب الرغبة في تغذية شهوة الكراهية تجاهنا، لذلك فإن النفس، في غرقها إلى أسفل مُضعفة بواسطة ثقل مثل هذه الفواجع المؤلمة، يمكن أن تقطع نفسها من قوة الرجاء الإلهي، معتبرة أن انقضاض هذه الفواجع ليس كتحذير وعتاب ولكن كسبب لعدم الإيمان بالله.

٨١- هؤلاء الذين قد اقتنوا اتزان أخلاقي ومعرفة تأملية ويوظفون هذا من أجل المجد البشرى، ناقلين فقط الانطباع الخارجي للفضائل، وينطقون كلمات الحكمة والمعرفة دون تنفيذ الأفعال المناظرة لها، بالإضافة إلى إنهم يظهرون للآخرين تكبرهم بسبب هاتين الفضيلة والمعرفة المزعومتين، حينئذٍ فإنهم يُسَلمون بعدل لمحن متناسبة مع ذلك، لكي يتعلموا من المعاناة هذا الإتضاع الذي لم يكن معروفاً لهم من قبل بسبب غرورهم الفارغ.

٨٢- كل شيطان يطور هجوم هذه أو تلك التجربة على وجه التحديد طبقاً لميله الفطري. لأنه يوجد شيطان مثمر في نوع من الشر، بينما آخر أكثر بغضة بشكل واضح من رفيقه وله ميل أكبر لشكل آخر من الشر.

٨٣- بدون إذن إلهي حتى الشياطين أنفسهم لا يستطيعون أن يُحَضْروا الشر بأي طريقة على الإطلاق. لأن الله نفسه في عنايته المُحِبَة هو الذي يسمح لإبليس، بطريقة مناسبة، بأن يسدد آلام متنوعة من خلال خُدامة. سفر أيوب يظهر هذا بوضوح، واصفاً كيف كان الشيطان غير قادر على الإطلاق من أن يقترب من أيوب إلا إذا شاء الله ذلك (ق.م. أي ١: ١١- ١٢).

٨٤- الإيمان الحقيقي هو الإيمان الظاهر والنشط. بناء على ذلك، فإن لوغوس الله يتجلى آخذا شكل الوصايا لهؤلاء المشغولين بممارسة الفضائل، وكـ لوغوس يقودهم بواسطة هذه الوصايا إلى أعلى إلى الآب، الذي هو فيه بالطبيعة.

٨٥- إصلاح الحياة، العبادة الملائكية، الانفصال الإرادي للنفس عن الجسد، وبداية التجديد الإلهي بالروح - تم إعلان ذلك بلغة مستترة في العهد الجديد. على سبيل المثال، يشير الكتاب المقدس بمصطلح «الختان الروحي» إلى استئصال الارتباط المشبوب العاطفة للنفس بالجسد (ق.م. في ٣: ٣؛ كو ٢: ١١).

٨٦- حيث أن الله كلى الصلاح ويتمنى بكل ما في الكلمة من معنى أن يستأصل منّا بذور الشر - بمعنى، اللذة الحسية التي تسحب فكرنا بعيداً عن المحبة الإلهية - فإنه يسمح لإبليس أن يُحزننا بالألم والعقاب. بهذه الطريقة يكشط شهوة اللذات السابقة من أنفسنا؛ وهو يسعى ليزرع فينا كراهية واشمئزاز تامّين للأشياء التي تنتمي لهذا العالم وترضى الحواس فقط، بأن يجعلنا ندرك أنه متى اقتنيناهم لن نجنى شيئاً من استخدامهم سوى العقاب. لأنه يُريد أن يجعل قوة إبليس التي للعقاب وكراهيته للبشر السبب العارض لكي يُرجع إلى الفضيلة هؤلاء الذين انحرفوا عنها باختيارهم الحر.

٨٧- من المناسب والعدل التامّين أن الذين قبلوا بسرور اقتراحات إبليس الخبيثة لارتكاب الخطايا بمحض اختيارهم يجب أيضاً أن يُعاقبوا بواسطته. لأنه من خلال الشهوات التي نقبلها بمحض إرادتنا يكون إبليس هو أبو اللذة، وهو المسبب للألم من خلال التجارب التي نعانيها رغماً عن إرادتنا.

٨٨- الفكر المتأمل والعارف أحيانا يتعرض لعقاب إبليس، ويعانى بحق المشقات والأحزان على يديه. إن هذا (يحدث) حتى يمكن أن يتعلم بالمعاناة أن يتحمل بصبر الأحزان بدلاً من العبث بعجرفة بلا هدف مع أشياء غير موجودة.

٨٩- إذا أدرك من يعانى لكسره واحدة من وصايا الله مبدأ العناية الإلهية التي تشفيه، فسوف يقبل الأحزان بفرح وشكر، ويصحح الخطأ الذي يؤدب عليه. ولكن إذا كان متبلداً لهذا العلاج، فسوف يُحرم بعدل من النعمة التي أعطيت له مرة ويسلم إلى اضطراب الشهوات؛ إنه متروك حتى يمكن أن يقتنى بالتعب النسكي تلك الأشياء التي يشتاق إليها داخلياً.

٩٠- الشخص الذي، يعرف الأخطاء التي ارتكبها، ويتحمل بمحض إرادته وبالشكر الواجب التجارب التي ألمت به بشكل مؤلم، كنتيجة لهذه الأخطاء، لن يتم سبيه بعيداً عن النعمة أو عن حالة الفضيلة التي له؛ لأنه يقبل بطريقة إرادية نير ملك بابل (ق.م. إر ٢٧: ١٧) ويسدد دَينهُ بقبوله التجارب. بهذه الطريقة، وفى أثناء وجوده في حالة النعمة والفضيلة، يدفع الجزية لملك بابل ليس فقط بالمعاناة الإجبارية، التي نشأت نتيجة الجانب المشبوب العاطفة من طبيعته، ولكن أيضاً بالقبول العقلي لهذه المعاناة، قابلا إياهم كدين مستحق عليه بسبب آثامه السابقة. من خلال العبادة الحقيقية، التي أقصد بها الأسلوب المتواضع، يقدم لله تصحيح آثامه.

٩١- إذا لم تقبل بشكر التجارب التي، بسماح من الله، تأتى عليك لتقويمك، ولا تتوب وتخلص نفسك من رأيك المغرور بأنك بار، فسوف تسلم إلى الأسر، والأغلال، والسلاسل، والجوع، والموت والسيف، وتسبى سبياً كاملاً عن وطنك؛ لأنك تقاوم العقوبات العادلة التي حكم بها الله وترفض الخضوع إراديا لنير ملك بابل، كما أمر الرب. منفياً بهذه الطريقة من حالة الفضيلة والمعرفة الروحية اللتان لك كما ولو من موطنك، تعانى كل هذه الأشياء وأكثر منها، لأنك في كبريائك وغرورك الباطل ترفض أن تكفر بالكامل عن آثامك وأن «تسر بالأحزان، والكوارث، والمشقات» (ق.م.

٢كو ١٢: ١٠)، كما فعل القديس بولس. لأنه عرف أن التواضع الناتج عن المشقات الجسدية يحرس الكنوز الإلهية التي للنفس؛ ولهذا السبب كان راضياً ومتحملاً بصبر، لأجله ولأجل هؤلاء الذين خدمهم كمثال على الفضيلة والإيمان، حتى إذا عانوا في حالة أذنبوا، مثل الكورنثيون الذين تم توبيخهم (ق.م. ١كو ٥: ١- ٥)، يمكن أن يكون لهم من عانى بدون ذنب كتشجيع وكنموذج للصبر.

٩٢- إذا كنت، بدلاً من التوقف القصير عند المظهر الخارجي الذي تحضر به الأشياء المرئية للحواس، تسعى بفكرك للتأمل في جواهرهم الداخلية، ناظراً إليهم كصورة للحقائق الروحية أو كمبادئ داخلية للأشياء المحسوسة، فسوف تتعلم أن لا شيء ينتمي للعالم المرئي نجس. لأنه بالطبيعة كل الأشياء خلقت جيدة (ق.م. تك ١: ٣١؛ أع ١٠: ١٥).

٩٣- من لا يتأثر بالتغيرات التي في الأشياء الحسية فهو يمارس الفضيلة بالطريقة التي هي طاهرة حقاً. ومن لا يسمح للمظاهر الخارجية للأشياء المحسوسة بأن يطبعن أنفسهن على فكره قد أخذ التعليم الحقيقي الذي للكائنات المخلوقة. ومن تجاوز عقله الوجود نفسه الذي للأشياء المخلوقة قد أتى، كلاهوتي حقيقي، بالقرب من الواحد[1] من خلال عدم المعرفة[2].

٩٤- كل فكر تأملي له «سيف الروح، الذي هو كلمة الله» (أف ٦: ١٧)، وقد قطع من نفسه نشاط العالم المرئي، قد اقتنى الفضيلة. ومتى استأصل من نفسه صورة المظاهر الحسية فإنه يجد الحق موجوداً في الجواهر الداخلية للأشياء المخلوقة، التي هي أساسات التأمل الطبيعي. وعندما يكون قد تجاوز وجود الأشياء المخلوقة، فسوف يأخذ استنارة الواحد المثلث الأقانيم القدوس الغير مبتدأ، الذي هو أساس سر اللاهوت الحقيقي.

٩٥- الله يكشف نفسه لكل شخص طبقاً لطريقة فهمه له. لهؤلاء الذين يطمحون إلى تجاوز التركيب المعقد للمادة، وهؤلاء الذين قواهم النفسية متكاملة تماماً في دوران واحد لا ينقطع حول الله، يكشف نفسه كواحد وثالوث. بهذه الطريقة يظهر بشكل تصاعدي وجوده. ولهؤلاء الذين طموحهم محدود بالتركيب المعقد للمادة، وقواهم

---

(١) أي الله – م.

(٢) أي بتجاوز المعرفة المادية – م.

النفسية غير متكاملة، فهو يبدوا لهم ليس كما هو لكن كما هم، مظهراً إنهم مأسورين بالكامل بالخداع المادي بينما العَالَمْ الطبيعي يُفهم على إنه خليط من المادة والشكل.

٩٦- القديس بولس يشير إلى القوى المختلفة التي للروح القدس كهبات مختلفة للنعمة، مقرراً أنهم ينشطون بنفس الروح القدس الواحد (ق.م. ١كو ١٢: ١١). «إظهار الروح» (١كو ١٢: ٧) يَعطىَ طبقاً لدرجة إيمان كل إنسان من خلال الشركة في موهبة معينه للنعمة. وهكذا فإن كل مؤمن هو متلقي لقوة الروح القدس بطريقة تتناسب مع درجة إيمانه وحالة نفسه؛ وهذه القوة تمنحه القدرة المطلوبة لتنفيذ وصية معينة.

٩٧- شخص يعطى صفة الحكمة، وآخر صفة المعرفة الروحية، وآخر صفة الإيمان، وشخصا ما آخر إحدى مواهب الروح القدس التي أعلنها القديس بولس (ق.م. ١كو ١٢: ٨- ١١). بنفس الطريقة يأخذ شخص من خلال الروح القدس، طبقاً لدرجة إيمانه، موهبة المحبة الكاملة والمباشرة لله والخالية من كل مادية؛ وآخر من خلال نفس الروح يأخذ موهبة المحبة الكاملة لجاره؛ وآخر يأخذ شيئاً ما آخر من نفس الروح. وتنشط في كل منهم، كما قلت، الموهبة التي تتناسب مع حالته. لأن كل قدرة على تتميم وصية تسمى موهبة من الروح القدس.

٩٨- صبغة[1] الرب (ق.م. مت ٢٠: ٢٢) هي إماتة تامة لميلنا للعالم المحسوس؛ والكأس هي إنكار طريقة حياتنا الحاضرة من أجل الحق.

٩٩- صبغة الرب تمثل الآلام التي نتلقاها إرادياً من أجل الفضيلة. من خلال هذه الآلام نغسل البقع التي في ضميرنا ونقبل عن طيب نفس موت ميلنا للأشياء المرئية. الكأس تمثل التجارب اللا إرادية التي تهاجمنا في شكل ظروف معاكسة بسبب إتباعنا الحق. إذا كنا في كل هذه التجارب نعظم رغبتنا في الله أكثر من الطبيعة، فسوف نخضع بإرادتنا لموت الطبيعة المفروض علينا بواسطة هذه الظروف.

١٠٠- الصبغة والكأس يختلفان بهذه الطريقة: المعمودية من أجل الفضيلة تميت الميل لملذات هذه الحياة؛ الكأس تجعل المؤمن يعظم الحق حتى على الطبيعة نفسها.

---

(١) أى المعمودية – م.

المئوية الثانية

Second Century

١- المسيح ذكر الكأس قبل الصبغة (ق.م. مت ٢٠: ٢٢) لأن الفضيلة توجد من أجل الحق ولكن الحق لا يوجد من أجل الفضيلة. وهكذا فمن يمارس الفضيلة من أجل الحق لا يُجرح بواسطة سهام البر الذاتي؛ ولكن من يتبع الحق من أجل الفضيلة يأوي الغرور الذي يولده البر الذاتي.

٢- الحق هو معرفة إلهية، والفضيلة هي الجهاد من أجل الحق من جهة هؤلاء الذين يرغبون فيه. الإنسان الذي يتحمل أتعاب الفضيلة من أجل مثل هذه المعرفة لا يغتر، لأنه يعرف أن الحق لا يمكن أن يُفهم بطريقة طبيعية من خلال الجهد البشرى. لأنه ليس في طبيعة الأشياء أن ما هو أساسياً يُحد بما هو ثانوياً. ولكن الإنسان الذي يتوقع إحراز المعرفة بواسطة الجهادات التي يقوم بها من أجل الفضيلة يعانى بصفة مستمرة من البر الذاتي، لأنه يتخيل إنه قد ربح إكليل المنتصر قبل أن يكون قد عرق من أجله. إنه لا يعرف أن هذه الأتعاب توجد لأجل الأكاليل، ولكن الأكاليل لا توجد من أجل الأتعاب. لأنه بالطبيعة كل نظام روحي يتم التوقف عن ممارسته متى تحقق الهدف الذي كان ينويه أو تم الاعتقاد بأنه تحقق.

٣- من يبحث فقط عن الشكل الخارجي للمعرفة، أي، المعرفة التي هي نظرية فقط، ويتبع مظهر الفضيلة، أي يتبع الأخلاق النظرية فقط، هو منفوخ، مثل اليهودي، بصور الحق.

٤- من لا يرى طقس الناموس بحواسه فقط، ولكن ينفذ بطريقة عقلية في كل رمز مرئي ويستوعب بشكل تام المبدأ الإلهي المخفي في كل منهم، يجد الله في الناموس. لأنه يستخدم فكره بطريقة صحيحة ليتلمس طريقة، كما في ركام مبعثر، بين الأشكال المادية التي للناموس، على رجاء العثور على هذه اللؤلؤة أو المبدأ المخفي في مكان ما في جسمه، وهى التي تهرب بالكامل من الحواس (ق.م. مت ١٣: ٤٥- ٤٦).

٥- أيضاً، من لا يحد فهمه لطبيعة الأشياء المرئية بما يمكن أن تلاحظه حواسه، ولكن يبحث بفكره بحكمة عن الجوهر الكامن داخل كل مخلوق، يجد الله أيضاً؛ لأنه من الروعة الظاهرة للكائن المخلوق يعلم من هو علة وجودهم.

٦- الإفراز هو الصفة المميزة للإنسان الذي يفحص ويتحقق. إذاً من يفحص رموز الناموس بأسلوب روحي، ومن يتأمل بذكاء الطبيعة المرئية للأشياء المخلوقة، سوف يُمَيّز في الكتاب المقدس بين الحرف والروح، وفى الخليقة بين الجوهر الداخلي اللوغوس[١] والمظهر الخارجي، وفى نفسه بين الفكر والحواس؛ وفى الكتاب المقدس سوف يختار الروح، وفى الخليقة الجوهر الداخلي، وفى نفسه الفكر. وإذا وَحّد عندئذٍ هؤلاء الثلاثة إلى بعضهم البعض بشكل غير قابل للانحلال، فسوف يجد الله[٢]: وسوف يأتي إلى إدراك الله، كما يجب عليه وعلى قدر المستطاع، الذي هو فكر ولوغوس وروح. بهذه الطريقة سوف ينجو من كل الأشياء التي تخدع الإنسان وتغويه إلى ما لا يعد من الأخطاء - أي تنجيه من الحرف، والمظهر الخارجي للأشياء والحواس، التي تملك جميعها اختلافات كثيرة ومناقضة للوحدة. ولكن إذا ركب إنسان حرف الناموس، والمظهر الخارجي للأشياء المحسوسة، وحواسه مع بعضهم البعض، فهو «أعمى قصير البصر» (٢بط ١: ٩)، ومريض بسبب جهله بعلة الأشياء المخلوقة.

٧- الرسول يعطينا التعريف التالي للإيمان: «وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى» (عب ١١: ١). يمكن للمرء أيضاً أن يُعَرّفهُ بطريقة عادلة على أنه بركة متأصلة أو معرفة حقيقية تكشف بركات لا ينطق بها.

٨- الإيمان هو قوة الاتصال أو العلاقة التي تُحدثْ إتحاد المؤمن، الفوري والكامل والفائق للطبيعة، بالله الذي يؤمن به.

٩- حيث أن الإنسان مركب من جسد ونفس، فهو يتحرك بواسطة ناموسين، هذا الذي للجسد وذاك الذي للروح (ق.م. رو ٧: ٢٣). ناموس الجسد يعمل بقوة الحواس؛ وناموس الروح يعمل بقوة الفكر. الناموس الأول، من خلال عمله بقوة الحواس يربط المرء مباشرة بطريقة آلية بالمادة؛ الناموس الثاني من خلال عمله بقوة الفكر، يُحْدِث إتحاد مباشر بالله. افترض أن شخصاً ما لا يشك في قلبه (ق.م. مت ١١: ٢٣)- أي، لا يشك في فكره- الشك الذي من خلاله يمزق هذا الإتحاد الفوري مع الله الذي قد حدث بالإيمان، ولكنه تحرر من الأهواء أو بالأحرى أصبح على مثال الله من خلال الإتحاد مع

---

(١) اللوغوس هنا بمعنى الجوهر الداخلى للأشياء وهى كلمة يونانية كانت مستخدمة فى الفلسفة اليونانية بهذا المعنى وتم إستخدامها فى الكتاب المقدس كلقب لإقنوم الإبن (ق.م. يو ١: ١)- م.

(٢) من خلال عمله الذى يشير اليه - م.

الله بالإيمان: إذاً فمن الطبيعي تماماً أن مثل هذا الشخص عندما يقول لجبل «اذهب إلى مكان آخر» فسوف يذهب (ق.م. مت ١٧: ٢٠). الجبل يشير هنا إلى مشيئة وناموس الجسد الذي هو ثقيل جداً ويصعب إزاحته، وفى الواقع، طالما قوانا الطبيعية معنية، فهو غير متحرك وثابت تماماً.

١٠- القدرة على الغباء متأصلة بعمق في الطبيعة البشرية من خلال الحواس حتى أن الأغلبية تعتقد بأن الإنسان لا شيء أكثر من جسد، يمتلك قدرات الحس لكي يتمتع بهذه الحياة الحاضرة.

١١- «كل شيء مستطاع»، يقول الكتاب المقدس، «للمؤمن» (مر ٩: ٢٣) الذى لا يشك - بكلمة أخرى، للشخص الغير مسيطر عليه بواسطة تعلق النفس بالجسد من خلال الحواس، وبذلك لا يفصل نفسه عن الإتحاد بالله الذي أتى به الإيمان من خلال الفكر. كل ما يبعد الفكر عن العالم والجسد، يأتي به مكملاً بإنجازاته الروحية، قريباً من الله، هذا هو ما يجب فهمه كمضمون للقول، «كل شيء مستطاع للمؤمن».

١٢- الإيمان هو معرفة لا يمكن برهنتها بطريقة عقلية. إذا كانت مثل هذه المعرفة لا يمكن برهنتها بطريقة عقلية، فالإيمان إذاً هو علاقة تفوق الطبيعة، التي توحدنا مع الله بإتحاد يفوق الفكر، بطريقة غير معروفة وكذلك غير قابله للبرهنة.

١٣- عندما يكون الفكر في إتحاد مباشر مع الله، فإن تلك القدرة التي بموجبها يَفهم ويُفهم بها تتعطل بالكامل. بمجرد أن تنشط هذه القدرة من خلال فهم شيئاً تالي لله، فهي تختبر الشك وتنفصل عن الاتحاد الذي يفوق التفكير. طالما الفكر مربوط بالله من خلال هذا الإتحاد، وقد عبر إلى ما وراء الطبيعة وأصبح على مثال الله من خلال الشركة، فيكون قد نقل ناموس طبيعته كما ولو إنه يحرك جبلاً راسخاً.

١٤- من بدأ حديثاً في إتباع الطريق المقدس في الحياة، وتلقى تعليم عن كيفية التصرف بشكل صالح، يكرس نفسه بالكامل لممارسة الفضائل بكل طاعة وإيمان، مغذياً نفسه، كما ولو من طعام، على جوانبهم الظاهرة، بكلمة أخرى، على التدريب الأخلاقي. المبادئ الداخلية التي للوصايا، التي تشكل معرفة (المؤمن) الكامل، في إيمانه تساعده في طريقه لله، لأنه لا يمكنه أن يعتنق حتى الآن المقدار الكامل للإيمان.

١٥- الرجل الكامل، الذي تخطى ليس فقط مرحلة المبتدئين ولكن أيضاً المتقدمين، ليس جاهلاً بالمبادئ الداخلية التي للأفعال التي ينجزها في تنفيذ الوصايا. بل بالعكس، إنه يتشرب بطريقة روحية أولاً هذه المبادئ وبعدئذٍ بواسطة أفعاله يتغذى على جسم الفضائل بكامله. بهذه الطريقة ينقل إلى مستوى المعرفة الروحية أفعال تحدث في العالم المحسوس.

١٦- قال الرب «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره» (مت ٦: ٣٣)، أي، اطلبوا معرفة الحق قبل كل شيء، ومن أجل ذلك الهدف اسعوا للتدرب بطريقة مناسبة على إحرازها. بقوله هذا، أظهر بوضوح أن المؤمنين يجب أن يطلبوا المعرفة الإلهية والفضيلة التي تزينها بالأفعال المناسبة.

١٧- كثيرة هي الأشياء التي يحتاجها المؤمن لإحراز معرفة الله والفضيلة: التحرر من الشهوات، قبول التجارب بصبر، المبادئ الداخلية للفضيلة، التدرب على طرق الحرب الروحية، اقتلاع ولع النفس بالجسد، قطع ارتباط الحواس بالأشياء المحسوسة. انسحاب الفكر بالكامل من كل الأشياء المحسوسة؛ باختصار، هناك ما لا يُعد من الأشياء الأخرى التي تساعدنا على نبذ الخطيئة والجهل وإحراز المعرفة والفضيلة. بالتأكيد أنه بسبب ذلك يقول الرب «كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه» (مت ٢١: ٢٢)، مقرراً ببساطة أن المؤمن يجب أن يطلب ويسأل من أجل كل هذه الأشياء بفهم وإيمان، ومن أجل هذه الأشياء فقط، التي تقود إلى الفضيلة ومعرفة الله. لأن كل هذه الأشياء مفيدة، وبطريقة أكيدة يعطيها الرب لهؤلاء الذين يطلبون.

١٨- وهكذا من يبحث من أجل الإيمان فقط- أي من أجل الإتحاد المباشر مع الله- عن كل الأشياء التي تسهم في هذا الإتحاد سوف ينالهم بالتأكيد. من يبحث عن الأشياء التي ذكرناها أو أشياء أخرى بدون هذا الدافع فلن ينالهم. لأن ليس له إيمان، ولكن مثل غير المؤمن يستخدم الأشياء الإلهية كي يرفع من شأن مجده الشخصي.

١٩- من يطهر مشيئته من فساد الخطيئة يدمر نشاط الفساد للشيء الذي يسبب الفساد. لأنه عندما تُحَرِر مشيئة المرء الحرة نفسها من الفساد، فإنها تمنع الطبيعة من أن تفسد بواسطة القوات المعادية وتحفظها خالية في عدم الفساد من خلال نعمة العناية الإلهية التي للروح القدس الذي فيها.

٢٠- حيث أن مبادئ الطبيعة والنعمة ليست واحدة ولا متماثلة، يجب علينا أن لا نُفاجَأ إذا كان بعض القديسين قاوموا الشهوات أحياناً وأحياناً أخرى استسلموا لها؛ لأننا نعرف أن معجزة المقاومة ترجع إلى النعمة، بينما الشهوة تنتمي إلى الطبيعة.

٢١- من يضع في ذهنه طريق القديسين لا يقلدهم فقط بالتخلص من الشلل القاتل الذي للشهوات ولكن أيضاً برفع حياة الفضيلة.

٢٢- الله، الذي هو قبل كل الدهور يضع الحدود الخاصة بحياة كل أحد، بالأسلوب الذي يشاءه، قائداً كل إنسان، سواء كان صالحاً أو غير صالحاً، تجاه مصيره النهائي الذي يستحقه.

٢٣- إنني أعتبر أن العاصفة المظلمة التي ألمت بالقديس بولس (ق.م. أع ٢٨: ١- ٤) هي ثقل التجارب والإغراءات اللا إرادية. الجزيرة هي حالة الرجاء الإلهي الراسخة والثابتة. النار هي حالة المعرفة الروحية، القضبان هي طبيعة الأشياء المحسوسة، لقد جمعها بولس بيده، التي أعتبرها القدرة الاستكشافية التي للفكر أثناء التأمل. إنه غذى حالة المعرفة الروحية بالصور العقلية التي أتت من طبيعة الأشياء المرئية، لأن حالة المعرفة الروحية تشفى الاكتئاب العقلي الذي أنتجته عاصفة التجارب والإغراءات. الأفعى هي القوة الخبيثة والمدمرة المخفية بطريقة سرية في طبيعة الأشياء المحسوسة. إنها تعض اليد، أي، النشاط الاستكشافي العقلي للتأمل، دون إيذاء الفكر الرائي؛ وهذا، بنور المعرفة الروحية، كما ولو بنار، يدمر على الفور القوة المدمرة التي تنهض من التأمل في الأشياء المحسوسة وهذا يربطه بالنشاط العملي الذي للفكر.

٢٤- القديس بولس كان «رائحة حياة لحياة» (٢كو ٢: ١٦) لأنه حث المؤمنين بمثاله لأن يختبروا عبير الفضيلة بواسطة تدريبهم، أو لأنه كواعظ قاد هؤلاء الذين تحولوا بكلمة النعمة عن الحياة بالحواس إلى الحياة بالروح. «رائحة موت لموت» (نفس الآية) تعطى تصور لدينونتهم الآتية لهؤلاء الذين يذهبون من موت الجهل إلى موت عدم الإيمان. أو، بطريقة أخرى، «رائحة حياة لحياة» تشير إلى هؤلاء الذين تقدموا من حياة التدريب النسكي إلى حياة التأمل، و «رائحة موت لموت» تشير إلى لهؤلاء الذين عبروا من إماتة كل ما هو أرضى في طبيعتهم (ق.م. كو ٣: ٥) إلى الإماتة المباركة للصور العقلية والخيالات الملتهبة.

٢٥- النفس لها ثلاث قوى: الذكاء، القوة الغضبية والرغبة. بذكائنا نوجه بحثنا؛ وبرغبتنا نشتاق لهذا الصلاح السماوي الذي هو هدف بحثنا؛ وبقوتنا الغضبية نحارب لكي نحرز هدفنا. بهذه القوى يتشبث هؤلاء الذين يحبون الله بالمبدأ الإلهي للفضيلة والمعرفة الروحية. ببحثهم بالقوة الأولى، ورغبتهم بالثانية، ومحاربتهم بواسطة الثالثة، ينالون الطعام الغير قابل للفساد، الذي يثرى الفكر بالمعرفة الروحية التي للأشياء المخلوقة.

٢٦- عندما أصبح لوغوس الله إنساناً، مَلأ الطبيعة البشرية مرة أخرى بالمعرفة الروحية التي قد فقدتها؛ مقويا إياها ضد التغيّر، لقد ألهها، ليس في طبيعتها الجوهرية ولكن في الصفات. لقد دمغها بالكامل بروحه القدس، مثل إضافة النبيذ للماء لكي يأخذ الماء صفة النبيذ. لأنه يصبح حقاً إنسانا حتى يجعلنا بالنعمة آلهة.

٢٧- عندما خلق الله الطبيعة البشرية، في نفس الوقت مثلما أعطاها وجوداً وإرادة حرة ألحق بها القدرة على تنفيذ الواجبات التي ألقيت عليها. أعنى بهذه القدرة الدافع المغروز في الطبيعة البشرية على مستوى كل من الوجود والإرادة الحرة: على مستوى الوجود، كي يكون للإنسان القوة على تحقيق الفضائل؛ وعلى مستوى الإرادة الحرة، حتى يمكن أن يستخدم هذه القوة بالطريقة الصحيحة.

٢٨- لدينا الناموس الطبيعي كمقياس طبيعي. أن هذا يعلمنا أنه يجب، قبل أن نقتنى الحكمة التي تكمن في كل الأشياء، أن نبحث عن صانعها من خلال الإطلاع المِستيكي.

٢٩- بئر يعقوب (ق.م. يو ٤: ٥- ١٥) في الكتاب المقدس. الماء هو المعرفة الروحية الموجودة في الكتاب المقدس. عمق البئر هو معنى الأقوال الغامضة في الكتاب المقدس، الذي يُحرز فقط بكثير من الصعوبة. الدلو هو التعلّم الذي يُكتسب من النصوص المكتوبة لكلمة الله، الذي لم يكن يملكه الرب لأنه هو اللوغوس نفسه؛ ولذلك لم يُعطِي المؤمنين المعرفة التي تأتى من التعلم والدراسة، ولكن منح لهؤلاء الذين وُجِدوا مستحقين ينبوع الماء الحي الذي للحكمة التي تتدفق من نافورة النعمة الروحية ولا تجف أبداً. لأن الدلو- أي التعليم- يمكن أن يدرك فقط مقدار صغير جداً من المعرفة ويحيا خلف كل ما لا يستطيع فهمه. ولكن المعرفة التي تأتى من خلال النعمة، بدون دراسة، وتحتوى على كل الحكمة التي يمكن أن يحرزها الإنسان، نابعة من الآن فصاعداً بطرق مختلفة طبقاً لاحتياجاته.

٣٠- هناك فرق عظيم ولا ينطق به بين شجرة الحياة والأخرى التي ليست شجرة الحياة. هذا واضح ببساطة من حقيقة أن واحدة تسمى شجرة الحياة بينما الأخرى تسمى فقط شجرة معرفة الخير والشر (ق.م. تك ٢: ٩). بلا جدال، شجرة الحياة مثمرة للحياة؛ والشجرة التي لا تسمى شجرة، وليست مثمرة للحياة، فمن الواضح إنها تثمر الموت. لأن الموت وحده هو نقيض الحياة.

٣١- شجرة الحياة، عندما تفهم على أنها ترمز إلى الحكمة، فإنها تختلف أيضاً بشكل عظيم عن شجرة معرفة الخير والشر، في أن الأخيرة لا ترمز إلى الحكمة ولا يقال إنها تفعل ذلك. الحكمة مميزة بالفكر والذكاء، والحالة التي هي عكس الحكمة هيَ المميزة بقلة الذكاء والإحساس.

٣٢- حيث أن الإنسان أتى إلى الوجود مركباً من نفس عاقلة وجسد حساس، فأحد التفاسير يمكن أن يكون أن شجرة الحياة هي فكر النفس، الذي هو مقر الحكمة، وشجرة معرفة الخير والشر ستكون عندئذٍ قوة الإحساس التي للجسد، التي هي مقر الدوافع الحمقاء بشكل واضح. لقد أخذ الإنسان الوصية الإلهية حتى لا يورط نفسه بنشاط وبطريقة إختبارية في هذه الدوافع؛ ولكنه لم يحفظ الوصية.

٣٣- كلا الشجرتان في الكتاب المقدس ترمزان إلى الفكر والحواس. وهكذا فإن الفكر له القوة على التمييز بين الروحي والحسي، وبين الأبدي والفاني، أو بالأحرى، الفكر، كقوة النفس المميزة، يقنع النفس أن تتمسك بالأولى وتتجاوز الثانية. الحواس لها القوة على التمييز بين اللذة والألم في الجسد، أو بالأحرى كقوة موجودة في جسد ممنوح نفساً وإدراكاً حسياً، فإنهم يقنعون الجسد أن يعتنق اللذة وينبذ الألم.

٣٤- إذا مارس الإنسان فقط التمييز الحسي بين الألم واللذة في الجسد، فإنه يأكل من شجرة معرفة الخير والشر متعدياً الوصية الإلهية، بمعنى، إنه يخضع للدوافع الحمقاء التي تنتمي إلى الحواس؛ لأنه يملك قوة التمييز التي للجسد، التي تجعله يعتنق اللذة كشيء خيّر ويتجنب الألم كشيء شرير. ولكن إذا مارس فقط التمييز العقلي الذي يفرق بين الأبدي والفاني، وبذلك يحفظ الوصية الإلهية، ويأكل من شجرة الحياة، أي، من الحكمة التي تخص فكره؛ لأنه يمارس قوة التمييز بالمشاركة مع النفس، التي تجعله يتمسك بمجد ما هو أبدي، كشيء خيّر، ويتجنب فساد ما هو مؤقت كشيء شرير.

٣٥- الصلاح على قدر ما يكون الفكر معنى هو ولع خالي من الأهواء للروح؛ الشر هو انجذاب ملتهب للحواس. الصلاح على قدر ما تكون الحواس معنية هو النشاط المشبوب العاطفة للجسد تحت حافز السرور؛ الشر هو الحالة الخالية من مثل هذا النشاط.

٣٦- من يقنع ضميره بأن يعتبر فعله للشر كأنه خير فهو يمد بالطبيعة قدرته المعنوية كاليد ويمسك شجرة الحياة بطريقة تستحق التوبيخ؛ لأنه يعتقد أن ما هو تام في الشر هو بالطبيعة خالد. وبناء على ذلك فإن الله، الذي غرس في ضمير الإنسان كراهية طبيعية للشر، يقطعه من الحياة، لأنه أصبح الآن شريراً في مشيئته ونيته. الله يعمل بهذه الطريقة لكي عندما يفعل إنسان خطـأ لا يستطيع أن يقنع ضميره بأن ما هو تام في الشر هو خير بالطبيعة.

٣٧- الكرمة تنتج نبيذاً، والنبيذ مسكر والسكر شكل من النشوى الشريرة. بالمثل الفكر- الذي هو الكرمة - عندما يتم تغذيته جيداً ويتم تهذيبه بالفضائل، فإنه يلد المعرفة الروحية؛ ومثل هذه المعرفة الروحية تنتج شكل صالح من النشوة التي تمكن الفكر من تجاوز ارتباطه بالحواس.

٣٨- إنها عادة إبليس الخبيثة لمزج الأشكال والصور التي للأشياء الحسية مع صورنا الذهنية عنهم، ومن خلال هذه الأشكال والصور وُلِدَتْ الشهوات للجانب الخارجي من الأشياء المرئية؛ وقوة فكرنا، لكونها تتوقف عند مستوى ما هو يتعلق بالإدراك الحسي، لا تستطيع أن تُنهض نفسها إلى عالم الحقائق العقلية. بهذه الطريقة يفسد إبليس النفس ويسحبها إلى أسفل إلى اضطراب الشهوات.

٣٩- لوغوس الله هو سراج ونور في نفس الوقت (ق.م. مز ١١٩: ١٠٥؛ أم ٦: ٢٣). لأنه ينير تلك الأفكار التي للمؤمنين التي هي متوافقة مع الطبيعة، ولكن يحرق تلك التي هي مضادة للطبيعة؛ إنه يطرد ظلمة الحياة الحسية لهؤلاء الذين يتقدمون بواسطة الوصايا تجاه الحياة التي يأملون فيها، ولكن يعاقب بنار الدينونة هؤلاء الذين يتشبثون بطريقة متعمدة بالليل المظلم الذي لهذه الحياة بسبب حبهم للجسد.

٤٠- لقد قيل أن من لا يُعيد توحيد نفسه أولا مع وجوده برفض تلك الشهوات التي هي مضادة للطبيعة سوف لا يعيد توحيده مع علة وجوده - أي، مع الله - بواسطة اقتناء البركات الفائقة للطبيعة من خلال النعمة. لأن من يرغب حقاً في توحيد نفسه مع الله يجب أن يفصل نفسه أولاً من الأشياء المخلوقة.

٤١- وظيفة الناموس المكتوب هي أن يُنجى الناس من الشهوات؛ وتلك التي للناموس الطبيعي هى منح حقوق متساوية لكل الناس طبقاً للعدل الطبيعي. تتميم الناموس الروحي هو تحقيق مثال الله، على قدر ما يكون هذا ممكناً لإنسان.

٤٢- الفكر بالطبيعة له القدرة على تلقى المعرفة الروحية للأشياء المادية والغير مادية؛ ولكن بالنعمة وحدها يتلقى تجليات الثالوث القدوس. بينما يؤمن الفكر البشرى بأن الثالوث موجود، فإنه لا يتجرأ أبداً على إدراك ماهية الثالوث في جوهرهُ، بالطريقة المعروف بها ذلك للفكر الإلهي. الشخص بدون معرفة روحية جاهل تماماً بالطريقة التي يتم بها تطهير الخطيئة بواسطة الفضيلة.

٤٣- من يحب الكذب يُسَلم لكي يُعذب بواسطته، لكي بواسطة المعاناة يمكن أن يأتي إلى معرفة ما قد اتبعه بإرادته، وربما يتعلم بالخبرة أنه قد اعتنق بطريقة خاطئة الموت بدلاً من الحياة.

٤٤- الله عنده معرفة ما هو صالح فقط، لأن في جوهره طبيعة ومعرفة ما هو صالح. انه لا يعرف[١] الشر ولا يمكن أن يفعل الشر. فقط في هذه الأشياء التي يمتلك بالطبيعة القدرة عليها يمتلك أيضاً المعرفة الجوهرية.

٤٥- الصدر الذي ذُكر في اللاويين (ق.م. لا ٧: ٣٠، ٣٤) يشير إلى أعلى شكل من التأمل. الكتف (ق.م. لا ٧: ٣٢، ٣٤) يدل على حالة عقلية ونشاط متوافقان مع حياة التدريب النسكي. وهكذا فإن الصدر والكتف يُشيران على التوالي إلى المعرفة الروحية والفضيلة. لأن المعرفة الروحية تقود الفكر مباشرة إلى الله نفسه، بينما الفضيلة في حياة التدريب النسكي تفصله عن كل تورط في (خطايا) الجيل. في النص الذي عنه الكلام، الصدر والكتف كانا يُحفظان للكهنة، الذين يمتلكون وحدهم الرب كميراثاً لهم إلى الأبد وليس لهم نصيب على الإطلاق في الأشياء الأرضية.

٤٦- هؤلاء الممنوحين معرفة روحية وفضيلة كاملتين بواسطة الروح القدس قادرون، من خلال الوعظ والإرشاد، أن يجعلوا قلوب الآخرين منفتحة للعبادة والإيمان الحقيقيين، مستردين ميلهم وقدرتهم من انشغالهم بالطبيعة القابلة للفساد وموجهينهم إلى

(١) المقصود هنا المعرفة الجوهرية أى أن الله لا يمكن أن ينبع منه الشر ولا يفعله على الإطلاق وليس معنى ذلك أن الله ليست له المقدرة على فهم الشر أو التعامل معه لان الله كلّ المعرفة والديان العادل للكل- م.

تحقيق البركات الفائقة للطبيعة والغير قابلة للفساد. وبناء على ذلك فمن المناسب في نفس النص أن صدر الذبائح المقدمة قربان لله - أي،قلوب هؤلاء الذين يقدمون أنفسهم لله - والكتف - أي، حياة التدريب النسكي التي لهم - يجب أن يحفظان للكهنة.

٤٧- بالمقارنة بالبر الذي للدهر الآتي، فإن كل البر الأرضي يقوم بوظيفة المرآة: إنها تحتوى على صورة الحقائق الأصلية، وليست الحقائق نفسها كما توجد في طبيعتها الحقيقية والعامة. وبالمقارنة بالمعرفة هناك، فكل المعرفة الروحية في هذا العالم هي صورة باهتة: إنها تحتوى على صورة منعكسة للحق وليس الحق نفسه كما قدر له أن يظهر (١كو ١٣: ١٢).

٤٨- حيث أن كل ما هو مُقدس يتكون من فضيلة ومعرفة روحية، فإن المرآة تظهر النماذج الأصلية للفضيلة والصورة الباهتة تكشف النماذج الأصلية للمعرفة الروحية.

٤٩- من جعل حياته متوافقة مع مشيئة الله من خلال ممارسة الفضائل ينقل فكره إلى عالم الحقائق العقلية بواسطة التأمل. وبفعله ذلك يضع نفسه بالكامل فوق متناول أي شيء يسعى لإيقاعه في الفخ، وبذلك لا ينجذب إلى الموت الذي يكمن في الشهوات من خلال بعض الصور الحسية.

٥٠- الشخص الذي يرى بالعين النقية التي للإيمان البركات التي للدهر الآتي يكون مطيعاً عن طيب نفس لوصية أن يترك بلده وعشيرته وبيت أبيه (ق.م. تك ١٢: ١)، ويهجر الجسد، والحواس والأشياء الحسية، معا مع الانجذاب الملتهب (بهم) والميل (إليهم). وفى وقت التجربة والحزن فإنه يرتفع فوق الطبيعة لأنه وضع علة[1] الطبيعة أولًا، مثلما وضع إبراهيم الله قبل إسحق (ق.م. تك ٢٢: ١- ١٤).

٥١- طالما أنت لا تتبع الفضيلة أو تدرس الكتاب المقدس من أجل المجد، أو كعباءة للطمع (١تس ٢: ٥)، أو من أجل محبة المديح والشعبية، أو من أجل استعراض الذات، ولكن تفعل وتقول وتفكر في كل الأشياء من أجل الله، حينئذٍ فأنت تسير بالمعرفة الروحية في طريق الحق. ومع ذلك إذا كنت قد «أعددت طريق الرب» من بعض النواحي، ولم تجعل «سبله مستقيمة» فلن يأتي ليسكن فيك (ق.م. أش ٤٠: ٣ س؛ مر ١: ٣).

---

(١) أى الله- م.

٥٢- إذا كنت ثابتاً ومتجنباً طريقة الحياة التي تثير الشهوات، وتفعل بشكل عام ما يساهم في نجاتك من الشر، حينئذٍ تكون قد «أعددت طريق الرب». ولكن إذا كنت تفعل هذه الأشياء بسبب البر الذاتي، أو الطمع، أو محبة المديح، أو لبعض الدوافع المماثلة، وليس رغبة في تنفيذ مشيئة الله، حينئذٍ فإنك لم تجعل «سبله مستقيمة». لقد عانيت تعب إعداد الطريق ولكن لم يكن الله سائراً لك في سُبلك.

٥٣- «كل وادي يجب أن يمتلئ» - بالرغم من (أن كلمة) «كل» بدون تحديد، أو «وادي كل أحد»، لأن النص لا يشير إلى وادي هؤلاء الذين لم يعدوا طريق الرب ويجعلوا طرقة مستقيمة. يقصد بالوادي جسد أو نفس هؤلاء الذين أعدوا طريق الرب وجعلوا سبله مستقيمة بالأسلوب الذي شرحته. عندما يتم ملء مثل هذا الودي بالمعرفة الروحية والفضيلة بواسطة اللوغوس الإلهي الذي، يحضر في وصاياه، ويسير في سبله، حينئذٍ «تُزَلْ» كل أرواح المعرفة الكاذبة والشر؛ لأن اللوغوس يطأ عليهم ويخضعهم. إنه يطيح بهذه القوة الخبيثة التي أنهضت نفسها مقابل الطبيعة البشرية؛ إنه يهدمها كأنها جبال وتلال عالية وضخمة التي يستخدمها لملء الوديان. لأن نبذ الشهوات التي هي مضادة للطبيعة، واستقبال الفضائل التي هي متوافقة مع الطبيعة، تملأ النفس التي تشبه الوادي وتحط من السلطان القوى للأرواح الشريرة (أش ٤٠: ٤ س).

٥٤- «الأماكن الوعرة» - تعنى، هجمات التجارب والمحن التي نعانيها دون إرادتنا - والتي سوف «تُمَهْد»عندما يفرح ويبتهج الفكر قبل كل شيء في الضعف، وفى الأحزان وفى الكوارث، من خلال معاناته التي لا يطلبها يَحرم الشهوات التي ننغمس فيها بتعمد من كل سلطانهم. لأن الكتاب المقدس يعنى بـ «الأماكن الوعرة» هؤلاء الذين يُقاسُون من المحن والتجارب الغير مرغوب فيها التي تتحول إلى طرق ممهدة عندما يتم تحملها بصبر وشكر (ق.م. أش ٤٠: ٤ س).

٥٥- من يشتاق للحياة الحقيقية يعرف أن كل معاناة سواء كانت مرغوباً فيها أم غير مرغوباً فيها، تميت اللذة الحسية، أُم الموت؛ وبذلك يَقبل بسرور الهجمات القاسية التي للتجارب والمحن التي يعانيها ضد إرادته. وبتحملهم بصبر فإنه يحول الأحزان إلى سبل ممهدة وهادئة، قائدين بطريقة لا تخطئ من يركض بإخلاص في السباق المقدس على طولهم تجاه «جعالة دعوة الله العليا» (في ٣: ١٤). لأن اللذة الحسية هي أم الموت وموت مثل هذه اللذة هو المعاناة، سواء بالاختيار الحر أم لا.

٥٦- كل إنسان، إذاً، يتخلص من خلال كبح النفس، من اللذة الحسية، التي تلتف وتتعقد وتتشابك بأشكال كثيرة مع الشيء المحسوس، يجعل من الملتوي مستقيم. ومن يقاوم بصبر ويهزم نوبات المعاناة القاسية والعنيدة يحول الأماكن الوعرة إلى طرق ممهدة. وهكذا، عندما يكون شخص قد جاهد حسناً وحقاً، وهزم اللذة الحسية بالرغبة في الفضيلة، وتغلب على الألم بمحبة المعرفة الروحية، ومن خلال كل من الفضيلة والمعرفة الروحية قد ثابر بشجاعة إلى نهاية المسابقة الإلهية، سوف يرى، بحسب الكتاب المقدس، «خلاص الرب»؛ وهذا سوف يكون مكافأته على الفضيلة وعلى المجهودات التي قام بها لإحرازها (أش ٤٠: ٤-٥ س).

٥٧- محب الفضيلة يطفئ عن طيب خاطر نار اللذة الحسية. وإذا كان إنسان قد كرسَ فكرهُ لمعرفة الحق، فلن يسمح للمعاناة الغير مرغوب فيها أن تعترض الطموح الغير منقطع الذي يؤدى به إلى تجاه الله.

٥٨- عندما تُقَوّم من خلال ضبط النفس السبل الملتوية التي للشهوات التي تنغمس فيها بتعمد- أي، دوافع اللذة الحسية- وعندما، تكون قد جعلت الطرق الوعرة ممهدة ومستوية بأن تتحمل بصبر الأحزان القاسية والمؤلمة الناتجة عن التجارب والمحن التي تعانيها ضد رغبتك، حينئذٍ يمكن أن تتوقع أن ترى خلاص الله، لأنك سوف تصبح نقى القلب. وفى هذه الحالة من النقاوة، سترى في نهاية نضالك الله، من خلال الفضائل ومن خلال التأمل المقدس، طبقاً لكلمات المسيح: «طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يُعاينون الله» (مت ٥: ٨). وبسبب المعاناة التي قد تحملتها من أجل الفضيلة سوف تأخذ عطية اللاهوىَ. ولا يوجد لهؤلاء الذين يمتلكون هذه العطية شيء يكشف الله بالكامل[١] أكثر منها.

٥٩- في الكتاب المقدس تسمى القلوب القادرة على تلقى العطايا السمائية التي للمعرفة المقدسة خزانات ماء (ق.م. ٢أخ ٢٦: ١٠)، لقد تم حفرهم بالمبادئ الثابتة التي للوصايا؛ وتم تنقيتهم، كما ولو كانوا أرضاً، من انغماس النفس في الشهوات ومن التعلق الطبيعي بالأشياء المحسوسة؛ وقد امتلئوا من المعرفة الروحية التي تُطهر من الشهوات وتعطى حياة وغذاء للفضيلة.

---

(١) أي كامل ما تستطيعة الطبيعة البشرية - م.

٦٠- الرب يحفر خزانات ماء في الصحراء، أي، في العالم وفى الطبيعة البشرية. إنه يحفر قلوب أولئك المستحقين، وينقيهم من قذارتهم المادية وعجرفتهم، ويجعلهم عميقين وواسعين من أجل أن يستقبلوا المطر الإلهي الذي للحكمة والمعرفة. إنه يفعل ذلك حتى يمكنهم من أن يسقوا قطعان المسيح، الذين يحتاجون إلى التعليم الأخلاقي بسبب عدم نضج نفوسهم.

٦١- الكتاب المقدس يشير إلى أعلى شكل من التأمل الروحي في الطبيعة كـ «أرض جبال» (تث ١١: ١١). وفلاحوها هم الذين نبذوا الصور التي تأتى من الأشياء المحسوسة، وتقدموا إلى إدراك الجواهر العقلية التي لهذه الأشياء من خلال اكتساب الفضائل.

٦٢- طالما أن الفكر يتذكر الله باستمرار، فهو يبحث عن الرب من خلال التأمل، ليس بطريقة سطحية ولكن في مخافة الرب، أي، بتطبيق الوصايا. لأن من يبحث عنه من خلال التأمل بدون تطبيق الوصايا لا يجده: إنه لم يبحث عنه بمخافة الرب ولذلك لم يرشده الله للنجاح (في ذلك). الرب يرشد كل من يدمج ممارسة الفضائل بالمعرفة الروحية للنجاح (في ذلك): إنه يعلمهم مميزات الوصايا ويكشف لهم الجوهر الداخلي الحقيقي الذي للأشياء المخلوقة.

٦٣- المعرفة المهيبة والرائعة عن الله تقف كالبرج، محصنه بتطبيق الوصايا. إن هذا هو معنى النص، «بني عزيا أبراجاً في أورشليم» (٢أخ ٢٦: ٩). يبنى الإنسان أبراجاً في أورشليم عندما يُبارك بالنجاح في بحثه عن الرب من خلال التأمل المتحد بالمخافة اللازمة (لذلك)، أي، بإطاعة الوصايا؛ لأنه عندئذٍ يؤسس مبادئ المعرفة الإلهية في حالة غير منقسمة وهادئة لنفسه.

٦٤- عندما تتحد المبادئ الداخلية للجزئيات مع تلك التي للكليات، فإنهم يتسببون في إتحاد ما هو منقسم. إن هذا يحدث بسبب إنه كلما كان المبدأ كلياً، كلما عظمت الدرجة التي يعتنق ويتوحد بها مع مبادئ جزئية أكثر. الجزئيات ذات طبيعة لها صله نسب مع الكليات. ولكن هناك أيضاً مبدءاً روحياً معيناً الذي يوصل الفكر بالحواس، والسماء بالأرض، والمحسوسات بالمعقولات، والطبيعة بمبدأ الطبيعة، موحداً إياهم الواحد إلى الآخر.

٦٥- إذا كنت قادراً على أن تحرر حواسك من الشهوات وفصلت نفسك من ارتباطها بالحواس، تكون قد نجحت في منع إبليس من دخول الفكر بواسطة الحواس. لهذا الهدف يجب

أن تبنى أبراجاً آمنه في الصحراء (ق.م. ٢أخ ٢٦: ١٠). قُصد بـ «الصحراء» التأمل الطبيعي؛ وبـ «الأبراج الآمنة» الفهم الحقيقي لطبيعة الأشياء المخلوقة. إذا لجأت لهذه الأبراج، فسوف لا تخاف الشياطين الذين يُغيرون على هذه الصحراء- بمعنى، أن من يدسون أنفسهم في طبيعة الأشياء المرئية، يخدعون الفكر من خلال الحواس ويسحبونه إلى ظلمة الجهل. إذا اقتنيت فهماً حقيقياً لكل شيء، فسوف لا تخاف من الشياطين الذين يخدعون الناس بواسطة المظهر الخارجي للأشياء المحسوسة.

٦٦- كل فكر له القدرة على التأمل هو فلاح حقيقي: طالما عنده ذكر الله ليتغذى عليه، فهو يحفظ بذور الصلاح الإلهي نقية من الزوان من خلال الاجتهاد والعناية الكبيرة. لأنه قد قيل، «وبمخافة الرب طلب الله في أيام زكريا» (٢أخ ٢٦: ٥ س). «زكريا» يعنى «ذكر الله». لذلك دعنا نصلى دائماً لله لكي يحفظ هذا الذكر المُنجي حياً فينا، لئلا يُفسد ما قد حققه الفكر نفسنا، مالئاً إياها بالكبرياء ومشجعاً لها على الطموح بطريقة متجاسرة إلى ما هو فوق الطبيعة، مثل عزيا (ق.م. ٢أخ ٢٦: ١٦).

٦٧- النفس التي نجت من الشهوات هي فقط التي تستطيع أن تتأمل بدون خطأ في الأشياء المخلوقة، لأن فضيلتها كاملة، ولأن معرفتها روحية وخالية من المادية، مثل هذه النفس تسمى «أورشليم». هذه الحالة تتحقق من خلال استبعاد ليس فقط الشهوات ولكن الصور الحسية.

٦٨- بدون إيمان ورجاء ومحبة (ق.م. ١كو ١٣: ١٣) لا يمكن أن يُمحىَ أي شيء خاطئ بالكامل، ولا يمكن أن يتم تحقيق أي شيء صالح بالكامل. الإيمان يحث الفكر المُحاصر على أن يتحرك بقوة تجاه الله ويشجعه بتجهيزه بالمدى الكامل للأسلحة الروحية. الرجاء هو الضمانة الأكثر تأكيداً للمساعدة الإلهية للفكر ويعد بدمار القوات المعادية. الحب يجعل من الصعب أو، بالأحرى، من المستحيل بالكامل على الفكر أن يغرب نفسه عن العناية الحانية لله؛ وعندما يكون الفكر معرضا للهجوم، فإن الحب يجبره على أن يركز كل قوته الطبيعية في الاشتياق إلى ما هو إلهي.

٦٩- الإيمان يشجع الفكر المحاصر ويقويه بالرجاء في المساعدة. الرجاء يأتي بهذه المساعدة أمام عينية موعودة بالإيمان وتطرد هجوم الأعداء. الحب يقتل إثارات العدو داخل الفكر التقي، ماحياً إياهم بالكامل مع اشتياق عميق إلى ما هو إلهي.

٧٠- التأثير الأول والفريد للعطية الإلهية التي للمعرفة الروحية الأصيلة هو أن تنتج في داخلنا بالإيمان قيامة الرب. الإيمان يحتاج إلى أن يُصحب بالنظام الصحيح لمشيئتنا وهدفنا- أي، بالإفراز- الذي يجعل من الممكن لنا أن نقاوم بشجاعة فيضان التجارب والمحن، سواء طلبناها أو لم نطلبها. وهكذا فإن الإيمان الذي يظهر نفسه بطريقة صحيحة من خلال تتميم الوصايا، هو القيامة الأولى لله فينا الذي صلبناه من خلال جهلنا.

٧١- العودة لله تضمن بطريقة واضحة التثبيت الأكمل للرجاء في الله، لأنه بدون ذلك لا يستطيع أحد أن يقبل الله بأية طريقة على الإطلاق. لأنه من مميزات الرجاء أنه يأتي بالأشياء المستقبلية أمامنا كما ولو أنهم موجودين، وبذلك يؤكد لهؤلاء الذين يُهَجَامون بالقوات المعادية، بأن الله، الذي بإسمه ولأجله يدخل القديسون المعركة، يحميهم ولا يمكن أن يكون غائباً بأي طريقة. لأنه بدون بعض التوقع، سواء كان ساراً أم غير سار، لا يستطيع أحد أن يباشر العودة إلى ما هو إلهي أبداً.

٧٢- لا يوجد شيء يجمع معاً هؤلاء الذين انفصلوا وينتج فيهم إتحاداً فعالاً للمشيئة والهدف أكثر من الحب. الحب يُميز بجمال إدراك القيمة المتساوية لكل الناس. الحب يُوْلد في الإنسان عندما تكون قوى نفسه- التي هي، الذكاء والقوة الغضبية والرغبة- مركزة وموحدة حول ما هو إلهي. هؤلاء الذين أتوا بالنعمة إلى إدراك القيمة المتساوية لكل الناس في نظر الله ومن حفروا جماله في ذاكرتهم، يمتلكون اشتياقاً لا يمكن نزعه للحب الإلهي، لأن مثل هذا الحب يطبع دائماً هذا الجمال على فكرهم.

٧٣- كل فكر محاطاً بالسلطة الإلهية يمتلك ثلاثة قوى كمستشارين ووزراء له. أولاً، هناك الذكاء، إنه الذكاء الذي يلد الإيمان، المؤسس على المعرفة الروحية، بذلك يعلم الفكر أن الله موجود دائماً بطريقة لا ينطق بها، ومن خلاله يمسك، بمساعدة الرجاء، بالأشياء المستقبلية كأنهم موجودين. ثانياً، هناك الرغبة، إنها الرغبة التي تولد المحبة الإلهية التي من خلالها يتمسك الفكر بطريقة لا تنحل بهذا الاشتياق، عندما يشتاق بإرادته الحرة إلى ما هو إلهي بالكامل. ثالثاً، هناك القوة الغضبية، بهذه القوة يتشبث الفكر بالسلام الإلهي ويركز رغبته في الحب الإلهي. كل فكر يمتلك هذه الثلاث قوى، وهم يتعاونون معه لكي يُطهروا الشر ولتأسيس وتغذية القداسة.

٧٤- بدون قوة الذكاء لا توجد قدرة على المعرفة الروحية؛ وبدون المعرفة الروحية لا يمكن أن يكون لدينا الإيمان الذي ينبع منه هذا الرجاء الذي نمسك به الأشياء المستقبلية وكأنهم موجودين. بدون قوة الرغبة لا يوجد اشتياق، وعلى ذلك لا يوجد حب، الذي هو موضوع الاشتياق؛ لأن من خواص الرغبة أن تحب شيئاً. وبدون قوة الإثارة، التي تقوى الرغبة في الإتحاد بما هو محبوب، لا يكون هناك سلام، لأن السلام هو حقاً الملكية الكاملة والغير منزعجة لما هو مرغوب.

٧٥- حتى تطهر تماماً من الشهوات يجب أن لا تباشر التأمل الطبيعي من خلال صور الأشياء الحسية؛ لأنه حتى ذلك الحين مثل هذه الصور يمكن أن تفسد فكرك حتى يتحول إلى الشهوة. الفكر الذي، تغذى بواسطة الحواس، يُسهب في الخيال في النظر إلى الجانب المرئي من الأشياء المحسوسة ويصبح الخالق للشهوات النجسة، لأنه غير قابل على التقدم من خلال التأمل لتلك الحقائق المدركة بالعقل التي تمت له بصلة قرابة.

٧٦- عندما تتواجه بثوران الشهوات، يجب أن تغلق بشجاعة حواسك وتنبذ بالكامل الصور والذكريات التي للأشياء المحسوسة، وتقيد بكل طريقة ميل الفكر الطبيعي للتحري عن الأشياء التي في العالم الخارجي. حينئذٍ، فبمعونة الله، سوف تذل وتتغلب على القوة الخبيثة المستبدة التي تنهض ضدك.

٧٧- عندما يكون الفكر مخدراً، والقوة الغضبية[1] متهورة والرغبة طائشة، وفى حالة الجهل، يحكم النفس روحاً مستبداً وفاسقاً، حينئذٍ تصبح الخطيئة عادة، تُوْقِع المرء بنشاط في شراك الملذات المتنوعة التي للحواس.

٧٨- الفكر الناضج يجب أن يهرب بالمعرفة الروحية من الشراك الغير مرئية. وفى الوقت الذي يكون فيه مُثار بالقوى الشريرة يجب أن لا يباشر التأمل الطبيعي أو أي شيء ما عدا الصلاة، وترويض الجسد بالمشقات، ويأتي باجتهاد بالمشيئة الأرضية إلى الخضوع، ويحرس أسوار المدينة، أي، الفضائل التي تحمى النفس أو الصفات التي تحرس الفضائل، أعنى، ضبط النفس والصبر. وعلى عكس ذلك فمن يقدم للنفس جرعة سامة بشعة يمكن أن يخدع الفكر بما يبدو صالحاً ويحول رغبته سراً بعيداً عن

(١) القوة الغضبية المتوافقة مع الطبيعة أى الموجهة ضد الشر وليس لتدمير الأخرين- م.

الله، ساحباً فهمه، الذي يبحث عن ما هو صالح، إلى ما هو رديء، لأنه قد أخطأ فأخذ الرديء بدلاً من الصالح.

٧٩- الشخص الذي يغلق حواسه بشجاعة بواسطة الاعتناق الكامل لممارسة ضبط النفس الحريص والصبر، ويمنع الأشكال الحسية من دخول الفكر من خلال قدرات النفس، يحبط بسهولة مخططات إبليس الشريرة ويرده للخلف، مذلولاً، على طول الطريق الذي أتى منه. الطريق الذي أتى منه إبليس يتكون من الأشياء المادية التي تبدو إنها ضرورية لإعاشة الجسد.

٨٠- يحصد الفكر المعرفة الحقيقية من التأمل الطبيعي عندما، يوحد بطريقة متوافقة مع الطبيعة الحواس مع نفسه بواسطة الذكاء.

٨١- عندما يتحدث الكتاب المقدس عن العيون التي طمها حزقيا خارج المدينة (ق.م. ٢أخ ٣٢: ٣-٤ س)، فإن المدينة تشير إلى النفس والعيون إلى المجموع الكلى للأشياء المحسوسة. مياه هذه العيون هي الصور العقلية التي للأشياء المحسوسة. النهر الذي يجرى في وسط المدينة هو المعرفة التي تم جمعها من التأمل الطبيعي في هذه الصور العقلية التي للأشياء المحسوسة. هذه المعرفة تجرى من خلال منتصف النفس لأنها تربط بين الفكر والحواس. لأن معرفة الأشياء المحسوسة ليست غير متصلة بالكامل بالقدرة العقلية، وليست معتمدة تماماً على نشاط الحواس. بل بالعكس، فإنها كما ولو كانت تقع في المنتصف بين الفكر والحواس وبين الحواس والفكر، وهى نفسها تحدث إتحاد الاثنين ببعضهما. على قدر ما تكون الحواس معنية، فإنها تطبع عليهم أشكال الأشياء المحسوسة، كلٌ على حسب نوعه؛ وعلى قدر ما يكون الفكر معنياً، فإنه يحول هذه الانطباعات إلى الجواهر الداخلية لهذه الأشكال. لذلك فمن المناسب أن توصف معرفة الأشياء المرئية بنهر يجرى في وسط المدينة، لأنها تحتل الأرض التي بين الفكر والحواس.

٨٢- إذا كنت في فترات التجارب والمحن تحجم عن التأمل الطبيعي وقرنت الصوم بالصلاة، ساحباً فكرك من كل الأشياء ومركزاً إياه على نفسه وعلى الله، سوف تميت الانحراف الداخلي الذي ينتج الشر وسوف تطرد إبليس ذليلاً. لأن إبليس هو الذي كان يدس فيك هذه العادة، التي من خلالها، اقترب من نفسك بزهو، مشوهاً الحق بأفكار الكبرياء. داود، الذي كان له خبرة واسعة في جبهات كل أنواع المعارك الروحية، لم يكن على

الأغلب يعرف ببساطة هذه التكتيكات[1] ولكن وضعهم بالفعل في موضع التنفيذ؛ لأنه يقول: «فيما الشرير مقابلي كنت صامت ومتضع النفس وأمسكت حتى عن نطق الكلمات الصالحة» (مز ٣٩: ١- ٢ س). إرميا، بنفس الروح، حذر الشعب من أن لا يخرجوا من المدينة لأن سيف العدو يقاتلها بضراوة (ق.م. إر ٦: ٢٥).

٨٣- يمكن أن نطبق ذلك على قايين وهابيل (ق.م. تك ٤: ٨)، قايين هو ناموس الجسد، والحقل الذي ذهبا إليه قايين وهابيل هو عالم التأمل الطبيعي. لو كان هابيل قد حرس نفسه ولم يخرج مع قايين إلى الحقل قبل أن يقتنى اللاهوىَ[2]، لما قام ناموس الجسد عليه وقتله، خادعاً إياه بمهارة عندما باشر التأمل في الأشياء المخلوقة قبل أن يتم إعداده (لذلك) بالكامل.

٨٤- بالمثل، إذا لم تخرج دينه ابنة يعقوب إلى بنات الأرض- أي، عالم الصور الحسية- لما نهض مقابلها شكيم إبن حمور وأذلها (ق.م. تك ٣٤: ١-٢).

٨٥- يجب أن نمتنع عن التأمل الطبيعي إلى أن نكون مُعدين تماماً (لذلك)، لئلا بمحاولة إدراك الجوهر الروحي للمخلوقات المرئية فإننا نجنى الشهوات عن طريق الخطأ. لأن الشكل الخارجي للأشياء المرئية له قوة أعظم على حواس هؤلاء الغير ناضجين من التي للجواهر المخفية في أشكال الأشياء على نفوسهم. بالطبع، هؤلاء الذين يقيدون عقولهم للحرف فقط مثل اليهودي يتوقعون أن تتم الوعود بالبركات الإلهية في هذا الدهر الحاضر، لأنهم جاهلون بالصفات المتأصلة طبيعياً في النفس.

٨٦- من يلبس«صورة السماوي» (١كو ١٥: ٤٩) يحاول أن يتبع روح الكتاب المقدس في كل الأشياء، لأنه الروح الذي يغذى النفس، (وذلك) بزيادة الفضيلة والمعرفة الروحية. من يلبس «صورة الترابي» ينتبه للحرف فقط، لأن رعاية الجسد بواسطة الحواس تزداد بواسطة الحرف. مثل هذه الرعاية توّلد بدَورها الشهوات.

٨٧- يُقصد بقوة الله الفضيلة التي تولدت بواسطة تطبيق الوصايا: بهذه الطريقة، فبمعونة الله، أو بالأحرى بقوته وحده، ندمر قوات الشر التي تقاوم القداسة. ويقصد بمهابة الله المعرفة الروحية التي للحق، مُدركة من خلال مجهوداتنا لإحراز التأمل في

(١) التكتيكات جمع تكتيك وهو علم تحركات الفرق العسكرية فى الحرب - م.

(٢) اللاهوىَ أى التحرر من الأهواء - م.

الكائنات المخلوقة وممارسة الفضائل. من خلال المعرفة الروحية نبيد بالكامل قوة الكذب المضادة للحق، هادمين الثقة بالنفس المتبجحة التي للأرواح الشريرة التي ترفع أنفسهم ضد معرفة الله (ق.م. ٢كو ١٠: ٥). لأنه كما أن التدريب النسكي يلد الفضيلة، كذلك التأمل يلد المعرفة الروحية.

٨٨- المعرفة التي لا تُمحىَ، هي التي دورانها الروحي حول لانهائية الله مطلق وفوق التفكير، وتصور في مطلقيتها ما هو أكثر من المجد اللانهائي للحق. التقليد الطوعي للحكمة والصلاح الإلهيين يجلب كمكافأة منه إشتياق الفكر إلى التحقيق المجيد لمثال الله (وفى نفس الوقت تحقيق هذا المثال)، على قدر ما يكون هذا مستطاع لإنسان.

٨٩- اللسان هو رمز لقوة النفس الروحية والحنجرة رمز لحب النفس الطبيعي للجسد. وهكذا فمن يلحم الواحد بالآخر بطريقة خسيسة لا يمكن أن ينتبه إلى الحالة الهادئة التي للفضيلة والمعرفة الروحية، لأنه ينهمك بمثابرة في التشوش الذي للشهوات الجسدية.

٩٠- الأشياء الشهية والملذات التي هي متوافقة مع الطبيعة لا تستحق التوبيخ، حيث أنهم نتيجة ضرورية للغريزة الطبيعية. لأن طعامنا العادي، سواء كنا نرغب فيه أم لا، ينتج عنه بطريقة طبيعية لذة، حيث إنه يشبع الجوع الذي يسبق الوجبة. الشراب أيضاً ينتج لذة، حيث أن يُريح من مشقة العطش؛ كذلك يفعل النوم، حيث إنه يجدد القوة التي أُستهلكت في ساعات يقظتنا؛ وكذلك تفعل، أيضاً، كل وظائفنا الطبيعية الأخرى الضرورية لصيانة الحياة وتساعد على اكتساب الفضيلة. ولكن كل فكر يحاول أن يهرب من تشوش الخطيئة يتجاوز مثل هذه الشهوات، لئلا يبقى من خلالهم عبداً للشهوات التي تخضع لسيطرتنا، بطريقة مضادة للطبيعة وتستحق التوبيخ؛ لأنه هذا ليس له أساس فينا أكثر من نشاط الشهوات التي هي متوافقة مع الطبيعة، بالرغم من إنه لم يُقدَرْ لها على هذا الاعتبار أن تصحبنا إلى الحياة الخالدة أو الأبدية.

٩١- إذا كانت كلمات الله تُنطق كتعبيرات لفظية فقط، ورسالتهم غير متأصلة في الطريق الفاضل الذي للحياة لهؤلاء الذين ينطقونهم، فلن يتم سماعهم. ولكن إذا نُطقوا من خلال تطبيق الوصايا، فإن صوتهم سيكون له هذه القوة التي بها يبددون الشياطين ويقنعون الناس بحماس أن يبنوا قلوبهم هياكل لله من خلال التقدم في أعمال الصلاح.

٩٢- كما أن الله في جوهره لا يمكن أن يكون موضوعاً للمعرفة الروحية للإنسان، كذلك حتى تعاليمه لا يمكن أن تُعتنق بالكامل بواسطة فهمنا. لأنه بالرغم من أن الكتاب المقدس محدود من حيث الحرف، لكونه محصوراً زمنياً بأزمنة الأحداث التي يسجلها، إلا إنه يبقى غير محدود دائماً بالروح فيما يتعلق بالتأمل في الحقائق التي تُدرك بالعقل.

٩٣- إذا أردت أن تمتص الفهم الروحي الدقيق للكتاب المقدس بطريقة تتوافق مع تمنيات المسيح، يجب عليك أن تدرب نفسك باجتهاد على تفسير الأسماء، لأنه بهذه الطريقة تستطيع أن توضح معنى كل ما هو مكتوب. ولكن يجب عليك أن لا تسحب مثل اليهودي روعة الروح إلى أسفل إلى مستوى الجسد والأرض، وتحد الوعد الإلهي الطاهر الذي للبركات الروحية في أشياء تفسد وفانية.

٩٤- حيث أن النذر هو وعد بشيء ما جيد يقدم بواسطة إنسان لله، فيمكن أن نستنتج بوضوح أن الصلاة هي إلتماس للبركات الممنوحة بواسطة الله للإنسان لخلاصه وكمكافأة على الحالة الداخلية الجيدة لهؤلاء الذين يقومون بالصلاة. المساعدة (من الله) هي عطية ونمو، للقدرات الفاضلة التي يتم السعي إليها من خلال التدرب على الحياة النسكية وللرؤية الروحية التي يتم السعي إليها من خلال حياة التأمل، في مواجهة الهجوم الشيطاني. في الصراخ (لله) من أجل مثل هذه المساعدة يبدى الله اهتمام بالكل ليس لعلو صراخهم الذي ينطقون به ولكن للحالة الداخلية التي للفضيلة والمعرفة الروحية التي يمتلكها هؤلاء الذين ينطقون به.

٩٥- الشر والمملكة المدمرة التي لإبليس - ممثلة في مملكة الأشوريين (ق.م. ٢مل ١٨: ١١)- قد نظم حرباً ضد الفضيلة والمعرفة الروحية، متآمرين على إفساد النفس من خلال قوى النفس الغريزية. أولاً يُثير رغبة النفس لأن تنمى شهية لما هو مضاد للطبيعة، ويغويها أن تفضل الأشياء المدركة بالحواس على الأشياء المدركة بالعقل. حينئذٍ تهيج قوى الإثارة في النفس كي تكافح بكل قوتها لتحرز الشيء المحسوس الذي ترغبه. وفى النهاية يعلم ذكاء النفس كيف يحتال لتدبير الفرص لـ اللذة الحسية.

٩٦- الله في صلاحه الفائق لم يجعل فقط الجواهر المقدسة والغير مادية للحقائق العقلية صوراً لمجده الذي لا ينطق به، الذي يعكس كل منهم بطريقته، على قدر ما يكون ذلك ممكن، جلال جماله الذي لا يدنى منه والذي يفوق العقل؛ ولكن أيضاً، يتخلل بأصداء جلاله الأشياء التي هي حسية وأدنى بكثير من الجواهر العقلية. إن هذا يُمَكن الفكر

البشرى، الذي يصعد إليهم محمولاً على كل الأشياء المرئية، أن يسافر إلى الله وأن يحرز قمة البركات.

٩٧- كل فكر مكلل بالفضيلة والمعرفة الروحية هو مُعَين مثل حزقيا العظيم ليحكم أورشليم (ق.م. ٢مل ١٨: ١-٢) - أي، على الحالة التي يرى فيها المرء السلام فقط والخالية من كل الشهوات. لأن أورشليم تعنى «رؤية السلام». من خلال الأشكال التي تملأ الخليقة، فإن مثل هذا الفكر له كل الخليقة تحت سلطانه. من خلال الفكر تقدم الخليقة كهدية لله المبادئ الروحية للمعرفة التي تكمن في داخلها؛ وكعطية للفكر تقدم الصفات التي تؤدى إلى الفضيلة التي توجد بداخلها طبقاً لناموس الطبيعة. من خلال كل من مبادئ المعرفة الروحية وصفات الفضيلة تكرم الخليقة الفكر بطريقة جديرة بالإعجاب بجعله يستخدم الاثنين بطريقة صحيحة- العقل الفلسفي تكمّل في كل من الذكاء والفعل من خلال التأمل وممارسة الحياة النسكية.

٩٨- من أحرز قمة الفضيلة والمعرفة الروحية من خلال ممارسة الحياة النسكية والتأمل يتجاوز بطريقة طبيعية كل شهوة جسدية تستحق التوبيخ؛ إنه يتغلب أيضاً على الظروف التي تسمى بالأجسام الطبيعية، أي، للكائنات الخاضعة للتوالد والفساد. باختصار، من خلال التأمل يكتسب المعرفة الروحية التي للجواهر الداخلية لكل الأشكال المحسوسة ويعبر إلى ما هو أسمى منهم، رافعاً فكره إلى الحقائق الإلهية التي تمت له بصلة قرابة.

٩٩- عندما، تشكر المشقات التي تمر بها في ممارسة الفضائل، تكون قد عُينت للسكن في حالة اللاهوىَ كما في أورشليم، وتحررت من اضطراب الخطيئة، ولن تزاول أو تتحدث أو تسمع أو تفكر في شيء سوى السلام؛ وعندما، تأخذ بعد ذلك من خلال التأمل الطبيعي فهماً لطبيعة الأشياء المرئية - الطبيعة التي تقدم من خلالك كهدية لله الجواهر المقدسة الساكنة فيها، وتقدم لك، كأنها تقدم عطايا لملك، القوانين التي تكمن فيها - حينئذٍ تتعظم «في أعين كل الأمم» (٢أخ ٣٢: ٢٣). لأنك الآن فوق كل الأشياء؛ من خلال ممارسة الفضائل قد ارتفعت فوق الأجسام الطبيعة وشهوات الجسد، ومن خلال التأمل قد عبرت إلى ما وراء الجواهر الروحية والصفات الساكنة في الأشكال المرئية.

١٠٠- الفلسفة العملية تجعل الإنسان الذي يمارس الفضائل في مكانه أعلى من الشهوات. التأمل يرسخ الإنسان الذي يحرز المعرفة الروحية في وضع أعلى من الأشياء المرئية، رافعاً فكره إلى الحقائق الإلهية التي تمت له بصلة قرابة.

المئوية الثالثة

Third Century

١- الشخص الذي يدمج المعرفة الروحية مع ممارسة الفضائل وممارسة الفضائل مع المعرفة الروحية هو كرسي وموطئ قدمي الله (ق.م. أش ٦٦: ١)- كرسي بسبب المعرفة الروحية وموطئ قدمي الله بسبب ممارسته النسكية. والعقل البشرى، المطهر من كل الصور المادية ومشغولاً، أو بالأحرى، مزيناً بالمبادئ الإلهية التي للعالم المعقول، هو سماء في حد ذاته.

٢- عندما يتحصن أي فيلسوف- أي فيلسوف تقي- بالفضيلة والمعرفة الروحية، أو بممارسة النسك والتأمل، يرى قوة الشر تنهض مقابله من خلال الشهوات، مثل ملك الأشوريين الذي نهض مقابل حزقيا (ق.م. ٢مل ١٨: ١٣- ١٦؛ أش ٣٦: ١- ٢)، إنه يعي أن بمعونة الله فقط يمكن أن ينجو. إنه يتضرع لرحمة الله بالصراخ الصامت وبالكفاح للتقدم أبعد قليلاً في الفضيلة والمعرفة الروحية؛ ويستقبل ملاكاً،أي أحد المبادئ العليا للحكمة والمعرفة، كحليف، أو بالأحرى كمنقذ له، الذي يبيد «كل جبار بأس ورئيس، وقائد» (٢أخ ٣٢: ٢١).

٣- كل شهوة لها أصلها في الشيء المتناظر (لها). لأنه بدون بعض الأشياء لجذب قوى النفس من خلال وساطة الحواس، فلن تتولد شهوة على الإطلاق. بكلمات أخرى، بدون الشيء المحسوس الشهوة لا تأتي إلى الوجود: بدون امرأة لا توجد نجاسة[١]؛ بدون طعام لا توجد بطنه؛ بدون ذهب لا توجد محبة المال، وهلمَّ جرا. وهكذا في أصل كل إثارة ملتهبة لقوانا الطبيعية هناك شيء محسوس، أو بمعنى آخر، شيطان يحرض النفس على ارتكاب الخطيئة بواسطة الشيء المحسوس.

٤- الندم يخمد تفعيل الخطيئة؛ والمحو يدمر حتى التفكير فيها. لأن الندم يمنع تحقيق الفعل المشبوب العاطفة، بينما المحو يزيل بالكامل كل تحريض شيطاني في العقل نفسه.

٥- الحقائق الحسية والعقلية تقع بين الله والإنسان. عندما يتحرك الفكر البشرى تجاه الله يتجاوزهم، بشرط أن لا يُستعبد للحقائق الحسية من خلال النشاط الخارجي ولا يُسيطر عليه بأي طريقة من الحقائق العقلية التي يراها أثناء التأمل.

---

(١) والعكس صحيح بالنسبة للطرف الآخر- م.

٦- الخليقة هي التي توجه الاتهام إلى الغير مؤمن. لأنه من خلال مبادئها الروحية الفطرية تعلن الخليقة عن صانعها؛ ومن خلال القوانين الطبيعية الجوهرية لكل نوع منفرد ترشدنا في الفضيلة. المبادئ الروحية يمكن أن تُدرك في الاستمرار الغير منقطع لكل نوع منفرد، والقوانين في ثبات نشاطها الطبيعي. إذا لم نتأمل في هذه الأشياء، نبقى جهلاء لسبب (وجود) الكائن المخلوق ونتعلق بكل الشهوات التي هي مضادة للطبيعة.

٧- الكتاب المقدس يحضنا على تقديم تقدمات لله حتى يمكن أن نكون واعيين لصلاحه الغير متناهي. لأن الله يتقبل تقدماتنا كما ولو كانت تقدماتنا بالكامل، وكأنه لم يعطينا بالفعل أي شيء. بهذه الطريقة يتجلى بالكامل صلاح الله الذي لا يُعبر عنه تجاهنا، لأنه عندما نقدم له الأشياء التي هي في الواقع له فهو يقبلهم كما ولو إنهم لنا، وهو يجعل نفسه مُدين لنا وكأنهم ليسوا له بالفعل.

٨- إذا أدركنا المبادئ الروحية التي للأشياء المرئية نتعلم أن للعالم صانع. ولكن لا نسأل ما هي طبيعة هذا الصانع، لأننا نفهم أن هذا يفوق مدى فهمنا. مِن الواضح أن الخليقة المرئية تمكننا من أن ندرك أن هناك صانع، ولكن لا تمكننا من أن ندرك طبيعته.

٩- عقاب الله هو شعوراً مؤلماً نختبره عندما نُهذب بواسطته. من خلال هذه الخبرة المؤلمة التي للمعاناة الغير مرغوب فيها يذل الله ويُوضِع الفكر المغرور بمعرفته وفضيلته؛ لأن مثل هذه المعاناة تجعله واعياً لذاته ولضعفه. عندما يدرك الفكر ضعفه فأنه ينبذ مزاعم القلب الباطلة.

١٠- عقاب الله هو حرمان مؤقت من عطايا النعمة - الخبرة الأكثر فائدة لكل فكر متضخم الذات التي تمنح البركات المنعم بها من الله كما ولو كانوا من إنجازاتنا.

١١- فكر كل فيلسوف حقيقي وعارف يمتلك كل من يهوذا وأورشليم؛ يهوذا هو الفلسفة العملية وأورشليم الإطلاع التأملي. عندما بنعمة الله يثور مثل هذا الفكر على قوات الشر بالفضيلة والمعرفة الروحية، ويفوز بنصراً حاسماً عليهم، فإنه لا يشكر الله، المبدع الحقيقي لهذا النصر، ولكن يزهو بأن له هذا الإنجاز، إنه يجلب عقاب هجر الله ليس عليه فقط ولكن على يهوذا وأورشليم (ق.م. ٢أخ ٣٢: ٢٥)، أي، على كل من ممارسته للفضيلة وحياته التأملية؛ لقد فشل في «أن يشكر الله من أجل النعم التي أعطاها له الله» (نفس المرجع). يسمح الله في الحال للشهوات المخجلة أن

تفسد ممارسته للفضائل وأن تلطخ ضميره، الذي كان طاهراً حتى ذلك الحين؛ إنه يسمح أيضاً للأفكار الزائفة لأن يدسوا أنفسهم في تأمله في الكائنات المخلوقة وتفسد معرفته الروحية، التي كانت إلى ذلك الحين سليمة. لأن الشهوات الحقيرة تهاجم على الفور الفكر المغرور بفضيلته، كذلك الفكر الذي ينتشي أكثر من اللازم بسبب معرفته الروحية سوف يسمح له عدل الله بأن يسقط من التأمل الحقيقي.

١٢- العناية الإلهية غرست المقياس الإلهي أو القانون في الكائنات المخلوقة، وطبقاً لهذا القانون عندما نكون غير شاكرين من أجل البركات الروحية فيتم تعليمنا الشكر بواسطة المصائب، ويؤتى بنا لكي ندرك من خلال هذه التجربة بأن كل مثل هذه البركات نتجت من خلال عمل القوة الإلهية. وذلك لمنعنا من أن نصبح مغرورين بطريقة يصعب السيطرة عليها، ومن أن نفكر في عجرفتنا بأننا نمتلك الفضيلة والمعرفة الروحية بالطبيعة وليس بالنعمة. إذا فعلنا ذلك فسوف نستخدم ما هو صالح لكي ننتج ما هو شرير: الشيء نفسه الذي يجب أن يؤسس معرفة راسخة لله فينا سوف يجعلنا بدلاً من ذلك جهلاء به.

١٣- نحن نعرف أن العناية الإلهية التي تغذى الكائنات المخلوقة بأسباب الحياة توجد فيهم كقانون أو ناموس إلهي. طبقاً لعدل الله، فإن هؤلاء الأغنياء بالبركات عندما يكونون غير شاكرين للذي منحهم إياها، يتم تعليمهم الشكر ببتر هذا الغنى بطريقة قاسية؛ ومن خلال هذه المصيبة يتم قيادتهم لإدراك المصدر الحقيقي للبركات التي أخذوها. لأنه عندما يغتر المرء بفضيلته يتركها غير منضبطة وتلد بطريقة طبيعية العجرفة، وهذا يتسبب في شعور بالعداء تجاه الله.

١٤- من يعتقد بأنه قد حقق الكمال في الفضيلة لن يذهب أبداً للسعي وراء المصدر الأصلي للبركات، لأنه قد حَدّ مدى طموحه في نفسه وبذلك يكون قد حرم نفسه طوعا من شرط الخلاص، أي من الله. الشخص الواعي بفقره الطبيعي لا يهدأ طموحه أبداً، حيثما يكون الصلاح معنياً، تجاه من يستطيع أن يملأ بالكامل ما ينقصه.

١٥- من يفهم كيف أن الفضيلة الغير محدودة لا يتم التوقف أبداً عن إتباعها، يفهم أيضاً أن لا يُحرم من أصل وتمام الفضيلة، أي الله، من خلال قصر طموحه على نفسه. لأنه من خلال الافتراض الخاطئ بأنه قد حقق الكمال سوف يخسر وجوده الحقيقي، الذي يكافح من أجله كل شخص مجتهد.

١٦- الفكر المتعجرف قد تم جعله بطريقة عادلة موضوعاً للعقاب، بمعنى، لقد تخلى عنه الله، كما وصفت بالفعل، وقد سُمح للشياطين بأن تزعجه أثناء التأمل. إن هذا يحدث حتى يمكن أن يصبح واعياً بضعفه الطبيعي ويدرك النعمة والقوة الإلهية التي تحميه والتي تنجز كل بركه؛ وبذلك يمكن أن يتعلم الإتضاع، متخلصاً بالكامل من كبرياءه الغريب والغير طبيعي. إذا حدث هذا حقاً، حينئذٍ فإن الأشكال الأخرى من العقاب - انسحاب النعمة التي أعطيت سابقاً - سوف لا تأتى عليه، لأنه قد إتضع بالفعل وهو الآن واعياً بالذي يمنح كل البركات.

١٧- الشخص الذي لا يأتي إلى الإتضاع بالشكل الأول من العقاب، أي بالتخلي، ولم يتعلم من خلال هذا الإتضاع الوعي الحقيقي، يجلب حتماً على نفسه الأشكال الأخرى من العقاب، التي تحرمه من عمل النعمة وتتركه خالياً من القوة التي كانت تحميه حتى الآن. لأنني «سوف أرفع عنه الحماية»، يقول الله لإسرائيل الغير شاكر، «وسوف يُنهب؛ سوف أهدم كل أسواره وسوف يداس تحت الأقدام؛ سوف أدمر كرمتي، لن تقضب ولن تنقب، وسوف ينمو فيها الشوك مثل الأرض القفر؛ وسوف آمر السحاب أن لا يمطر عليها» (أش ٥: ٥- ٦ س).

١٨- عدم الوعي الكامل بفقدان علامات الفضيلة هو المسار النازل إلى عدم الإيمان. لأن الشخص لا يطيع الله بصفة مستمرة، من خلال الانغماس في ملذات الجسد، سوف ينكر الله نفسه عندما تتاح الفرصة. بتفضيل حياة الجسد على الله، فهو يضع الملذات الحسية في منزلة أعلى من المشيئة الإلهية.

١٩- عندما نفكر بأن فكرنا قد اختبر شيئاً فيجب أن نؤمن بطريقة أكيدة بأن قوته التي للتدريب النسكي والتأمل قد اشتركا أيضاً في هذه الخبرة طبقاً لمبادئهم الطبيعية. لأنه لا يمكن أن يختبر المتلقي شيئاً ما بدون الأشياء التي في داخل المتلقي التي تشارك أيضاً في الخبرة. أنا أدعو الفكر متلقياً لأنه قادرا على تلقى الفضيلة والمعرفة الروحية. بعبارة «في داخل المتلقي» أشير إلى الحياة النسكية والحياة التأملية، التي هي بالنسبة للفكر حوادث عرضية أو صفات فيه. ومن ثم فهم يشاركون بالكامل في خبرة الفكر، لأنها قابلية الفكر للحركة هي التي تنتج فيهم التعديلات التي تحدث لهم.

٢٠- افترض أن الشياطين تهاجم بطريقة خفية فكر إنسان فاضل محب لله الذي منطق نفسه روحياً مثل حزقيا بالقوة ضدهم، والذي استقبل من خلال الصلاة ملاكاً أرسل

له من قبل الله (ق.م.٢أخ ٣٢: ٢١)، بمعنى، إنه أستقبل واحداً من أسمى مبادئ الحكمة، وبذلك يبدد ويدمر كل جيش إبليس؛ وافترض أن هذا الإنسان لم ينسب هذا النصر وتلك النجاة لله ولكن نسبها بالكامل لنفسه، حينئذٍ يكون قد فشل في أن «يشكر الله على العطايا التي أخذها» (ق.م. ٢أخ ٣٢: ٢٥). إن امتنانه لا يماثل عظم نجاته، ولا موقفه الداخلي يتناسب مع سخاء مُنجيه.

٢١- دعنا ننير فكرنا بالتفكير في العالم الإلهي وأن نجعل جسدنا يتألق بصفات المبادئ الروحية التي أدركناها، حتى يصير معملاً للفضيلة ومسيطراً عليه بواسطة الذكاء، من خلال نبذ الشهوات. إذا حُكِمَتْ الشهوات الطبيعية التي للجسد بواسطة الذكاء فلا يوجد سبب لأن نلومهم. ولكن عندما يكون نشاطهم غير مُسِيطَراً عليه بالذكاء، فإنهم يستحقون اللوّم. هذا الذي لأجله قد قيل مثل هذه الشهوات يجب أن تنبذ، لأنه بالرغم من أن نشاطهم طبيعي، فيمكن أن يُستخدموا أحياناً بطريقة مضادة للطبيعة، عندما لا يكون مسيطراً عليهم من الذكاء.

٢٢- أي إنسان يتعظم قلبه بسبب العطايا الإلهية التي أخذها، ويعتز بنفسه وكأن هذه العطايا كانت له ولم يأخذها (١كو ٤: ٧)، بعدل يطلب نزول العقاب على نفسه. يسمح الله لإبليس أن يربك فكره، لكي يقوض الطبيعة الفاضلة لسلوكه، ولكي يُظلم المبادئ المنيرة التي للمعرفة الروحية أثناء تأمله. إن هذا (يحدث) لكي يدرك ضعفه ويتعرف على القوة الوحيدة القادرة على هزيمة الشهوات فينا. إذا حدث هذا، يمكن أن يتوب ويأتي إلى حالة من الإتضاع، طارحاً حِمل غروره ويتصالح مع الله. حينئذٍ يمكن أن يتفادى العقاب الذي يأتي على هؤلاء الذين لا يتوبون، الذي يأخذ النعمة التي تحرس أنفسهم، ويترك عقولهم الغير شاكرة محرومة (منها).

٢٣- عندما يأخذ العقاب شكل سماح الله للشياطين كي تهاجم فكراً متعجرفاً من خلال الشهوات، فهو وسيلة للنجاة. لأنه من خلال المعاناة من هذه الهجمات المخجلة يتمكن الشخص المزهو بفضائله من أن يتعلم من هو المعطى لهذه الفضائل. وإلا سوف يُجرد من تلك الأشياء التي هي في الواقع ليست له، بالرغم من إنه يعتبره كذلك، ناسياً إنه قد أخذهم كعطية.

٢٤- مبارك حقاً هو الفكر الذي يموت عن كل الأشياء المخلوقة: عن الموجودات المحسوسة بواسطة قمع نشاط الحواس، وعن الموجودات المعقولة بالكف عن النشاط العقلي.

من خلال مثل هذا الموت للفكر سوف تموت المشيئة عن كل شيء، الفكر عندئذٍ يكون قادراً على تلقى حياة النعمة الإلهية وعلى أن يُدرك، بطريقة تفوق قوته العقلية، ليس ببساطة الأشياء المخلوقة، ولكن خالقهم.

٢٥- مبارك هو من يوحد ممارسته للفضائل مع الصلاح الطبيعي وحياته التأملية مع الحق الطبيعي. كل ممارسة للفضائل هي من أجل الصلاح وكل تأمل يبحث عن المعرفة الروحية من أجل الحق فقط. عندما يتم إحراز الصلاح والحق، فلا يوجد شيء يمكن أن يحزن قدرة النفس على ممارسة الفضيلة، أو يزعج نشاطها التأملي بأي تفكير غريب؛ لأن النفس سوف تتجاوز الآن كل حقيقة مخلوقة أو معقولة، وسوف تدخل إلى الله نفسه، الذي هو وحده الصلاح والحق والذي هو فوق كل وجود أو تفكير.

٢٦- قيل بأن الصلاح، الذي هو التعبير الكامل عن النشاط الإلهي فينا، هو تمام الفضيلة العملية. قوة الذكاء في النفس تنجذب تجاه الصلاح عندما تستخدم جانب القوة الغضبية وجانب الرغبة اللذان لها بطريقة تتوافق مع الطبيعة. في الصلاح يظهر الجمال الذي هو بحسب مثال الله. وقيل بأن تمام الفلسفة التأملية هو الحق. الحق هو المعرفة البسيطة الغير مجزأة لكل الصفات التي تخص الله. الفكر الطاهر ينجذب تجاه هذه المعرفة عندما يبطل كل حكم مبنى على الحواس. مثل هذه المعرفة تظهر كرامة الصورة الإلهية في حالة لا تشوبها شائبة بالكامل.

٢٧- لا أحد يستطيع أن يبارك الله حقاً إذا لم يكن قد قدس جسده بالفضائل وجعل نفسه منيرة بالمعرفة الروحية. ولأن وجه الفكر المتأمل تشكله نزعة فاضلة، لذلك يتجه نظره نحو السماء إلى قمة المعرفة الروحية.

٢٨- مبارك هو من يعرف أننا في الواقع مجرد أدوات في يد الله؛ إنه الله الذي يُفَعِّل فينا كل: ممارسة نسكية وتأمل، وفضيلة ومعرفة روحية، ونصر، وحكمة، وصلاح وحق؛ وأننا في كل هذا لم نساهم في شيء ماعدا الميل للرغبة في ما هو صالح. حدث هذا مع زربابل عندما قال الله له: «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود» (زك ٤: ٦). كخادم شاكر حقاً يجب أن ينسب كل شيء لله، الذي أعطاه كل شيء. لقد امتلك الحكمة كعطية من الله ويجب أن ينسب إليه كإله آبائه فعالية البركات التي مُنحت له. هذه البركات هي، كما قلنا، إتحاد النصر مع الحكمة، والفضيلة مع المعرفة

الروحية، التدريب النسكي مع التأمل، الصلاح مع الحق، لأنه عندما تتحد تلك الأشياء معاً يشرقون بمجد ولمعان الهي فريد.

٢٩- من الواضح أن كل إنجازات القديسين كانت عطايا نعمة من الله. لم يكن أي من القديسين له أي شيء سوى الصلاح الذي منحه له الله طبقاً لدرجة شكره وحبه، وما قد اقتناه اقتناه فقط على قدر ما سلم نفسه للرب الذي منحه.

٣٠- عندما يكون فكر إنسان في مرحلة ما قبل السمو في الفضيلة والمعرفة الروحية، وعزم على أن يحفظ نفسه خالية من العبودية الشريرة للشهوات، يبحث عن الحق والفضائل التي تقدسه وتجعله على مثال الصلاح الإلهي. وهذه الفضائل هي التي تقدس والتي تنهض الحب الذي يوحد الناس مع الله ومع بعضهم البعض. هذا الحب ينتزع النفس بعيداً عن كل ما هو خاضع للتوالد والانحلال وعن كل الكائنات التي تدرك بالعقل والتي هي أسمى من التوالد والانحلال، وعلى قدر ما يكون ممكن لإنسان يصبح هيكلاً لله، ويتأسس فيه بطريقة مستيكية حياة شركة مع الله، طاهرة ومقدسة. الحق هو العلة الأصلية، والأصل، والملكوت، قوة ومجد الكائنات المخلوقة، الذي منه ومن خلاله كل الأشياء صنعت وتصنع، الذي به ومن خلاله يتعلق وجود كل شيء، وله يكرس محبوا الله كل اجتهادهم ونشاطهم.

٣١- التحقيق السامي للفضيلة، هو الحب. الحب هو السعادة التي لا تسقط والإتحاد الذي لا ينقسم لهؤلاء الذين يشتركون في اشتياقهم إلى ما هو صالح بالطبيعة. الحق يشير إلى تمام كل معرفة روحية وكل الأشياء التي يمكن معرفتها. لأن الأنشطة الطبيعة لكل الأشياء المخلوقة تسحب بواسطة ذكاء عام لا ريب فيه إلى هذا الحق كأصل لهم وكمال. لأن أصل وعلة الأشياء المخلوقة قد انتصر كحق على كل الأشياء طبيعياً، وسحب أنشطتهم لنفسه.

٣٢- لأن الحق يتجاوز كل الأشياء، فهو لا يقبل التعدد، ويكشف نفسه كوحيد وفريد. إنه يشمل الإمكانيات الروحية لكي ما هو مفكر ومدرك بالعقل، حيث إنه يتجاوز كل من الكائنات المفكرة والمدركة بالعقل؛ وبقوة غير محدودة يطوق كل من أقصى بداية وأقصى نهاية للكائنات المخلوقة ويسحب بالكامل نشاط كل منهم لنفسه. إنه يمنح للبعض المعرفة الروحية المشرقة التي للنعمة التي فقدوها، ولآخرين يهب، من خلال نمط من الإدراك يصعب وصفه وبواسطة الشركة، فهماً للصلاح الذي يشتاقون إليه.

٣٣- الفكر هو عضو الحكمة، والذكاء الذي للمعرفة الروحية. الإحساس الطبيعي بالأمان المشترك بين الفكر والذكاء هو عضو الإيمان المؤسس على كل منهم، بينما الشفقة الطبيعية هي عضو موهبة الشفاء. لأنه مقابل كل عطية إلهية، يوجد فينا عضواً طبيعياً مناسباً قادراً على تلقيها- قدرة ما، أو حالة جوهرية أو نزعة. وهكذا فمن يطهر فكره من كل الصور المحسوسة يأخذ الحكمة. ومن يجعل ذكاءه سيداً على شهواته الفطرية- أي، على القوة الغضبية وقوة الرغبة اللتان له- يأخذ المعرفة الروحية. ومن يمتلك فكره وذكاءه تأكيداً لا يتزعزع فيما يتعلق بالحقائق الإلهية يأخذ ذلك الأيمان الذي به كل شيء ممكن، ومن يقتنى شفقة طبيعية يأخذ، بعد الإبادة التامة لمحبة الذات، موهبة الشفاء.

٣٤- تظهر في كل منا قوة الروح القدس طبقاً لدرجة إيمانه (ق.م. رو ١٢: ٦). بناء على ذلك فإن كل منا هو خادم للنعمة الخاصة به وإذا، كنا نفكر بطريقة منطقية، فيجب علينا أن لا نحسد أبداً شخصاً آخر على تمتعه بمواهبه، حيث أن الترتيب الذي يجعلنا قادرين على تلقى البركات الإلهية يعتمد علينا.

٣٥- بكلمات أخرى، البركات الإلهية تمنح طبقاً لدرجة إيمان كل إنسان. بالمثل، قوة إيماننا تظهر من خلال الحماس الذي نعمل به. وهكذا فإن أعمالنا تكشف درجة إيماننا، وقوة إيماننا تحدد درجة النعمة التي نتلقاها. وبالعكس، بالدرجة التي بها نفشل في العمل يقاس نقص إيماننا. ونقص إيماننا بدوره يحدد الدرجة التي بها حُرمنا من النعمة. ومن ثم فإن الشخص الذي بسبب الغيرة يحسد هؤلاء الذين يمارسون الفضيلة هو أكثر من ضال، لأنه من الواضح أن اختيار الإيمان والعمل، وتلقى النعمة طبقاً للإيمان، يعتمد عليه وليس على أي أحد آخر.

٣٦- من يطمح في الحقائق الإلهية يسمح بطريقة طوعية للعناية الإلهية لأن تقوده بمبادئ الحكمة تجاه نعمة التأله. ومَن لا يطمح بذلك يسحب، بواسطة الحكم العادل لله وضد مشيئته، بعيداً عن الشر بأشكال متنوعة من التأديب. الأول كمحب لله، يؤله بواسطة العناية الإلهية؛ الثاني، بالرغم من إنه محب للمادة، فقد تم إنقاذه من الهلاك بواسطة قضاء الله العادل[1]. وحيث أن الله هو الصلاح نفسه، فإنه يشفى هؤلاء الذين يرغبون

---

(١) أى بسماح الله العادل لهذا الإنسان أن يقع فى مصائب تتناسب مع تعدياته وبذلك ينتبه ويرجع عن طريقه المؤدى الى الهلاك- م.

فيه من خلال مبادئ الحكمة، ومن خلال الأشكال الفاضلة من التأديب يداوى هؤلاء الكسالى في الفضيلة.

٣٧- الإيمان الحقيقي هو الحق الذي يشمل الكل، ويعول الكل والخالي من كل كذب وزيف. الضمير الصالح يمنحنا قوة الحب، حيث أنه ليس مذنباً بأي تعدى للوصايا.

٣٨- الكتاب المقدس يقول أن سبعة أرواح[١] سوف تحل على الرب: روح الحكمة روح الفهم، روح المعرفة الروحية، روح البصيرة الإدراكية، روح المشورة، روح القوة، وروح مخافة الله (ق.م. أش ١١: ٢). التأثيرات التي تنتج عن هذه العطايا الروحية هي كالتالي: بالمخافة نمتنع عن الشر، بالقوة، نمارس الصلاح؛ بالمشورة، الإفراز فيما يتعلق بالشياطين؛ بالبصيرة الإدراكية، إدراك واضح لما يجب على المرء فعله؛ بالمعرفة الروحية الاستيعاب النشط للمبادئ الإلهية المتأصلة فى الفضائل؛ بالفهم، الإعتناق الكامل للنفس للإشياء التى يجب أن تعرفها؛ بالحكمة، إتحاد لا ينفصم مع الله، الذى يحرز به القديسون التمتع الحقيقي بالأشياء التي يشتاقون إليها. من يشترك في الحكمة يصبح إله بالشركة[٢] ويُغمر بتدفق، الفيض الخفي لأسرار الله، وينقل لهؤلاء الذين يشتاقون لها معرفة البركة الإلهية.

٣٩- روح مخافة الرب هو الامتناع عن أفعال الشر. روح القوة هو دافع وميل يحث على تتميم الوصايا. روح المشورة هو السلوك بإفراز طبقاً للذي ننفذ به الوصايا بشكل ذكي وأن نميز ما هو صالح من ما هو ردئ. روح البصيرة الادراكية هو فهماً صائباً للطرق التي يجب ممارسة الفضيلة بها؛ إذا عملنا طبقاً لهذا الفهم سوف لا ننحرف على الاطلاق عن الحكم الحقيقي لذكائنا. روح المعرفة الروحية هو استيعاب للوصايا وللمبادئ المتأصلة فيهم، التي تتكون طبقاً لها صفات الفضائل. روح الفهم هو قبول صفات ومبادئ الفضائل، أو لتكون أكثر ملائمة، إنه التَحُول الذى بواسطته تمزج قوى المرء الطبيعية الصفات والمبادئ التي للوصايا. روح الحكمة هو صعود تجاه علة أعلى المبادئ الروحية المتأصلة في الوصايا (أى الله) والإتحاد به. من خلال هذا الصعود والإتحاد نكون قد دخلنا، على قدر ما يكون ذلك ممكن لكائن بشري، ببساطة ومن خلال عدم المعرفة، في هذه المبادئ الإلهية الداخلية للكائنات المخلوقة، ونظهر للناس بطرق مختلفة، كما من نبع يتدفق من قلوبنا، الحق الذي يكمن في كل الأشياء.

---

(١) المقصود هنا سبع مواهب الروح القدس - م.

(٢) أى بالنعمة كما سبق شرحها - م.

٤٠- نحن نصعد خطوة خطوة من الأبعد عن الله، ولكن قريب منا، إلى الحقائق الأولية التي هي الأبعد عنا ولكن قريبة من الله. لأننا نبدأ بالامتناع عن الشر بسبب الخوف، ومن ذلك نتقدم إلى ممارسة الفضيلة من خلال القوة؛ ومن ممارسة الفضيلة نتقدم إلى الإفراز الممنوح بواسطة روح المشورة؛ ومن الإفراز إلى حالة ثابتة من الفضيلة، التي هي البصيرة الإدراكية، ومن الحالة الثابتة من الفضيلة (نتقدم) إلى المعرفة الروحية للمبادئ الإلهية المتأصلة في الفضائل؛ ومن خلال هذه المعرفة إلى حالة من الفهم، أي، إلى حالة من التحول التي نتوافق فيها مع المبادئ الإلهية للفضيلة التي أتينا لمعرفتها؛ والتي منها نتقدم إلى التأمل البسيط الغير مشوش للحق الذي هو في كل الأشياء. من خلال نقطة المشاهدة هذه، الناتجة عن تأملنا الحكيم للموجودات المحسوسة والمعقولة، سوف نتمكن من الحديث عن الحق كما يجب علينا.

٤١- العنصر الخيّر الأول الذي يؤثر فينا بنشاط، أي الخوف، يعتبره الكتاب المقدس الأكثر بعداً عن الله، لأنه يسمى «بدء الحكمة» (ق.م. مز ١١١: ١٠؛ أم ١: ٧؛ ٩: ١٠). منطلقين من هذا إلى هدفنا النهائي، الحكمة، نأتي إلى الفهم، وهذا يمكننا من أن نقترب إلى الله نفسه، لأن الحكمة فقط هي التي تقع بيننا وبين الإتحاد معه. ولكن من المستحيل لإنسان أن يحرز الحكمة إلا إذا حرر نفسه أولاً بالكامل، من خلال المخافة ومن خلال العطايا المتوسطة الباقية، من غشاوة الجهل وغبار الخطيئة. هذا الذي لأجله، توضع الحكمة قريبة من الله والمخافة قريبة منا في النظام الذي تأسس بواسطة الكتاب المقدس. بهذه الطريقة يمكن أن نتعلم قاعدة وقانون نظام الخير.

٤٢- وبارتفاعنا بناء على ذلك بهذه العيون التي للإيمان، أي، بهذه الإستنارة، نقترب من الإتحاد المقدس الذي للحكمة، التي هي مقسمة إلى عطايا لمنفعتنا؛ وبالتسلق من فضيلة إلى أخرى نتحد مع مصدر هذه العطايا. ولكن بمعونة الله لا نهمل أي من المراحل التي ذكرناها بالفعل، لئلا نصبح مهملين بطريقة تدريجية ونسمح لأيماننا أن يصير أعمى وغير مبصر لأنه قد حُرم من استنارة الروح القدس التي تأتى من خلال الأعمال. إذا حدث ذلك، سوف نُعَاقَبْ إلى ما لا نهاية من الدهور لأننا قد أعمينا الأعين المقدسة التي في نفوسنا التي انفتحت في داخلنا طبقاً لدرجة إيماننا.

٤٣- عندما يُعمِى شخص أعين الأيمان التي في داخله، بواسطة إهمال الوصايا، فهو عندئذٍ ملعون بالتأكيد، لأنه لم يعد له الله حارساً له. لأنه إذا دعا الكتاب المقدس قوى الروح

القدس «عينا الرب» (تث ١١: ١٢)، فإن الشخص الذي لا يفتح هذه الأعين بتتميم الوصايا لا يكون الله له حارساً. الله يحرسنا فقط عندما نستنير بقوى الروح القدس من خلال تتميم الوصايا، لأنه ليس له أعين أخرى ينظر بها على هؤلاء الساكنين على الأرض.

٤٤- الحكمة هي وحدةٌ يتم التأمل فيها بطريقة كلية لا تتجزأ في الفضائل المتنوعة التي تنهض منها؛ ويتم فهمها بشكل واحد في أعمال الفضائل. أيضاً، تظهر كوحدة بسيطة عندما تتوحد الفضائل المنبثقة منها بها مرة أخرى. إن هذا يحدث عندما نُسحب لأعلى تجاه الحكمة بواسطة كل فضيلة، هذا الذي من أجله أنتجت الحكمة من نفسها كل فضيلة منفردة.

٤٥- عندما تفشل في تنفيذ الأحكام الإلهية التي في الإيمان، يكون إيمانك أعمى. لأنه إذا كانت أحكام الله هي نور (ق.م. أش ٢٦: ٩ س)، من الواضح أنه عندما تفشل في ممارسة الأحكام الإلهية فإنك بدون نور إلهي. أنت خادم الله فقط بالاسم، وليس بالفعل.

٤٦- لا أحد يستطيع أن يحتج بضعف الجسد كعذر عندما يخطئ؛ لأن إتحاد بشريتنا باللوغوس الإلهي من خلال التجسد قد جدد كامل الطبيعة برفع اللعنة، وبذلك ليس لنا عذر إذا بقت مشيئتنا متعلقة بالشهوات. لأن لاهوت اللوغوس، الذي يسكن دائماً بالنعمة في هؤلاء الذين يؤمنون به، يُذبل حكم الخطيئة في الجسد.

٤٧- من أنتصر من خلال الإيمان بالله ومحبته على الرغبات الحمقاء أو دوافع الشهوات التي هي مضادة للطبيعة، ينتقل من مجال الناموس الطبيعي ويدخل بالكامل إلى العالم العقلي. وينجى مع نفسه أتباعه وأعمالهم من العبودية الأجنبية.

٤٨- إذا لم تُلجم المعرفة الروحية بمخافة الله التي تصحب ممارسة الفضيلة فإنها تؤدى إلى الغرور؛ لأنها تشجع الشخص المنفوخ بها أن يعتبر ما هو معار له فقط كشيء خاص به، ويستخدم الذكاء المعار له ليكسب المديح لنفسه. ولكن عندما يزداد في ممارسته للفضائل بطريقة متلازمة مع اشتياقه لله، ولا يدعى لنفسه معرفة روحية أكثر من اللازمة للمهمة التي في يده، حينئذ يصبح متواضعاً ويرجع إلى نفسه بواسطة المبادئ التي تفوق قدرته.

٤٩- المقر السماوي للإنسان هو حالة التحرر من الأهواء التي للفضائل، متحدة مع المعرفة الروحية التي تتغلب على كل الأفكار التضليلية.

٥٠- التعددية هي نهاية الوحدة التي ظهرت، والوحدة هي بداية التعددية الغير ظاهرة. لأنه من الواضح أن بداية كل نهاية هي حالتها الغير ظاهرة، ونهاية كل بداية هي النمو الكامل لإمكانيتها في الظهور. وهكذا، حيث أن الإيمان هو بداية طبيعية للفضائل، فإن نهايته هو النمو الكامل للصلاح الذي يُدرك من خلال الفضائل؛ وحيث أن الصلاح الطبيعي هو نهاية الفضائل، فإن بدايتهِ هي الإيمان. بهذه الطريقة هناك تبادل جوهري بين الإيمان والصلاح؛ الإيمان يكمن في الصلاح والصلاح هو الإيمان الظاهر. الله بالطبيعة أمين وصالح (ق.م. ١٩: ١٧)؛ إنه أمين كخير أولى وخير كأمنية كل الأمنيات. هاتان الصفتان متطابقتان لبعضها البعض في كل شيء؛ وفي ما عدا تصورنا لهم، فإنهن غير منفصلتين عن بعضهما البعض بأي شكل وبأي فعل للظهور الذي يأخذ بدايته منه وينتهي إليه. وهكذا فإن التعددية، تبدأ بظهور الله كأمنية الأمنيات، وتأتى بالاشتياق الذي لكل من يطمح إليه إلى التتميم الكامل؛ بينما الوحدة، لكونها رمزاً لله كالخير الأولى، تؤسس الأساس الكامل لكل ما يظهر منه.

٥١- النوع الأول من اللاهوىَ هو امتناع كامل عن الارتكاب الفعلي للخطيئة، ويمكن أن يوجد في هؤلاء المبتدئين في الطريق الروحي. الثاني هو نبذ كامل في العقل لكل موافقة على الأفكار الشريرة؛ وهذا يوجد في هؤلاء الذين قد حققوا مشاركة ذكية في الفضيلة. الثالث هو هدوء كامل للرغبة المشبوبة العاطفة؛ وهذا يوجد في هؤلاء الذين يتأملون بطريقة عقلية في الجواهر الداخلية للأشياء المرئية من خلال أشكالهم الخارجية. النوع الرابع لـ اللاهوىَ هو التطهير الكامل حتى من الصور الخالية من الشهوة؛ هذا يوجد في هؤلاء الذين قد جعلوا فكرهم مرآة نقية وشفافة لله من خلال المعرفة الروحية والتأمل. عندئذٍ، إذا، نظفت نفسك من ارتكاب الأفعال المدفوعة بالشهوات، وقد حررت نفسك من الموافقة العقلية عليهم، وقد أبطلت إثارة الرغبة المشبوبة العاطفة، وقد طهرت فكرك حتى من الصور الخالية من الشهوة للأشياء التي كانت قبلاً أهدافاً للشهوة، تكون قد أحرزت الأنواع الأربعة العامة لـ اللاهوىَ. إنك قد خرجت من عالم المادة والأشياء المادية، ودخلت إلى مجال الحقائق المدركة بالعقل، العقلاني، الهادئ والإلهي.

٥٢- النوع الأول من اللاهوىَ، بكلمات أخرى، هو تعقف كامل عن دافع الجسد تجاه الارتكاب الفعلي للخطيئة. الثاني هو نبذ كامل للأفكار المشبوبة العاطفة في النفس؛ ومن خلال هذا النبذ فإن الدافع إلى الشهوات المذكور في النوع الأول من اللاهوىَ قد تم إخضاعه، حيث أنه لا يوجد هناك أفكاراً مشبوبة العاطفة تحث على الفعل. الثالث هو الهدوء الكامل للرغبة المشبوبة العاطفة، ومن خلال هذا يتولد النوع الثاني، حيث أنه يأتي للوجود بواسطة نقاوة الأفكار. النوع الرابع لـ اللاهوىَ هو الاستبعاد الكامل لكل الصور المحسوسة من العقل. هذا ينتج أيضاً النوع الثالث، حيث أن العقل لم يعد يمتلك تلك الصور التي للأشياء المحسوسة التي تنتج تخيلات الشهوة فيها.

٥٣- الذكاء والعقل يتم التعامل معهما مثل العبيد الذين من السلالة العبرانية الذين يطلقون أحراراً في نهاية السنة السادسة (ق.م. تث ١٥: ١٢). إنهم يعملون كالعبد والأمة لكل أحد يمارس الفضائل، حيث أنهم يفهمون ويدركون أن مميزات الفضائل النشطة، وكل قوتهم، إذا جاز التعبير، تعمل ضد الشياطين الذين يقاومون ممارسة الفضائل. عندما يكونوا قد أكملوا مرحلة الفلسفة العملية- وهذا الاكتمال يتمثل في السنة السادسة لأن العدد ستة يشير إلى الفلسفة العملية- فإن الذكاء والعقل يطلقون أحراراً ليُكرسوا أنفسهم للتأمل الروحي، أي، يتأملون في الجوهر الداخلي للأشياء المخلوقة.

٥٤- القوة الغضبية والرغبة، من جهة أخرى، يتم التعامل معهما مثل العبد والأمة الذين من قبيلة أخرى (ق.م. لا ٢٥: ٤٥: - ٤٦)[1]. الفكر المتأمل، من خلال الثبات وكبح النفس، يُخضعهم للأبد لسيادة الذكاء، لكي يخدموا الفضائل. إنه لا يعطيهم حريتهم الكاملة حتى يتم ابتلاع ناموس الطبيعة بالكامل بواسطة ناموس الروح، بنفس الطريقة التي يُبتلع بها موت الجسد التعيس من الحياة الأبدية (ق.م. ٢كو ٥: ٤)، وحتى تنكشف بوضوح الصورة الكاملة للملكوت الغير مُبتدأ، يظهر بطريقة المحاكاة في ذاته الشكل الكامل للنموذج الأصلي. عندما يدخل الفكر المتأمل في هذه الحالة يعطى للقوة الغضبية والرغبة حريتهم، محولاً الرغبة إلى فرح لا تشوبه شائبة وحب شديد لله لا يُنتزع والقوة الغضبية إلى توهج روحي، وحماس ناري دائم النشاط، نشاط حاد هادئ.

---

(١) أى يتم إستعبادهم الى الأبد- م.

٥٥- التركيز الثابت للفكر على المعرفة الروحية، وعدم الفساد للحواس عندما تتقدس بالفضيلة، يكوّن صورة للملكوت الغير مُبتدأ. يحدث هذا عندما، تتوحد النفس مع الجسد مع بعضهما البعض، من خلال التحول الروحي للحواس إلى الفكر، بالناموس الإلهي الذي للروح القدس فقط. في هذه الحالة، القوة الحيوية الدائمة النشاط التي لـ اللوغوس، تتغلغل فيهم دائماً، ويختفي بالكامل كل ما هو ليس على المثال الإلهي.

٥٦- اللذة تم تعريفها كرغبة تحققت، حيث أن اللذة تستلزم الحضور الفعلي لشيئاً ما يعتبر جيداً. الرغبة من جهة أخرى، هي لذة ممكنة فقط، حيث أن الرغبة تسعى لتحقق في المستقبل شيئاً ما يعتبر جيداً. الإثارة هي نشاط حاد متعمد، والنشاط الحاد المتعمد هو إثارة تحولت إلى فعل. وهكذا، فمن أخضع الرغبة والإثارة للذكاء سوف يجد أن رغبته قد تحولت إلى لذة من خلال الاتحاد الذي لا تشوبه شائبة لنفسه بالنعمة مع ما هو إلهي، وأن قوى الإثارة فيه قد تحولت إلى حماسة نقية تحمى لذته فيما هو إلهي، والى نشاط حاد هادئ، الذي فيه تستغرق بالكامل النفس، المفتونة بالاشتياق، في النشوى فوق عالم الكائنات المخلوقة. ولكن طالما أن ارتباط العالم ورغبة النفس بالأشياء المادية حياً فينا، يجب أن لا نعطى حرية للرغبة والإثارة، لئلا يمتزجان بالأشياء المحسوسة التي لها طبيعة متشابهة معهم، وتصنع حرباً على النفس، أخذة إياها أسيرة بالشهوات، كما أخذ البابليين أورشليم في العصور القديمة (ق.م. ٢مل ٢٥: ٤). لأن الكتاب المقدس عندما يعرض عالم المدركات بالعقل من خلال الرواية الحرفية، يتحدث عن العصر الذي يأمر فيه الناموس عبيداً من قبيلة أخرى أن يبقوا في العبودية (ق.م. لا ٢٥: ٤٥: ٤٦)، أنه يقصد بـ«عصر» ارتباط مشيئة النفس وغرضها بهذا العالم، أي، الحياة الحاضرة.

٥٧- الشر له بداية، لأن له أصل في النشاط المضاد للطبيعة الذي من جهتنا. ولكن الصلاح ليس له بداية، لأنه يوجد بالطبيعة قبل الزمن وقبل كل العصور. الصلاح قابل لأن يُدرك بالعقل لأنه يمكن أن يُفهم بالتفكير. الشر غير قابل لأن يُدرك بالعقل لأنه لا يمكن أن يُفهم بالتفكير. الصلاح يمكن أن الكلام عنه- إنه الشيء الوحيد حقاً الذي يجب أن نتكلم عنه. إنه أيضاً يأتي إلى الوجود- إنه في الواقع، الشيء الوحيد الذي يجب أن يأتي إلى الوجود؛ لأنه بالرغم من إنه بالطبيعة غير مخلوق، إلا إنه بسبب

محبة الله لنا فهو يسمح لنفسه[1] بأن يأتي إلى الوجود من خلالنا بالنعمة، حتى إننا نحن الذين نبدع ونتكلم يمكن أن نكون على مثال الله. الشر- الذي هو الشيء الوحيد الذي لا يجب أن يأتي إلى الوجود- لا نستطيع أن نبتدعه. الشر قابل للفساد لأن الفساد هو طبيعة الشر، والذي لا يمتلك أي وجود حقيقي مهما كان. الصلاح غير قابل للفساد لأنه موجود بشكل خالد ولا يمكن أن ولا يكف عن أن يكون، ويحرس كل شيء يسكن فيه. الصلاح، هو، إذاً، ما يجب أن نبحث عنه بذكائنا، ونشتاق إليه برغبتنا، ونحفظه سليماً بقوة الإثارة[2] التي لنا، ويجب أن نمنعه بواسطة البصيرة الإدراكية التي لنا من أن يُغش بأي شيء متناقض معه. يجب نظهره بواسطة صوتنا في الحديث لهؤلاء الجاهلين به. وبواسطة قوة إنتاجنا يجب أن نجعله يزداد، أو لنقولها بأكثر دقة، يجب أن نزداد بواسطته.

٥٨- الفكر المتأمل، إذا كان يسيطر على الصور العقلية التي للأشياء المخلوقة، وأيضاً على أنشطتها الخاصة، يجب أن يكون في حالة خالية من الشر، أي، الإنسان الذي لا يحبل بالشر بأي طريقة ولا يلده[3]. يجب أن يكون في هذه الحالة عندما يباشر التأمل، لئلا بتمعنه في الأشياء المخلوقة بطريقة روحية، يسقط بشكل غير مقصود في سلطة واحد من الشياطين الذي من طبيعته أن يفسد الرؤية القلبية النقية بواسطة بعض الأشياء المحسوسة.

٥٩- من يسقط ضحية البر الذاتي بسبب فضيلته أو معرفته الروحية ينمى شعره مثل أبشالوم، بدون سبب جيد (ق.م. ٢صم ١٤: ٢٦؛ ١٨: ٩). ظاهرياً يبدو إنه يتبع طريقاً أخلاقياً في الحياة، ولكنه مُدبر بعناية ومخلوط (مثل البغل) بالغرور، وصُممَ ليخدع المشاهدين. منفوخاً بمجده الباطل يحاول أن يحل محل أبيه الروحي الذي ولده من خلال تعاليم اللوغوس؛ لأنه يريد في كبرياءه، مثل مغتصب السلطة، أن يدعى لنفسه كل بهاء الفضيلة والمعرفة الروحية التي يمتلكها أبيه الروحي كعطية من الله. ولكن عندما يبدأ مثل هذا الإنسان في مباشرة التأمل الروحي للكائنات المخلوقة وأن يحارب بذكائه لأجل الحق، يُمسك من شعره بشجرة البطم التي للمظاهر المادية، لأن طبيعته

---

(١) أى الصلاح – م.

(٢) أى بالقوة الغضبية المتوافقة مع الطبيعة – م.

(٣) أى الإنسان الذى لا يتخيل الشر ولا يفعله – م.

الحسية لازالت مملؤة بالحياة؛ وهكذا فإن غروره الفارغ، يقع كما هو الآن في شرك الموت، معلقاً بين السماء والأرض (ق.م. ٢صم ١٨: ٩). لأن ضحية البر الذاتي لا يمتلك معرفة روحية، التي مثل السماء التي تسحبه بعيداً عن الغرور المخزي، ولا يملك الأرض، تلك القاعدة، المتأصلة في التواضع، للمسعى العملي الذي سوف يسحبه إلى أسفل من المرتفعات التي رفعته إليها عجرفته. المعلم الروحي الذي ولده يحزن بشكل مشفق عليه عند رؤيته يموت (ق.م. ٢صم ١٨: ٣٣). بهذه الطريقة يُحاكى المعلم الله، الذي لا يشاء موت الخاطئ ولكن بالأحرى أن يتوب ويحيا (ق.م. حز ٣٣: ١١).

٦٠- البداية والنهاية لخلاص كل إنسان هي الحكمة، التي تنتج مبدئياً الخوف ولكن عندما تصبح كاملة تنهض رغبة المحبة. أو، بالأحرى، مبدئياً وبالعناية الإلهية تظهر الحكمة نفسها من أجلنا كمخافة، حتى كما تجعلنا نشتاق للحكمة تجعلنا أيضاً نكف عن الشر؛ ولكنها توجد نهائياً في حالتها الطبيعية لأجلنا كرغبة المحبة، وذلك كي تملأ بالفرح الروحي هؤلاء الذين تركوا كل الأشياء الموجودة لكي يسكنوا معها.

٦١- الحكمة هي مخافة لهؤلاء الذين لا يشتاقون إليها، بسبب الخسارة التي يتكبدونها من خلال هربهم منها؛ ولكن في هؤلاء الذين يتشبثون بها، الحكمة هي رغبة المحبَة، التي تطور حالة داخلية من النشاط المبهج. لأن الحكمة تخلق المخافة، منجية المرء من الشهوات بجعله مدركاً للعقاب؛ وتنتج أيضاً رغبة المحبَة، وتُعَوِّدْ الفكر من خلال اكتساب الفضائل على أن يرى البركات المذخرة لنا.

٦٢- كل اعتراف أصيل يجعل النفس متضعة. عندما يأخذ شكل الشكر، فهو يُعلم النفس أنها قد نجت بنعمة الله. وعندما يأخذ شكل اتهام الذات، فهو يُعلم النفس إنها مدانة بجرائم من خلال كسلها المتعمد.

٦٣- الاعتراف يأخذ شكلين. طبقاً لأحدهما، نحن نقدم الشكر للبركات المأخوذة؛ وطبقاً للآخر، نحن نكشف للنور ونفحص ما قد فعلناه من أخطاء. نحن نستخدم مصطلح اعتراف لكل من الامتنان الشاكر للبركات التي أخذناها من خلال الإنعام الإلهي، ولأجل الاعتراف بالأفعال الشريرة التي أذنبنا بها. كلا الشكلان ينتجان الإتضاع. لأن من يشكر الله من أجل البركات ومن يفحص نفسه بسبب إساءاته كلاهما متضع. الأول يحكم على نفسه بأنه غير مستحق ما قد أخذه؛ والثاني يلتمس غفران خطاياه.

٦٤- شهوة الكبرياء تنهض من نوعين من الجهل، وعندما يتحد هذان النوعان من الجهل معاً فهما يشكلان حالة مشوشة وحيدة للعقل. لأن الإنسان يكون متكبراً فقط عندما يكون جاهلاً بكل من المعونة الإلهية والضعف البشرى. بناء على ذلك فالكبرياء هو نقص في المعرفة في كل من المجال الإلهي والمجال البشرى. لأن إنكار فرضيتين حقيقيتين يؤدى إلى تأكيد خطأ وحيد.

٦٥- البر الذاتي هو استبدال هدفاً يتوافق مع الله بهدف آخر يتناقض مع ما هو إلهي. لأن الإنسان المملوء من البر الذاتي يتبع الفضيلة ليس من أجل مجد الله ولكن لمجده، وبذلك يشترى بأتعابه المدح عديم القيمة الذي من الناس.

٦٦- الشخص الذي يحب أن يكون مشهوراً يهتم فقط بالاستعراض الخارجي لقواعد السلوك الأخلاقي وبكلمات الذي يُثنى عليه. بالأول يأمل في جذب عيون وبالثاني آذان هؤلاء المفتونين والمتأثرين فقط بما هو مرأى ومسموع، ومن يحكمون على الفضيلة بحواسهم فقط. ومن ثم رغبة أن يكون مشهوراً يمكن أن توصف بالعرض الخارجي للأفعال واللغة الأخلاقيتين، وكأنهما من أجل الفضيلة ولكن في الواقع لكي يؤثر في الناس الآخرين.

٦٧- الرياء هو التظاهر بالصداقة، أو الكراهية المختفية في شكل الصداقة، أو العداوة التي تعمل تحت مظهر المودة، أو الحسد الذي يتظاهر بشكل الحب، أو أسلوب في الحياة مزين بخيال وليس بحقيقة الفضيلة، أو الإدعاء بالبر الذي يتم المحافظة عليه في المظهر الخارجي فقط، أو الخداع بالشكل الخارجي للحق. الرياء هو تجارة هؤلاء الذين ينافسون الحية في لفهم ودورانهم.

٦٨- الله هو علة الأشياء المخلوقة وصلاحهم الفطري. وهكذا فمن ينتفخ بفضيلته ومعرفته، وتقدمه في الفضيلة المعطى من النعمة ولا يتطابق مع إدراكه المناظر لضعفه، يسقط حتماً في خطيئة الكبرياء. من يبحث عن الصلاح من أجل سمعته الحسنه يفضل نفسه على الله، لأنه قد طُعن بمسمار البر الذاتي. وبواسطة فعله أو قوله ما هو فاضل كي يتم رؤيته بواسطة الناس، فهو يضع قيمة لاستحسان الناس أعلى بكثير من الذي لله. باختصار، إنه ضحية للرغبة في أن يكون مشهوراً عند الناس. ومن يستخدم بطريقة لا أخلاقية الأخلاقيات لكي يخدع (الناس) فقط بعرضه المتدين للفضيلة، ويخفى

الميل الشرير الذي لمشيئته تحت الشكل الخارجي للشفقة، يقايض الفضيلة بخداع الكبرياء. إنه يهدف إلى شيئاً ما بخلاف علة[1] كل الأشياء.

٦٩- شياطين الكبرياء والبر الذاتي والرغبة في الشهرة والرياء، لا يقومون بمحاولة إخماد حماس الرجل الفاضل. ولكن بدلاً من ذلك يوبخونه بخبث على نقائصه في الفضائل المعنية، ويقترحون عليه أن يكثف من مجهوداته، مشجعينه في جهاده. إنهم يفعلون ذلك كي يغوونه لكي يعطى اهتمامه بالكامل لهم؛ وبهذه الطريقة يجعلونه يفقد الاتزان والاعتدال اللائقين، ويقودونه دون أن يحس إلى مصير أخير غير الذي اعتقد إنه ذاهب إليه.

٧٠- ولا تكره هذه الشياطين كبح النفس، الصيام، إعطاء الصدقات، الضيافة، ترتيل المزامير، القراءات الروحية، السكون، التعاليم الأكثر روعة، النوم على الأرض، السهر أو أي من الأشياء الأخرى التي تميز الحياة المعاشة بحسب الله، طالما كان هدف وغرض الشخص الذي يحاول أن يعيش هذه الحياة يميل منحدراً في نفس اتجاههم.

٧١- الشخص الذي يتبع الطريق الروحي ربما يكون أسرع في إدراك الشياطين الأخرى، وبذلك فمن السهل عليه أن يهرب من الأذى الذي يفعلونه؛ ولكن في حالة الشياطين التي تظهر متعاونة مع تقدم الفضيلة ويَدّعون بأنهم يريدون أن يساعدوا في بناء هيكل الرب، فمن المؤكد إنه لا يوجد فكر متفوق هكذا حتى يدركهم بدون مساعدة اللوغوس النشط والحي الذي يتخلل كل الأشياء ويخترق حتى «مفرق النفس والروح» (عب ٤: ١٢) - بكلمات أخرى، الذي يُميز أي من الأفعال أو الصور العقلية تخص النفس، بمعنى، أشكال أو صيَغ طبيعية للفضيلة، وأي منها روحية، بمعنى، التي فوق الطبيعة وتخص الله، ولكن مُنحت للطبيعة بالنعمة. اللوغوس فقط هو الذي يعرف إذا كانت «المفاصل والمخاخ»، بمعنى، صفات الفضيلة والمبادئ الروحية، قد اتحدا بشكل متناغم أم لا، وهو الذي يحكم على نوايا وأفكار القلب (نفس الآية)، أي يحكم مما قيل على النزعة الكامنة الغير مرئية وعلى الدافع المخفي في النفس. لأنه لا يوجد فينا شيئاً مخفياً أمامه: مهما اعتقدنا بأننا يمكن أن نهرب من الملاحظة، فكل شيء أمامه «عريان ومكشوف» (عب ٤: ١٣)، ليس فقط ما نفعله أو نفكر فيه، ولكن حتى ما سوف نفعله أو سوف نفكر فيه.

---

(١) أي الله - م.

٧٢- قُصدَ بـ «خارقة إلى مفرق النفس والروح» التمييز بين الفضائل الفطرية،وهى مبادئ ما نمتلكه بالطبيعة، والفضائل التي هي من الروح القدس، وهى النعمة التي نأخذها كهبة مجانية. اللوغوس يميز بدقة بين الاثنين.

٧٣- النوايا والأفكار التي يميزها اللوغوس هي علاقات النفس مع المبادئ والأفكار الإلهية، وأسباب هذه العلاقات. لأن النية تحرك العقل، الذي له هذه العلاقة؛ والفكرة تُوَجَّهْ تجاه هدف معين، الذي يعمل في هذه الحالة كسبب.

٧٤- إذا كان الله معرفة جوهرية، حينئذٍ يكون الله خاضعاً للفكر، لأنه من الواضح أن الفكر أسمى من كل معرفة يعرفها. بناء على ذلك الله أعلى من المعرفة لأنه أعلى بشكل لا نهائي من أي فكر، مهما كانت المعرفة التي يعرفها.

٧٥- من هو الإنسان الذي يستطيع أن يتغلب على خدع الشياطين المرائيين بدون سكنى اللوغوس الإلهي في أعماق قلبه؟ من يستطيع وحده، أن يحفظ نفسه خالياً من أي إلتقاء بهم، ويؤسس ويبنى هيكل الرب، مثل زربابل ويشوع ورؤساء الأسباط، الذين قالوا بوضوح للأرواح المخادعة التي للكبرياء والبر الذاتي والرغبة في الشهرة والنفاق: «ليس لكم ولنا أن نبنى بيتاً لإلهنا ولكننا نحن وحدنا نبنى للرب إله إسرائيل» (عز ٤: ٣)؟ لأن اللقاء مع الشياطين يجلب الخراب والدمار لكامل المبنى، ويجرد نعمة الجمال من العطايا الإلهية.

٧٦- لا أحد يَقبل أي من الأربع شياطين الذين ذكرناهم، كمشاركين في جهاده من أجل الفضيلة، ويستطيع أن يبنى للرب. إذا فعل وقبل أي منهم، فلن يجد الله كنتيجة لمجهوداته، ولكن سوف يثبت في الشهوة التي يدعمها من خلال فضيلته.

٧٧- الشياطين الذين يشنون حرباً علينا من خلال تقصيرنا في الفضيلة هم الذين يُعَلِمُون النجاسة، السكر، الطمع والحسد. وهؤلاء الذين يشنون حرباً علينا من خلال حماستنا الزائدة للفضيلة تعلم الغرور، البر الذاتي والكبرياء؛ إنهم يُحرفون بشكل سرى ما هو جدير بالثناء إلى ما هو جدير بالتوبيخ.

٧٨- عندما تهاجمنا الشياطين بطريقة غير مرئية في شكل الصداقة الروحية، مدعين بأنهم يريدون أن يتمموا موت الخطيئة بواسطة وسائل هى في ذاتها جيدة، وعندما يقولون، «نبنى معكم» هيكل إلهكم، يجب أن نرد عليهم «ليس لكم ولنا أن نبنى بيتاً لإلهنا ولكننا نحن وحدنا نبنى للرب إله إسرائيل» (عز ٤: ٢- ٣). «نحن وحدنا» لأننا

بتحررنا من الأرواح التي تحاربنا من خلال تقصيرنا في الفضيلة، وبهروبنا منهم، لا نريد الآن أن نُطعن من هؤلاء الذين يثيرون كبريائنا بواسطة تشجعينا على حماسة زائدة؛ لأنه إذا حدث ذلك فإن سقوطنا سوف يكون أسوأ بكثير من سقوطنا بسبب تقصيرنا في الفضيلة. لأننا إذا سقطنا من أجل هذا السبب الأخير، فسيكون هناك فرصة جيدة للشفاء، حيث إنه سوف يُغفر لنا بسبب ضعفنا. ولكن الشفاء مستحيل، أو على الأقل صعب، إذا سقطنا لأننا قد جعلنا أنفسنا مفعمة بالكراهية من خلال الكبرياء، وفى مكان ما هو صواب أقمنا شيئاً آخر الذي نعتبره أفضل. ولكن بمعنى آخر فنحن لا نبنى الهيكل وحدنا لأن لنا الملائكة القديسين لمساعدتنا لفعل ما هو جيد؛ نحن حتى لنا حقاً،الله نفسه، الذي يكشف نفسه لنا من خلال أعمال البر التي لنا ويبنينا كهيكل مقدس، يليق به وخالي من أي شهوة.

٧٩- الفضيلة يمكن أن تُعرَّف بالاتحاد الواعي للضعف البشرى مع القوة الإلهية. وهكذا فالشخص الذي لا يبذل مجهود لكي يتجاوز ضعف الطبيعة البشرية لم يُحقق بعد حالة الفضيلة. ولهذا السبب يضل، لأنه لم يأخذ بعد القوة التي تجعل ما هو ضعيف قوى. ومن جهة أخرى، فمن يعتمد على ضعفه بطريقة متعمدة بدلاً من القوة الإلهية، معتبراً ضعفه قوة، قد أخطأ تماماً حدود الفضيلة. ولهذا السبب يضل، لأنه غير واعياً بأنه قد ترك البر خلفه؛ إنه حقاً يسئ فهم خطأه في الفضيلة. وهكذا فإن الشخص الذي لا يبذل مجهوداً لكي يتجاوز حدود ضعفه الطبيعي من الأسهل أن يُغفر له، لأن الكسل هو السبب الرئيسي لخطأهُ. ولكن من يعتمد على ضعفه بدلاً من القوة الإلهية لكي يفعل ما هو صواب، من المرجح إنه قد سقط بسبب العناد.

٨٠- عندما قيل بأن «طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (يع ٥: ١٦)، فهمت مثل هذه الصلاة على أنها تقتدر في اتجاهين. الأول عندما يدعم الشخص الذي يقدم صلاة إلى الله صلاته بالأعمال المنجزة طبقاً للوصايا، وعندما يفعل ذلك فإن صلاته ليست مجرد مسألة كلمات وصوت أجوف من اللسان، وبذلك تكون غير مؤثرة وبدون جوهر حقيقي، ولكن تكون مؤثرة وحية، ومنشطة بالتتميم الفعلي للوصايا. لأن الصلاة والتضرع يأخُذان جوهراً حقيقياً عندما يتم تتميم الوصايا من خلال ممارسة الفضائل. هذا الذي لأجله طلبة البار قوية ولها القدرة على أن تفعل كل الأشياء، لأنها تقتدر بهذه الطريقة. الطريق الثاني الذي تقتدر فيه طلبة البار هو عندما يطلب شخص آخر صلواته وعندئذٍ تتم بالحقيقة عملياً تلك الأشياء التي طلب من أجلها صلاة البار؛ لأنه

في هذه الحالة فإن هذا الرجل الآخر لن يصحح فقط أسلوب حياته السابق، ولكن أيضاً من خلال رجوعه للأفضل، يملأ صلاة البار بقوة فعالة ونشطة.

٨١- لا فائدة تأتى من صلاة البار إذا كان من يطلبها يجد لذة في الخطيئة أكثر من الفضيلة. لأن صموئيل ناح على شاول عندما أخطأ، ولكنه لم يكن قادراً على أن يحصل على رحمة الله، لأن حزنه لم يكون مدعوماً بالتغيير الضروري في حياة الخاطئ. ومن ثم فقد وضع الله حداً لحزن خادمه الذي لا طائل منه، قائلاً له، «إلى متى تنوحِ على شاول، وأنا قد رفضته عن يملك على إسرائيل؟» (١صم ١٦: ١).

٨٢- أيضاً، عندما كان إرميا الشفوق يتوسل لله من أجل الشعب اليهودي لأنهم في جنونهم قد تم خداعهم وعبدوا الشياطين، لم تسمع صلاته؛ لأنها لم تكن مدعومة بالرجوع الفعلي لليهود الذين كفروا عن أخطائهم. ومن ثم فإن الله جعله يكف عن صلاته التي بلا فائدة، قائلاً: «لا تصلى من أجل هذا الشعب، لا تطلب الرحمة من أجلهم، ولا تحاول أن تتشفع لهم، لأنني لن أسمع لك» (إر ٧: ١٦ س).

٨٣- إنها حقاً قمة الحماقة، ولا نقول الجنون، أن يطلب الشخص، الذي يتلذذ بطريقة متعمدة بالخطايا المُدَمِرة، الخلاص بواسطة صلوات الأبرار ويطلب منهم أن يحصل على غفران ما يبتهج ويتهلل به بنشاط، مُدَنساً كما هو باختياره الحر. إذا كره حقاً ما هو شرير، يجب أن لا يطلب صلوات الإنسان البار وبعد ذلك يسمح لهم بأن يصبحوا فارغين وغير مؤثرين؛ ولكن يجب أن يجعلهم نشطين وأقوياء، حتى يمكن أن يوصلوه مجنحين بفضائله إلى من له السلطان على منحه غفران خطاياه.

٨٤- صلوات الإنسان البار لها قوة عظيمة عندما تُنَشّط إما بالإنسان البار الذي يقدمها أو بواسطة الشخص الذي يطلب من الإنسان البار أن يقدمها من أجله. عندما تُنَشّط بواسطة الإنسان البار، فإن صلاته تعطيه شركة مباشرة مع الله الذي له السلطان لمنح ما يُطلب. وعندما تُنَشّط الصلاة بواسطة الشخص الذي طلب من الإنسان البار أن يصلى من أجله، فهي تنجيه من طرقه الشريرة وتؤدى به إلى الفضيلة.

٨٥- يقول القديس بطرس، «الذي به تبتهجون مع إنكم الآن إن كان يجب أن تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة» (١بط ١: ٦). ولكن كيف لشخص في حزن بسبب مثل هذه التجارب يبتهج في ما يحزنه؟

٨٦- هناك نوعان من الحزن. الأول يُنتج بشكل غير مُدرَك في النفس، والثاني بشكل محسوس في الحواس. الأول يشمل كامل عمق النفس، مدمراً إياها بجلدات الضمير؛ والثاني يتخلل كل الحواس عندما ينضبط بالألم ميلهم الطبيعي للإنحراف تجاه الأشياء الخارجية. النوع الأول هو نتيجة اللذة الحسية، والثاني من سعادة النفس. أو بالأحرى، الأول ينتج من خبرات الحس التي نعتنقها بتعمد، والثاني من هؤلاء الذين نعانى منهم رغماً عن أرادتنا.

٨٧- الحزن في رأيي، هو حالة خالية من السعادة، وغياب السعادة يعنى حضور الألم. الألم هو نقص أو انقطاع لبعض الظروف الطبيعية. ونقص بعض الظروف الطبيعية هو اضطراب أو انفعال في القدرة التي تعمل طبيعياً في هذه الظروف. مثل هذا الاضطراب يؤدى إلى سوء استعمال الوظيفة الطبيعية لتلك القدرة. وأن تسئ استعمال الوظيفة الطبيعية هو أن توجه القدرة إلى ما هو غير موجود بالطبيعة وينقصه الوجود الحقيقي.

٨٨- حزن النفس هو نتيجة اللذة الحسية. لأن اللذة الحسية هي التي تنتج حزن النفس. بالمثل، حزن الجسد هو نتيجة لذة النفس. لأن سعادة النفس هي حزن الجسد.

٨٩- هناك نوعان من الحزن. الأول يؤثر في الحواس ويخص غياب الملذات الجسدية؛ والثاني يؤثر في الفكر ويخص غياب بركات النفس. التجارب أو المحن، هي أيضاً نوعان، الأول خاضع لإرادتنا والثاني ليس خاضعاً لإرادتنا. تلك الخاضعة لإرادتنا تلد اللذة الجسدية في الحواس ولكن تحزن النفس. لأن الخطيئة عندما تُرتكب تنتج الحزن في النفس، وتلك الغير خاضعة لإرادتنا سوف تصبح ظاهرة في المعاناة التي نعانيها رغماً عن إرادتنا؛ إنها تلد اللذة في النفس والحزن في الحواس.

٩٠- كما أنه يوجد نوعان من الحزن، كما شرحت بالفعل، كذلك يوجد أيضاً نوعان من التجارب والمحن، نوع يتم قبوله إرادياً والثاني مضاد لرغباتنا. الأول ينتج لذة مرغوبة؛ والثاني يصيب بألم غير مرغوب. لأن التجارب التي تقبل بطريقة إرادية وتؤدى إلى اللذات من الواضح إنها مطلوبة بالاختيار المتعمد. ولكن المحنة التي يتم المعاناة منها بطريقة مضادة لرغباتنا تنتج المعاناة التي من الواضح إنها غير مطلوبة بالاختيار المتعمد. الأول ينتج الحزن في النفس، والثاني في الحواس.

٩١- التجارب التي يتم قبولها بطريقة إرادية تخلق الحزن في النفس، ولكن تنتج بطريقة واضحة اللذة في الحواس. المحنة التي يتم مكابدتها ضد رغباتنا تنتج اللذة في النفس ولكن الحزن للجسد.

٩٢- أنا أعتقد بأن ربنا وإلهنا عندما كان يعلم تلاميذه كيف يصلون وقال، «لا تدخلنا في تجربة» (مت ٦: ١٣)، كان يعلمهم بأنه يجب عليهم أن ينبذوا نوع التجارب التي نقبلها إرادياً، أي، أنه يجب عليهم أن يصلوا كي لا يكونوا متحررين من كل قيد في تجربة التجارب التي، عندما نقبلها إرادياً، تؤدى بنا إلى اللذات المقصودة. ولكنني أعتقد بان القديس يعقوب المدعو أخو الرب، عندما كان يعلم هؤلاء الذين يجاهدون من أجل الحق بأن لا يخافوا، وقال، «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة» (يع ١: ٢)، كان يتكلم عن نوع المحن الذي لا يخضع لإرادتنا، أي، المحن التي هي ضد رغباتنا وتنتج المعاناة. من الواضح أن هذان التفسيران صحيحان (وذلك) من الحقيقة التي أضافها الرب في الحال، «ولكن نجنا من الشرير»، والتي استمر يعقوب في قوله: «عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبراً، وأما الصبر فليكن له عمل تام لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء» (يع ١: ٣- ٤).

٩٣- الرب يعلمنا أن نصلى حتى يمكننا أن ننبذ التجارب الخاضعة لإرادتنا لأنها سوف تنتج اللذة في الجسد والألم في النفس. القديس يعقوب يحثنا على أن نفرح في التجارب التي ضد رغباتنا لأن هذا يطرد اللذة من الجسد والألم من النفس.

٩٤- الإنسان الكامل هو الذي يحارب بواسطة ضبط النفس ضد التجارب التي تخضع لإرادتنا، والذي يتحمل بصبر المحن المضادة لرغباتنا. والإنسان التام هو من يتمم ممارسته للفضائل بالمعرفة الروحية، وتأمله لا يبقى بدون تأثير عملي.

٩٥- حيث أن الحزن واللذة يوثر كل منهما على كل من النفس والحواس، فمن يهذب لذة النفس ويقبل بصبر الحزن الذي من الحواس يصبح مختبراً وكاملاً وتاماً. إنه أُختبر بواسطة اختبار التأثيرات المتناقضة لـ اللذة والحزن في الحواس. إنه يصبح كاملاً لأنه يحارب بلا هوادة ضد اللذة والحزن في الحواس بواسطة ضبط النفس والصبر. إنه يصبح تاماً لأنه، من خلال الطاعة الدائمة للذكاء، يصون الظروف التي تصارع التجارب المتعاونة والمتضاربة التي لـ اللذة والألم في الحواس. أعنى بهذه الظروف ممارسة الفضائل والتأمل، التي يجمعها معاً غير سامحاً لأحدهما أن يفلت من الآخر: أفعاله تظهر معرفته التأملية وتأملاته محمية بالمثل بواسطة الذكاء وبممارسة الفضائل.

٩٦- من كان له خبرة في حزن ولذة الجسد يمكن أن يوصف بمُختَبِر لأنه قد اختبر كل من الجانب الملذ والغير ملذ للجسد. الرجل الكامل هو من جاهد بقوة ذكاءه ضد اللذة والألم اللذان للجسد وانتصر عليهم. والرجل التام هو من يحفظ كل من ممارسته للفضائل وحياته التأملية منتظمتين من خلال شدة اشتياقه لله.

٩٧- حزن النفس نوعان، الأول هو الحزن من أجل خطايا المرء الخاصة؛ والثاني الحزن من أجل خطايا الآخرين. من الواضح أن سبب مثل هذا الحزن هو اللذة الحسية سواء كانت للإنسان الذي يشعر بالحزن أو لهؤلاء الذين يشعر بالحزن من أجلهم. لأنه، على وجه التحديد، من النادر لأي خطيئة في أي إنسان أن لا تتولد أولاً من ارتباط النفس الأحمق بالحواس من أجل اللذة. ومن الجلي أن سبب اللذة في نفس الإنسان هو الحزن الذي يشعر به في حواسه عندما يفرح ويبتهج بفضائله الخاصة أو بتلك التي للآخرين. لأنه أيضاً، وعلى وجه التحديد، نادراً ما تكون أي فضيلة في إنسان لم تتولد أولا بواسطة الانفصال المتعمد للنفس عن الحواس.

٩٨- عندما تكون النفس حرة من كل ارتباط مشبوب العاطفة بالحواس، لا توجد خطيئة مهما كانت في الإنسان. علاوة على ذلك، كل حزن للنفس يأتي تالياً لـ اللذة في الجسد.

٩٩- الأصل الحقيقي للفضيلة يكمن في التغرب الطوعي للنفس عن الجسد. والشخص الذي يُخضع الجسد بالمعاناة الطوعية يملأ نفسه بالبهجة الروحية.

١٠٠- عندما تحقق النفس الانفصال عن الحواس من أجل الفضيلة، فإن الحواس سوف تعاني بالضرورة، لأن قدرة النفس على استنباط اللذة لن تبقى بعد الآن موحدة معهم بعلاقة مختارة بتعمد. وعلى العكس، النفس سوف تصد بشجاعة هجوم اللذة الحسية الطبيعية بواسطة ضبط النفس؛ وبواسطة الاحتمال الصبور سوف تقاوم بعناد هجمات المعاناة الغير طوعية والغير طبيعية؛ سوف لا تترك كرامة ومجد مثال الله في الفضيلة من أجل اللذة التي ليس لها جوهر حقيقي؛ ولن تسقط من قمم الفضيلة كي تريح الجسد من خلال تخليصه من المعاناة التي تحدث بواسطة ألم الحواس. لأن سبب الحزن في الحواس هو التركيز التام للنفس على ما هو متوافق مع الطبيعة؛ ومن الواضح أن اللذة التي في الحواس المدعومة بأي نشاط للنفس هي مضادة للطبيعة، لأن مثل هذه اللذة لا يمكن أن يكون لها مبدأ للوجود سوى نبذ النفس لما هو متوافق مع الطبيعة.

المئوية الرابعة
Fourth Century

١- النفس لها قدرة تفكيرية هادفة ومبدعة. عندما تكون هذه القدرة منفصلة عن ارتباطها بالحواس، لا تعود بعد تبحث عن إرضاء اشتياق الجسد لـ اللذة، كما فعلت من قبل بموُجِب علاقتهم المختارة بتعمد. وحيث أن كامل انتباهها ونيتها مثبتين الآن على الحقائق الإلهية، فإنها ترفض أن تُسَكّن معاناة الجسد.

٢- القوى الطبيعية التي للفكر وتلك التي للحواس مضادة لبعضها البعض بسبب الاختلاف التام بين الأشياء التي يدركونها. الفكر له الموجودات العقلية والمعنوية كشيء للإدراك، حيث أن جوهرهم صالح بالطبيعة لأن يُدرك؛ والحواس لها الكيانات المحسوسة والمادية كشيء للإدراك، حيث إنه يتم إدراكهم أيضاً بفضل قواهم الطبيعية.

٣- أصل اللذة الحسية يكمن في نبذ النفس لما هو متوافق مع الطبيعة. لأنه عندما تكرس النفس كل قوتها لتحقيق البركات المتوافقة مع الطبيعة، لن يكون لها قدرة على البحث عن اللذة الحسية.

٤- عندما يأخذ الفكر أسبقية على الحواس في التأمل في الأشياء المرئية، فإن الجسد يُحرم من كل اللذات الطبيعية، لأن الحواس عندئذٍ تبقى تحت السيطرة بواسطة الذكاء وبذلك لا تكون حرة لتتبع لذاتها الخاصة. متى سيطر الذكاء فينا، فأن الجسد يعانى بالضرورة، لأن الذكاء يُلزمه بخدمة الفضيلة.

٥- عندما يعتبر الفكر الحواس كقواه الطبيعية، يصبح متشابكاً مع الجوانب السطحية للأشياء المحسوسة ويخترع طرقاً للتمتع بملذات الجسد. إنه غير قادرا على تجاوز طبيعة الأشياء المرئية لأنه مربوط بواسطة ارتباطه المشبوب العاطفة بالحواس.

٦- يمكن أن يحدث أحياناً أن الفكر يكون غير قادراً على أن يتقدم إلى فهم الحقائق العقلية ذات الأصل الواحد معه إلا عن طريق التأمل في الأشياء المحسوسة المتداخلة. ولكن مثل هذا التأمل مستحيلا بدون الحواس، التي تتصل بالفكر، إلا إنها ذات أصل واحد مع الأشياء المحسوسة. وكنتيجة لذلك فإن الفكر، في مواجهته مع الجوانب السطحية للأشياء المحسوسة، ربما يصبح متشابكاً معهم، معتقداً بان هذا الإدراك الحسي المتصل به هو نشاطه الطبيعي. إذا حدث هذا، سوف يرتد الفكر عن الحقائق

العقلية التي تتوافق مع طبيعته وسوف يُمْسِك بكلتا يديه، إذا جاز التعبير، الموجودات المادية التي هي مضادة لذكائه؛ وبسبب النصر الذي حققته الحواس عليه، سوف يملأ الفكر النفس بالحزن. لأنها سوف تُسفع بسياط الضمير لأنها أصبحت المؤلفة لـ اللذات الحسية وجعلت ذاتها خشنة بالتفكير في كيفية إشباع رغبات الجسد. ولكن من جهة أخرى إذا شق الفكر طريقا (وخرج من) الجوانب السطحية التي للأشياء المرئية بمجرد أن يرتطموا بالحواس، فسوف يتأمل في الجواهر الروحية التي للأشياء المخلوقة مجردة من أشكالها الخارجية. حينئذٍ سوف ينتج اللذة في النفس، لأن النفس سوف لا تكون مسيطراً عليها بواسطة أي من الأشياء المحسوسة التي يتم التأمل فيها؛ ولكن في الحواس سوف ينتج الحزن، لأنهم سوف يُحرمون من كل شيء طبيعي محسوس.

٧- الإحساس - اللذة ينتج حزناً ومعاناةً في النفس - التعبيران لهما نفس المعنى. لذة النفس، من جهة أخرى، تنتج حزناً ومعاناةً في الحواس. وهكذا فمن يشتاق برجاء للحياة في ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، من خلال قيامة الأموات «لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السماوات» (١بط ١: ٤)، سوف يتهلل ويشعر بفرح لا يُنطق به في نفسه، لأنه سوف يكون مملوءاً بالسعادة بطريقة لا تنقطع بسبب رجاءهُ في البركات المذخرة، ولكن في جسده وحواسه سوف يختبر الحزن، بمعنى، المعاناة الناتجة من المحن والتجارب المتنوعة، والألم الذي يصاحبهم. لأن اللذة والمعاناة يصحبان كل فضيلة - المعاناة في الجسد عندما يُحرم من الانغماس الفاسق في الشهوات الحسية السائغ له، واللذة في النفس، حيث إنها تبتهج بالجواهر الروحية المجردة من كل شيء حسي.

٨- في هذه الحياة الحاضرة - لأنه هذا هو ما آخذه كمعنى لـ «الوقت الحاضر» - يجب أن يشعر الفكر بالحزن فيما يتعلق بالجسد، بسبب المعاناة الكثيرة الناتجة من المحن والتجارب التي تكتنف جهاده من أجل الفضيلة؛ ولكن يجب أن يكون فرحاً دائماً فيما يتعلق بالنفس، ويبتهج بالرجاء في البركات الأبدية، حتى ولو كانت حواسه مثقلة بالمعاناة. لأن «آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا» (رو ٨: ١٨) يقول القديس بولس.

٩- الجسد ينتمي للنفس، ولكن النفس لا تنتمي للجسد. لأن الأصغر ينتمي للأعظم، وليس الأعظم للأصغر. ولكن ناموس الخطيئة - الذي هو اللذة الحسية - امتزج بالجسد من خلال السقوط. لأن الهدف من الموت هو تدمير ناموس الجسد. ومن ثم فإن الإنسان

الذي يعرف أن الموت نتج عن ناموس الخطيئة، لكي يدمر الخطيئة، فهو يبتهج دائماً في نفسه عندما يرى أن، ناموس الخطيئة ينسحب من جسده، كنتيجة لمعاناته الكثيرة، مُهَيئةٌ إياه هكذا لكي يأخذ بالروح الحياة المباركة المذخرة (له). لأنه إذا لم يُفرغ ناموس الخطيئة الظاهر في ارتباط الإرادة بالجسد، في هذه الحياة الحاضرة، من الجسد كما ولو من إناءٍ ما، لا يستطيع أحد أن يأخذ تلك الحياة المباركة.

١٠- من هو مملوء بالحزن فيما يتعلق بالجسد بسبب المعاناة التي يكابدها من أجل الفضيلة، يبتهج في نفسه بسبب هذه الفضيلة نفسها؛ لأنه ينظر إلى جمال البركات المذخرة كحقيقة حاضرة. لأنه من أجل الفضيلة يفصل مشيئته عن الجسد، وهكذا يُمات كل يوم، مثل داود (ق.م. مز ٤٤ :٢٢). وفى نفس الوقت، يتجدد باستمرار من خلال إعادة الولادة الروحية لنفسه؛ لأنه يمتلك كل من لذة صحية وحزن نافع. لا أعنى بهذا الحزن، الحزن الأحمق الذي يشعر به معظم الناس، الذي يدمر نفسهم، لأنه بعد تنمية دوافع غير طبيعية تجاه ما يجب أن تنبذه وبغضاً لما يجب أن لا تنبذه، فإنها تجد ذاتها عندئذٍ محرومة من الشهوات والأشياء المادية، بل بالعكس،لديَّ في ذهني الحزن الهادف والمصدق عليه ممن أُنعم عليهم بالحكمة الإلهية، والذي يُشير إلى وجود شيئاً ما شرير. لأن الحزن يُعرف كشر موجود؛ وينتج في النفس عندما تتغلب اللذة الحسية على تمييز الفكر. ولكن ينتج في الحواس عندما تتبع النفس مسار الفضيلة بدون تعرقل؛ حقاً، إنها تسبب معاناة كثيرة في الحواس كما إنها تخلق لذة وفرح في النفس اللذان يُقرِبان من الله من خلال الاستنارة التي تُمنح لها بواسطة الفضيلة والمعرفة الروحية.

١١- اللذة الصحية هي فرح النفس بسبب الفضيلة، بينما الحزن المفيد هو الألم الذي يعانيه الجسد من أجل الفضيلة. علاوة على ذلك من سلم نفسه للشهوات والأشياء المادية يُوَلّد دوافع تجاه ما يجب أن لا يرغب فيه؛ بينما من لا يرحب بالمصائب التي تحرمه من الشهوات والأشياء المادية يخلق بغضاً لما يجب أن يرغب فيه.

١٢- النعمة الإلهية لا تستطيع أن تحقق استنارة المعرفة الروحية إلا إذا كان هناك قدرة طبيعية قادرة على تلقى الاستنارة. ولكن هذه القدرة نفسها لا تستطيع أن تحقق الاستنارة بدون النعمة التي يمنحها الله.

١٣- ولا حتى نعمة الروح القدس تستطيع أن تحقق الحكمة في القديسين إلا إذا كان هناك فكراً قادراً على تلقيها؛ ولا المعرفة الروحية إلا إذا كان هناك قدرة للذكاء تستطيع أن

تتلقاها؛ ولا الإيمان إلا إذا كان هناك في الفكر والذكاء ثقة تامة بالحقائق التي سوف تنكشف في الآخرة وحتى ذلك الحين تبقى مخفية عن كل أحد؛ ولا مواهب الشفاء إلا إذا كان هناك شفقة طبيعية؛ ولا أي موهبة أخرى للنعمة بدون الصفات الطبيعة والقدرة القادرتان على تلقيها. من جهة أخرى لا يستطيع الإنسان أن يقتنى موهبة واحدة من هذه المواهب بقدراته الطبيعية إلا إذا تم مساعدتها بالقوة الإلهية التي تمنحهم. كل القديسون أظهروا أن نعمة الله لا توقف قوى الإنسان الطبيعية؛ لأنه بعد تلقى إعلانات عن الحقائق الإلهية؛ فإنهم استعلموا عن المبادئ الروحية التي يحتويها ما قد أعلن لهم.

١٤- إذا سأل إنسان بدون شهوة، سوف يأخذ النعمة لتمكنه من ممارسة الفضائل. وإذا طلب بدون أهواء، فسوف يجد الحق المتأصل في الكائنات المخلوقة من خلال التأمل الطبيعي. وإذا طرق على باب المعرفة الروحية بطريقة خالية من الأهواء، فسوف يحرز بدون عائق النعمة المخفية التي للاهوت المِستيكي (ق.م. مت ٧: ٧- ٨).

١٥- من يبحث بطريقة خالية من الأهواء على ما هو إلهي سوف يأخذ بالتأكيد ما يبحث عنه. ومن يبحث وبه أي شهوة سوف يفشل في أن يجد ما يبحه عنه. لأن الكتاب المقدس يقول، «تطلبون ولستم تأخذون، لأنكم تطلبون ردياً» (يع ٤: ٣).

١٦- الروح القدس الذي فينا يفتش عن المعرفة الروحية التي للكائنات المخلوقة. ولكنه لا يفتش عنها لنفسه، لأنه الله وفوق كل معرفة؛ ولكن على عكس ذلك، إنه يفتش عنها لأجلنا، نحن الذين في حاجة إلى لمثل هذه المعرفة. بالمثل اللوغوس، عندما تمم سره من خلال الجسد، أصبح جسداً ليس لنفسه ولكن لأجلنا. إلا إنه مثل اللوغوس، وكما يلائم الله، لم يحقق ما ينتمي بالطبيعة للجسد بدون جسد، كذلك الروح القدس لا يحقق في القديسين المعرفة الروحية التي للأسرار بعيداً عن هذه القدرة التي فيهم التي تفتش طبيعياً عن مثل هذه المعرفة.

١٧- كما إنه من المستحيل للعين أن تدرك الأشياء الحسية بدون نور الشمس، كذلك الفكر البشرى لا يستطيع أن يباشر التأمل الروحي بدون نور الروح القدس. لأن النور الطبيعي ينير بطريقة طبيعية الحواس حتى يمكن أن يدركوا الأجسام الطبيعية؛ بينما النور الروحي ينير الفكر حتى يمكن أن يباشر التأمل وهكذا يفهم ما يكمن وراء الحواس.

١٨- القدرات التي تفتش عن الحقائق الإلهية كانت مغروسة بواسطة الخالق في جوهر الطبيعة البشرية عند دخولها إلى الوجود؛ ولكن الحقائق الإلهية نفسها كُشفت للإنسان من خلال النعمة بواسطة قوة الروح القدس الحال عليه. وعندما، ثبت إبليس انتباه هذه القدرات على الأشياء المرئية، كنتيجة للسقوط، لم يفهم أحد أو بحث عن الله، لأن الفكر والذكاء في كل من اشترك في الطبيعة البشرية كان محصوراً في الجوانب السطحية للأشياء الحسية، وبذلك لم يقتنوا فهما لما يكمن وراء الحواس. ولكن عندئذٍ، في هؤلاء الذين أصبحوا بدون اختيارهم الحر خاضعين داخلياً للخداع، تكسر نعمة الروح القدس ارتباط هذه القدرات بالأشياء المادية، وتعيدهم إلى حالتهم الأصلية، وبعد استرجاعهم أنقياء هكذا، بحث الناس ثانية عن الحقائق الإلهية، وقد استمروا في البحث عنهم من خلال نفس النعمة التي للروح القدس.

١٩- خلاص النفس هو غاية الإيمان (ق.م. ١بط ١: ٩). هذه الغاية هي تجلى لما قد تم الإيمان به. التجلي هو تداخل لا يُعبر عنه للمؤمن مع غاية إيمانه ويحدث طبقاً لدرجة كل مؤمن في الإيمان (ق.م. رو ١٢: ٦). من خلال هذا التداخل يرجع المؤمن أخيراً إلى أصله. هذا الرجوع هو تحقيق الرغبة. تحقيق الرغبة هي راحة نشطة دائماً في غاية الرغبة. هذه الراحة هي فرح أبدى غير منزعج لهذه الغاية. الفرح من هذا النوع يستلزم شركة في الحقائق الإلهية الفائقة للطبيعة. هذه الشركة تتضمن أن يصبح المشارك على مثال ما يشارك فيه. مثل هذا المثال يتضمن، على قدر ما يكون هذا ممكن، تماثل فيما يتعلق بالنشاط بين المشارك وذلك الذي يشارك فيه بحكم الشبه. التماثل فيما يتعلق بالنشاط يشكل التأله في القديسين. التأله، باختصار، هو إنجاز ونهاية كل العصور والأزمنة، وفى كل ما يوجد في غيرهما. هذا الإنجاز والنهاية هو الإتحاد في الشخص الذي مُنح الخلاص، بين أصله الحقيقي الواقعي وبين نهايته الحقيقية. الإتحاد يستلزم تجاوزاً لكل ما هو بالطبيعة محدود جوهرياً ببداية ونهاية **. مثل هذا التجاوز يحدث بواسطة القدرة القديرة والأكثر من قوية التي لله، العاملة بأسلوب مباشر ولا نهائي في الشخص الذي وُجِدَ مستحقاً لهذا التجاوز. عمل هذه القدرة الإلهية ينعم بالسرور والفرح الأكثر من فائقين الوصف على الذي قد تم فيه الإتحاد الغير منطوق به والذي لا يسبر غوره مع ما هو إلهي. وفي طبيعة الأشياء، لا يمكن أن يُفهم هذا ولا يتم تخيله ولا يعبر عنه.**

٢٠- الطبيعة لا تحتوى على المبادئ الداخلية لما هو فوق الطبيعة أكثر من إنها تحتوى على النواميس المضادة للطبيعة. أعنى بما هو فوق الطبيعة السرور الإلهي الذي لا يمكن تخيله الذي يُنتجه الله بطريقة طبيعية في هؤلاء الذين وُجِدوا مستحقين للإتحاد به بالنعمة. وأعنى بما هو مضاد للطبيعة الألم الذي لا يوصف الذي يأتي من الحرمان من هذا السرور.

٢١- الروح القدس يقود هؤلاء الذين يبحثون عن المبادئ والمميزات الروحية التي للخلاص إلى فهمها؛ لأنه لا يسمح للقوى التي يبحثون بها طبيعيا عن الأشياء الإلهية أن تبقى غير فعاله وغير مثمرة فيهم.

٢٢- الإنسان يسعى أولاً لأن يجعل إرادته ميتة عن الخطيئة والخطيئة ميتة عن إرادته، ولهذا الغرض يتحرى كيف وبأي وسيلة يجب أن يجعل هذان الاثنان ميتان أحدهما للآخر. عندما يتم ذلك، فهو يسعى كي يجعل إرادته تحيا في الفضيلة والفضيلة تحيا في إرادته؛ ولهذا الغرض يتحرى كيف وبأي وسيلة يجب أن يُحيِّى أحدهما في الآخر. أن يبحث هو أن يكون له شهية لهدفاً ما للرغبة؛ وأن يتحرى هو أن يوظف وسائل فعالة يمكن للشهية بواسطتها أن تحرز الهدف.

٢٣- من سيخلص يجب أن لا يجعل الخطيئة ميتة لإرادته فقط ولكن يجعل إرادته ميتة أيضاً عن الخطيئة. يجب أن لا يُحيِّى إرادته بواسطة الفضيلة فقط ولكن أيضاً الفضيلة بواسطة إرادته. بهذه الطريقة فإن النفس، لكونها أُميتت وانفصلت بالكامل عن مجموع الخطيئة، التي قد أميتت بالمثل، تصبح منيعة ضد الخطيئة، وفى أثناء إحياءها تصبح واعية تماماً، من خلال إتحاد لا ينفصل مع مجموع الفضيلة، التي تم إحياءها هي نفسها. لأن من جعل إرادته ميتة عن الخطيئة قد اتحد مع مثال موت المسيح؛ ومن أعطى إرادته حياة جديدة من خلال الصلاح أصبح واحداً أيضاً مع قيامته (ق.م. رو ٦: ٥).

٢٤- عندما تصبح الخطيئة والإرادة مائتتان كل منهما للأخرى تصبحان منيعتان بطريقة طبيعية كل منهما للأخرى؛ وعندما يكون للصلاح والإرادة حياة في بعضهما البعض يصبحان واعيان بطريقة طبيعية كل منهما بالأخر.

٢٥- المسيح بالطبيعة إله متأنس. وبطريقة لا توصف وتفوق الطبيعة لنا شركة معه بالنعمة كإله، في حين إنه في حبه الذي لا يسبر غوره للبشر شاركنا كإنسان في قدرنا

من أجلنا عن طريق جعل نفسه واحد معنا بشكل مماثل للذي لنا (ماعدا الخطيئة). القديسون رأوه بطريقة مستيكية بالروح وعَلّمُوا بأن المجد الذي سوف يكشف في المسيح في المستقبل بسبب فضيلته يجب أن يُسبق بالمعاناة التي سيعانيها من أجل الفضيلة (ق.م. ١بط: ١: ١١).

٢٦- عندما يُسحب الفكر في اشتياقه تجاه مصدر الكائنات المخلوقة بطريقة تفوق الفهم، فإن الذكاء عندما يستكشف بطرق متنوعة الكائنات المخلوقة التي يفحصها فهو يبحث ببساطة؛ عن الجوهر الحقيقي فيها.

٢٧- البحث هو حركة الفكر الأولى، البسيطة، المتقدة تجاه علة وجوده. الفحص هو التمييز الأول البسيط للذكاء، لعِلة وجوده بمساعدة مفهوماً ما. وأيضاً البحث يحدث عندما يتحرك الفكر الذي يُحث بواسطة الشوق الشديد، بطريقة روحية، وبوعي مُدرك، تجاه علة وجوده. الفحص يحدث عندما يُميز الذكاء، من خلال عملية الفضيلة، علة وجوده بمساعدة مفهوماً ما حكيم وعميق.

٢٨- عندما كان الأنبياء القديسون يبحثون ويفحصون كل ما يتعلق بخلاص النفوس، كانت تحركات فكرهم تجاه الله تُحث بواسطة اشتياقهم وتبقى متقدة بالبصيرة الإدراكية والمعرفة الروحية؛ وقوة التمييز التي لذكائهم، في تمييزها النشط للحقائق الإلهية، كانت مملوءة بالفهم والحكمة. هؤلاء الذين يقلدونهم سوف يبحثون أيضاً عن خلاص النفوس بالبصيرة الإدراكية والمعرفة الروحية؛ وبالفحص بواسطة الفهم والحكمة سوف يكونون قادرين على تمييز أعمال الله.

٢٩- الذكاء يُميّز نوعين من المعرفة الخاصة بالحقائق الإلهية. الأول نسبي، لأنه محصور في الذكاء وأفكاره، ولا يستلزم أي إدراك حقيقي، من خلال الخبرة الفعلية، لما يُعرَف. إننا محكومون في حياتنا الحالية بهذا النوع من المعرفة. النوع الثاني هو معرفة حقيقية وجديرة بالثقة. ومن خلال الخبرة وحدها ومن خلال النعمة فهو يأتي بإدراك شامل وفعال لما يُعرَف، وذلك بواسطة الشركة وبدون مساعدة الذكاء وأفكاره. إنه من خلال هذا النوع الثاني من المعرفة سوف نأخذعندما نأتي إلى ميراثنا تأله يفوق الطبيعة وفعالة إلى الأبد. المعرفة النسبية التي تسكن في الذكاء وأفكاره يقال بأنها تستثير اشتياقنا للمعرفة الحقيقية المحرزة بواسطة الشركة. هذه المعرفة الحقيقية التي من خلال الخبرة والشركة تأتى بإدراك ما يُعرف، تحل محل المعرفة التي تسكن في الذكاء وأفكاره.

٣٠- المعرفة، بمعنى آخر، هي من نوعين. الأول يسكن في الذكاء وأفكاره المقدسة، ولا يشمل، من جهة الرؤية الفعلية، إدراكاً لما يُعرف. الثاني يتألف فقط من المتعة الفعلية بالحقائق الإلهية من خلال الرؤية المباشرة، بدون مساعدة الذكاء وأفكاره. ولكن الذكاء قادر على إعطائنا تلميحاً لما يمكن أن يُعرف من خلال المعرفة الحقيقية وكذلك على إيقاظ الاشتياق لمثل هذه المعرفة فينا.

٣١- طبقاً للحكماء، فإننا لا يمكن أن نستخدم ذكائنا في التفكير في الله في نفس الوقت الذي نختبره، أو أن يكون لدينا فكراً عنه بينما ندركه مباشرة. بـ «التفكير في الله» أعنى التأمل فيه على أساس التشابه الجزئي بينه وبين الكائنات المخلوقة. وبـ «ندركه مباشرة» أعنى اختبار الحقائق الإلهية أو الفائقة الطبيعة من خلال الشركة. وبـ «فكراً عنه» أعنى المعرفة البسيطة الوحدوية عن الله التي تأتى من الكائنات المخلوقة. ما قد قلناه يؤَكدْ بحقيقة أن، بصفة عامة، خبرتنا لشيء تضع نهاية لتفكيرنا فيه، وإدراكنا المباشر له يحل محل تفكيرنا فيه، بـ «خبرتنا» أعنى المعرفة الروحية المحققة على مستوى يتجاوز كل فكر؛ وبـ «الإدراك المباشر» أعنى شركة فوق فكرية فيما يُعرف. ربما هذا هو ما يُعلمه القديس بولس بطريقة مستيكية عندما يقول، «وأما النبوات فستبطل والألسنة فستنتهي والعلم[1] فسيبطل» (١كو ١٣: ٨)؛ لأنه من الواضح إنه يشير هنا إلى المعرفة المكتسبة بواسطة الذكاء من خلال الفكر والتفكير.

٣٢- حقاً كان لا بد لمن هو بالطبيعة خالق وجود كل الأشياء أن يتمم هو نفسه، من خلال النعمة، تأليههم على مثاله، وبهذه الطريقة يظهر نفسه ليس فقط المبدع للوجود ولكن أيضاً المعطى للوجود الحسن[2] الأبدي. كل مخلوق جاهل تماماً بكل من وجوده الجوهري الخاص به وبذلك الذي للأشياء المخلوقة الأخرى؛ وبالتالي لا يوجد شيء مخلوق له بالطبيعة معرفة مسبقة بأي شيء سوف يأتي للوجود. الله فقط هو الذي له هذه المعرفة المسبقة، وهو يتجاوز الأشياء المخلوقة. لأنه يعرف ما هيئةُ في جوهرهُ وهو يعلم بوجود كل شيء صنع بواسطته قبل أن يأتي إلى الوجود؛ وهذا هو هدفه أن ينعم من خلال النعمة على الأشياء المخلوقة بمعرفة كل من وجودهم الجوهري وذلك الذي للأشياء الأخرى؛ لأنه سوف يكشف لهم المبادئ الداخلية لخلقهم، السابقة للوجود بطريقة موحدة في ذاته.

---

(١) العلم أى المعرفة - م.

(٢) أى الوجود فى حالة من الصحة الروحية والخير - م.

٣٣- عندما خلق الله الكلمة الطبيعة البشرية لم يجعل الحواس حساسة لـ اللذة ولا للألم؛ ولكن بدلاً من ذلك غرس فيها قدرة عقلية معينة التي من خلالها يقدر البشر على التمتع به بطريقة لا يعبر عنها. ولكن الإنسان الأول في خلقته، تنازل من خلال حركة مبدئية تجاه أجسام محسوسة عن هذه الاشتياق إلى حواسه، ومن خلالهم بدأ يختبر اللذة بطريقة مضادة للطبيعة. ومن ثم فإن الله في عنايته الإلهية لخلاصنا زرع الألم فينا كنوع من القوة المطهرة؛ ومن خلال الألم فإن ناموس الموت تجذر بحكمة في الجسد، واضعاً هكذا حدوداً للاشتياق المهووس الذي للفكر الموجه بطريقة مضادة للطبيعة إلى الأجسام المحسوسة.

٣٤- اللذة والألم لم يُخلقا في نفس الوقت مع الجسد. بالعكس، فقد كان السقوط هو الذي قاد الإنسان لأن يتخيل اللذة ويتبعها بطريقة أفسدت قدرته على الاختيار، والتي جلبت عليه أيضاً، عن طريق التأديب، الألم الذي يقود إلى فناء طبيعته. وهكذا بسبب اللذة أصبحت الخطيئة موت النفس المختار بحرية؛ والألم يسبب، بواسطة هذا الفناء، تحلل الشكل المادي للجسد. لأن الله في عنايته الإلهية أعطى للإنسان الألم الذي لم يختاره، مع الموت الذي يتبعه، لكي يطهره من اللذة التي قد اختارها.

٣٥- بسبب اللذة التي لا معنى لها التي غزت الطبيعة البشرية، فأن الألم المفيد، في شكل المعاناة الكثيرة، اكتسب أيضاً مدخلاً. إنه في هذه المعاناة ومنها يأخذ الموت بدايته. مثل هذا الألم يطرد اللذة الغير طبيعية، ولكن لا يدمرها بالكامل، تدميرها الكامل يتم إنجازه بواسطة نعمة السرور الإلهي عندما ينشط في الفكر.

٣٦- المعاناة التي يتم قبولها بحرية وتلك التي تأتى بدون إرادتنا، تطرد اللذة وتهدئ قوتها الدافعة. ولكنها لا تدمر القدرة على اللذة التي تسكن الطبيعة البشرية كناموس طبيعي. لأن تنمية الفضيلة ينتج التحرر من الأهواء في إرادة المرء وليس في طبيعة المرء. ولكن عندما يتم تحقيق التحرر من الأهواء في إرادة المرء تصبح نعمة السرور الإلهي نشطة في الفكر.

٣٧- كل معاناة لها كسبب لذة ما سبقتها. ومن ثم فإن كل معاناة هي دين يجب أن يدفعه بطريقة طبيعية هؤلاء الذين لهم نصيب في الطبيعة البشرية مقابل اللذة. لأن المعاناة تتبع طبيعياً اللذة الغير طبيعية في كل الناس الذين قد سُبقت ولادتهم بالخضوع لحكم اللذة التي لا سبب لها. إنني أصف اللذة التي تأتى من السقوط بـ «التي لا سبب لها» لأنه من الواضح إنها لم تأتى كنتيجة لأي معاناة سابقة.

٣٨- متى خضعت الطبيعة البشرية لمتلازمة اللذة باختيار حر وتبعها الألم المفروض على المرء رغماً عن إرادته، فمن المستحيل تماماً لها أن تعود إلى حياتها الأصلية إن لم يصبح الخالق إنساناً ويقبل الألم باختياره الحر الذي قصد به أن يكون كتأديب على اختيار الإنسان الحر لـ اللذة . ولكن في حالته الألم لم يكن مسبوقاً بالولادة طبقاً لحكم اللذة. وبهذه الطريقة، وبواسطة قبول الولادة التي لم تأتى من اللذة، كان من الممكن له أن يحرر الميلاد من العقاب المفروض عليه.

٣٩- بعد السقوط كان ميلاد كل إنسان بالطبيعة مشبوب العاطفة ومسبوق باللذة، ولم يُستثنى من هذه القاعدة أحد. بل بالعكس، فكما لو كانت كل معاناة تم مكابدتها والموت الذي يأتي منها دين طبيعي يوفونه. لم يستطع أحد أن يجد الطريق إلى الحرية، لأن الكل كان تحت طغيان اللذة الحرام، وبذلك يتعرضون بعدل للمعاناة التي يستحقونها والموت المستحق بعدل أكثر الذي تلده (هذه المعاناة). من أجل هذا، فهناك نوع آخر من المعاناة والموت وجب تصورهما، أولاً لتدمير اللذة الحرام والمعاناة المستحقة بعدل نتيجة لها - المعاناة التي سببت تحلل[1] الإنسان بطريقة مثيرة للشفقة، حيث أن حياته تبدأ في الفساد الذي يأتي من ولادته من خلال اللذة وتنتهي بالفساد الذي يأتي من الموت؛ و،ثانياً، لترميم الطبيعة البشرية التي تعانى. هذا النوع الثاني من المعاناة والموت لم يكن عن عدل ولا عن استحقاق: لم يكن عن استحقاق لأنه لم يولد مسبوقاً باللذة بأي طريقة، ولم يكن عن عدل لأنه لم يكن نتيجة أي حياة مسيطراً عليها بالشهوة. هذا النوع الثاني من المعاناة والموت، كان يجب، على أية حال، أن يُستنبط لكي، بفصله بين اللذة الحرام والمعاناة والموت المستحقان بعدل، يمكن أن يمحى تماماً مصدر إثارة اللذة في الحياة البشرية وما يتبعها من تدمير في الموت، وهكذا يحررها من متلازمة ألم اللذة. إنها عندئذٍ سوف تستعيد البركة الأصلية، غير ملوثة بأي من الصفات المتأصلة في الكائنات الخاضعة للتوالد والفناء.

هذا الذي لأجله أصبح كلمة الله، الذي هو بالطبيعة إله كامل، إنسان كامل، بطبيعة تكونت مثل التي لنا من نفس لها فكر وجسد قابل للمعاناة؛ في حالته فقط الطبيعة خالية من الخطيئة، ولأن ميلاده في ملء الزمان من امرأة لم يكن مسبوقاً بأي أثر ضئيل لتلك اللذة التي تنشأ من العصيان الأول، ففي حبه قبل متعمداً الموت المؤلم الذي يدمر، بسبب اللذة، الحياة البشرية، حتى إنه بواسطة المعاناة بغير عدل يمكن أن يمحو مصدر إثارة اللذة

---

(١) أى إنفسال النفس عن الجسد وتحلله - م.

الجائر الذي يُسيطر على هذه الحياة. لأن موت الرب ليس مثل الذي لأي أحد آخر، فهو لم يكن تسديداً لديناً عليه بسبب اللذة، ولكنه على العكس من ذلك كان تحدياً طُرِحَ (أمام) اللذة؛ وعلى ذلك، فمن خلال هذه الموت يحطم بالكامل هذا الموت المُستحق بعدل الذي ينهي الحياة البشرية. لأن السبب في وجوده لم يكن اللذة المحظورة، التي يتم عقابها بعدل بواسطة الموت، الذي من خلالها دخل الموت إلى الحياة البشرية.

٤٠- الرب حكيم، وعادل، وقدير بالطبيعة. ولأنه حكيم فلا يمكن أن يكون جاهلاً بالطريقة التي يتم شفاء الطبيعة البشرية بها. ولأنه عادل، لا يمكن أن ينقذ إنسان مشيئته في قبضة الخطيئة، بشكل مستبد. ولأنه قدير، لا يمكن أن يثبت إنه غير كفؤ لمهمة إتمام مجيئه الشافي.

٤٢- حكمة الله تجلت في أنه أصبح إنساناً حقيقياً. وعدله ظهر برفعة طبيعة سريعة التأثر مماثلة للتي لنا بميلاده. وقدرته ظهرت بخلقه لحياة هي بالطبيعة خالدة وحالة ثابتة من التحرر من الأهواء من خلال معاناته وموته.

٤٢- الرب كشف حكمته بالطريقة التي شفى بها الإنسان، التي أصبح فيها إنسان دون أدنى تغيير أو تحول. لقد أظهر بوضوح إنصاف العدل عندما قبل في تخليته لذاته بتعمد للحكم الذي خضع له ما هو سريع التأثر في الطبيعة البشرية، وجعل هذا الحكم سلاحاً لتدمير الخطيئة والموت الذي يأتي من خلال الخطيئة - بمعنى، لتدمير اللذة والألم الذي تلده. سلطان الخطيئة والموت كان يكمن في متلازمة اللذة والألم هذه: استبداد الخطيئة التي ارتكبت سعياً لـ اللذة، وسيادة الموت المؤلم الناتج عن الخطيئة. لأن سلطان اللذة والألم يُطبق بوضوح على ما هو سريع التأثر في الطبيعة البشرية. ونحن نبحث عن كيفية تخفيف عقاب الألم من خلال اللذة في طبيعة الأشياء نزيد هكذا العقاب. لأننا في رغبتنا في الهروب من الألم نبحث عن ملاذ في اللذة، وبذلك نحاول أن نجلب الراحة لطبيعتنا، المضغوطة بشدة كما هي بواسطة عذاب الألم. ولكن من خلال هذه المحاولة لتقليل حدة الألم، لا نزيد سوى مجموع ديوننا، لأنه لا يمكننا أن نتمتع باللذة التي لا تقود إلى الألم والمعاناة.

٤٣- الرب أعطى برهاناً واضحاً على قوته الفائقة في ما قد تحمله من القوات المعادية عندما منح الطبيعة البشرية شكلاً غير فاسداً من الميلاد. لأنه من خلال آلامه منح عدم

التألم[1]، ومن خلال المعاناة الراحة، ومن خلال الموت الحياة الأبدية. بواسطة موت جسده أعاد تأسيس وتجديد الحالة البشرية، وبواسطة تجسده أنعم على الطبيعة البشرية بنعمة التأله الفائقة للطبيعة.

٤٤- الله أصبح إنساناً حقيقياً وأنعم على الطبيعة البشرية بشكل جديد أو ثاني من الميلاد قائداً إيانا من خلال المعاناة إلى سرور الحياة المذخرة لنا، لأنه عندما كسر أبونا الأول آدم الوصية الإلهية، في مكان الشكل الأول للميلاد، تخيل وأنتج في الطبيعة البشرية، بتحريض من الحية، نوعاً أخراً، يبدأ باللذة ويتدمر من خلال المعاناة في الموت. هذه اللذة لم تكن نتيجة معاناة سابقة، ولكن بالأحرى أدت إلى معاناة. ولأنه أنتج اللذة المثارة من التوالد، فإنه جلب باستحقاق على نفسه وعلى كل الناس الذين ولدوا منه بالجسد لعنة الموت من خلال المعاناة. وهكذا، فعندما أصبح الرب إنساناً وخلق في الطبيعة البشرية نوعاً أخراً من الميلاد، تم بالروح القدس، قبل هذا الموت من خلال المعاناة، المستحق بعدل[2] في حالة آدم، ولكن في حالته لم يستحقه على الإطلاق لأن ميلاده لم يكن مثار باللذة التي أنتجها أبونا الأول من خلال عصيانه؛ وبفعل (الرب) هذا دمر كل ما كان في الأصل ولعنة التوالد البشرى بحسب آدم التي لم تكن في الأصل من الله، وجعل كل هؤلاء الذين ولدوا ثانية روحياً منه أبرياء من ذنبه[3].

٤٥- الرب أزال اللذة التي تنهض من ناموس الخطيئة، كي يلغى تأثيرات التوالد بحسب الجسد في هؤلاء الذين ولدوا ثانية بالنعمة فيه بواسطة الروح القدس، لأنه عندما لا تعود لذة التوالد التي تم وراثتها من آدم نشطة فيهم، ولكن الألم الذي نهض بسبب آدم، فإنه يسمح لهم بأن يختبروا الموت، الذي كان أصلاً حكماً فُرض على الطبيعة البشرية كعقاب على الخطيئة؛ ولكن في حالتهم لم يكن ديناً يمكن تسديده عن الخطيئة، ولكن حدثاً سمح به الله في عنايته الإلهية، بسبب ظروفهم الطبيعية، بهدف تحطيم الخطيئة. لأنه عندما لا يولد الموت من تلك اللذة، الذي عقابها هو وظيفته الطبيعية، فإنه يلد الحياة الأبدية. لأنه مثلما ولدت حياة آدم في اللذة الموت والفساد، كذلك موت الرب لأجل آدم، لكونه غير مشروط باللذة التي بدأت بآدم، كان الموجد للحياة الأبدية.

(١) أى التحرر من الأهواء - م

(٢) المقصود هنا الموت - م.

(٣) أى ذنب آدم - م.

٤٦- بعد السقوط كانت الحياة البشرية تولد بواسطة الحَمل المثار باللذة بواسطة الزرع وبالولادة في عالم الفناء؛ وهى تنتهي بموت مؤلم من خلال الفساد. ولكن الرب لم يولد بالجسد بنفس الأسلوب، ولم يهزم من الموت.

٤٧- الخطيئة جذبت آدم أولاً وخدعته لكسر الوصية؛ وبواسطة إعطاء مادة لـ اللذة الحسية وبواسطة لصق نفسها من خلال مثل هذه اللذة بجذر الطبيعة نفسه، فهي تجلب حكم الموت على كل الطبيعة، حيث إنه من خلال الإنسان تدفع كل الأشياء المخلوقة إلى الموت. كل هذه اخترع بواسطة إبليس، الذي أفرخ الخطيئة وأبو الإثم الذي طرد نفسه من المجد الإلهي بواسطة الكبرياء، ومن خلال حسده لنا ولله طرد آدم من الفردوس (ق.م. حك ٢: ٢٤)، كي يدمر أعمال الله ويقضى على ما قد أتى إلى الوجود.

٤٨- حيث أن الشيطان غيوراً منا ومن ولله، فقد أقنع الإنسان بواسطة الخداع أن الله يغير منه (ق.م. تك ٣: ٥)، وبذلك جعله يكسر الوصية. الشيطان غيور من الله خشية أن قوته يجب أن تُرى محققة في تقديس الإنسان على مثال الله: وهو غيور من الإنسان لئلا من خلال إحراز الفضيلة يصبح الإنسان مشارك شخصي في المجد الإلهي[1]. هذا الشيء الشرير ليس غيوراً منا فقط، بسبب المجد الذي نبلغه مع الله بواسطة الفضيلة، ولكن أيضاً من الله، بسبب هذه القوة، المستحق كل تمجيد، التي أتم بها خلاصنا.

٤٩- حكم الموت في آدم فُرض على الطبيعة (ق.م. تك ٢: ١٧)، منذ أصبحت اللذة الحسية هي مبدأ توالدها. في المسيح كان حكم الموت هو الذي فُرض على الخطيئة (ق.م. رو ٨: ٣)، لأن الطبيعة أخذت في المسيح شكلاً جديداً من التوالد، غير مشروطاً باللذة الحسية.

٥٠- إذا كنا نحن الذين قد تم إعطائنا شرف أن نكون بيت الله (ق.م. عب ٣: ٦) بالنعمة من خلال الروح القدس، يجب علينا أن نعانى بصبر المشقات من أجل البر (ق.م. عب ١٠: ٣٦) كي ندين الخطيئة، ويتحتم علينا أن نخضع عن طيب نفس للموت الوقح مثل المجرمين حتى ولو كنا أبراراً، «فما هي نهاية الذين لا يطيعون إنجيل الله؟» (١بط ٤: ١٧). بمعنى آخر، ماذا ستكون النهاية أو الحكم على هؤلاء الذين لم يحتفظوا فقط

---

(١) «وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا وحداً كما إننا نحن واحد» (يو ١٧: ٢٢).

بذلك الشكل الآدمي من التوالد المثار باللذة والمسيطر على الطبيعة[1] حياً ونشطاً في نفسهم وجسدهم، وفى الإرادة والطبيعة، حتى النهاية؛ ولكنهم لا يقبلون أيضاً لا الله الآب، الذي يدعوهم من خلال ابنه المتجسد، ولا الابن والوسيط نفسه، سفير الآب (ق.م. ١تى ٢: ٥)؟ لكي يصالحنا مع الآب، بحسب رغبة أبيه أعطى الابن نفسه عن قصد للموت من أجلنا حتى إنه، كما قبل أن يُهان من أجلنا بحمله آثامنا، يمكن بدرجة مماثلة أن يمجدنا بالجمال الذي لإلوهيته.

٥١- الله هو المقر الغير محدود، الأبدي الذي لا نهاية له لهؤلاء الذين نالوا الخلاص. إنه كل شيء لكل الناس طبقاً لدرجة برّهم: أو، بالأحرى، إنه قد أعطى نفسه لكل إنسان، بحسب الدرجة التي عانى بها كل إنسان المشقات، في نور المعرفة الروحية، في هذه الحياة من أجل البر. وهكذا فهو يشبه النفس التي تظهر نشاطها في أعضاء الجسد طبقاً للقدرة الفعلية لكل عضو، وهى نفسها تحافظ على وجود الأعضاء وتحافظ على حياتهم. إذا كانت هذه هي الحالة «فالفاجر والخاطئ أين يظهران» (١بط ٤: ١٨) إذا حرما من هذه النعمة؟ لأنه إذا لم يقدر إنسان أن يقبل الحضور النشط لله الذي يعتمد عليه وجوده الحسن، وبذلك يفشل في تحقيق الحياة المقدسة التي هي أعلى من الدهر، والزمن والمكان، فأين سيكون؟

٥٢- إذا رفض شخص أن يسمح لله، مقر كل من خلص ومصدر وجودهم الحسن، كي يحفظ حياته وأن يكفل وجوده الحسن، ماذا سيحدث له؟ وإذا كان الرجل البار سيخلص فقط بصعوبة كبيرة (ق.م. أم ١١: ٣١ س؛ ١بط ٤: ١٨)، فماذا سيحدث للإنسان الذي لم يحقق أي مبدأ من مبادئ التقوى والفضيلة في هذه الحياة الحاضرة؟

٥٣- بواسطة فعل واحد قوى بطريقة لانهائية للمشيئة سوف يجمع الله في صلاحه الكل معاً، الملائكة والناس. ولكن، بالرغم من أن الله يتخلل كل الأشياء بطريقة مطلقة، فليس للكل شركة فيه بالتساوي: سوف يكون لهم شركة فيه طبقاً لما هم عليه.

٥٤- الكل، سواء كانوا ملائكة أو ناس، الذين في كل شيء حافظوا على عدل طبيعي في تصرفاتهم، وجعلوا أنفسهم مستقبلين نشطين للمبادئ الداخلية التي للطبيعة بطريقة

---

(١) المقصود هنا التوالد الجسدى الذى يحيا به الناس الى حين دون أن يولدوا من الماء والروح القدس وبذلك فهم أموات وليس المقصود هنا مهاجمة الزواج المقدس لمن ولدوا من الماء والروح القدس الذى يحل فيه الروح القدس كـ سرٌ مقدس - م.

تتوافق مع المبادئ الكونية للوجود الحسن، سوف يشتركون بالكامل في الحياة المقدسة التي تنيرهم؛ لأنهم أخضعوا مشيئتهم لمشيئة الله. هؤلاء الذين قد فشلوا في أن يحفظوا في كل الأشياء عدلا طبيعيا في تصرفاتهم، وكانوا مُمَزقين بنشاط للمبادئ الداخلية للوجود الحسن، سوف يسقطون بالكامل من الحياة المقدسة، طبقاً لتكريسهم (أنفسهم) لما ينقصه الوجود (الحقيقي)، لأنهم قد عكسوا مشيئتهم مع مشيئة الله. هذا هو الذي يفصلهم عن الله، أن مبدأ الوجود الحسن، الذي يزدهر بالأفعال الصالحة ويستنير بالحياة المقدسة، ليس فعالاً في مشيئتهم.

٥٥- المقاييس التي سوف يتم وزن تصرفات كل كائن، سواء كان إنساناً أو ملاكاً، يوم الدينونة الأخيرة هي مبدأ الطبيعة، الذي يُظهر بوضوح لأي شيء يميل هذا الملاك أو الإنسان إلى الوجود الحسن أم نقيضه. إنه بموجب هذا الميل يتشارك كل كائن أو يفشل في المشاركة في الحياة المقدسة. لأن الله سوف يجمع معاً في محضره كل الملائكة والناس طبقاً لوجودهم ووجودهم الأبدي. ولكن سوف يجمع بطريقة خاصة طبقاً لوجودهم الحسن الأبدي هؤلاء المقدسين، تاركاً لهؤلاء الذين الغير مقدسين الأبدية الخالية من الوجود الحسن كثمرة مؤلفة من تصرفاتهم.

٥٦- في سر التجسد الإلهي التمايز[١] بين الطبيعتين، الإلهية والبشرية، في المسيح لا يقتضى بأنه منقسم إلى شخصين، من جهة لا يوجد إقنوم رابع اضيف إلى الثالوث، حيث سيكون هذا هو الحال إذا إنقسم المسيح المتجسد إلى شخصين؛ بينما من جهة أخرى، حيث أن لا شيء يمكن أن يكون مشاركاً جوهرياً أو من أصل واحد مع اللاهوت،

---

(١) عقيدة الكنيسة القبطية أن التمايز هنا ذهنى فقط لأنه بعد الإتحاد لا يجوز الكلام عن طبيعتين وذلك مع الإحتفاظ بعدم المزج أو الإختلاط:كتب القديس كيرلس في رسالته إلى أكاكيوس ما يلي«وبناء على ذلك فحينما نفحص طريقة التجسد بعمق، فإن العقل البشري بلا شك يرى الأثنتين (الطبيعتين) مجتمعتين معاً في إتحاد يفوق التعبير وبلا إختلاط. والعقل الإنساني لا يقسمهما بأية طريقة بعد أن إتحدتا، بل يؤمن ويقبل بقوة أن الذي من الأثنتين هو الله والابن والمسيح الرب» (مؤسسة القديس أنطونيوس، مركز دراسات الآباء، نصوص الآباء ٣٤، رسائل القديس كيرلس الجزء الثالث، ديسمبر ١٩٩٥، الرسالة ٤٠ إلي أكاكيوس أسقف ميليتيني' الفقرة ١٥، صفحة ٥١.) وما يؤكد هذا المفهوم ماقاله مكسيموس المعترف في الفقرة رقم ٥٩ وهوفيما يتعلق بالشخص الواحد للمسيح 'ليس هناك تمايزاً بأي نوع مهما كان'.

يجب أن يكون هناك تمايز بين الطبيعة الإلهية والبشرية فيه[1]. بكلمات أخرى، في التجسد إجتمعت الطبيعتين كي تشكلا شخصاً واحداً، وليس طبيعة واحدة[2]. وهكذا فالإتحاد الأقنومي الذي تشكل بإتحاد الطبيعتين لم يكوّن فقط وحدة تامة، ولكن أيضاً يحفظ الصفات الطبيعية التي للعناصر المختلفة التي تجتمع معاً في إتحاد لا ينفصم، خالية من أي تغيير أو اختلاط.

٥٧- فيما يتعلق بالمسيح، نحن لا نتكلم عن تمايز بين أشخاص، لأن الثالوث بقى ثالوثاً بعد تجسد الكلمة، لم يضاف شخصاً رابعاً إلى الثالوث القدوس كنتيجة للتجسد. نحن نتكلم عن تمايز بين الطبائع[3] كي نتجنب الإدعاء بأن الجسد مشارك جوهرياً في طبيعته مع الكلمة.

٥٨- من لا يميز الطبيعتين[4] في المسيح فليس له أساس كي يثبت أن الكلمة أصبح جسداً دون تغيير. إنه لا يعرف أنه بعد الإتحاد الذي يفترض والذي كان من المفترض هما محفوظان طبقاً لطبيعتهم في الشخص الواحد الذي للمسيح الواحد، إلهنا ومخلصنا.

---

(١) يقول القديس كيرلس في الرسالة الأولى لسكسنسوس فقرة رقم ٧: 'نتكلم نظريا (لكن فقط علي قدر ما يظهر لأعين النفس) سوف نقبل بأن هناك طبيعتين متحدتين ولكن مسيح واحد فقط وإبن ورب' القديس كيرلس السكندرى والجدل اللاهوتي، جون ماكجوكن ص ٣٣٥ النسخة الأنجليزية.) لذلك نقول في الإعتراف في القداس الألهي 'أن هذا هو الجسد المحيي الذي ابنك الوحيد، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح أخذه من سيدتنا ملكتنا كلنا، والدة الإله القديسة الطاهرة مريم وجعله واحد مع لاهوته بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير.'الثلاث قداسات (دير المحرق الطبعة الرابعة ٢٠٠٦ ص٣٦٥-٦.

(٢) ما يرفضه مكسيموس المعترف هنا من معنى طبيعة واحدة هو إختلاط اللاهوت والناسوت وإمتزاجهما مُشكلين طبيعة واحدة (بدعة أوطاخي وهذا ما ترفضه أيضا الكنيسة القبطية) وهذا ما أكده القديس كيرلس في الرسالة الأولي لسكسنسوس حيث قال: 'إذا فهمنا أسلوب التجسد فسوف نرى أن طبيعتين إجتمعتا معا الواحدة بالأخرى، بدون إحتلاط أو تغيير، في إتحاد غير قابل للتقسيم. الجسد جسد وليس إلوهة حتى ولو أصبح جسد الله؛ وبالمثل الكلمة هو الله وليس جسد حتى ولو جعل الجسد جسده الخاص بحسب التدبير... بعد أن حدث الإتحاد، علي أية حال، لا نقسم الطبيعتين عن بعضهما، ولا نفصل الواحد والغير قابل للتقسيم إلى إبنين ولكن نقول أن هناك إبناً واحداً كما صرح الآب القدوس؛ طبيعة واحدة متجسدة للكلمة' (القديس كيرلس السكندرى والجدل اللاهوتي، جون ماكجوكن ص ٣٥٤- ٣٥٥)

(٣) إنظر الحاشية رقم ١و ٢.

(٤) إنظر الحاشية رقم ١ و٢

٥٩- بعد الإتحاد هناك تمايز في المسيح بين طبيعة جسده وبين تلك التي للاهوته، لأن اللاهوت والجسد لا يتطابقاً أبداً في جوهرهما. ومن ثم فإن إتحاد العنصرين، الإلهي والبشرى، اللذان إتحدا معاً قد أنتجا شخصاً واحداً وليس طبيعة واحدة[1]. فيما يتعلق بهذا الشخص، ليس هناك تمايزاً في المسيح بأي نوع مهما كان، لأن الكلمة كشخص هو متطابق مع جسده. وإذا وجد مثل هذا التمايز في المسيح، لما كان يستطيع أن يكون شخصاً واحداً من جميع النواحي. حيث يكون شخص المسيح معنياً، فإن وحدانيته لا تخضع لأي نوع من التمييز مهما كان، وهى كذلك من جميع النواحي، وتثبتت لتكون وحدة إلى الأبد.

٦٠- بمساعدة الرجاء، يُكمّل الإيمان حبنا لله، بأن يجعلنا نحفظ الوصايا، الضمير النقي يعطى مادة لحبنا لجارنا. لأن الضمير النقي لا يمكن أن يُتهم بكسر الوصايا. فقط هؤلاء الذين يبحثون عن الخلاص الحقيقي يؤمنون في قلوبهم بهذه الثلاثة أشياء، الإيمان والرجاء والمحبة.

٦١- لا شيء أسرع من الإيمان، ولا شيء أسهل من الاعتراف شفويا بالنعمة التي تأتى من ما قد تم الإيمان به. إنه إيمانه الذي يكشف الحب الحي الذي للمؤمن تجاه خالقه؛ أنه اعترافه بالنعمة المأخوذة هو الذي يكشف المودة التقية تجاه جاره. الحب والمودة الأصيلة - التي هي، الأيمان والضمير النقي - من الواضح إنهما نتيجة دافع خفي للقلب؛ لأن القلب قادر تماما على الإنتاج دون استخدام مادة خارجية.

٦٢- إذا لم توجه مشيئة شخص تجاه ما هو صالح، فمن المحتم أن توجه إلى الشر؛ لأنها لا يمكن أن تكون ساكنة فيما يتعلق بكليهما. لأنها تتضمن قساوة القلب فيما يتعلق بالفضيلة يصف الكتاب المقدس كسل النفس في إتباع ما هو صالح بالـ «حجارة»؛ بينما يصف بالـ «خشب» استعداد النفس لارتكاب الشر (ق.م. زك ٥: ٤). ولكن الإدراك الحسي المتحد مع نشاط الفكر ينتج الفضيلة بالمعرفة الروحية.

٦٣- يعنى الكتاب المقدس بـ «السياج المتوسط » (أف ٢: ١٤) الناموس الطبيعي للجسد، وبـ «حائط» (نفس الآية) هذا الانجذاب إلى الشهوات بحسب ناموس الجسد الذي يشكل الخطيئة. لأن الانجذاب للشهوات المخجلة هو حائط نصب بواسطة ناموس الطبيعة -

---

(١) انظر الحاشية رقم ١و٢ فى الصفحة السابقة

في الجانب السريع التأثر من الطبيعة - فاصلا النفس عن الجسد، وحارماً الشخص من ممارسة فضائل بتلك الطريقة التي بواسطة النفس تتخلل مبادئهم الجسد. ومتى تخللت مبادئهم الجسد وطرحت ناموس الطبيعة - من الجانب السريع التأثر من الطبيعة - فإنها تحطم هذا الانجذاب للشهوات الغير طبيعية التي يفرضها هذا الناموس.

٦٤- عندما ينهب الشيطان بدهائه المعرفة الكامنة في الطبيعة التي لله وينتحلها لنفسه، فهو لص، لأنه يحاول أن يحول العبادة من الله لنفسه. إنه يفعل ذلك بواسطة إلهاء الفكر عن تأملاته في الجواهر الروحية للأشياء المخلوقة بتحديد مدى نظره في جوانبهم السطحية الظاهرة فقط. حينئذ، بعد إفساد وظائف النفس الطبيعية، فهو يلزمها بشكل خادع بأن تمارس ما هو مضاد للطبيعة: بواسطة ما يبدو صالحاً فهو يجذب رغبتها بطريقة مقنعة إلى ما هو شرير، وبقسمه كذباً بأسم الرب يقود النفس مقتنعة هكذا تجاه أشياء أخرى غير تلك التي قد وعد بها. إنه لص لأنه انتحل المعرفة الروحية التي للطبيعة لنفسه؛ وهو حانث بقسمه لأنه يقنع النفس أن تتعب بلا هدف فيما هو مضاد للطبيعة.

٦٥- اللص هو إنسان يدّعى احترام المبادئ الإلهية كي يخدع سامعيه. بالرغم من أنه لم يأتي إلى معرفة الطبيعة الحقيقية لهذه المبادئ من خلال أفعاله، إنه يتاجر بالمجد بالكلام فقط عنها، آملاً أنه بهذا الأسلوب سوف يعتقد فيه سامعيه بأنه صالح وبذلك يأسر إعجابهم. ببساطة، من لا تتطابق طريقة حياته مع كلامه، وميله الداخلي يناقض المعرفة الروحية، هو لص واستيلاءه على ما ليس له يثبت أنه شرير. الكتاب المقدس يوجه هذه الكلمات بشكل مناسب له: 'ولكن للأشرار يقول الرب «لماذا تتحدث بفرائضي وتستولي على مواثيقي بفمك؟» (ق.م. مز ٥٠: ١٦ س).

٦٦- الإنسان أيضاً لص عندما يُخفى شر نفسه الغير مرئي خلف ما يبدو طريقة حياة فاضلة، ويخفى ميله الداخلي ببراءة مصطنعة. كما أن نوع من اللصوص يسرق عقول مستمعيه بنطق كلمات الحكمة، كذلك يختلس حواس هؤلاء الذين يشاهدونه في تظاهره بالفضيلة، وله سوف يقال: «اخجلوا من أنفسكم، يا كل من لبستم ملابس ليست لكم» (ق.م. صف ١: ٨)، و«في ذلك اليوم سوف يكشف الله إدعائهم» (أش ٣: ١٧ س). يبدو لي إنني أسمع الله قائلاً لي هذه الأشياء يومياً في المعمل الداخلي لقلبي، وأشعر بأنني مدان بوضوح على كلتا التهمتين.

٦٧- الإنسان يكون حانث بالوعد - بمعنى، يعد باطلاً بأسم الرب - عندما يعد الله بأنه سوف يحيا حياة الفضيلة وبدلاً من ذلك يسلك في ما يخالف وعده، كاسراً بهذه الطريقة، من خلال إهمال الوصايا، نذور إيمانه في الحياة الدينية. باختصار، من قد اختار بحرية أن يحيا بحسب الله ولم يمت بالكامل عن الحياة الحاضرة هو كاذب وحانث بالوعد، حيث أنه أقسم بيمين أمام الله - أي، وعده بأن يتبع المسار الروحي بطريقة لا عيب فيها - ولم يتمم وعده. لهذا السبب لا يستحق أي مدح على الإطلاق. لأنه بالرغم من أن «كل من يحلف به سوف يمدح» (ق.م. مز ٦٣: ١١ س)، هذا ينطبق فقط على هؤلاء الذين، قد كرسوا حياتهم لله، وتمموا نذور تعهدهم من خلال الإنجاز الحقيقي لأعمال البر.

٦٨- من يتظاهر بالمعرفة الروحية فقط بواسطة نطق كلمات يسرق عقول هؤلاء الذين يسمعونه كي يرفع من شأن سمعته. بالمثل، من يتظاهر بالفضيلة في سلوكه الخارجي يسرق بصر هؤلاء من ينظرون إليه، مرة أخرى كي يعلى منزلة مجده الذاتي. كلاهما يسرق بواسطة الخداع، الأول مضللاً عقول سامعيه، والثاني مضللاً الحواس الجسدية التي لهؤلاء الذين يرونه.

٦٩- الشخص الذي يتمم الوعود التي قطعها يستحق المديح لأنه أقسم يميناً أمام الله وبقى وفياً له؛ وبالعكس، الشخص الذي يكسر وعوده سوف يكون مشكوكاً فيه ومخزياً لأنه أقسم يمين أمام الله وَوُجِدَ كاذباً.

٧٠- ليس بالضرورة كل إنسان يأتي إلى هذا العالم يكون مستنيراً باللوغوس (ق.م. يو ١: ٩)، لأن كثيرون يبقون غير مستنيرين وليس لهم شركة في نور المعرفة الروحية. ولكن كل إنسان يأتي إلى العالم الحقيقي الذي للفضائل بإرادته الحرة، وبذلك من خلال ميلاد إرادي، يكون بلا شك مستنيراً باللوغوس، آخذاً حالة لا تتغير من الفضيلة وفهماً لا يخطئ للمعرفة الروحية الحقيقية.

٧١- بالضرورة لا يتمُ فهم كل الأشخاص والأشياء الذين قد تم تسميتهم بنفس الكلمة في الكتاب المقدس بنفس الطريقة بالضبط. بالعكس، إذا كنا بصدد الاستدلال على معنى النص المكتوب بطريقة صحيحة، فكل شيء ذكر يجب أن يُفهم بوضوح طبقاً للأهمية التي تقع تحت شكله اللفظي.

٧٢- إذا كان قد تم فهمه بهذه الطريقة دائماً، فلا أي من الأشخاص، والأماكن، والأزمنة، أو أي من الأشياء الأخرى التي ذكرت في الكتاب المقدس، سواء كانت حية أو غير حية،

محسوسة أو معقولة، سوف يخضع إما للمعنى الحرفي أو الروحي المقصود. وهكذا فمن يرغب في دراسة المعرفة الإلهية التي للكتاب المقدس بدون تخبط يجب أن يحترم الاختلافات بين الأحداث أو الأقوال المدونة، ويفسر كل منها بطريقة مختلفة، محددا لها الحس الروحي المناسب طبقاً لبيئة المكان والزمان.

٧٣- يجب على كل أحد أن يتعلم أن يحيا ويحكم نفسه طبقاً لذكائه فقط، وأن يكون له اهتمام قليل بجسده الذي هو قادر على كسر ارتباط نفسه به، من خلال المجهود الشاق، وبذلك يحرر نفسه من كل صور الأشياء المادية. الحواس، التي نبذت في البداية الذكاء وقبلت حماقة اللذة الحسية، مثل الأفعى الملتوية، يجب أن تُخضع بواسطة الذكاء. لأن الإنسان قد نبذ الذكاء لذلك فُرِضَ عليه بعدل حكم الموت كي يضع نهاية لحرية دخول إبليس إلى نفسه.

٧٤- الحواس تنتمي إلى عائلة واحدة ولكن مُقسمة إلى خمسة أنواع منفردة. من خلال الإدراك الخاص بكل نوع منفرد، يتم حث النفس المخدوعة على الرغبة في الأجسام المحسوسة المناظرة (لكل حاسة) بدلاً من الله. ومن ثم فإن الإنسان الذي له ذكاء سوف يختار أن يموت من جهة الجسد بإرادته قبل مجيء ذلك الموت الذي يأتي سواء أحبه أم لا؛ والى هذه النهاية سوف يقطع بالكامل انحرافه الداخلي من الحواس.

٧٥- عندما يكون الفكر في قبضة الحواس، فإنها تنجب الشرك (بالله) من خلال كل عضو إحساس منفرد؛ لأنهم في عبوديتهم للشهوات يقدمون التكريم الإلهي للجسم المحسوس المناظر لكل عضو إحساس.

٧٦- عندما يتمسك إنسان بالحرف المجرد للكتاب المقدس، تكون طبيعته محكومة بالحواس وحدها، مبرهناً بهذه الطريقة على ارتباط نفسه بالجسد. لأنه إذا لم يُفهم الحرف بطريقة روحية، فإن معناه يكون محدوداً في نطاق الحواس، التي لا تسمح لمعناه الكامل أن يمر في الفكر. وعندما يتعامل مع الحرف بواسطة حواسه فقط، فإنه يأخذه مثل اليهود بمعنى حرفي فقط، وبذلك يحياً بحسب الجسد، ويموت روحياً كل يوم موت الخطيئة بسبب حواسه النشيطة؛ لأنه لا يستطيع أن يُميت مساعي جسده بواسطة الروح القدس كي يحيا الحياة المباركة في الروح. «لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون» يقول القديس بولس» «ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو ٨: ١٣).

٧٧- دعنا لا نضع السراج الإلهي - أي، المبادئ المنيرة التي للمعرفة الروحية - من خلال التأمل وممارسة الفضائل، وبعد ذلك نضعها تحت المكيال (ق.م. مت ٥: ١٥)؛ لأننا إذا فعلنا ذلك فسوف ندان على تقييدنا لقوة الحكمة التي لا يسير غورها بالحرف. بالعكس، دعنا نضعها على المنارة - الكنيسة المقدسة - هادية من قمم التأمل كالفنار كل الناس إلى نور الحق الإلهي.

٧٨- من هو مثل أيوب والشهداء الشجعان يتحمل بإرادة لا تتزعزع هجمات التجارب والمحن التي لم يسعى إليها هو سراج قوى؛ لأنه بشجاعته وصبره يحفظ نور الخلاص متقداً، حيث إنه يمتلك الرب كقوته وترنيمته (ق.م. مز ١١٨: ١٤). ومن هو مطلع على حيل إبليس ومختبر الاشتباك في المعارك التي للحرب الغير منظورة، يكون مستنيراً بالمثل بنور المعرفة الروحية ويصبح سراجاً آخراً، قائلاً مع القديس بولس، «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو ٢: ١١).

٧٩- من خلال، المخافة، والتقوى، والمعرفة الروحية يُنقى الروح القدس هؤلاء الذين أنعم عليهم بنقاء الفضائل. من خلال القوة، والمشورة والفهم ينير هؤلاء المستحقين الاستنارة بالمعرفة التي للجوهر الداخلي المنشط الذي للكائنات المخلوقة. من خلال الحكمة المنيرة، البسيطة والكاملة يمنح الكمال للذين تم تكريمهم بالتأله، قائداً إياهم مباشرة إلى علة الكائنات المخلوقة بكل طريقة يمكن أن يقاد بها الناس. الكاملون يُعرفون فقط بالصفات المقدسة التي للبر التي يميزون بها أنفسهم في الله والله في أنفسهم، حيث أنه لا يوجد حائط متوسط بينهم. لأنه لا يوجد شيء يفصل بين الحكمة والله، سوف يحرزون حالة لا تخضع للتحول أو التغيير، متجاوزين بالكامل كل الحالات المتوسطة التي يكونون فيها عرضة لخطر الضلال فيما يتعلق بالمعرفة الروحية. قصد بهذه الحالات المتوسطة وجود الحقائق المعقولة والمحسوسة التي من خلالها يقود الفكر رحلته إلى الله، علة كل الكائنات.

٨٠- الفلسفة العملية، أو ممارسة الفضائل، تتأثر بالمخافة، التقوى والمعرفة الروحية. التأمل الطبيعي بالروح القدس يتم تحقيقه من خلال القوة، المشورة والفهم. اللاهوت المِستيكي يمنح فقط بواسطة الحكمة الإلهية.

٨١- لا يمكن أن يظل السراج مشتعلاً بدون زيت؛ ولا نور المعرفة التي للمواهب الروحية يمكن أن يشرق إلا إذا غذاه المرء داخلياً بالأفعال والأفكار المتفقة معه. لأن كل موهبة

روحية تتطلب صفة داخلية مناظرة في المتلقي كي تغذيها روحياً مثل الزيت، حافظة هكذا حضورها.

٨٢- بدون شجرة الزيتون لن يكون هناك زيت زيتون حقيقي. وبدون وعاء لحفظه فيه، لن يمكن الاحتفاظ بالزيت. وإذا لم يكن هناك سراجاً يتم تغذيته بالزيت، فسوف يتلاشى نوره. بالمثل، بدون الكتاب المقدس، لن تكون هناك أفكاراً يمكن أن تكون مؤثرة بحق وبطريقة إلهية. وبدون طبيعة داخلية أو ميل قادر، مثل الوعاء، على أن يشمله، فلا توجد أفكاراً إلهية يمكن أن يُحتفظ به. وإذا لم يتغذى نور المعرفة الروحية الموجود في مواهب الله على الأفكار الإلهية، فسوف تتلاشى.

٨٣- أعتقد أن شجرة الزيتون التي على يسار المنارة (ق.م. زك ٤: ٣) تمثل العهد القديم، التي الذي يتم التشديد فيه بشكل رئيسي على الفلسفة العملية؛ بينما تلك التي عن اليمين تمثل العهد الجديد، الذي يُعلم وحياً جديداً ويأتي بكل مؤمن إلى حالة من التأمل. الأول يعطى صفات الفضيلة، والثاني يعطى مبادئ المعرفة الروحية لهؤلاء الذين يتأملون فيما هو إلهي. الأول يزيل غشاوة الأشياء المرئية وينهض الفكر إلى الحقائق المشتركة معه في أصل واحد عندما يتطهر من كل الخيالات المادية. الثاني ينقى الفكر من الارتباط بالمادية، ضارباً بقوة حازمة كما ولو بمطرقة المسامير التي تثبت الإرادة والميل إلى الجسد.

٨٤- العهد القديم يجعل الجسد مطيعاً للذكاء وينهضه تجاه النفس بواسطة الفضيلة، مانعا الفكر من أن يُسحب إلى أسفل تجاه الجسد. العهد الجديد يشعل الفكر بالحب ويوحده مع الله. وهكذا فإن العهد القديم يجعل الجسد واحداً في نشاطه مع الفكر؛ والعهد الجديد يجعل الفكر واحداً مع الله بواسطة حالة النعمة. قريب جداً مثال الله الذي يقتنيه الفكر، الله، الغير معروف كما هو بالطبيعة في ذاته لأي أحد بأي طريقة على الإطلاق، يعرف من خلاله كنموذج أصلى يعرف من صورة.

٨٥- حيث أن العهد القديم هو رمز ممارسة الفضائل، فهو يأتي بنشاط الجسد إلى توافق مع نشاط الفكر. وحيث أن العهد الجديد يمنح التأمل والمعرفة الروحية، فهو ينير بطريقة مستيكية الفكر الذي يتشبث به بالأفكار والمواهب الإلهية التي للنعمة. العهد القديم يمد رجل المعرفة الروحية بصفات الفضيلة؛ والعهد الجديد ينعم على الرجل الذي يمارس الفضائل بمبادئ المعرفة الروحية.

٨٦- الله يمكن أن يُدعى الأب بالنعمة وهو بالفعل كذلك فقط لهؤلاء الذين إرادتهم وميلهم قد ولدوا من جديد بالروح القدس من خلال ممارسة الفضائل. بواسطة هذا الميلاد فأنهم يحملون في أنفسهم ويظهرون في فضائلهم خاتم الله أبيهم. من خلال طريقة حياتهم يجعلون هؤلاء الذين يرونهم يمجدون الله بواسطة إعادة تشكيل أنفسهم، وبذلك يوفرون نموذجاً ممتازاً يُحتذى للفضيلة ليقلده الآخرين. لأن الله ممجد ليس بمجرد كلمات ولكن بأعمال البر، التي تعلن عن جلال الله بطريقة مؤثرة أكثر بكثير من الكلمات.

٨٧- لأن الناموس الطبيعي متعلقا بالحواس، لذلك تم إظهاره على أنه شجرة زيتون على اليسار (ق.م. زك ٤: ٣): إنه يمد الذكاء بصفات الفضيلة ويجعل المعرفة الروحية تعبر عن نفسها بالأفعال. ولأن الناموس الروحي متعلق بالفكر، لذلك تم إظهاره على إنه شجرة زيتون على اليمين؛ تصبغ الإدراك الحسي بالمبادئ الروحية التي للأشياء المخلوقة وتجعله يتصرف بطريقة هادفة وذكية.

٨٨- من يجسد المعرفة الروحية في ممارسته للفضائل ويُحيِي هذه الممارسة بالمعرفة قد وجد الطريقة المثلى لإنجاز العمل المقدس. والذي لا تتحد فيه المعرفة الروحية والممارسة النسكية إما يجعل الأولى وهماً لا جوهر له أو يحول الثانية إلى صنم عديم الحياة. لأن المعرفة الروحية التي لا توضع محل الممارسة لا تختلف بأي طريقة عن الوهم، ناقصة هذا التنفيذ الذي يعطيها جوهر حقيقي؛ والممارسة الغير مطلع عليه بواسطة الذكاء مثل صنم، حيث لا يوجد له معرفة كي تحييه.

٨٩- سر خلاصنا يُكون طريقة حياتنا بالذكاء ويجعل الذكاء مجد طريقة حياتنا. إنه يحول ممارستنا للفضائل إلى التأمل بلغة الفعل، وتأملنا إلى ممارسة مبدوءة إلهياً. كي نختصر، أنه يجعل الفضيلة مظهر المعرفة الروحية والمعرفة الروحية القوة المعطية للحياة للفضيلة. من خلال كل من الفضيلة والمعرفة الروحية يظهر حكمة واحدة مندمجة. بهذه الطريقة يمكن أن نعرف أن بالنعمة كلا العهدين يتوافقان في كل الأشياء معاً، في إتحادهم يجمعون سراً أكثر وحدة وعدم انقسام من النفس والجسد في الكائن البشري.

٩٠- مثل أن النفس والجسد يتحدان كي ينتجا كائناً بشرياً، كذلك ممارسة الفضائل والتأمل يؤلفان معاً حكمة روحية أصيلة، والعهد القديم والعهد الجديد يشكلان معاً سراً واحداً.

الصلاح يخص الله وحدة بالطبيعة، الذي منه استنارت كل الأشياء القادرة على تلقى النور والصلاح، وأنعم عليها بالصلاح بواسطة الشركة.

٩١- من يستخدم فكره كي يفهم العالم المرئي يتأمل العالم المعقول[1]، إنه يصبغ إدراكه الحسي بالحقائق العقلية التي يتأمل فيها ويعلم فكره بالجواهر الداخلية لما يدركه بالحواس. وبطرق فاضلة ينقل بنية العالم العقلي إلى عالم الحواس؛ وبطريقة عكسية ينقل الوحدة المركبة التي للعالم المحسوس إلى الفكر. إنه يفهم العالم المحسوس بالعالم المعقول، حيث إنه قد نقل إلى الفكر الجواهر الداخلية لما يمكن أن يدرك بالحواس؛ وبالعالم المحسوس يدرك العالم المعقول، لأنه قد جهز فكره ببراعة بنماذجه الأصلية لإدراكه الحسي.

٩٢- في النص، «رأسي نزلت إلى أسافل الجبال» (يون ٢: ٦ س)، سمى النبي المبدأ الأول للوحدة بالرأس، حيث أنه مصدر كل فضيلة. و«أسافل الجبال» هي مشورات الأرواح الشريرة، التي تم ابتلاع فكرنا بها بسبب السقوط. وأسفل أعماق الأرض (ق.م. يون ٢: ٧ س) هي تلك الحالة الداخلية التي لا يوجد بها أي إدراك مهما كان للمعرفة الإلهية أو أي قوة دافعة تجاه حياة الفضيلة. الهاوية (ق.م. يون ٢: ٦ س) هي الجهل الذي يغطى ميلاً شريراً، مثل مياه عميقة تغطى قاع البحر. وبشكل بديل فإن الهاوية هي قاع البحر نفسه، مشيراً إلى ميل شرير مؤسس بثبات. الأعمدة الأبدية (ق.م. يون ٢: ٧ س) المقوية هذه الحالة السحيقة التي لا قرار لها هي الارتباط المشبوب العاطفة بالأشياء المادية.

٩٣- الاحتمال الصبور الذي للقديسين يرهق قوة الشر التي تهاجمهم، حيث إنه يجعلهم يفتخرون بالمعاناة التي يكابدونها من أجل الحق. إنه يعلم هؤلاء المتعلقين كثيراً بالحياة في الجسد أن يعمقوا أنفسهم في مثل هذه المعاناة بدلاً من إتباع الراحة واليسر؛ ويجعل ضعف الجسد الطبيعي في مكابدة المعاناة أساس سحق القوة الروحية (المهاجمة). لأن الضعف الطبيعي الذي للقديسين هو على وجه التحديد مثل الأساس، حيث أن الرب قد جعل ضعفهم أقوى من إبليس المتكبر.

---

(١) أى الذى يُدرك بالعقل - م.

٩٤- مبدأ النعمة يجب أن يمر من خلال تجارب عديدة كي يصل إلى الجنس البشرى - أي، كنيسة الأمم - مثل يونان الذي قد مر بعدة تجارب قبل أن يصل إلى المدينة العظيمة نينوى. عندئذٍ فقط يتبع (الجنس البشرى) الناموس الحاكم الذي للطبيعة في أن ينهض من كرسيه - أي، يهجر ميله الشرير السابق الناتج عن ارتباطه بالحواس؛ وفى أن ينزع رداءه - أي، كي يمحو غرور المجد الدنيوي من سلوكه؛ لكي يغطى نفسه بالمسوح - أي، بالحزن، وبالتمرن الصعب القاسي على المشقات كالتي تليق بحياة يتم عيشها بحسب الله؛ ولوضعه في الرماد - الذي يرمز إلى المسكنة بالروح، التي يُنخس بها كل إنسان يتعلم أن يعيش حياة تقية بواسطة ضميره بسبب الخطايا التي ارتكبها (ق.م. يون ٣: ١-٩).

٩٥- لاحظ، في هذه الفقرة التي من (سفر) يونان، كيف يمثل الملك الناموس الطبيعي. الكرسي هو ميل مشبوب العاطفة للإتحاد مع الحواس. الرداء هو عرض للبر الذاتي. المسوح هي حزن التوبة. الرماد هو الإتضاع. الناس هم هؤلاء الذين يُخطئون فيما يتعلق بالذكاء؛ والبهائم هؤلاء الذين يخطئون فيما يتعلق بالرغبة؛ والمواشي هؤلاء الذين يخطئون فيما يتعلق بالقوة الغضبية؛ والغنم هؤلاء الذين يخطئون فيما يتعلق بالتأمل في الأشياء المرئية.

٩٦- شهوات الجسد يمكن أن توصف على إنها تنتمي إلى اليد اليسرى. وغرور النفس كمنتمى إلى اليد اليمنى (ق.م. يون ٤: ١١). وهكذا فمن يجعل نفسه غافلا عن شهوات الجسد من خلال الملاحظة الصحيحة للفضيلة، ومن هو غير مصاب بمرض غرور النفس بسبب إنجازاته، نتيجة معرفته الروحية الثابتة، أصبح الإنسان الذي لا يعرف شماله أو يمينه؛ لأنه غير مثار بواسطة شهوات الجسد، ولا يحب المجد الفاني. ومن ثم فيبدو بالمثل أن الكتاب المقدس يعنى باليد اليمنى البر الذاتي المعتمد على الإنجازات المفترضة، وباليد اليسرى الفجور في الشهوات المخجلة. لأن مبدأ الفضيلة لا يعرف خطيئة الجسد، الذي ينتمي إلى اليد اليسرى؛ ومبدأ المعرفة لا يعرف شر النفس، الذي ينتمي إلى اليد اليمنى.

٩٧- المعرفة الروحية التي للفضيلة - المعرفة الحقيقية والمفعلة لسبب الفضيلة - تنتج بطريقة طبيعية جهلاً تاماً بالزيادة والنقص التي تقع على يمين وشمال معيار الفضيلة. لا شيء في الذكاء يمكن أن يكون مضاداً للذكاء. وهكذا فمن قد أتى إلى فهم

مبدأ الفضيلة سوف لن يكون له بالتأكيد أي طريقة لمعرفة الحالة التي هي مضادة للذكاء. لا يستطيع المرء أن يختبر متضادين في نفس الوقت، ويعرف الواحد في نفس الوقت كالآخر.

٩٨- لا يوجد مبدأ لعدم الإيمان في الإيمان، أو سبب طبيعي للظلمة في النور، وإبليس والمسيح لا يمكن أن يظهرا نفسيهما معاً (ق.م. ٢كو ٦: ١٤-١٥). بنفس الطريقة، لا شيء غير ذكى يمكن أن يتواجد مع ما يتوافق مع الذكاء. إذا كان من المستحيل على الإطلاق لما هو مضاد للذكاء أن يتواجد مع ما هو متوافق معه، فمن يؤتى لفهم مبدأ الفضيلة لا يعرف بأي طريقة على الإطلاق الحالة التي هي مضادة للذكاء؛ لأنه يعرف الفضيلة كما هي، وليس كما يُعتقد أن تكون. هذا الذي لأجله لم يكن له معرفة سواء بيده اليمنى من خلال الزيادة، أو بيده اليسرى من خلال النقص. لأن من الواضح أن في كلاهما يوُجد ما هو مضاد للذكاء.

٩٩- عدم الأيمان يعنى نبذاً للوصايا؛ والإيمان هو قبولهم. الظلمة هي الجهل بالله، والنور هو المعرفة به. المسيح هو الاسم الذي أعُطىَ لجوهر ومادة الخير؛ إبليس هو حالة الفساد التي تنتج كل الخطايا.

١٠٠- إذا كان الذكاء هو معيار ومقياس للكائنات المخلوقة، فكل ما يقصر عن بلوغ هذا المعيار والمقياس، أو بطريقة بديلة ما يذهب أبعد منه، مساوي لعدم الذكاء وبذلك يكون مضاداً للذكاء. كل من الذهاب أبعد من المعيار والتقصير عن بلوغه ينتجان سقوط عن ما يوجد في الواقع. الأول بجعله الفكر يتعدى قدرته، ينتج الاقتناع بان مسار الحياة غير مؤكد وغامض، الذي ليس له الله كهدف سبق فأدركه، وأن هناك شيئاً أحسن مما هو الأفضل؛ والثاني، ينتج من خلال كسل الفكر، الاقتناع بان الهدف المدرك مسبقاً هو محدود في العالم المحسوس، وذلك يظهر في كون الانتباه يُعطى فقط للحواس. فقط من يوحد نفسه مع مبدأ الفضيلة، ويركز كل قوة فكره في هذا المبدأ، لا يعرف ولا يختبر هذه الأشياء؛ لأنه لا يستطيع أن يكون متأثراً بأي شيء يذهب أبعد من الذكاء أو مضاداً له.

المئوية الخامسة

Fifth Century

١- من خلال التدريب المجتهد في الفضيلة ينهض الذكاء الطبيعي تجاه الفكر. من خلال التأمل يقود الفكر الإنسان الذي يشتاق إلى المعرفة الروحية تجاه الحكمة. تحث الشهوة، التي هي مضادة للذكاء، الإنسان الذي يُهمل الوصايا على أن ينزل إلى عالم الحواس، ونتيجة لهذا فهي ارتباط الفكر باللذة الحسية.

٢- الفضيلة هي حالة من الصلاح ثابتة ومحايدة تماماً. لا شيء يقف أمامها، لأنها تحمل خاتم الله، ولا يوجد شيء مضاد لهذا. الله هو علة الفضيلة؛ والمعرفة الحية بالله تُدرك عندما يغير الشخص الذي تعرّف على الله حقا حالته الداخلية حتى يتوافق بأكثر دقة مع الروح القدس.

٣- إذا حدد الذكاء أصل كل كائن مخلوق، فمثل هذا الكائن بالطبيعة لا يذهب أبعد من ذاته ولا يقصر عن بلوغ ذاته، وهكذا فإن معيار الأشياء المخلوقة هي رغبتهم ومعرفتهم بعلة وجودهم، وقياسهم هو المحاكاة النشطة لعلة وجودهم على قدر ما يكون هذا في نطاق (قدرتهم). لأنه إذا حُملت الكائنات المخلوقة في رغبتها إلى ما وراء المعيار والمقياس المناسبين، فإن هذا يجعل حياتهم عقيمة، حيث إنهم حينئذٍ لا يجدون هدفهم في الله - وفى الله تجد الرغبة في كل الأشياء راحتها، متلقية الفرح منه كإتمام لوجودها الذاتي. عندما تُقصر الكائنات المخلوقة في رغبتها عن البلوغ إلى المعيار والمقياس، فإن حياتهم أيضاً تكون عقيمة، حيث أنهم حينئذٍ سوف يجدون هدفهم ليس في الله ولكن في عالم الحواس، الذي فيه فرح الشهوة السار ولكن خادع.

٤- الفكر الذي يتكرس بطريقة غير مشروطة لعلة[1] الكائنات المخلوقة سوف يكون في حالة من المعرفة الكاملة، حيث أنه سوف لا يتأمل أي من المبادئ الخلاقة في الله الذي، على قدر ما تكون كل الأسباب معنية، هو في جوهر يفوق هذه المبادئ. عندما يسحب فكر بعيداً عن كل الكائنات المخلوقة تجاه الله، فإنه لا يلاحظ مبادئهم الداخلية، ولكن يتأمل الله فقط بطريقة تفوق الوصف، لكونه معه بالنعمة. لأن الفكر الذي يرتفع إلى الله في نشوى يهجر معرفته بالمبادئ الداخلية التي لكل من الأشياء المادية والغير مادية. لأنه لا يوجد شيء يأتي تاليا بعد الله يمكن أن يتم تأمله في نفس الوقت مع الله.

---

(١) أى السبب الأول لوجود الكائنات المخلوقة أى الله - م.

٥- الغرور شهوة ملعونة حقاً. إنها مركب من رزيلتين، الكبرياء والبر الذاتي. الكبرياء ينكر علة الفضيلة[١] والطبيعة، بينما البر الذاتي يغش الطبيعة والفضيلة نفسها. الإنسان المتكبر لا يفعل شيئاً يتوافق مع مشيئة الله، والإنسان المملوء بالبر الذاتي لا يحقق شيئاً يتوافق مع الطبيعة.

٦- علامة الكبرياء هي إنكار أن الله هو مبدع الفضيلة والطبيعة؛ وعلامة البر الذاتي هي عمل انقسامات في الطبيعة وذلك لمعاملة شيئاً ما كغير مستحق. الغرور هو ذريتهم الطبيعية، لكونه حالة طبيعية مركبة من إنكار طوعي لله وجهل بالكرامة المتساوية التي تمتلكها الأشياء بالطبيعة.

٧- الغرور هو خليط من الكبرياء والبر الذاتي. في عصيانه على الله يفترى بطريقة تجديفية على العناية الإلهية؛ بينما في عزلته عن الطبيعة فإنه يتعامل مع كل شيء ينتمي للطبيعة بطريقة غير طبيعية، وبذلك يفسد جماله[٢] بواسطة سوء الاستخدام.

٨- المعنى الحقيقي للحرارة الحارقة (ق.م. يون ٤: ٨) لا يشير إلى التجارب والمحن فقط ولكن أيضاً إلى ذلك الهجر من الله الذي حرم اليهود من عطية النعمة. الصلة مع الروح القدس تبدد الميل البغيض للنفس تجاه الجسد، وتركز اشتياقنا لله وتربط مشيئتنا به.

٩- عندما يكون الذكاء غير مُسيطر عليه بواسطة الحواس، فإن الناموس الطبيعي يحث جميع الناس بطريقة فطرية على اعتناق ما هو مشترك معهم في أصل واحد ومن نفس النوع. حيث إن الطبيعة نفسها تعلم الناس أن يساعدوا المحتاجين. بالإضافة إلى، أن الناموس الطبيعي يحث كل إنسان كي يتمنى لكل شخص آخر كل ما يعتبره مقبولاً عندما يتم عمله له بواسطة الآخرين. هذا هو ما يُعَلّمه الرب عندما يقول، 'وكما تريدون أن يفعل الناس بكم أفعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا' (لو ٦: ٣١).

١٠- عمل الناموس الطبيعي هو أن يأتي بعلاقات الناس الطوعية الواحد بالآخر إلى التناغم. هؤلاء الذين طبيعتهم محكومة بالذكاء يتشاركون بطريقة طبيعية في ميل واحد. عندما يكون الناس لهم نفس الميل، فسيكون من الواضح أن مبادئهم الأخلاقية ومعيشتهم

---

(١) أى الله - م.

(٢) الضمير هنا عائد على الشيء الطبيعى - م.

ستكون من نفس النوع. في مثل هذه الظروف، سوف يكون الرباط الذي يصل الناس ببعضهم طوعياً نفس الشيء أيضاً، قائداً كل الناس من خلال اختيارهم تجاه المبدأ الوحيد الذي للطبيعة. عندما يتحقق ذلك المبدأ، فإن الانقسامات التي تسود الطبيعة الآن بسبب محبة الذات التي للإنسان سوف تختفي بالكامل. الناموس المكتوب، الذي يسيطر على دوافع الأحمق الجامحة بواسطة الخوف من العقاب، عودهم بتعاليمه على التفكير بشكل محدد في أن يعطى كل واحد للآخر ما هو عادل. بهذه الطريقة وبمرور الوقت فإن قاعدة العدل تنمو أكثر وتتأسس بثبات في داخلهم، حتى تصبح جزء من طبيعتهم. إنها تحول الخوف إلى ميل يتقوى بالتدريج وبهدوء إلى رغبة واعية في الخير، والعرف والعادة إلى حالة داخلية تم تنقيتها بواسطة غفران الخطايا الماضية وتلد في نفسها محبة الآخرين.

١١- الناموس المكتوب، يُعَوِد المرء على فعل ما هو صواب بواسطة منع عمل الإثم من خلال الخوف. وفى الوقت المناسب يُنتج مثل هذه التعود ميل مملوء بمحبة الصلاح، وهذا بدوره ينتج حالة مستقرة من البر، الماحي ذكرى الخطايا السابقة.

١٢- ناموس النعمة يعلم بطريقة مباشرة هؤلاء الذين ينقادون به أن يقلدوا الله نفسه. لأن - إذا سمح بالكلام بهذه الطريقة - بالرغم من حقيقة أننا بسبب الخطيئة كنا أعداء له، فإن الله أحبنا للغاية، حتى أنه بالرغم من إنه فوق الوجود، دخل بدون تغيير إلى وجودنا، وأخذ الطبيعة البشرية، وأصبح إنسان، وفى رغبته أن يظهر نفسه كإنسان بين الناس، لم يرفض أن يجعل عقابنا عليه. وكما أنه في عنايته الإلهية أصبح إنسان، كذلك ألّهنا بالنعمة، معلماً إيانا بهذه الطريقة أن نرتبط بعضنا البعض بطريقة طبيعية وأن نحب الآخرين بطريقة روحية كمثل أنفسنا، ولكن أيضاً، مثل الله، أن نكون مهتمين بالآخرين أكثر من أنفسنا، وكإثبات لحبنا لكل آخر نختار طوعياً، كما تفرض الفضيلة، لأن نموت من أجل الآخرين. لأنه كما يخبرنا الكتاب المقدس، لا يوجد حب أعظم من أن يضع أحد حياته من أجل صديق (ق.م. يو ١٥: ١٣).

١٣- كي نُلخص: ناموس الطبيعة هو مبدأ طبيعي يسيطر على عالم الحواس كي يتغلب على نقص الذكاء؛ لأن نقص الذكاء يفصل ما هو بالطبيعة مندمج مع بعضه. الناموس المكتوب هو مبدأ طبيعي الذي، عندما يتم التغلب على نقص الذكاء في عالم الحواس، يقتنى علاوة على ذلك الرغبة الروحية التي تصون تبادل الامتيازات والاعتماد المتبادل

بين الكائنات ذات الطبيعة الواحدة. ناموس النعمة هو مبدأ يتجاوز الطبيعة وهدفه تأليهنا. إنها تحول الطبيعة دون أن تغير شخصيتها الأساسية؛ و يكشف للطبيعة البشرية، بأسلوب يؤله الإدراك، كما ولو كان في صورة، النموذج الأصلي الذي يقع أعلى من الوجود والطبيعة، وهو أساس الوجود الحسن الأبدي.

١٤- أن يعامل أحد جاره كنفسه هو أن يكون ببساطة مهتماً بوجوده. هذا يناسب الناموس الطبيعي. محبة أحد لجاره كنفسه هو الاهتمام بوجوده الحسن، بطريقة تتناسب مع الفضيلة. لقد تم الأمر بذلك في الناموس المكتوب (لا ١٩: ١٨؛ مر ١٢: ٣٣). أن يحب أحد جاره أكثر من نفسه فذلك امتياز يقتصر على ناموس النعمة.

١٥- من يلجم الدوافع إلى اللذة الجسدية يتعلم قوانين العناية الإلهية، التي تكبح الحالة المثيرة التي للشهوات. من يقبل جلدات الألم الجسدي يتعلم قوانين العدالة، التي تطهره من وسخ حياته السابقة من خلال المعاناة الغير اختيارية.

١٦- الكتاب المقدس يُظهر يونان حزيناً من أجل المظلة واليقطينة - أي، من أجل الجسد ولذة الجسد - ويُظهر الله معتنياً بنينوى (ق.م. يون ٤: ١-١١). من الواضح في هذا أن ما هو محبوب من الله أفضل وأكثر قيمة إلى حد بعيد مقارنة بالأشياء التي يُقيمها ويُقدرها الناس، لأن الأشياء التي يُقدرها الناس ينقصها الوجود؛ إنها تبدو موجودة فقط بسبب الحكم الخاطئ، إلا إنها لا تملك مبدأ الوجود على الإطلاق: يوجد فقط الخيال، الذي يخدع الفكر ومن خلال الشهوة يمد الأشياء التي ليس لها وجود بشكل فارغ وليس بجوهر حقيقي.

١٧- تنكشف معرفة دقيقة لتعابير الروح القدس فقط لهؤلاء المستحقين للروح القدس. عندما يمحون سخام الشهوات من فكرهم من خلال التهذيب المجتهد للفضائل، ويجعلوه مرآة نقية لامعة، فإنهم يتلقون معرفة الأشياء الإلهية،التي بمجرد أن ترتطم بهم، تنطبع عليهم وتُعطَىَ شكلا فيهم كوجه ينعكس على مرآة. هؤلاء الذين تلطخت حياتهم بالشهوات من المحتمل أن يستدلون على معرفة الأشياء الإلهية بواسطة التخمين العقلي؛ ولكنهم لا يستطيعون أن يُدركوا أو أن يعبروا عن مثل هذه المعرفة بأي قدر من الدقة.

١٨- الإنسان الذي تشكل فكره بالمعرفة التي تأتى بواسطة الفضائل من خلال الروح القدس يقال بأنه مختبر للأشياء الإلهية؛ لأنه لم يقتنى مثل هذه المعرفة بالطبيعة، شاكراً ببساطة لوجوده، ولكن بالنعمة، شاكراً لشركته فيها. عندما لا يتلقى إنسان معرفة بواسطة النعمة، حتى ولو كان يدعو بشيئا ما روحياً، فهو لا يعرف شخصيته[1] الحقيقية من الخبرة. لأن مجرد التعلم لا ينتج حالة من المعرفة الروحية.

١٩- الفكر الذي تطهر بالكامل بالفضائل يتلقن بطريقة آلية مبادئهم الداخلية، ويأتي إلى إظهار المعرفة الروحية في شخصيته التي طبعت بطريقة إلهية بطابعهم. لأن كل فكر في ذاته ليس له شكل وبدون أي طبيعة محددة في التعبير: وشكله الذي تم اقتناؤه، يكون إما من المعرفة التي تنهض من الفضائل من خلال الروح القدس، أو من التي للجهل، الذي يحدث من خلال الشهوات.

٢٠- كل من سقط من الحب الإلهي يتم السيطرة عليه بواسطة الناموس الجسدي من خلال اللذة الحسية، ولا يستطيع مع مثل هذا الناموس أن يحفظ وصية إلهية واحدة، ولا حتى يتمنى أن يفعل ذلك: مفضلاً حياة اللذة على الحياة المحكومة بالفضيلة والمعاشة بروح الله، إنه يعتنق الجهل بدلاً من المعرفة.

٢١- الشخص الذي لا ينفذ بفكره إلى الجمال الإلهي والروحي الموجود في داخل حرف الناموس ينمى نزعة طبيعية لـ اللذة - بمعنى، ارتباط بالعالم ومحبة للأشياء العالمية؛ لأن هذه المعرفة لا تأتى إلا من التعبير الحرفي للناموس.

٢٢- معنى اسم مفيبوشث، «عار الفم» (ق.م. ٢صم ٤: ٤) يشير إلى انشغال الفكر بالأفكار المكرسة للعالم وللانغماس في الملذات الجسدية. عندما لا ننفذ بفكرنا إلى ما وراء الأشكال المادية التي تظهر في حرف الناموس، فإن مثل هذا الميل إلى محبة العالم ومثل هذا الانشغال بأفكار الانغماس في اللذة الحسية سوف ينميان حتماً طبقاً لميل الإرادة. لأن فكرنا سوف ينشغل بأي شيء نجذبه تجاهه.

٢٣- أو يشير أيضاً 'عار الفم' إلى ذلك الدافع الذي للفكر الذي يعطى شكل للشهوة ويشكل الجمال بطريقة تتوافق مع اللذة الحسية. لأنه بدون قوة الفكر على الاختراع لا تتخذ أي شهوة شكل. معنى اسم أخو مفيبوشث أرموني «محروم» (ق.م. ٢صم ٢١:٨)، يشير

(١) الضميرهنا عائد على الشئ الروحى الذى يدعو به - م.

إلى الدافع الفظ والقبيح والبشع الذي للشهوات؛ بينما «عار الفم» يشير إلى ذلك الدافع الذي للفكر الذي يعطى شكل للشهوة حتى يمكن لها أن تدرك بواسطة الحواس، والذي بشكل الصور العقلية يمد الشهوة بالمادة المناسبة كي تعمل عليها.

٢٤- أي أحد يؤمن بأن القرابين والأعياد والسبوت واحتفالات أول الشهر الموصوفة في الناموس قد تأسست بواسطة الله من أجل حرية مادية واسترخاء سوف يسقط بالكامل في سلطة الشهوات، وسوف يتلوث بطريقة مخزية بالأفكار المخجلة التي يثيرونها. سوف يكون في سيطرة العالم القابل للفساد ومشغولاً بأفكار الانغماس في الملذات الجسدية. مسيطراً علية بمادة وشكل الشهوات، سوف يكون غير قادراً على تَقيّيم أي شيء ما عدا ما هو خاضع للفناء.

٢٥- من يقتنع نفسه بأن انغماس الذات في الملذات المادية قد أوصى به الله في الناموس يقبل الشَرَه بفرح كأنه عطية من الله. بهذه الروح يُنمى أشكالاً من السلوك تلوث الحواس من خلال سوء الاستخدام.

٢٦- عندما تعتنق القدرة التأملية للنفس انغماس الذات في الملذات كوصية إلهية، فإنها تصنع استخدام غير طبيعي للحواس، غير سامحة لهم على الإطلاق أن يظهروا أنفسهم بما يتوافق مع الطبيعة. في هذه الظروف تلد القدرة التأملية للنفس حالة كامنة أو نشطة للشهوات. وتقبل الشَرَه كتوجيه إلهي، منمية هكذا أشكالاً من السلوك تدنس الحواس بواسطة سوء الاستخدام وتدمر المبادئ والبذار الطبيعية في الكائنات المخلوقة.

٢٧- لا أحد يستطيع أن يعتنق أصغر مبدأ أو فكر طبيعي إذا كرس نفسه فقط للنظام الحرفي الذي للناموس، حيث أن الرموز والطبيعة غير متطابقين. بسبب الاختلاف بين الرموز والطبيعة التي للكائنات المخلوقة، فإن الشخص الذي لا يصل إلى رموز الناموس يكون غير قادر على الرؤية العقلية لطبيعة الكائنات المخلوقة ولا يستطيع أن يدرك الجواهر الداخلية المغروسة فيهم بواسطة خالقهم.

٢٨- من إلهه هو بطنه ومن يفتخر بنفسه على خزيه كما ولو كان شيئاً ممتازاً (ق.م. في ٣: ١٩) يتشبث فقط بالشهوات المخجلة وكأنهم مقدسين. لذلك يتبع ما هو مؤقت فقط، أي، مادة وشكل الدوافع المنحرفة للخمس حواس. عندما تتحد الحواس بالمادة

والشكل تنتج الشهوات، قاتلة بذلك وماحية المبادئ الطبيعية. لأن الشهوة والطبيعة، طبقاً لمبدأ الوجود، لا يمكن يتعايشاً معاً بأي طريقة: مبدأ الطبيعة لا يتحد أبداً بطريقة طبيعية مع الشهوة، والشهوة لا تنشأ أبداً مع الطبيعة.

٢٩- من لا يؤمن بأن الأسفار المقدسة روحية هو غير واعي لنقصه في المعرفة الروحية، ولازال يضعف من الجوع. على وجه الدقة الجوع هو،على أية حال، حرمان من البركات التي نعرفها بالفعل من خلال الخبرة وغياب وقحط كاملين للتغذية الروحية التي تمد النفس بأسباب الحياة. فكيف، إذاً، يمكن لأحد أن يعتبر كجائع أو أن يفقد أحد فقره المدقع بالكامل فيما يتعلق بما لم يعرفه المرء أبداً بأي طريقة على الإطلاق؟

٣٠- الجائعون الحقيقيون هم المؤمنون الذين قد اقتنوا بالفعل معرفة الحق. كذلك، أيضاً، نفس كل إنسان قد هجر نعمة التأمل الروحي وأصبح عبداً للحرف والأشكال الخارجية للدين؛ لأنه لا يغذى فكره بروعة أفكاره، ولكن يُشَرّب إدراكه بالخيالات المشبوبة العاطفة التي تأتى من الجوانب المادية للرموز الكتابية.

٣١- كل أحد لا يعمل بجدية في التأمل الروحي في الكتاب المقدس قد نبذ أيضاً، مثل اليهود، كل من الناموس الطبيعي والمكتوب؛ وهو جاهل بناموس النعمة الذي يمنح التأله على هؤلاء المطيعين له. من يفهم الناموس المكتوب بأسلوب حرفي لا يغذى نفسه بالفضائل. من لا يدرك المبادئ الداخلية التي للكائنات المخلوقة يفشل في أن يتمتع بحكمة الله المتنوعة. ومن هو جاهل بالسر العظيم الذي للنعمة الجديدة لا يبتهج بالرجاء في التأله المستقبلي. وهكذا، فإن الفشل في التأمل بطريقة روحية في الناموس المكتوب ينتج قحط في الحكمة الإلهية التي يتم فهمها في الناموس الطبيعي؛ وهذا بدوره يُتبع بجهل تام بالتأله الذي يعطى بواسطة النعمة بموجب السر الجديد.

٣٢- كل فكر منح رؤية مُمَيِزة ونافذة بواسطة نعمة المسيح، يرغب دائماً ويريد وجه الرب. **وجه الرب هو تأمل حقيقي ومعرفة روحية للأشياء الإلهية التي يتم إحرازها من خلال الفضيلة. عندما يريد أحد هذا التأمل وهذه المعرفة يكتشف سبب فقره المدقع والقحط الذي هو فيه. لأنه كما أن الوجه هو الشكل المميز لكل شخص، كذلك المعرفة الروحية هي صفة مميزة خاصة لما هو إلهي. من يريد مثل هذه المعرفة يقال بأنه يريد وجه الرب. ولكن الشخص الذي يصبح جسدياً من خلال الذبائح الدموية التي**

يتم إنجازها بموجب حرف الناموس يمتلك الجهل الذي يرغبه؛ لأنه يقبل الوصايا فقط بسبب اللذة التي يعطونها للجسد ويُقصر إدراكه بطريقة حرفية على المعنى المادي الذي للكلمة المكتوبة.

٣٣- في حالة الشخص الذي يحصر نفسه في الطقس الحرفي للناموس، فإن المادة التي يحدثها هي فعل الخطيئة التي يرتكبها، بينما الشكل الذي يخترعه بصورة مادية هو موافقة الفكر على اللذات الحسية التي تجذبه لفعل الخطيئة. من يفهم الكتاب المقدس بطريقة روحية يُميت كل من: فعل الخطيئة، الذي ينسجم مع المادة، والموافقة عليها، التي تنسجم مع الشكل؛ ويُميت أيضاً سوء استخدام الحواس من أجل اللذة. إنه يفعل ذلك بواسطة الأفكار التي تلائم بالطبيعة مستوى أعلى من التأمل.

٣٤- متى تم إبطال الطقس الخارجي لحرف الناموس، مع الجهل الذي يتوافق معه، فمن الممكن عندئذٍ وضع نهاية للمادة والشكل التي نتكلم عنهما، وبالمثل أيضاً وضع نهاية للخمس طرق التي يتم بها إساءة استخدام الخمس حواس فيما يتعلق بالمادة والشكل - وبهذا أعنى الارتباط المشبوب العاطفة والغير طبيعي للحواس بالأشياء المحسوسة الخاضعة للزمن والتغيير. الناموس الروحي، أو الفكر، يدمر هذا الارتباط بواسطة المبادئ والأفكار الأعلى التي اكتشفناها في التأمل الطبيعي. بهذه الطريقة، عندما يحرز الفكر قمم ناموس التأمل الروحي، فهو يدمر خضوع الإنسان الواسع، الذي تأسس من خلال رموز الأشياء الزائلة، للإدراك الحسي وللأشكال الخارجية للأشياء.

٣٥- بدون التأمل الروحي لا يستطيع أحد أن يُقَدْر التباين بين الرموز التي يتم إظهار الناموس من خلالها والحقائق الإلهية التي تمثلها هذه الرموز. أيضاً، إذا لم يميز المرء هذا التباين من خلال مثل هذا التأمل، حارماً إدراكه الحسي من كل نفاذ إلى العالم المخفي الذي للحقائق الإلهية والحقائق العقلية، لا يشتاق أن ينفذ بفكره إلى جمالها، ولا يمكن أن يُحرَّر بالكامل من الاختلاف الخارجي الذي يوجد في الرموز. طالما إنه يتشبث بالحرف، فإن جوعه الداخلي للمعرفة الروحية لن يتم إشباعه؛ لأنه حكم على نفسه أن يتغذى مثل الحية الماكرة على الأرض - أي، على الشكل الخارجي أو الحرفي - للكتاب المقدس (ق.م. تك ٣: ١٤)، ولا يتغذى كتلميذ حقيقي للمسيح على السماء - أي، على روح ونفس الكتاب المقدس، بكلمات أخرى، على الخبز السمائي والملائكي.

أعنى هذا: إنه لا يتغذى من خلال المسيح على التأمل الروحي والمعرفة التي للأسفار المقدسة، التي يعطيها الله بشكل جبار لهؤلاء الذين يحبونه، بموجب النص: «أعطاهم خبز السماء؛ أكل الإنسان طعام الملائكة» (ق.م. مز ٧٨: ٢٤- ٢٥ س).

٣٦- تفسير الشكل الخارجي للكتاب المقدس بحسب مقاييس الإدراك الحسي يجب أن يَبْطل، لأنه يشجع بوضوح الشهوات وكذلك الميل تجاه ما هو زائل وفاني. بمعنى، إننا يجب أن نحطم نشاط الحواس المشبوب العاطفة فيما يتعلق بالأشياء المحسوسة، كتحطيم أبناء وأحفاد شاول (ق.م. ٢صم ٢١: ١-٩)؛ ويجب أن نفعل ذلك بالصعود إلى قمم التأمل الطبيعي من خلال تفسير مِستيكي للتعبيرات الإلهية، إذا أردنا بأي طريقة أن نرغب في أن نمتلئ بالنعمة الإلهية.

٣٧- عندما يتم فهم الناموس طبقاً للحرف فقط، يكون معادياً للحق، مثلما كان اليهود، ومثل كل أحد آخر يمتلك عقليتهم. لأن مثل هذا الشخص يحد قوة الناموس في الحرف فقط، ولا يتقدم إلى التأمل الطبيعي، الذي يكشف المعرفة الروحية المخفية بطريقة ميستيكية في الحرف؛ لأن هذا التأمل يتوسط بين التصوير الرمزي للحق والحق نفسه، ويقود الماهرين فيه بعيداً عن الأول وتجاه الثاني. وبالعكس، ينبذ (هذا الشخص) التأمل الطبيعي بالكامل وبذلك يمنع نفسه من الدخول إلى عالم الحقائق الإلهية. هؤلاء الذي يشتاقون باجتهاد إلى رؤية هذه الحقائق يجب بناء على ذلك أن يدمروا التفسير السطحي والسريع الزوال للناموس، الخاضع للزمن والتغيير؛ ويجب أن يفعلوا هذا بواسطة التأمل الطبيعي، بعد أن يكون قد صعدوا إلى قمم المعرفة الروحية.

٣٨- الإنسان الذي يلغى المعنى الخارجي أو الحرفي للكتاب المقدس عندما يمارس التأمل الطبيعي يدمر خضوع لذة النفس المثارة وانغماس الجسد في الملذات - المعززان بواسطة الناموس المكتوب - لعالم المادية الغير مستقر والسريع الزوال. وبهذه الطريقة يذبح فهمه للناموس المرتبط بالأرض ، كما ولو كان أبناء وأحفاد شاول. وفى نفس الوقت، من خلال التأمل الطبيعي على قمم المعرفة الروحية، يعترف علناً بخطئه في تفسيره السابق للناموس بحسب الشكل الخارجي. لأن النص، «تعلقهم أمام الرب» (ق.م. ٢صم ٢١: ٩)، يمكن أن يُفهم بمعنى: أن تجلب للنور انشغاله بحرف الناموس والضرر الذي عانى منه كنتيجة لذلك بواسطة المعرفة الروحية. هذا كي يتم إظهار أن، بفضل التأمل، قد تم قتل حرف الناموس بواسطة المعرفة الروحية.

٣٩- «الحرف يقتل» يقول الكتاب المقدس، »لكن الروح يحيى» (٢كو ٣: ٦). وبالتالي، فإن الحرف الذي طبيعته القتل يجب أن يُقتل بالروح المحيى. لأن ما هو مادي في الناموس وما هو إلهي - أعنى، الحرف والروح - لا يمكن أن يتواجدا معاً، ولا يمكن لما يدمر الحياة أن يتصالح مع ما هو بالطبيعة مانح للحياة.

٤٠- الروح يمنح الحياة، والحرف يدمرها. وهكذا فإن الحرف لا يمكن أن يعمل في نفس الوقت كالروح، بالضبط مثل أن ما يُعطى الحياة لا يمكن أن يتواجد مع ما يُدمر الحياة.

٤١- الختان، في معناه المِستيكي، هو نزع كامل لارتباط الفكر المشبوب العاطفة بكل ما يأتي للوجود بطريقة عرضية[1]. برؤية الأشياء على المستوى الطبيعي، ندرك أن إزالة خاصية مُنحت بطريقة طبيعية بواسطة الله لا تنتج الكمال. لأن الطبيعة لا تحقق الكمال عندما يتم تشويهها بواسطة المهارة البشرية، أو عندما يحرمها الناس من خلال الذكاء الزائد عن الحد من شيئاً ما قد مُنح لها بواسطة الله عند الخلق. ومن ناحية أخرى سوف ننسب للمهارة البشرية قوة لتأسيس نظام كامل للأشياء أكثر من الله، وللتشويه المبدع في الطبيعة القدرة على عمل عيوب جيدة في خليقة الله. ولكن إذا فهمنا الختان بطريقة رمزية، نعرف أننا نختن روحياً الميل المشبوب العاطفة الذي لنفسنا. بهذه الطريقة تأتى مشيئتنا إلى تناغم مع الطبيعة بعد أن تكون قد حررت الفكر من خضوعه المشبوب العاطفة للناموس الذي يحكم ميلاد الأشياء العارضة.

٤٢- عدم الختان طبيعي. كل شيء طبيعي هو عمل الخلق الإلهي وهو ممتاز: «ورأى لله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً» (تك ١: ٣١). ولكن الناموس، بمطالبته بأن الغرلة يجب أن تنزع بالختان على أساس عدم الطهارة (ق.م. تك ١٧: ١٠- ١٤)، يظهر الله كأنه يصلح عمله من خلال المهارة البشرية. إن هذه هي الطريقة الأكثر تجديفاً في النظر إلى الأشياء. حينئذٍ فمن يفسر الرموز التي يعبر بواسطتها عن الناموس في نور المعرفة التي تم إحرازها من خلال التأمل الطبيعي، يعرف أن الله لا يصحح الطبيعة بواسطة المهارة البشرية، لكن يأمرنا بأن نختن الجانب السريع التأثر من النفس وذلك كي يجعلها مطيعة للذكاء. إن هذا تم إظهاره بطريقة رمزية بلغة الجسد، ويعنى أننا يجب أن نستأصل عيوب المشيئة بواسطة المعرفة الروحية التي يتم اقتناؤها من خلال

(١) أى غير جوهرى ومؤقت - م.

الممارسة الشجاعة للفضائل. كاهن الختان يشير إلى المعرفة الروحية، والسكين التي يستخدمها هي الممارسة الشجاعة للفضائل، التي تنزع الشهوات. عندما ينتصر الروح على الحرف، فأن تقليد الناموس يبطل.

٤٣- السبت (ق.م. خر ١٦: ٢٣؛٢٠: ١٠) يشير إلى الراحة من الشهوات، ومن انجذاب الفكر تجاه طبيعة الكائنات المخلوقة. إنه يشير إلى السكون التام للشهوات، إنقطاع كامل لانجذاب الفكر تجاه الأشياء المخلوقة، ودخوله التام إلى ما هو إلهي. من يحرز هذه الحالة - على قدر ما يسمح الله - بواسطة الفضيلة والمعرفة الروحية، يجب أن لا يفكر في أي شيء مادي على الإطلاق، مثل الحطب (ق.م. عد ١٥: ٣٢)، مثل هذه الأشياء تثير الشهوات؛ ولا يجب أن يتذكر أي مبدأ طبيعي مهما كان. وإلا فسوف نثبت مثل الوثنيين أن الله يبتهج بالشهوات أو متساوي مع الطبيعة. العلم الكامل فقط هو الذي يدل عليه، وعدم المعرفة التام والمساوي يأتي بنا إلى محضره.

٤٤- إكليل الصلاح (ق.م. مز ٦٥: ١١) هو الإيمان النقي، المُزين بتعليم بليغ، مع مبادئ وأفكار روحية، كما ولو كان بأحجار ثمينة، وتوضع وكأنها على رأس الفكر التقى. أو بالأحرى، إكليل الصلاح هو كلمة الله نفسه، الذي يحيط بالفكر كما ولو كان رأس، حامياً إياه بأشكال متعددة من العناية الإلهية والحكم الإلهي - أي، بالسيادة على الشهوات التي تقع تحت سيطرتنا وبالاحتمال الصبور على تلك التي نعانيها رغماً عنا؛ وهو من يجعل هذا الفكر نفسه أكثر جمالاً بتمكينه من الشركة في نعمة التأله.

٤٥- في الفقرة السابقة قيل بأن ضبط النفس هو عمل العناية الإلهية، لأنها تنقى الشهوات التي تقع تحت سيطرة مشيئتنا. لقد قيل أيضاً بأن الاحتمال الصبور هو عمل لحكم الله، لأنه يمكننا من أن نقاوم تلك التجارب التي نعانيها رغما عنا. علاوة على ذلك، كون مثل هذا الاحتمال مأخوذ من الفلسفة العملية، فإنه يأتي بهؤلاء الذين استعبدوا في مصر الخطيئة يعبرون إلى مملكة الفضيلة.

٤٦- لم يأمر الله بالسبت، وأول الشهر والأعياد كي يتم تكريمها لأنه أراد أن يكرم الناس الأيام نفسها: هذا يمكن أن يكون مساوياً لأن يُشَّرع بواسطة الناموس بأن الناس يجب أن يعبدوا الخليقة بدلاً من الخالق (ق.م. رو ١: ٢٥)، ويجب أن يعتبروا الأيام كمُقدسين في أنفسهم وبناء على ذلك يكونوا مبجلين. ولكنه على العكس من ذلك، قد أظهر أنه هو نفسه كان مكرماً بطريقة رمزية من خلال الأيام. لأنه هو السبت،

كراحة النفس بعد إجهادها في الجسد، وكتوقف لمعاناتها في سبيل البر. إنه الفصح، كمحرر لهؤلاء الذين وقعوا في العبودية المرة التي للخطيئة. إنه يوم الخمسين، كبداية ونهاية كل الكائنات المخلوقة. وكالمبدأ الذي وُجِدت بواسطة كل الأشياء بالطبيعة. وهكذا فإن الناموس يدمر هؤلاء الذين يفهمونه بطريقة حرفية أو سطحية، قائداً إياهم إلى عبادة الخليقة بدلاً من الخالق، وأن يعتبروا الأشياء التي أتت إلى الوجود من أجل الإنسان مقدسة في ذاتها؛ لأنهم يبقون جهلاء لِما خلقوا من أجله.

٤٧- العالم هو مكان محدود ولا يمتلك سوى استقرار محدود. الزمن هو حركة محددة. ويتبع ذلك أن حركة الأشياء الحية داخل الزمن خاضعة للتغير. عندما تعبر الطبيعة إلى ما وراء المكان والزمان، بطريقة نشطة وداخلية - أي، عندما تعبر إلى ما وراء الأشياء التي تصاحب دائماً الكائن الحي، بمعنى، حالة محدودة من الاستقرار وحركة محدودة - فإنها تتحد مباشرة مع العناية الإلهية، وتجد في العناية الإلهية المبدأ الذي هو بالطبيعة بسيط، مستقر، بلا حدود وهكذا بلا حركة على الإطلاق.

٤٨- حيث أن الطبيعة توجد في العالم بطريقة مؤقتة، فإن حركتها خاضعة للتغيير بسبب الاستقرار المحدود للعالم وقابليته للتبدل والتغير والفساد من خلال مرور الوقت. عندما تأتي الطبيعة للوجود في الله من خلال الإتحاد بالذي به قد خلقت، فسوف تمتلك استقرارا دائم الحركة وشكل مستقر وغير قابل للتغيير من الحركة يتولد بطريقة أبدية حول الذي هو، واحد، وحيد، وهو هو دائماً. لقد قيل بأن هذه الحالة هي تأسيس مباشر ودائم في العلة الأولى للكائنات المخلوقة[1].

٤٩- سر يوم الخمسين هو الاتحاد المباشر للعناية الإلهية مع تلك الأشياء التي تعتني بهم. إنه إتحاد الطبيعة مع مبدأها، اللوغوس، تحت إرشاد العناية الإلهية؛ وفى هذا الإتحاد لا يوجد أدنى أثر للزمن والتوالد. أيضاً، اللوغوس هو بوقنا (ق.م. لا ٢٣: ٢٤)، الذي يجمعنا مع المعرفة الإلهية المخفية. إنه كفَّارتنا (ق.م. لا ٢٥: ٩)، حيث أنه يُكَفر عن آثامنا في شخصه عن طريق أن يصبح مثلنا، ويقدس طبيعتنا الخاطئة بعطية النعمة من خلال الروح القدس. إنه المظلة أو الخيمة (ق.م. لا ٢٣: ٤٢)، حيث إنه تحقيق ذلك الثبات، الذي يتركز به وجودنا الداخلي، الذي على صورة الله، على ما هو إلهي، وأيضاً على رابطة ضمان تحولنا إلى حالة خالدة.

---

(١) ق.م. ديوناسيوس الأريوباغي، On the celestial hierarchy.(P.G. iii, 208b).

٥٠- إذا كان الله يفرح ببساطة بالذبائح الدموية، فإن هذا سَيدُل ضمناً على أنه محكوم بالشهوة ويريد من هؤلاء الذين يقدمون ذبائح له أن يُعلوا من قيمة الشهوات؛ لأن العابد المخلص يبتهج بسرور بنفس الأشياء بالتي يبتهج بها الله الذي يعبده. ولكن الذبائح التي يتكلم عنها الكتاب المقدس هي بالأحرى ذبح الشهوات، وتقديم قوانا الطبيعة (كتقدمات). في هذه القوى، يمثل الكبش الذكاء (ق.م. لا ٥: ١٥)، الثور هو قوى الإثارة (ق.م. خر ٢٩: ٣٦)، والعنز يمثل الرغبة (ق.م. عد ١٥: ٢٧).

٥١- لم يُقصد فقط بالذبائح الروحية إماتة الشهوات، ذبحاً بـ «سيف الروح الذي هو كلمة الله» (أف ٦: ١٧)، والتفريغ المتعمد لكل حياة في الجسد، وكأنها دم؛ التعبير أيضاً يشير إلى تقديم الحالة الأخلاقية التي إكتسبناها من خلال ممارسة الفضائل، مع كل القوى الطبيعية، التي نكرسها ونقدمها لله كذبيحة محرقة كاملة، كي يتم إحراقها بنار النعمة في الروح القدس، حتى يمتلئوا بالقوة الإلهية.

٥٢- عندما يُسيطر الفهم المادي للكتاب المقدس على النفس، فإنه يقود النفس إلى نبذ المبادئ الطبيعية وذلك بإساءة استخدام قواها الطبيعية؛ وطالما هذا الفهم يحتفظ بقبضته عليها فإنه، يطرد ويتتبع ويدمر كل مثل هذه المبادئ والأفكار. لأنه يحد الناموس بالجسد فقط، ويكرم الشهوات المخجلة كشيء مقدس. ولكن الأفكار الطبيعية، التي أصبحت شجاعة من خلال ناموس الروح، تقتل الشهوات دفعة واحدة.

٥٣- بمجرد أن يمارس أحد الفضائل بذكاء حقيقي، فإنه يقتنى فهماً روحياً للكتاب المقدس. إنه يعبد الله بنشاط بالطريقة الجديدة التي للروح القدس من خلال أعلى أشكال التأمل، وليس بالطريقة القديمة للقوانين المكتوبة (ق.م. رو ٧: ٦)، التي تجعل الإنسان يفسر الناموس بطريقة سطحية وحِسّية، ومثل اليهودي يرعى الشهوات ويشجع الخطيئة.

٥٤- بمجرد أن يتوقف شخص عن تفسير الكتاب المقدس بأسلوب سطحي وحسّي، فإن فكره يعود إلى حالته الروحية الطبيعة: إنه ينجز بطريقة روحية ما نفذه اليهود بطريقة خارجية ومادية فقط، مثيرون بذلك غضب الله.

٥٥- كل فكر تم أسره بواسطة الله يقطع في نفس الوقت كل من قدرة الشهوات والحشد الغريب من الأفكار. وبالإضافة إلى هذا يضع نهاية لسوء الاستخدام الغير منضبط

للحواس. لأن الشهوات، التي يتم إخضاعها بطريقة منتصرة بواسطة أعلى أشكال التأمل، قد تم تدميرها بواسطة الرؤية السامية للطبيعة.

٥٦- قوة الخطيئة - أو بكلمات أخرى، مشيئة الجسد - قد تدمرت بنعمة المعمودية المقدسة، وبالطاعة النشطة لوصايا الله . مثل هذه الطاعة تدمر قوة الخطيئة بسيف الروح (ق.م. أف ٦: ١٧)، أي، بكشف المعرفة الإلهية بالروح القدس؛ لأن الطاعة تصيح سراً على شهوة الخطيئة كما صاح صموئيل على أجاج: «كما أثكل سيفك النساء كذلك تثكل أمك بين النساء» (١صم ١٥: ٣٣).

٥٧- باستخدامها الفكر المبهج الذي لـ اللذة كالسيف، تثكل شهوة البطنة كثير من الفضائل. وبواسطة الانغماس في الملذات تقتل بذور كبح النفس؛ ومن خلال الطمع تفسد نزاهة العدل؛ وبمحبة الذات تقطع رباط الشفقة الطبيعي. باختصار، شهوة البطنة تدمر كل زرّية الفضائل.

٥٨- شهوة البطنة تقتل كل الذرية المقدسة التي للفضائل. ولكن الشهوة نفسها تُقتل بواسطة المعرفة الروحية التي يتم اقتناؤها بنعمة الإيمان وبالطاعة للوصايا المقدسة.

٥٩- ربنا هو حقاً نور الأمم (ق.م. أش ٤٩: ٦؛ لو ٢: ٣٢): من خلال المعرفة الحقيقية يفتح أعين أذهانهم، المغلقة بواسطة ظلمة الجهل. وعلاوة على ذلك، من خلال سلوكه الإلهي قد جعل نفسه مثالاً نبيلاً للفضيلة للمؤمنين، أصبح نموذجهم ومثلهم الأعلى. بنظرنا له كمبدع لخلاصنا، نحرز الفضائل بتقليده في سلوكنا، على قدر ما يكون ذلك ممكناً لنا.

٦٠- أي أحد يكره إنسان من خلال الحسد، ويشوه سمعته بطريقة مملوءة غيرة لأنه أقوى في الجهاد من أجل الفضيلة وأغنى في المعرفة الروحية، هو مخنوق بروح رديء مثل شاول (ق.م. ١صم ١٦: ١٤): إنه لا يستطيع أن يتحمل رؤية شخص أفضل منه متمتعاً بالمجد الذي يأتي من الفضيلة والمعرفة الروحية. وهو يغتاظ بدرجة أكبر لأنه لا يستطيع أن يقتل هذا الإنسان الصالح فعلياً (ق.م. ١صم ١٨: ١٠- ١١). بالإضافة إلى، إنه غالباً ما يطرد بطريقة مُرة يوناثان المحبوب من حضرته (ق.م. ١صم ١٩: ٤-٥؛ ٢٠: ٣٠- ٣٢) - بمعنى، إنه يقمع الحكم الفطري لضميره، الذي يوبخ كراهيته الغير مبررة وبدافع محبة الحق يعدد إنجازات الإنسان الذي يكرهه.

٦١- دعنا نحن أيضاً، نلتمس من داود العقلي كي يجعل فكرنا، المسعور بالأشياء المادية، مردداً لأصداء قيثارة التأمل الروحي والمعرفة الروحية، وأن يطرد روح الشر الذي للتقلب المادي الذي يسيطر على عالم الحواس (ق.م. ١صم ١٦: ٢٣). بهذه الطريقة يمكن أن نكون قادرين على فهم الناموس بطريقة روحية ونجد المبدأ لألهى مخفياً بطريقة مِستيكية في داخله، وبذلك يصبح مصدراً دائماً للحياة الأبدية لنا.

٦٢- كل محب للخلاص هو ملتزم بالكامل إما بممارسة الفضائل أو بالحياة التأملية. لأنه بدون الفضيلة والمعرفة الروحية لا يستطيع أحد أن يحرز الخلاص بأي طريقة مهما كانت. لأن الفضيلة تحكم دوافع الجسد، لاجمة بطريقة ماهرة انجذابها تجاه السلوك الغير طبيعي بواسطة الأفكار الحسنة ؛ في حين أنه بواسطة التأمل يمسك المرء بما قد فهمه بطريقة صحيحة وقَدّره بشكل ذكى.

٦٣- حيث أن الفهم هو فكرى، وما هو مفهوم هو معقول، فإن ما هو مفهوم هو، إذا جاز التعبير، تغذية وجوهر ما يَفهم. لذلك، عندما يتم فهم الله بواسطة الكائنات الروحية - الذين هم أنفسهم فكر - ويصبح معقولاً لهم للدرجة التي يأتون فيا إلى عشرة معه، فإنه ينيرهم من داخل فكرهم من خلال فهمه وبتغذيتهم بواسطته.

٦٤- الشيء المعقول هو شيء والمُفكر فيه هو شيء أخر، الأول بمعنى ما، كما قد وضحنا بالفعل، يغذى الثاني. لأن ما يُفهم - أي المعقول - هو أسمى وبطريقة عقلية أعلى بالنسبة لما يَفهم، الذي هو مفكر. الكائنات التي تفهم مثل هذه المعقولات السامية بالفكر هي مفكرة. ما يُفهم هو معقول، وهو الذي يغذى المفكر - أو، بكلمات أخرى، يغذى الذي يَفهم.

٦٥- الحدث يحتفظ، على قدر المستطاع، بالصورة التي أخذها من علته. كل الأشياء المخلوقة هي أحداث، بينما ما أتى بهم إلى الوجود هو علّتهم. ولكن لا يوجد شبه دقيق بين العلة والحدث.

٦٦- بالرغم من أن الأحداث تحتفظ، على قدر ما يكون ذلك ممكناً، بصور عللها، فلا يوجد تشابهاً دقيقاً بين الاثنين. حيث أن العلل تفوق وتتجاوز الأحداث فيما يتعلق بشكل أصلهم. لأن ما يتعلق بالأحداث يوجد بطريقة فائقة وأساسية في عللهم[1].

---

(1) From Dionysios the Areopagite: 68, 82, 83, 85, 90 and 91 are also from Dionysios.

٦٧- الأحداث تشمل كل الأشياء المخلوقة في السماء والأرض، بينما العلل التي أتت بهم إلى الوجود هي الثلاثة أقانيم التي للثالوث القدوس. لذلك فمن الواضح إنه لا يوجد تشابه دقيق بين الاثنين.

٦٨- فكرنا يمتلك القوة على الفهم التي من خلالها يدرك الحقائق التي تدرك بالعقل؛ إنه يمتلك أيضاً القدرة على إتحاد يتجاوز طبيعته وهذا يوحده مع ما يسمو على مدى طبيعته. إنه من خلال هذا الإتحاد يتم فهم الحقائق الإلهية، ليس بواسطة قدراتنا الطبيعية، ولكن بفضل حقيقة أننا تجاوزنا أنفسنا بالكامل وأصبحنا ننتمي لله بالكامل. من الأفضل أن نكون منتميين لله من أن نكون لأنفسنا؛ لأن على هؤلاء المنتمون لله يُنعم بالعطايا الإلهية.

٦٩- عندما يريد الفكر أن يفهم شيئاً ما، فإنه ينزل من مستواه إلى مستوى التفكير. لأن التفاكير أدنى من الموضوع الذي تفهمه، حيث أنهم الواسطة التي يحدث من خلالها الفهم والإدراك؛ وهم يشتتون ويقسمون وحدة الفكر. الفكر بسيط ومتكامل، بينما التفاكير متعددة ومُشتتة: إنهم، على سبيل المثال، أشكال الفكر. لهذا السبب فإن الأشياء المفكرة - لكونها مُنحت فكراً - هي أدنى من الحقائق المعقولة التي هي مواضيع الفهم. بفضل وحدته يمتد الفكر إلى ما هو فوق مدى طبيعته ويحرز التأمل في الله. إن هذا يتم بواسطة تجاوزه كل ما ينتمي إلى عالمي المحسوس والمعقول، وحتى نشاطه الخاص؛ لأنه بذلك فقط يمكن أن يتلقى شعاع المعرفة الإلهية.

٧٠- الكائن المفكر هو الذي يعمل بشكل فكرى طبقاً لمبدئه الذي يفهمه بطريقة طبيعية بفكره. علاوة على ذلك سوف يحب ما يفهمه وبطريقة سلبية، سوف يُسحب خارجاً عن نفسه، تحت تأثير الدوافع المُثيرة، تجاه ذلك الذي يحبه؛ وهذا الدافع سوف يصبح باستمرار أكثر إلحاحاً وشدة. بهذه الطريقة لن يرتاح حتى ينغمس بالكامل في الحقيقة الكاملة لما يحب، مشمولاً بالكامل وبطريقة إرادية بكامل تلك الحقيقة، مرحباً باعتناقها المنقذ، ويتوافق بالكامل مع ما يعتنقها. على قدر ما تكون هذه الحالة سوف يرغب في أن يدركها ليس من ذاته ولكن مما يعتنقه، مثل أن يصبح الهواء منيراً بالنور أو أن يُخترق الحديد بالكامل بواسطة النار، أو أي شيء آخر من هذا القبيل.

٧١- العلاقة بين القدرة التفكيرية والحقائق المدركة بالعقل، وبين القدرات الحسية والحقائق المدركة بالحواس، هي في كل حالة قريبة للغاية. حيث أن الإنسان مكون من

نفس وجسد يحس، فهو محدود ومُعرّف وهو نفسه يفرض حدود، ويضع تعريفات بفضل التبادلية الطبيعية والمميزة التي تقع بينه وبين هذين الجانبين[1] للخليقة. وكما إنه مركب من نفس وجسد فهو محدود بطريقة أساسية بالحقائق العقلية والحسّية، بينما في نفس الوقت هو نفسه يُعرِّف هذه الحقائق من خلال قدرته على الفهم بشكل فكرى وأن يدرك بحواسه. الله، من جهة أخرى، يوجد ببساطة وبدون حدود فوق كل الحقائق المخلوقة، سواء يتم فهمها أو تم فهمها، لأن ليس له أي علاقة مع أي شيء على الإطلاق.

٧٢- كل لذة حسّية مُحرمة تأتى إلى الوجود كنتيجة للشهوة ومن خلال الإدراك الحسّي لجسم محسوس. لأن اللذة الحسّية لا شيء سوى شكل من الإحساس خُلق في القدرة الحسّية بواسطة جسماً ما يُدرك بالحواس، أو بخلاف ذلك هو شكل لنشاط حسّي عندما يتم تشغيله بواسطة الرغبة المضادة للذكاء. لأنه عندما تتحد الرغبة مع الحواس، فإنها تكون قد تغيرت إلى اللذة، مخترعة في ذاتها الشكل الذي تتخذه اللذة. وعندما تتم إثارة الحواس بواسطة رغبة، فأنهم ينتجون اللذة، مستغلين الجسم المحسوس. أدرك القديسون أن النفس تأخذ شكلاً أرضياً عندما، يتم دفعها، على خلاف الطبيعة، تجاه الأشياء المادية بواسطة الجسد؛ وبالتالي فإنهم يصممون على إعادة توجيه دوافعهم بما يتوافق مع الطبيعة تجاه الله بواسطة النفس، وأن يُكيفوا جسدهم لخدمته، مُزينينه على قدر الإمكان بصور القداسة من خلال ممارسة الفضائل.

٧٣- القديسون في نبلهم يَمُرُون من خلال دهر التجارب الحاضر هذا بالعمل بطريقة لا تفتر بما يتوافق مع الطبيعة. ومتى أدرك فكرهم الجواهر البسيطة التي للأشياء المخلوقة، فإنهم يوَحدون حواسهم معها بواسطة الذكاء؛ عندئذٍ عندما يتحرر الفكر تماماً من كل دافع تجاه الأشياء المخلوقة، ويكون في راحة حتى من نشاطه الطبيعي، فإنهم يقدمونه إلى الله. وبإتحادهم الكامل مع الله بهذه الطريقة، فإنهم يثبتون في الله من خلال الروح القدس، حيث أنهم قد لبسوا صورة السماوي بالكامل (ق.م. ١كو ١٥: ٤٩) - على قدر ما يستطيع البشر ذلك - وقد كرسوا أنفسهم لله، ساحبين الصورة الإلهية لأنفسهم، إذا سُمح بالكلام هكذا، على قدر ما يمكن لكائن أن يسحبها.

---

(١) أى الجانب المعقول والجانب المحسوس - م.

٧٤- لقد قيل لنا أن الله والإنسان هما مثال لكل منهما[1]. أن إمكانية الإنسان على أن على أن يؤله نفسه من خلال الحب من أجل الله لها صلة بأن الله أصبح إنسان من خلال الرحمة من أجل الإنسان. وظهور الإنسان من خلال الفضائل التي للإله الذي هو بالطبيعة غير مرئي له صلة بالدرجة التي يُحكم بها فكره بواسطة الله والدرجة التي يتشبع بها فكره بالمعرفة الروحية.

٧٥- الشخص الذي أمات الجوانب الأرضية من نفسه (ق.م. كو ٣: ٥)، يُخمد بالكامل مشيئة الجسد في داخله ويجحد الارتباط بهذه المشيئة التي تمزق إرباً الحب الذي ندين به لله وحده من أجل النعمة الإلهية ؛ المنزه عن كل أشكال الماديات والعالم، حتى يكون قادراً على أن يقول مثل بولس الرسول، «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟» (رو ٨: ٣٥) - مثل هذا الشخص قد أصبح، مثل ملكي صادق «بلا أب، بلا أم، بلا نسب» (عب ٧: ٣). لأنه، بسبب الإتحاد بالروح القدس الذي حدث في داخله، لا يمكن الآن أن يكون مُسيطراً عليه بواسطة الجسد أو الطبيعة.

٧٦- أنا لا أعتقد بأن نهاية هذه الحياة الحاضرة تدعى بشكل صحيح موتاً. ولكن بشكل أكثر دقة هي نجاة من الموت، وانفصال عن الفساد، وتحرر من العبودية، وانقطاع للاضطراب، وإبادة للحروب، وتبديد للظلام، وراحة من المعاناة، وهدوء للهيجان، وخسوف للعار، وهروب من الشهوات و،لكي نوجز، دمار كل الشرور. القديسون الذين حققوا هذه الأشياء من خلال الإماتة الطوعية يعيشون كغرباء ومسافرين في هذه الحياة (ق.م. عب ١١: ١٣)، محاربين بشجاعة ضد العالم والجسد والاعتداءات التي تنجم عنهم، وبعد أن يقضوا على الخداع الذي يولد من كليهما بسبب الصلة القريبة بين الحواس والأجسام المحسوسة، فإنهم يحافظون على كرامة أنفسهم غير مستعبدة.

٧٧- الطبيعة نفسها تعطى إشارات واضحة لمعرفة العناية الإلهية المغروسة فينا بطريقة طبيعية عندما تحثنا بشكل غريزي تجاه الله من خلال الصلاة في أوقات الأزمات المفاجئة، وتجعلنا نطلب منه الخلاص. لأنه عندما تمر بنا فجأةً أحداث عنيفة، فقبل التفكير في أي شيء آخر نصرخ لله بطريقة لا إرادية. كأن العناية الإلهية نفسها، بدون أي فكر واعي من جهتنا، تسحبنا لنفسها، سابقة قدرتنا العقلية ومظهرة لنا أن

(١) لأن الإنسان خُلق على مثال الله وعند التكلم على الله سواء باللاهوت الإيجابي أو السلبي يتم إستخدام المثل الإنساني لتقريب المعلومة التى يُراد معرفتها عن الله. - م.

هذا العون الإلهي أقوى من أي شيء آخر. الطبيعة لن تقودنا بطريقة غير هادفة إلى شيء لا يوجد بطريقة طبيعية. من الواضح لكل أحد أن كل ما هو طبيعي يأتي من شيء ما يبرهن على مصداقيته بقوة الحق.

٧٨- بعض الأشياء جيدة وبعضها رديئة، وهذا ينتمي إما إلى الحاضر أو المستقبل. الأشياء الجيدة المتوقعة في المستقبل تسمى رغبة، والأخرى المملوكة في الوقت الحاضر تسمى سعادة. وبطريقة عكسية، فإن الشر المتوقع في المستقبل يسمى خوف، وذلك المُختبر في الوقت الحاضر يسمى حزن. وبالتالي، فإنه بالنظر إلى الأشياء الجيدة سواء كانت بالحقيقة جيدة أو يُعتقد فيها بذلك فقط، فإن كل من السعادة والرغبة موجودين ومُلاحظين؛ ويمكن القول بالمثل على الحزن والخوف عندما تكون الأشياء الشريرة معنية. الرغبة عندما تتم تنتج سعادة، وعندما لا تُتَمَمَ تسبب الحزن.

٧٩- لقد قيل أن الحزن شرير في طبيعته ذاتها. لأنه بالرغم من أن الإنسان المنهمك في ممارسة الفضائل يحزن على الشرور التي تحدث للآخرين، فهو لا يشفق في المقام الأول باختيار متعمد ولكن كنتيجة لما يحدث من محن. المتأمل، من جهة أخرى، يبقى هادئاً تجاه مثل هذه الشرور، حيث إنه وَحّد نفسه مع الله وانفصل عن كل ما يحدث في هذه الحياة الحاضرة.

٨٠- حيث أن كل القديسين قد أدركوا حقاً الكلمة الإلهي المعصوم من الخطأ، فإنهم مروا من خلال هذه الدهر الحاضر دون أن يتركوا آثار أقدام أنفسهم على أي من المباهج التي توجد فيه. لأنهم جعلوا فكرهم متلقياً بطريقة صحيحة لأرفع المبادئ التي تتعلق بتقرب الإنسان لله، مبادئ الصلاح والحب. لقد تعلموا أن الله، تحرك بواسطة هذه المبادئ، وأنعم على الأشياء المخلوقة بالوجود ومنحهم الوجود الحسن كعطية للنعمة. إلا إنه ربما عند الإشارة إلى الله، الوحيد الثابت، يجب أن لا نتكلم عن الحركات بل المشيئة؛ لأنها مشيئة الله هي التي تحرك كل الأشياء، وتأتى بكل الأشياء إلى الوجود، وتغذى الكل بأسباب الحياة، إلا إنها لا تتحرك بأي طريقة مهما كانت.

٨١- حيث أن النفس جوهر مفكر وذكى، فهي تفهم بفكرها وتستخدم الذكاء. الفكر هو إمكانيتها الكامنة، وفعل التفكير هو فاعليتها، والمفهوم الفكري أو الصورة العقلية هي تحقيقها. لأن المفهوم الفكري يُمَيِّز إتمام فعل التفكير فيما يتعلق بكل من الموضوع

الفكري والشيء الذي يتم فهمه بطريقة فكرية: إنه يتدخل بين الاثنين ويحدد علاقتهما ببعضهما البعض. لأن النفس عندما تفهم، فإن فعل التفكير الذي لها يتوقف متى تم إدراك موضوع هذا الفعل: ما قد تم فهمة حقاً مرة والى الأبد لا يدعى بعد إمكانية النفس على فهمه. بهذه الطريقة يأتي تشكيل مفهوم فكرى بفعل التفكير إلى نهاية.

٨٢- كما أن الجهل يُميّز هؤلاء الذين ضلوا، كذلك حضور النور الروحي يسحب معا ويوحد هؤلاء الذين يُنيرهم. إنه يُكَمْلهم ويُعيدهم إلى ما هو موجود حقاً؛ محولاً إياهم عن كثرة الآراء، إنه يوّحد وجهة نظرهم - أو بأكثر دقة، خيالاتهم - إلى معرفة روحية واحدة بسيطة حقيقية ونقية، ويملأهم بنور وحيد مُوحد.

٨٣- الجميل متطابق مع الجيد، لأن كل الأشياء تبحث عن الجميل والجيد في كل فرصة، ولا يوجد أي كائن ليس له نصيب فيهم. إنهم ينتشرون في كل ما هو، رائع حقاً، مطلوب، مرغوب، مُسر، مختار ومحبوب. لا حظ كيف أن قوة الحب الإلهي - القوة المثيرة التي توجد في الجيد - قد ولدت نفس القوة المباركة التي فينا، التي من خلالها نشتاق إلى الجميل والجيد طبقاً للكلمات، «صرت لجمالها عاشقاً» (حك ٨: ٢)، و «أحببها فتصونك؛تمجدك إذا اعتنقتها» (أم ٤: ٦، ٨).

٨٤- اللاهوتيون يُسَمُون ما هو إلهي أحياناً قوة مثيرة، وأحياناً حب، وأحياناً بما هو يشتاق له ويُحب بشدة[1]. كقوة مثيرة وكحب، فإن ما هو إلهي هو عرضة للحركة؛ وكـ ما هو يُشتاق له ويحب بشدة فإنه يُحرك تجاهه كل شيء متلقي لهذه القوة والحب. كي نعبر عن ذلك بأكثر وضوحاً: ما هو إلهي نفسه هو موضوع للتحرك حيث أنه ينتج حالة داخلية من الاشتياق الشديد والحب في هؤلاء المتلقين له؛ ويحرك آخرين حيث أنه يجذب بالطبيعة رغبة هؤلاء الذين قد سُحبوا تجاهه. بكلمات أخرى إنه يحرك آخرين وهو نفسه يتحرك حيث أنه يتوق إلى أن يُتاق إليه، ويشتاق لان يُشتاق إليه، ويحب أن يُحب.

٨٥- **القوة الإلهية المثيرة تنتج أيضاً الابتهاج الغامر، ملزمة هؤلاء الذين يَحْبون: أن لا يمتلكوا أنفسهم ولكن يمتلكها هؤلاء الذين يحبونهم. إن هذا يظهر بواسطة الكائنات الأعلى من خلال عنايتهم بالأدنى، وبواسطة هؤلاء المتساوين في الكرامة من خلال**

(1) Cf. Dionysios the Areopagite, on the Divine Names iv.14 (p.G.iii.712c).

الإتحاد المتبادل، وبواسطة الكائنات الأقل من خلال التحول المقدس تجاه هؤلاء الأعلى في المرتبة. نتيجة لذلك فإن القديس بولس عندما تملكته هذه القوة الإلهية المثيرة كما كان واشترك في قوة ابتهاجها الغامر ألهِمَ كي يقول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). لقد نطق هذه الكلمات كمحب حقيقي، كما يقول هو نفسه، كإنسان خرج من نفسه إلى الله (ق.م. ٢كو ٥: ١٣)، ليس عائشاً حياته ولكن تلك التي للمحبوب، بسبب حبه الشديد له.

٨٦- يجب على المرء أيضاً أن يكون جريئاً باسم الحق بما يكفى لأن يؤكد أن علة[١] كل الأشياء أخلى ذاته في إهتمام عنايته الإلهية من أجل كل الخليقة، من خلال الجمال، والصلاح وغزارة حبه الشديد لكل شيء. بواسطة قوة النشوى الفوق جوهرية، والتقيد العجيب لو جاز التعبير بالصلاح، والحب والاشتياق، إنه يتخلى عن سموه المطلق كي يسكن في كل الأشياء في حين أنه لازال باقياً في ذاته. ومن ثم فإن هؤلاء الماهرين في الشئون الإلهية يسمونه المحب المتحمس والنموذجي، بسبب شدة اشتياقه المبارك لكل الأشياء ولأنه يُنهض الآخرين كي يقلدوا رغبته الشديدة، مظهراً نفسه كنموذج؛ لأن ما هو مرغوب فيه يستحق المحاكاة، ويليق به أن يُقلد بواسطة الكائنات التي تحت عنايته.

٨٧- الله هو المُبدء والوالد للحب والقوة المثيرة. لأنه أخرجهم من ذاته، بمعنى، إنه أتى بهم إلى عالم الأشياء المخلوقة. هذا الذي لأجله يقول الكتاب المقدس بأن «الله محبة» (١يو ٤: ١٦)، وفى مكان آخر أنه «حلاوة ورغبة» (ق.م. نش ٥: ١٦س)، اللتان تشيران إلى القوة المُثيرة. لأن ما هو مستحق للحب ومرغوب حقاً هو الله نفسه. لأن رغبة الحب التي تدفقت منه، هو نفسه، كوالد، يقال بأنها في حركة، في حين أنه يدفع إلى الحركة الأشياء تعود إليه والتي تمتلك القوة على الرغبة كلٌ على حسب الدرجة التي تتناسب معه، لأنه هو ما يُشتاق إليه حقاً، ويُحب، ويُرغب، ويُختار.

٨٨- يجب أن تفهم أن الله يُحفز ويُغرى كي يُحدث إتحاداً رائعاً بالروح القدس؛ بمعنى، إنه الوسيط بين الاثنين في هذا الإتحاد، الذي يأتي بالأطراف معاً، حتى يمكن أن يكون مرغوباً ومحبوباً من خليقته. الله يُحفز بأن يدفع كل كائن، طبقاً لمبادئه الخاصة، كي يعود إليه. حتى لو كانت الكلمة «إغراء» تشير إلى شيئاً ما غير طاهر لمن هو دنيوي، ولكنها هنا بمعنى التوسط الذي يؤدى إلى الإتحاد بالله.

(١) أى الله – م.

٨٩- الدوافع المثيرة للصالح، التي توجد مسبقاً في الصالح (أي الله)، هي بسيطة وذاتية الحركة؛ إنها تنبع من الصالح، وتعود ثانية إلى الصالح، حيث إنها بدون نهاية ولا بداية. هذا الذي لأجله نرغب دائماً في ما هو إلهي والإتحاد مع ما هو إلهي. لأن الاتحاد المحب بالله يفوق ويمتاز عن كل أنواع الإتحاد الأخرى.

٩٠- يجب أن ننظر إلى القوة المثيرة، سواء كانت إلهية، أو ملائكية أو عقلية أو نفسية أو فيزيائية، على إنها قوة موحدة وجامعة. إنها تلزم الكائنات الأعلى بالاهتمام بالكائنات الأدنى منهم، والكائنات المتساوية في الكرامة أن يتصرفوا بطريقة تبادلية، وأخيراً، الكائنات الأدنى أن يعودوا إلى هؤلاء الأعلى والأكثر امتيازا منهم.

٩١- المعرفة الروحية توحّد العارف بالمعروف، في حين أن الجهل يكون دائماً سبباً في التغيير والانقسام الذاتي للجاهل. ومن ثم، فإن لا شيء، بحسب الكتاب المقدس، سوف يُحرك من يؤمن حقاً على أساس إيمانه الحقيقي، الذي يُكَون ثبات وحدة غير متحولة أو متغيرة. لأن من قد اتحد مع الحق له تأمين بأن كل شيء سيكون حسناً معه، حتى لو وبخه معظم الناس لأنه بدون عقل. لأنه انتقل دون أن يلاحظوا من الضلال إلى حق الإيمان الحقيقي؛ ويعرف بالتأكيد إنه ليس مخبول، كما يقولون، ولكن أنه من خلال الحق - البسيط وهو ذاته دائماً بدون تغيير - قد تحرر من تقلب وتردد الأشكال العديدة التي للوهم.

٩٢- القديسون مملئون من الصلاح، الشفقة، العطف والرحمة. إنهم يظهرون نفس الحب لكل الجنس البشرى. بسبب ذلك اعتصموا طوال حياتهم بأعلى كل البركات، التواضع، الذي يحفظ البركات الأخرى ويُدمر مقاوميهم. لذلك أصبحوا مُحصنين بالكامل من التجارب والمحن المزعجة، سواء تلك التي بسببنا وتخضع لإرادتنا، أو التي ليست منا وخارج نطاق سيطرتنا. إنهم يشلّون هجمات النوع الأول من خلال ضبط النفس، ويصدون هجمات النوع الثاني بالاحتمال الصبور.

٩٣- الممارسة التامة للفضيلة تنتج بواسطة إيمان حقيقي ومخافة صادقة لله. التأملات السديدة في طريق الارتقاء الروحي تنتج بواسطة رجاء أكيد وفهم سليم. والتأله من خلال الارتقاء إلى ما هو إلهي ينتج بواسطة الحب التام وفكراً معمياً بشكل إرادي، بسبب حالته المتجاوزة، للأشياء المخلوقة.

٩٤- وظيفة الفلسفة العملية هي أن تنقى الفكر من كل خيال مشبوب العاطفة. وظيفة التأمل الطبيعي هي إدخال الفكر في المعرفة الحقيقية التي توجد في الأشياء المخلوقة والتي بموجبها يمتلكون وجوداً. وظيفة اللاهوت المستيكي هي أن يجعل الفكر بالنعمة على مثال الله وملائما له - على قدر ما يكون ذلك ممكن - حتى يصبح بذلك غير واعياً بالكامل بأي شيء بعد الله، بسبب حالته المتجاوزة (للأشياء المخلوقة).

٩٥- الأثير أو العنصر الناري، في عالم الحواس يقابل الفهم في عالم العقل - وهى حالة تنير وتظهر المبادئ الروحية الخاصة بكل كائن مخلوق، كاشفة من خلال هذه المبادئ العلة[1] (الأولى) الحاضر فيهم جميعاً، مشجعة رغبة النفس في الإلهيات. الهواء في عالم الحواس يقابل الشجاعة في عالم العقل - وهى حالة تثير، وتغذى وتنشط هذه الحياة الروحية الفطرية، وتقوى اشتياق النفس الذي لا ينقطع للإلهيات. الماء في عالم الحواس يقابل ضبط النفس في عالم العقل - وهى حالة تنتج خصوبة منشطة في الروح وتوُلّد فتنة مثيرة دائمة النشاط تجذب النفس إلى الإلهيات. التراب في عالم الحواس يقابل العدل في عالم العقل - وهى حالة تلد كل المبادئ الداخلية التي للأشياء المخلوقة طبقاً لنوعهم، وهى أن توزع في الروح عطايا الحياة لكل شيء بطريقة متساوية، وأن يثبت ويتأسس بشكل راسخ باختياره الحر في الجمال والصلاح.

٩٦- عندما ينشط الجسد[2] ويزدهر، فإن النفس تُحزَن وتَظلَّم بواسطة الشهوات، لأن حالة الفضيلة والاستنارة التي للمعرفة الروحية تنسحب. وبالعكس، عندما تكون النفس محصنة وتصبح متألقة بالجمال الإلهي الذي للفضيلة وبالاستنارة التي للمعرفة الروحية، فإن الإنسان الخارجي يُضْعف، لأن الجسد يفقد قوته الطبيعية من خلال سكنى اللوغوس.

٩٧- الإنسان المخلوق لا يمكن أن يكون إبناً لله وإله بالنعمة، إلا إذا وُلِدَ أولاً باختياره الحر بالروح القدس بواسطة حب النفس[3] والقوة المستقلة التي تسكن فيه طبيعياً. الإنسان الأول تجاهل هذه الولادة المُقدسة والغير مادية باختياره ما هو ظاهر ومبهج للحواس مفضلاً إياه على البركات الروحية التي لم تكن قد كُشف عنها بعد. بهذه الطريقة حكم على نفسه عن استحقاق بالتوالد الجسدي الذي بلا اختيار، المادي والخاضع للموت.

---

(١) أى الله - م.

(٢) أى الإنسان العتيق وشهواته - م.

(٣) المحبة النافعة التى تؤدى الى خلاصها (يو ١٢: ٢٥) - م.

٩٨- الإنسان في حالته الحاضرة يتصرف إما بأن يشبع رغبات الخيالات الجامحة التي للشهوات المثارة بطريقة مخادعة من أجل انغماس النفس في الملذات، أو يؤدى عملاً أجبر علية بواسطة بعض الضروريات، أو لكي يكتشف النواميس الطبيعية التي للطبيعة. في البدء لم يقيد أي من هذه الأشياء الإنسان بهذه الطريقة، لأنه كان فوق كل الأشياء. هذا حقاً هو كيف كان صواباً للإنسان الأول أن لا يكون: مشتتاً بأي شكل من الأشكال بأي شيء أدنى منه، أو حوله، أو ضده، ومتطلباً فقط شيئاً واحداً لكماله - كفاح لا يُقهر، مدعوماً بكل قوة حبه، تجاه الله الأعلى منه.

٩٩- كان لا يجب أن يكون هناك أي شيء إذا تم معرفته يضع نفسه بين الله والإنسان الأول، معرقلاً العلاقة الحرة التي كان يجب أن تُختم بالحب من خلال سعيه نحو الله. لكونه متحرراً من الأهواء بالنعمة، لم يكن خاضعاً للخيالات المُضلة التي للشهوات المُثارة بالرغبة في اللذة الحسية. لكونه مكتفياً بذاته، كان حراً من الاحتياجات التي تدفعه إلى الاشتغال بعمل ما. لكونه حكيماً، امتلك المعرفة الروحية التي جعلته جديراً بدراسة الطبيعة.

١٠٠- الله، الذي خلق كل طبيعة بالحكمة وزرع سراً في كل كائن عاقل معرفته كقوته الأولى، ومثل السيد الكريم أعطى لنا أيضاً نحن البشر رغبة طبيعة واشتياق له، موحداً إياهما مع ذكائنا بطريقة طبيعية. باستخدام ذكائنا، فنحن نجاهد كي نتعلم بهدوء وبدون أن نضل كيف ندرك هذه الرغبة الطبيعية. ونحن مدفوعين بها نقاد للبحث عن الحق، والحكمة والنظام الظاهر بطريقة منسجمة في كل الخليقة، مرتقيين من خلالهم كي نقتنى الذي بنعمته أخذنا الرغبة.

في الصلاة الربانية
On the Lord's Prayer

تفسير مختصر مرسل إلى مسيحي ورع
A SHORT INTERPRETATION ADDRESSED TO A DEVOUT CHRISTIAN

لقد استقبلتك أنت شخصياً يا سيدي عندما استلمت خطاباتك المُلهمة، إنك حقاً حاضراً دائماً بالروح ولا يمكن أن يُحتمل أن تكون غائباً. ولكن، بإتباع مثال الله، فأنك في صلاحك استغليت الفرصة التي أعطاها الله لك كي تتصل بخدامك. لقد أعجبت بشدة بإتضاع ذاتك، وخُلطت خوفي منك بالمودة، ومن كلاهما شكلت حباً تأسس على الاحترام والنية الحسنة. لقد مزجت بين الاثنين لأن الخوف، المجرد من المودة، يتحول إلى كراهية، و المودة، المجردة من الخوف، تنقلب إلى ألفة أكثر من اللازم. بهذه الطريقة، يصبح الحب ناموس داخلي للرقة، مستوعباً كل شيء بطريقة طبيعية على أنه قريب له، مسيطراً على الكراهية من خلال النية الحسنة، والألفة الأكثر من اللازم من خلال الاحترام.

داود المرنم يقول، «خوف الرب نقى ثابت إلى الأبد» (مز ١٩: ٩)، لأنه يعرف أن الخوف هو الأول من بين كل الأشياء في القدرة على حفظ الحب الإلهي. إنه يُدرك أن مثل هذا الخوف مختلف تماماً عن الخوف من العقاب على الجرائم. هذا النوع الثاني من الخوف يُطرد ويتدمر حقاً من الحب، كما أوضح يوحنا الإنجيلي عندما كتب، «المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج» (١يو ٤: ١٨). ولكن الخوف الذي يتكلم عنه داود هو تعبير طبيعي لناموس الرقة الحقيقية؛ ومن خلال هذا الخوف يحفظ القديسون قاعدة وممارسة الحب، لكل من الله ولبعضهم البعض.

وهكذا، كما قلت، أنا أيضاً خلطت خوفي منك، يا سيدي، بالمودة وحفظت ناموس المحبة هذا إلى الآن. لقد أحجمت عن الكتابة حتى الآن من خلال الاحترام، لأنني لم أشاء أن أفتح الباب إلى الألفة الأكثر من اللازم؛ ولكن الآن قد أرغمت أن أكتب من خلال النية الحسنة، لئلا يُفسر فشلي في أن أفعل ذلك على أنه كراهية. وبذلك، وبحسب ما طُلبَ، كتبت، ليس ما أظنه - لأنه، كما يقول الكتاب المقدس، «إن أفكار البشر ذات أحجام وبصائرنا غير راسخة» (حك ٩: ١٤) - ولكن ما يشاءه الله ويمنحه بالنعمة يأتي منه الخير؛ لأن «مشورة

الرب تثبت إلى الأبد» يقول داود، «وأفكار قلبه من جيل إلى جيل» (مز٣٣: ١١). ربما تكون مشورة الله الآب التي يُشير إليها داود هنا هي إخلاء الذات الغير مدرك الذي للابن الوحيد الذي قام به من أجل تأليه طبيعتنا، والذي وضع به حداً للدهور؛ وربما تكون أفكار قلبه هي مبادئ العناية الإلهية والحكم التي بحكمة يُنظم بها حياتنا الحالية والمستقبلية كما ولو كانتا أجيالاً منفصلة، مُعيناً لكل منهما شكل النشاط المناسب.

إذا كان هدف المشورة الإلهية هو تأليه طبيعتنا، وغاية الأفكار الإلهية هي إمداد حياتنا بالمتطلبات الأساسية، فبناء على ذلك يجب أن نعرف وننفذ قوة الصلاة الربانية، والكتابة عنها بطريقة لائقة. وحيث أنك، يا سيدي، بكتابتك لي أنا خادمك، قد أُلهمت من الله أن تذكر هذه الصلاة على وجه التحديد، فعلى وجه الضرورة أن تكون هي موضوع كلماتي أيضاً؛ لهذا السبب أتضرع إلى الرب، الذي علمنا هذه الصلاة، أن يفتح فكرى لكي يفهم الأسرار التي تحويها، وأن يعطيني كلمات مناسبة لمهمة شرح ما فهمته. هذه الصلاة تحتوى على كل الهدف والغاية التي تكلمنا عنها بطريقة مخفية في نطاق محدود؛ أو، بالأحرى، تعلن صراحةَ الهدف والغاية لهؤلاء الذين فكرهم قوى بما فيه الكفاية على فهمهما. الصلاة تتضمن توسلات من أجل كل شيء أنجزه اللوغوس الإلهي من خلال إخلاءه لذاته في التجسد، وهى تعلمنا أن نجاهد من أجل هذه البركات التي واهبها الحقيقي هو الله الآب وحده من خلال التوسط الطبيعي للابن والروح القدس. لأن الرب يسوع هو وسيط بين الله والناس، كما يقول الرسول المقدس (ق.م. ١تى ٢: ٥)، حيث إنه يجعل الآب الغير معروف يظهر للناس من خلال الجسد[١]، ويعطى هؤلاء الذين قد تصالحوا معه مدخلًا إلى الآب من خلال الروح القدس (ق.م. أف ٢: ١٨). لقد أصبح الذي بلا تغيير إنساناً لحسابهم ومن أجلهم، وهو الآن المُبدع والمُعلم لكثير جداً من مثل هذه الإسرار العظيمة التي تسموا على فهمنا حتى الآن.

وفى هذه الأسرار التي أنعم بها على الناس في كرمه الغير محدود، يوجد سبعة أكثر أهمية بصفة عامة؛ وفيها، كما قلت، تكمن قوته مخفية في الصلاة الربانية. هذه السبعة هي اللاهوت، التبني كأبناء بالنعمة، المساواة بالملائكة، الاشتراك في الحياة الأبدية، عودة الطبيعة البشرية إلى وضعها عند مصالحتها مع نفسها بشكل خالي من الأهواء، إبطال ناموس الخطيئة، وتدمير الطغيان الذي يمسكنا بقوته من خلال خداع الشرير.

---

(١) «الذى رآنى فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩) – م.

دعنا نُفتش عن الحق فيما قلناه. اللاهوت يعلمنا من خلال كلمة الله المتجسد، حيث أنه أعلن في نفسه الآب والروح القدس. لأن كل الآب وكل الروح القدس كانا حاضرين جوهرياً وبالكمال في كل الابن المتجسد. هم أنفسهم لم يصبحوا متجسدين، ولكن الآب وافق والروح القدس تعاون عندما نفذ الابن نفسه تجسده. في التجسد حفظ اللوغوس فكره وحياته سليمين: لم يُدرك في الجوهر بأي كائن آخر مهما كان باستثناء الآب والروح القدس، ولكن في حبه للناس اتحد إقنومياً بالجسد.

اللوغوس ينعم علينا بالتبني عندما يمنحنا هذا الميلاد والتأله ، الذي يتجاوز الطبيعة، ويأتي بواسطة نعمة من الأعالي من خلال الروح القدس. صيانة وحفظ هذا في الله يعتمد على عزم هؤلاء الذين يولدون هكذا: في قبولهم الصادق للنعمة المنعم بها عليهم، ومن خلال تطبيق الوصايا، وفى رعايتهم للجمال المعطى لهم بالنعمة. وعلاوة على ذلك، فبواسطة تفريغهم لأنفسهم من الشهوات فإنهم يمسكون بالإلهي بنفس الدرجة التي بها يخلى ذاته عمداً من مجده الفائق، كلمة الله (الذى) أصبح بالحقيقة إنساناً.

اللوغوس جعل الناس مساويين للملائكة. عاملاً ليس فقط «الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السماوات» (كو ١: ٢٠)، والحد من أهمية القوات المعادية التي تملأ المنطقة المتوسطة بين السماء والأرض، جاعلاً بتلك الوسيلة الاجتماع البهيج للقوات الأرضية والسماوية تجمعاً وحيداً لتوزيعه الهبات الإلهية، مع الجنس البشرى منضمين بفرح للقوات التي في الأعالي بتسبيح جماعي لمجد الله؛ ولكن أيضاً، بعد إتمام الهدف الإلهي الذي باشره لأجلنا، عندما رفع إلى أعلى بالجسد، وحد السماء والأرض في نفسه، جامعاً ما هو محسوس مع ما هو معقول، وأظهر الخليقة ككل واحد طرفاه مربوطان معاً من خلال الفضيلة ومن خلال المعرفة بعلتهم الأولى. أعتقد، إنه يُظهر من خلال ما أتمه مستيكيا، أن اللوغوس يوحد ما هو متباعد ومتنافر من خلال ما يفصله اللوغوس من ما هو موحد. لنتعلم، إذاً، أن نجاهد على مثال اللوغوس من خلال ممارسة الفضائل، حتى يمكن أن نتوحد ليس فقط مع الملائكة من خلال الفضيلة ولكن مع الله أيضاً بمعرفة روحية من خلال الانفصال عن الأشياء المخلوقة.

اللوغوس يمكننا من الشركة في الحياة الإلهية بجعل نفسه طعامنا، بطريقة مفهومة منه هو نفسه، ومن هؤلاء الذين قد تلقوا منه إدراكاً عقلياً من هذا النوع. إنه بتذوق هذا الطعام يصبحون واعيين حقاً بأن الرب مملوء بالقوة المؤثرة (ق.م. مز ٣٤: ٨). لأنه يحول بلاهوته

هؤلاء الذين يأكلونه مُحدثاً تألههم، حيث أنه خبز الحياة والقوة في كل من الاسم والواقع.

إنه يُعيد الطبيعة البشرية إلى نفسها. أولاً، أصبح إنساناً وحفظ مشيئته خالية من الأهواء وخالية من التمرد على الطبيعة، حتى إنها لم تتردد في أصغر حركة طبيعية لها حتى فيما يتعلق بهؤلاء الذين صلبوه؛ بل بالعكس، اختارت الموت من أجلهم بدلاً من الحياة، مما يدل على أن الطابع التطوعي لآلامه، متأصلاً كما هو في حبه للجنس البشرى. ثانياً، بتسميره صك خطايانا على الصليب (ق.م. كو ٢: ١٤)، فقد محا العداوة التي قادت الطبيعة لشن حرب شعواء ضد نفسها؛ وبجمعه هؤلاء البعيدين والقريبين - أي، هؤلاء الذين تحت الناموس وهؤلاء الذين خارجه - وبكسره الحاجز المتوسط المعرقل - أي، بشرحه لناموس الوصايا في تعليمه لكل من هاتين الفئتين من البشر - لقد شكل الاثنين إلى إنسان واحد، صانعاً سلاماً ومصالحاً إيانا من خلال نفسه مع الآب ومع بعضنا البعض (ق.م. أف ٢: ١٤- ١٦): لم تعد مشيئتنا مضادة لمبدأ الطبيعة، ولكننا نلتحم بها بدون انحراف لا في المشيئة ولا في الطبيعة.

اللوغوس يطهر الطبيعة البشرية من ناموس الخطيئة بعدم سماحه لتجسده من أجلنا أن يكون مسبوقاً باللذة الحسية. لأن الحبل به حدث بطريقة معجزية بدون بذرة، وميلاده (حدث) بشكل يفوق الطبيعة دون أن تفقد أمه عذريتها. بمعنى، عندما ولِدَ الله من أمهِ، من خلال ميلاده حفظ عذريتها بطريقة تفوق الطبيعة؛ وفى هؤلاء الذين يريدونه فإنه يحرر كل الطبيعة البشرية من الحكم المضاد الذي للناموس الذي يسيطر عليها، على قدر ما يقلدون موته الذي أختاره بنفسه بواسطة إماتة الجوانب الأرضية التي في أنفسهم (ق.م. كو ٣: ٥). لأن سرْ الخلاص هو لهؤلاء الذين يختارونه، وليس لهؤلاء الذين يُرغمون عليه بالقوة.

اللوغوس يدمر طغيان الشرير، الذي يُسيطر علينا من خلال الخداع، باستخدامه بانتصار الجسد الذي هُزم في أدم كسلاح، وبهذه الطريقة يُظهر إن ما كان مأسوراً من قبل وأصبح خاضعاً للموت أسر الآسر: إنه يدمر حياة الآسر بواسطة موتاً طبيعياً ويصبح سماً بالنسبة له، جاعلاً إياه يتقيأ كل هؤلاء الذين كان قدراً على ابتلاعهم لأنه كان له قوة الموت. ولكن بالنسبة للجنس البشرى أصبح حياة، مثل خميرة في العجين تلزم كل الطبيعة أن تنهض مثل العجين في قيامة الحياة (ق.م. ١كو ٥: ٦- ٧). لقد أصبح اللوغوس الذي هو الله إنساناً لكي يمنحنا الله هذه الحياة - إنه حقاً شيئاً لم يُسمع به (من قبل) - وقبل طواعية موت الجسد.

الصلاة الربانية، كما قلت، تحتوى على طِلبات لكل من هذه الأشياء. أولاً، إنها تذكر الآب، واسمه، وملكوته. ثانياً، إنها تظهر لنا أن الشخص الذي يصلى هو إبناً بالنعمة لهذا الآب. إنها تطلب أن يكون الذين في السماء والذين على الأرض متحدين في مشيئة واحدة. إنها تخبرنا بأن نسأل من أجل خبزنا اليومي. إنها تنص على أن الناس يجب أن يتصالحوا مع بعضهم البعض وتوحد طبيعتنا مع نفسها عندما نغفر ويُغفر لنا، لأنها عندئذ لن تكون ممزقة إرباً بواسطة اختلاف المشيئة والهدف. إنها تعلمنا أن نصلى كي لا ندخل في تجربة، حيث أن هذا هو ناموس الخطيئة، وتحثنا على أن نطلب النجاة من الشرير، لأن مبدع ومعطى البركات الإلهية لا يمكن أن يكون إلا معلمنا أيضاً، مانحاً كلمات هذه الصلاة كتعاليم للحياة لهؤلاء التلاميذ الذين يؤمنون به ويتبعون الطريق الذي علمه في الجسد. لقد كشف من خلال هذه الكلمات كنوز الحكمة والمعرفة المخفيتين (ق.م. كو ٢: ٣) وذلك بشكل نقى مثل الذي فيه؛ ويشعل في كل من يقدم هذه الصلاة الرغبة في التمتع بمثل هذه الكنوز.

لهذا السبب، أعتقد، أن الكتاب المقدس يدعو هذا التعليم 'صلاة'، حيث أنها تحتوى على طلبات للعطايا التي يعطيها الله للناس بالنعمة. أبائنا المُلهمون إلَهياً قد شرحوا الصلاة بطريقة بسيطة، قائلين أن الصلاة تضرع لما يعطيه الله طبيعيا للناس بأسلوب لائق به، بينما النذر، بطريقة عكسية، هو وعد بما يعزم عليه الناس الذين يعبدون الله لتقديمه بصدق لله. الآباء استشهدوا بكثير من نصوص الكتاب المقدس التي تشير إلى النذور ليشرحوا هذا الفرق مثل، «أوف نذورك للرب إلهنا وتممهم» (مز ٧٦: ١١ س)، و«سأوفيك يا رب بما نذرته» (يو ٢: ١٠ س). وفى موضوع الصلاة يقتبسون نصوص مثل «صلت حنه للرب، قائلة، يا رب القوات، إذا أردت فإنك تسمع حقاً لأمتك وتعطيني ابنا» (ق.م. ١صم ١: ١١)، و«حزقيا ملك يهوذا وأشعياء ابن آموس النبي صليا للرب» (ق.م. ٢أخ ٣٢: ٢٠)، وصلوا «هكذا: أبانا الذي في السموات» (مت ٦: ٩)، كما قال الرب لتلاميذه. وبالتالي فالنذر هو قرار لحفظ الوصايا، يتمم بواسطة وعد من جهة الشخص الذي يقوم بالنذر؛ والصلاة هي تضرع بواسطة شخص قد حفظ[1] الوصايا حتى يمكن أن يتغير بواسطة الوصايا التي حفظها. أو، بالأحرى، النذر هو مسابقة من أجل الفضيلة يرحب به الله كثيراً متى قدم له؛ والصلاة هي جائزة الفضيلة التي يعطيها الله بسعادة عند الفوز بالمسابقة.

عندئذٍ، حيث أن الصلاة هي توسل للبركات التي تعطى بواسطة اللوغوس المتجسد، فدعنا نجعله معلمنا في الصلاة. وعندما نكون قد تأملنا معنى كل كلمة بقدر ما نستطيع من

---

(١) حفظ الوصايا بمعنى الإلتزام بها وتنفيذها – م.

اهتمام، لنبدأ فيها بثقة؛ لأن اللوغوس نفسه يعطينا القدرة على فهم ما يقول بطريقة هي الأفضل لنا.

«أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك» (مت ٦: ٩- ١٠). من المناسب في البداية أن الرب يجب أن يعلم هؤلاء الذين يصلون أن يبدءوا باللاهوت، ويجب أن يُدخلهم في شكل وجوده هو الذي بالجوهر العلة الخالقة لكل الأشياء. لأن الكلمات الافتتاحية تحتوى على كشف للآب، وعلى أسم الآب، وملكوت الآب، حتى إنه من هذه البداية يمكن أن نتعلم أن نوقر، ونتوسل ونعبد الثالوث في وحدة، لأن اسم الله الآب يوجد في شكل جوهري كالروح القدس: ما يسميه متى «ملكوت» في هذا السياق يسميه البعض بـ «الروح القدس»، قائلين «ليأت الروح القدس ويطهرنا»[1] لأن اسم الآب ليس شيئاً ما قد اقتناه، ولا الملكوت شرف نسب إليه: لا بداية له حتى إنه في لحظة معينة يبدأ يكون فيها آب أو ملك، ولكنه أزلي وبذلك فهو آب وملك أزلي. فلا معنى على الإطلاق، بناء على ذلك، إن يكون قد بدأ أن يوجد أو بدأ يوجد كآب أو ملك. وإذا كان يوجد أزلياً، ليس فقط إنه آب وملك ولكن الابن والروح القدس أيضاً لهم وجود مشترك أزلي معه بشكل جوهري، أخذين وجودهم منه وملازمين فيه بالطبيعة بطريقة تفوق أي سبب أو مبدأ: إنهما ليسا تاليين له، ولا أتيا إلى الوجود بعده بطريقة عرضية. علاقة الوحدة بين الأقانيم تشمل ثلاثتهم في نفس الوقت غير سامحة لأي من الثلاثة أن يُعتبر كسابق أو تالي للآخرين.

في بداية هذه الصلاة، نحن نكرم الثالوث الواحد في الجوهر كعلة خالقة لمجيئنا إلى الوجود. ثانيا، نتعلم أن نعلن نعمة التبني التي لنا، حيث أننا قد وُجِدْنا مستحقين أن نخاطب خالقنا بالطبيعة كأب لنا بالنعمة. وهكذا، فتبجيلنا لقب والدنا بالنعمة، هو أن نجاهد كي نطبع صفات خالقنا على حياتنا، مقدسين اسمه على الأرض، ناقلين صفاته كأب لنا، مظهرين أنفسنا كأبناء له من خلال أفعالنا، وممجدين واهب هذا التبني من خلال كل ما نفكر فيه أو نفعله، الذي هو ابن للآب بالطبيعة.

نحن نقدس أو نبجل اسم أبانا السماوي بالنعمة عندما نميت رغبتنا في الأشياء المادية

---

(١) ق.م. لوقا ١١: ٢، حيث أن معظم المخطوطات تقرأ، كما فى متى ٦: ١٠، «ليأت ملكوتك». الإختلاف النادر المستشهد به هنا بواسطة القديس مكسيموس المعترف معروف للقديس إغريغوريوس النيصى: إنظر عمله «فى الصلاة الربانية»، عظة ٣، (P.G. xlivx, 1157c)،مترجمة بواسطة H Graef، كاتب مسيحى قديم، vol. xvili (Westmibtster, 1954).pp.

ونطهر أنفسنا من الشهوات المفسدة. لأن التقديس هو حقاً الإماتة الكاملة والتوقف الكامل عن رغبة الحواس، عندما نكون قد حققنا هذا نكون قد أسكنا التمرد الفظ الذي لقوة الإثارة التي لنا، لأن الرغبة التي تثيرها وتغريها أن تحارب من أجل لذاتها قد تم إخضاعها بالقداسة. لأن الغضب، لكونه النصير الفعال للرغبة، يتوقف بكامل إرادته عندما يرى أن الرغبة قد أميتت.

إذاً من الملائم، بعد أن تم جحد الغضب والرغبة، أن نستحضر بعد ذلك عَهد ملكوت الله الآب بالكلمات «ليأت ملكوتك» (مت ٦: ١٠)، بمعنى، «ليأت روحك القدوس»؛ لأنه بالتخلص من هذه الأشياء، فإننا نتمم الآن هيكلاً لله من خلال الروح القدس بواسطة تعليم وممارسة الوداعة. «لأنه في مَن أستريح» يقول الكتاب المقدس، «سوى في من هو وديع ومتواضع؟» (ق.م. أش ٦٦: ٢). من الواضح في هذا أن ملكوت الله الآب هو للمتضع والوديع. لأنه «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (مت ٥: ٥). ليست هذه الأرض المادية، التي تحتل بالطبيعة مكاناً متوسطاً في الكون، هي التي يعد بها الله كميراث لهؤلاء الذين يحبونه - ليس، على الأقل، إذا كان يتكلم حقاً عندما يقول، «لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء» (مت ٢٢: ٣٠)، و«تعالوا إليَّ يا مباركي أبى رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم» (مت ٢٥: ٣٤)، وفى مكان آخر أيضاً لشخص آخر قد كافح بإرادة حسنه، «ادخل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥: ٢١). وبعد الرب يقول القديس بولس «سوف تبوق الأبواق وسوف يقوم أولاً الأموات في المسيح في عدم فساد؛ وبعد ذلك نحن الباقين أحياء سوف نؤخذ إلى أعلى معهم على السحاب كي نقابل الرب في الهواء؛ وبذلك سنبقى مع الرب إلى الأبد» (ق.م. ١تس ٤: ١٦- ١٧).

حيث أن هذه الأشياء قد وُعِدَ بها لهؤلاء الذين يحبون الرب، فمن هو الإنسان المدفوع بالذكاء ومتمنياً أن يستفيد منه الذي سوف يقول مطلقاً، من خلال القراءة الحرفية فقط للكتاب المقدس، أن السموات، والملكوت المعد منذ تأسيس العالم، وفرح الرب المخفي بطريقة مستيكية، والسكنى الأبدية مع الرب التي يتمتع بها القديسون، يتم تعريفها على إنها الأرض؟ أعتقد أن كلمة «الأرض» في هذا النص (مت ٥: ٥) يشير إلى التصميم والقوة اللتان للاتزان الداخلي، المتجذر بشكل ثابت في البر، الذي يمتلكه الودعاء. هذه الحالة من الاتزان توجد بطريقة أبدية مع الرب، ومتضمنة فرح دائم،يُمَكن الوديع من أن يُحرز الملكوت المعد منذ البدء، وله منزلته وكرامته في السموات. إنها تسمح للوديع أيضاً أن

يرث مبادئ الفضيلة، وكأن الفضيلة هي الأرض التي تحتل مكاناً متوسطاً في الكون. لأن الشخص الوديع يمتلك وضعاً متوسطاً بين الشرف والهوان، ويبقى حراً من الأهواء، غير منفوخاً من الأول ولا يسقط بالثاني. لأن الذكاء أسمى بالطبيعة من كل من المدح أو اللوم؛ وبذلك، عندما يتخلص من الرغبات الحسية، لن يضطرب بعد بالواحد أو بالآخر، مثبتاً كل قوة النفس في الحرية الإلهية المنيعة. يقول الرب، راغباً أن يمنح هذه الحرية لتلاميذه، «احملوا نيري عليكم وتعلموا منى لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت ١١: ٢٩). إنه يسمى عَهد ملكوت السموات «راحة» لأنها تنعم على هؤلاء الذين يستحقونها سيادة خالية من كل عبودية.

إذا كانت القوة الغير قابلة للتدمير التي للملكوت الطاهر تُعطى للمتواضع والوديع، فأي إنسان سينقصه الحب لهذه الدرجة وليس له شهية تماما لهذه الدرجة للبركات الإلهية حتى إنه لن يرغب بأعظم درجة في التواضع والوداعة لكي يأخذ سمة الملكوت، على قدر ما يكون هذا ممكناً للناس، وأن يحمل في نفسه بالنعمة مثال روحي دقيق للمسيح، الذي هو بالطبيعة الملك العظيم الحقيقي؟ في هذا المثال، يقول القديس بولس، «ليس ذكر و أنثى»(غل ٣: ٢٨)، بمعنى، ليس هناك غضب ولا رغبة. في هذا، الأول يحرف القضاء بطريقة استبدادية ويجعل العقل يخون ناموس الطبيعة؛ بينما الثانية تزدرى بالسبب الواحد الخالي من الأهواء والطبيعي، الذي هو وحده المرغوب، في سبيل ما هو أدنى، معطيةً أفضلية للجسد عن الروح، وتسر بالأشياء المرئية أكثر من بهاء ومجد الحقائق المدركة بالعقل. بهذه الطريقة ومع فجور اللذة الحسية فأنها تضلل الفكر عن الفهم المقدس للحقائق الروحية التي تليق به.

هدفنا هو أن نجعل الذكاء يقف وحيداً، من خلال تجريده من صفات تعاطفه مع الجسد، لأن هذا التعاطف، حتى عندما يكون خالي تماماً من الأهواء، فهو لازال طبيعي. الروح المنتصرة بالكامل على الطبيعة، يجب أن تقنع الفكر أن يكف عن الفلسفة الأخلاقية لكي يكون لها شركة مع اللوغوس الفائق الجوهر من خلال تأمل مباشر غير منقطع، بالرغم من حقيقة أن الفلسفة الأخلاقية تساعد الفكر أن يقطع نفسه من الأشياء المنتمية إلى جريان الزمن ويتجاوزها. لأنه عندما يصبح الفكر حراً من الارتباط بالأشياء المحسوسة، يجب أن لا يتثقل بعد بالانشغال بالأخلاق كما برداء خشن.

إيليا يكشف بوضوح هذا السر بطريقة رمزية من خلال أفعاله (ق.م. ٢مل ٢: ١١- ١٤).

لأنه عندما حُمل إيليا عالياً أعطى أليشع رداءه، بمعنى، إماتة الجسد التي تشكل المجد الأول للسلوك الأخلاقي. لقد فعل هذا كي يأخذ أليشع دعم الروح القدس في معركته ضد القوات المعادية ولكي ينتصر على جريان وعدم استقرار الطبيعة، ممثلة في الأردن: بكلمات أخرى، لكي لا يُغمر في العكارة والوحل اللذان للارتباط بالماديات وهكذا يُمنع من العبور إلى الأرض المقدسة. وفى نفس الوقت، إيليا نفسه تقدم بحرية تجاه الله، غير مثقلاً بالارتباط بأي شيء مخلوق. ولكون رغبته غير منقسمة وإرادته غير مختلطة، فقد جعل سكناه مع من هو بسيط بالطبيعة، وحُمل إلى هناك بواسطة الفضائل الأساسية المعتمدة بعضها على بعض، رابطا بطريقة روحية كل واحدة بالأخرى مثل خيول النار.

إيليا عرف أن تلميذ المسيح يجب أن لا يكون غير متزناً في تصرفاته، لأن مثل هذا الخلل هو دليل على افتقاره للوحدة الداخلية. وهكذا فإن شهوة الرغبة تنتج انتشار الدم حول القلب، وعندما تثار قوى الإثارة تجعل الدم يغلى. من يحيا بالفعل ويتحرك ويوجد في المسيح (ق.م. أع ١٧: ٢٨) قد أبطل إنتاج ما هو غير متزن ومتفرق في نفسه: كما قلت، لا يحمل في داخله، مثل الذكر والأنثى، التصرفات المتضادة لمثل هذه الشهوات. بهذه الطريقة، لا يُستعبد الذكاء بالشهوات ولا يكون خاضعاً لتقلبهم. يحث الذكاء، الممنوح طبيعياً قداسة الصورة الإلهية، النفس أن تطابق ذاتها باختيارها الحر مع المثال الإلهي. بهذه الطريقة فإن النفس تكون قادرة على أن يكون لها نصيب في الملكوت العظيم الموجود بطريقة أساسية في الله الآب للكل، ويصبح مسكناً شفاف للروح القدس، آخذاً - إذا كان يمكن التعبير بهذه الطريقة - الإمكانية الكاملة لمعرفة الطبيعة الإلهية على قدر ما يكون هذا ممكناً. حيث تكون هذه الإمكانية سائدة، فإن إنتاج ما هو أدنى يتوقف تلقائياً وما هو أسمى فقط يتم إنتاجه؛ لأن النفس التي من خلال نعمة دعوتها تتشبه بالله تحتفظ بداخلها بجوهر البركات التي أنعم بها عليها سليمة. في أنفس مثل هذه يرغب المسيح أن يولد دائماً (بالإيمان) بطريقة مستيكية، ويصبح هؤلاء الذين أحرزوا الخلاص أعضاء فيه، ويجعل النفس التي يولد (بالإيمان) فيها أماً عذراء؛ ولكي نختصر، فإن مثل هذه النفس غير خاضعة لتصنيفات مثل ذكر وأنثى التي تمثل شيئاً خاضعاً للتوالد والفساد.

لا يُصدم أحد عندما يسمعني أتكلم عن الفساد الموروث في التوالد. لأنه عندما يختبر المرء بإنصاف وبطريقة خالية من الأهواء طبيعة الأشياء التي تأتى إلى الوجود وتتوقف عن أن توجد، فإن المرء سوف يرى بوضوح أن التوالد يبدأ في فساد وينتهي في فساد.

المسيح، وطريقة الحياة التي على مثال المسيح والفهم، كما قلت، خالون من الشهوات التي تميّز مثل هذا التوالد. على الأقل، هذا هو الحال إذا كان القديس بولس يقول الحق عندما قال أن في يسوع المسيح «ليس ذكر وأنثى» (غل ٣: ٢٨)، قاصداً بهذه المصطلحات صفات وشهوات طبيعة خاضعة للتوالد والفساد. لأن في المسيح وطريقة الحياة على مثال المسيح هناك فقط فهماً مشبعا بالمعرفة الإلهية، وسلوك وحيد للإرادة والهدف الذي يختار الفضيلة فقط.

علاوة على ذلك، في المسيح ليس هناك يوناني أو يهودي (ق.م. غل ٣: ٢٨)، وقصد بهذا الاختلاف، أو بالأحرى الآراء المتعارضة عن الله. اليوناني يؤكد على حشد من المبادئ الحاكمة ويقسم المبدأ الأساسي الواحد إلى عمليات وقوى متناقضة، مخترعاً عبادة متعددة الآلهة مليئة بالمتناقضات بسبب كثرة الأشياء التي يجب أن يوقرها، وسخيفة بسبب كثرة أشكال توقيرها. اليهودي يؤكد المبدأ الأساسي الذي، مع إنه واحد، ضيق، غير كامل، وتقريباً غير موجود، حيث أنه مجرداً من الوعي والحياة الجوهريين؛ وبذلك فهو يسقط في نفس الشر الرديء الذي يسقط فيه اليوناني لسبب مناقض، أعنى لعدم الأيمان بالله الحقيقي. لأنه يحد المبدأ الأساسي في إقنوم واحد، ذلك الواحد الذي يوجد بدون لوغوس وروح قدس، أو ذلك الذي يمتلك فقط لوغوس وروح قدس كصفات؛ لأنه يفشل في أن يدرك أي نوع من الله هذا الذي سيكون إذا جُرد من الإقنومين الآخرين، أو كيف يمكن أن يكون الله إذا تم تحديدهم على إنهم حادثين بالشركة، كما في حالة الكائنات العاقلة المخلوقة. لا اليونانى ولا اليهودى، إذاً، لهما أي موضع في المسيح على الإطلاق، يوجد فيه فقط مبدأ الدين الحقيقي والناموس الثابت الذي لـ اللاهوت المستيكي، الذي ينبذ كل من التوسع في الإلوهية، كما في تعدد الآلهة اليوناني، والانكماش في الإلوهية. كما في التوحيد اليهودي. الإلوهية بهذه الطريقة ليست مملوءة بالمتناقضات الداخلية، كما مع اليونانيين، بسبب التعدد الطبيعي، ولا ينظر إليها مجردة من اللوغوس والروح القدس، أو تمتلك فقط اللوغوس والروح القدس كصفات دون أن تكون هي نفسها عقلاً ولوغوس وروح قدس، كما يفعل اليهود، لكونها إقنوم واحد (حسب اعتقادهم).

اللاهوت المستيكي يعلمنا، أن من تبنته النعمة بالإيمان وجلبته إلى معرفة الحق، يدرك طبيعة واحدة وقوة واحدة للإلوهية، بمعنى، إله واحد يتم تأمله في الأب والابن والروح القدس. إنه يعلمنا أن نعرف الله كعقل وحيد غير مبتدأ، موجود بذاته، الوالد لـ اللوغوس

الوحيد الموجود بذاته، الغير مبتدأ، والباثق للروح القدس،الحياة الأبدية الواحدة،الموجود بذاته: ثالوث في وحدة ووحدة في ثالوث. الإلوهية ليست شيء في شيء آخر: الثالوث ليس في الوحدة مثل حدث في مادة أو العكس بالعكس، لأن الله ليس له صفات (مادية). الإلوهية ليست شيء وشيء آخر: الوحدة لا تختلف عن الثالوث بتميز الطبيعة؛ الطبيعة بسيطة وواحدة في كلاهما. وليس في الإلوهية شيء يعتمد على أو سابق لشيء آخر: الثالوث لا يتمايز عن الوحدة، أو الوحدة عن الثالوث، بقلة القوة؛ ولا تتمايز الوحدة عن الثالوث كشيئاً مشتركاً أو عاماً تم اختصاره بطريقة عقلية بحته من المفردات التي توجد فيها: إنها جوهر ذاتي الكينونة جوهرياً وقوة ذاتية الوحدة حقاً. وليس في الإلوهية شيئاً ما يأتي للوجود من خلال شيئاً آخر: لا يوجد بداخلها مثل هذه العلاقة التوسطية وتلك التي للسبب والتأثير، حيث أنها كلها تُعَرّف بنفسها وخالية من العلاقات. وليس في الإلوهية شيئاً ما يأتي من الآخر: الثالوث لا يأتي من الوحدة، حيث إنه لا يأتي من توالد وذاتي المظهر. وفى المقابل الوحدة والثالوث كلاهما مؤكدا ومفهوم حقاً كنفس الشيء، الأولى تشير إلى مبدأ الجوهر، والثاني إلى طريقة الوجود. الكل وحدة وحيدة، غير منقسمة بالأقانيم؛ والكل أيضا الثالوث الواحد، الأقانيم التي لا تتشوش بالوحدة . وهكذا فإن تعدد الآلهة لا ينتج بواسطة تقسيم الوحدة أو بعدم الإيمان بالله الحقيقي بواسطة التشوش بالأقانيم.

عندما يكون التعليم المسيحي خالياً من هذه الأخطاء فإنه يحرز عظمة حقيقية. أعنى بالتعليم المسيحي تعاليم المسيح، الإعلان الجديد للحق الذي لا يوجد فيه ذكراً ولا أنثى، بمعنى، علامات وشهوات الطبيعة البشرية عندما تخضع للولادة والانحلال؛ ولا يوناني ولا يهودي، بمعنى، الآراء المتعارضة عن الإلوهية؛ ولا غرلة ولا ختان (ق.م. كو ٣: ١١)، بمعنى، طرق العبادة المختلفة المتناسبة مع هذه الآراء، الأول يؤله الطبيعة بسبب الشهوات ويضعون المخلوق مقابل الخالق، والثاني بسبب سوء استخدام رموز الناموس يشوه سمعة الخليقة المرئية ويفتري على الخالق كمصدر للشر. كلاهما يشكلان بالتساوي إهانة للإلوهية ويقودان بالتساوي إلى الشر. ولا يوجد في التعليم المسيحي بربري ولا سكيثي، بمعنى التفتيت المتعمد في الطبيعة الواحدة للكائنات البشرية الذي جعلهم خاضعين لناموس المذابح المتبادلة الغير طبيعي؛ ولا يوجد عبد أو حر، بمعنى، تقسيم الحظوظ لنفس الطبيعة الذي يجعل شخصاً يحتقر آخر بالرغم من أن كلاهما متساوي في الكرامة بالطبيعة، والذي يشجع الناس على أن يُسيطروا على الآخرين بشكل مستبد، منتهكين بذلك

حرمة الصورة الإلهية في الإنسان. «المسيح الكل وفى الكل» (كو ٣: ١١)، مظهراً بالروح الملكوت الغير مبتدأ بواسطة ذاك الذي هو أسمى من الطبيعة والناموس.

هذا الملكوت يتميز، كما أظهرنا، بالتواضع ووداعة القلب. إنه المزيج من هاتين الصفتين الذي يؤلف كمال الشخص المخلوق بحسب المسيح. لأن كل شخص متواضع هو دائماً وديع وكل شخص وديع هو دائماً متواضع. الشخص يكون متواضع عندما يعرف أن وجوده نفسه مُعار له، ويكون وديعاً عندما يدرك كيف يستخدم القوى التي أعطيت له بطريقة تتوافق مع الطبيعة، وساحباً نشاطهم بالكامل من الحواس، وواضعاً إياهم في خدمة الذكاء كي ينتج الفضائل. بهذه الطريقة يتحرك فكره دائماً تجاه الله، بينما عندما تكون حواسه معنية فإنه لا يضطرب بأي من الأشياء التي تُحزن الجسد، ولا يدمغ نفسه بأي أثر من الحزن، الذي يعطل حالة بهجته المبدعة. لأنه لا يعتبر ما هو مؤلم في الحواس كشيئاً يمنع السعادة: إنه يعلم سعادة وحيدة، وهى زواج النفس باللوغوس. وحرمانه من هذا الزواج هو عذاب لا ينتهي، يمتد بالطبيعة في كل الدهور. بناء على ذلك فعندما يترك الجسد وكل ما يتعلق به، فهو مدفوع تجاه إتحاد مع ما هو إلهي؛ لأنه لو كان حتى سيداً على كل العالم، فسوف يظل يدرك كارثة وحيدة حقيقية: الفشل في أن يقتني بالنعمة التأله الذي يأمل فيه.

دعنا، إذاً، «نطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح» (٢كو ٧: ١)، لكي إذا ما أطفأنا رغبتنا الحسية، التي تبتهج بالشهوات بطريقة بذيئة، يمكن أن نقدس الاسم الإلهي. وبذكائنا دعنا نربط سريعاً غضبنا، المشوش والمسعور باللذة الحسية. حتى يمكن أن ننال ملكوت الله الآب، الذي يأت ألينا من خلال الوداعة.

بعد أن نكون عملنا كل هذا، يمكن أن نأتي إلى الجملة التالية في الصلاة، التي تقول، «كما في السماء كذلك على الأرض» (مت ٦: ١٠). من يعبد الرب بطريقة مستيكية بملكة الذكاء وحدها، حافظاً إياها خالية من الرغبة الحسية والغضب، يُتمم المشيئة الإلهية على الأرض مثلما تُتَمَم الأوامر إلى الملائكة في السماء. لقد أصبح في كل الأشياء مشتركاً في العبادة ورفقة المواطنة مع الملائكة، متطابقا مع عبارة القديس بولس، شفإن سيرتنا نحن هي في السموات» (في ٣: ١٠). ولا تستنزف الرغبة في الملائكة قوة الفكر من خلال اللذة الحسية، ولا الغضب يجعلهم يثورون بعنف بطريقة غير لائقة على المخلوقات رفقائهم: الذكاء فقط الذي يقود بطريقة طبيعية الكائنات العاقلة تجاه مصدر الذكاء، اللوغوس نفسه. الله يفرح

بالذكاء وحده وهذا هو ما يطلبه مننا نحن عبيده. إنه يكشف عن ذلك عندما يقول لداود «ما لي في السماء، ومعك ماذا أريد في الأرض؟» (مز ٧٣: ٢٥ س). لا شيء تقدمه الملائكة لله في السماء سوى العبادة العقلية؛ وهذا هو ما يطلبه أيضاً الله منا عندما يعلمنا أن نقول في صلاتنا، «كما في السماء كذلك على الأرض» (مت ٦: ١٠).

ليتحرك ذكائنا، إذاً، طالباً الله، ولتنهض رغبتنا في الاشتياق له، ولتجاهد قوتنا الغضبية في حراسة ارتباطنا به. أو، بأكثر دقة، دع كل فكرنا يُوجَه تجاه الله، مشدوداً بواسطة القوة الغضبية كما ولو بعصب، وملتهباً بالاشتياق بواسطة رغبتنا في أقصى حماسها. لأننا إذا قلدنا الملائكة السمائيين بهذه الطريقة، فسوف نجد أنفسنا نعبد الله دائماً، سالكين على الأرض كما تفعل الملائكة في السماء. لأن فكرنا، كما فكر الملائكة، لن ينجذب على الإطلاق بواسطة أي شيء أقل من الله.

إذا كنا نعيش بالطريقة التي تعهدنا بها، فسوف نأخذ، اللوغوس نفسه، كخبز يومي ومانح للحياة لتغذية أنفسنا وصيانة حالتنا الجيدة التي تباركنا بها؛ لأنه هو الذي قال، «أنا هو الخبز النازل من السماء ويعطى الحياة للعالم» (ق.م. يو ٦: ٣٣: ٣٥). اللوغوس سوف يكون كل شيئاً لنا نحن الذين نتغذى من خلال الفضيلة والحكمة وذلك بالتناسب مع قدرتنا؛ وبحسب حكمه الخاص سوف يكون في كل متلقي للخلاص بشكل مختلف في حين إننا لازلنا نعيش في هذا الدهر. هذا واضح في العبارة التي في الصلاة التي تقول، «خبزنا كفافنا أعطنا اليوم» (مت ٦: ١١).

أنا أؤمن بأن التعبير «اليوم» يشير إلى الدهر الحاضر. يمكن أن يقول المرء، بعد فهم أوضح لهذه الفقرة من الصلاة، «حيث أننا في هذه الحياة الحاضرة الفانية، أعطنا اليوم خبزنا اليومي الذي أعددته أصلاً للطبيعة البشرية حتى يمكن أن تصبح خالدة (ق.م. تك ٢: ٩)؛ لأنه بهذه الطريقة سوف ينتصر طعام خبز الحياة والمعرفة على الموت الذي يأت من خلال الخطيئة.» التعدي على الوصية الإلهية منع الإنسان الأول من أن يكون له نصيب في هذا الخبز (ق.م. تك ٣: ١٩). لو كان حقاً أخذ ملئه من هذا الطعام الإلهي، لما أصبح خاضعاً للموت من خلال الخطيئة.

من يصلى كي يأخذ هذا الخبز اليومي، لا يأخذه كله، على أية حال، بطريقة آلية كما في نفسه: إنه يأخذه بحسب قدرته على الاستقبال. لأن خبز الحياة يعطى نفسه في حبه لكل من يسأل، ولكنه لا يعطى للكل بنفس الطريقة، إنه يعطى بحرية لهؤلاء الذين عملوا أشياء

عظيمة، وبأكثر اقتصادا لهؤلاء الذين أنجزوا أشياء أقل، وهكذا فإنه يعطى لكل شخص بحسب القدرة على الاستقبال الذي لفكره أو فكرها.

المخلص نفسه قادني إلى هذا التفسير الذي لهذه الفقرة التي ندرسها، لأنه يأمر تلاميذه بوضوح أن لا يفكروا على الإطلاق في الطعام المحسوس، قائلاً، «لا تهتموا لحياتكم، بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون. فإن هذه كلها تطلبها الأمم، ولكن أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» (مت ٦: ٢٥، ٣٢، ٣٣). فكيف يكون هذا، أيُعلمنا أن نصلى من أجل ما يأمرنا به لا أن نسعى له؟ من الواضح أنه لا يأمرنا أن نفعل أي شيء من هذا النوع: يجب أن نطلب في الصلاة فقط من أجل أشياء قد أمرنا أن نسعى لها. إذا كان المخلص قد أمرنا أن نسعى فقط لملكوت الله وبره. فمن المؤكد عندئذٍ إنه يطلب من هؤلاء الذين يرغبون في العطايا الإلهية أن يطلبوا هذا الملكوت في صلاتهم. مظهراً بهذه الطريقة أي طلب هو المبارك بنعمته، فإنه يضم نوايا هؤلاء الذين يطلبون مع مشيئته هو الذي يمنح النعمة.

إذا كنا، على أية حال، نأخذ أيضاً هذه الفقرة بمعنى أننا يجب أن نصلى من أجل الخبز اليومي الذي يغذى الحياة الحاضرة، فلنكن حذرين أن لا نتخطى حدود الصلاة، بطريقة افتراضية أفترض بأننا سوف نحيا لعدة دورات من السنين وناسيين أننا فانيين وبأن حياتنا تعبر كالظل؛ ولكن دعنا نصلى متحررين من القلق من أجل خبز كافي ليوم في كل مرة، مظهرين هكذا كفلاسفة مسيحيين بأننا نجعل الحياة بروفة للموت، بهدف أن نسبق الطبيعة[١]، وحتى قبل أن يأتي الموت، قاطعين قلق النفس على الأشياء الجسدية. بهذه الطريقة لن تحول النفس شهيتها الطبيعية إلى أشياء مادية، ولن تربط نفسها بما هو قابل للفساد، ولن تتعلم الطمع الذي يحرمها من امتلاك غنى البركات الإلهية.

بناء على ذلك، دعنا، نتجنب بكل قوتنا محبة المادة وارتباطنا بالمادة، كما ولو إننا نغسل التراب عن أعيننا الروحية؛ ودعنا نكتفي ببساطة بما يقوت حياتنا الحالية، وليس بما يشبع رغبتها. وكما تعلمنا، دعنا نصلى لله من أجل هذا، حتى يمكن أن نحفظ نفسنا غير مستعبدة وحرة تماماً من أن يُسيطر عليها أي شيء من الأشياء المرئية المحبوبة من أجل الجسد. دعنا نظهر أننا نأكل من أجل أن نعيش، ولسنا مدانين بأننا نعيش من أجل أن

---

(١) أى نتوقع أن هذا هو آخر يوم فى حياتنا وبذلك نتدرب على هذا اليوم بعينه سابقين بذلك الطبيعة قبل أن تأتى لنا به - م.

نأكل. الحالة الأولى علامة على الذكاء، والثانية تبرهن على غيابه. ودعنا نكون دقيقين في الطريقة التي نتقيد فيها بهذه الصلاة، وبذلك نظهر من خلال أعمالنا بأننا نمسك بسرعة بالحياة الواحدة التي تعاش بالروح فقط، وبأننا نستخدم حياتنا الحاضرة لكي نقتنى هذه الحياة الروحية. نستخدمها، بمعنى، فقط بقدر ما نحن لا نرفض أن نقوت جسدنا بالخبز وأن نحافظ عليه بقدر الإمكان في حالته الطبيعة التي في صحة جيدة، هدفنا ليس هو أن نعيش فقط ولكن أن نحيا لله. لأننا نجعل الجسد، الذي عاد ذكياً بواسطة الفضائل، رسولاً للنفس، والنفس، متى تأسست بثبات في الخير، (تصبح) مبشراً بالله؛ وعلى المستوى الطبيعي نقصر صلاتنا على الخبز الذي ليوم واحد فقط، غير متجرئين على أن نمد طلبنا له لليوم الثاني لأنه هو الذي أعطانا (هذه) الصلاة. عندما نكون قد كيفنا أنفسنا هكذا لمعنى الصلاة، نستطيع أن نبدأ في النقاوة لنسأل الطلب التالي، قائلين، «واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» (مت ٦: ١٢).

بحسب التفسير الأول الذي تم اقتراحه للقسم السابق من الصلاة، فإن الكلمات «هذا اليوم» ترمز إلى الدهر الحالي؛ والشخص الذي يصلى في هذا الدهر من أجل الخبز الغير قابل للفساد الذي للحكمة، الذي قد قُطعنا منه بواسطة الخطيئة الأصلية، يبتهج من أجل شيء واحد فقط: إحراز البركات الإلهية. إنه الله الذي يمنح بالطبيعة هذه البركات، ولكن مشيئة المتلقي الحرة هي التي تحرسهم. بالمثل، مثل هذا الشخص يعرف ألم واحد فقط: الفشل في إحراز هذه البركات. إنه إبليس الذي يحض على هذا الفشل، ولكن الشخص نفسه هو الذي يجعله واقعاً، بسبب ضعف إرادته فيما يتعلق بما هو إلهي، ولأنه لا يمسك سريعاً بالعطية الثمينة التي قد صلى من أجلها. ولكن إذا كان شخصاً ما لا يهتم بأي قدر بأي شيء في العالم المرئي، وبالتالي غير مغلوب من أي أحزان جسدية، حينئذٍ مثل هذا الشخص يغفر حقاً وبطريقة خالية من الأهواء لهؤلاء الذين يأثمون ضده؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يسرق منه الخير الذي يطمح إليه والذي هو بالطبيعة حصين.

الشخص الذي من هذا النوع يجعل من نفسه مثالاً للفضيلة من أجل الله، إذا أمكن وضعها بهذه الطريقة؛ لأنه بالقول «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا»، فهو يحض الله، الذي هو أسمى من أن يقلد أحد، أن يأتي ويقلده؛ وهو يتوسل لله أن يعامله كما هو نفسه يعامل جاره. لأنه يأمل في أن يُغفر له الله كما غفر هو نفسه ذنوب هؤلاء الذين أثموا ضده؛ ومن ثم، فكما أن الله يغفر بطريقة خالية من الأهواء لخلائقه، كذلك مثل هذا

الشخص يجب أن يبقى هو نفسه خالياً من الأهواء في مواجهة ما يحدث له ويغفر لهؤلاء الذين يُضايقونه. يجب أن لا يسمح لذكرى الأشياء التي تحزنه أن تنطبع على فكره لئلا يمزق داخلياً الطبيعة البشرية بفصل نفسه عن إنسان ما آخر، بالرغم من إنه هو نفسه إنسان. عندما تكون إرادة إنسان متحدة مع مبدأ الطبيعة بهذه الطريقة ، فإن الله والطبيعة يتصالحان بطريقة طبيعية؛ ولكن إذا فشلت طبيعتنا في مثل هذا الإتحاد، فإنها تبقى منقسمة ذاتياً في إرادتها ولا تستطيع أن تأخذ عطية الله التي هي الله نفسه.

هذا بالتأكيد الذي لأجله يتمنى لنا الله أن نتصالح أولاً مع بعضنا البعض. هو نفسه لا يحتاج أن يتعلم منا كيفية التصالح مع الخطاة وأن يتنازل عن عقوبة كثرة من الجرائم الوحشية؛ ولكنه يتمنى أن ينقينا من شهواتنا ويظهر لنا أن درجة النعمة التي يتم منحها لهؤلاء الذين غُفِرَ لهم تتوافق مع حالتهم الداخلية. من الواضح أنه عندما تكون إرادة إنسان متحدة مع مبدأ الطبيعة، فهو ليس في حالة تمرد على الله. حيث أن مبدأ الطبيعة هو ناموس طبيعي وإلهي، ولا يوجد شيء فيه مضاد لـ اللوغوس، عندما تعمل إرادة إنسان بحسب هذا المبدأ فإنها تتوافق مع مشيئة الله في كل شيء، مثل هذا الوضع للإرادة هو حالة داخلية تتميز بشكل نشيط بنعمة ما هو خَيّر بالطبيعة ومن ثم منتج للفضيلة.

هذه، إذاً، هي الحالة الداخلية للإنسان الذي يصلى من أجل خبز المعرفة. ويأتي بعده الإنسان المقيد بالطبيعة، باحثاً عن الخبز العادي، ولكن بما يكفى يوم واحد فقط. وسوف يحرز نفس الحالة الداخلية مثل الأول عندما يغفر للمذنبين إليه ذنوبهم، كما يعرف أنه بالطبيعة فاني. علاوة على ذلك، فبقبول عدم يقينية المستقبل والانتظار كل يوم لما تمنحه الطبيعة، فإنه يسبق الطبيعة، مختاراً أن يصبح ميتاً عن العالم طاعةً للنص، «لأننا من أجلك نمات اليوم كله قد حسبنا مثل غنم للذبح» (مز ٤٤: ٢٢؛ رو ٨: ٣٦). إنه يصنع سلامه مع الجميع كي يتحرر من كل فساد هذا الدهر الحالي عندما يرحل إلى الحياة الأبدية، ولكي يأخذ من قاضى ومخلص هذا الكون الجزاء العادل من أجل ما قد فعله في هذه الحياة. كلا النوعان من الناس، يحتاجان، بناء على ذلك، أن يُظهران سلوكاً طاهراً تجاه هؤلاء الذين قد أساءوا إليهم. هذا حقيقي بصفة عامة؛ ولكن له إشارة خاصة إلى الكلمات الختامية للصلاة: «ولا تدخلنا في تجربة ولكن نجنا من الشرير» (مت ٦: ١٣).

الكتاب المقدس يكشف في هذه الكلمات أن من لا يغفر بالكامل لهؤلاء الذين يخطئون، ولم يأتي لله بقلبه خالياً من الشكوى ومستنيراً بنور التصالح مع جاره، فسوف يفشل في أن يقتنى نعمة البركات التي صلى من أجلها. سوف يُسلم، حقاً، بعدل للتجارب وللشرير،

حتى يسحب إداناته للآخرين، فيمكن أن يتعلم أن ينقى نفسه من خطاياه. الكتاب المقدس يقصد بالتجارب هنا ناموس الخطيئة، الذي كان الإنسان الأول حراً منه عندما خُلق، ويقصد بالشرير إبليس، الذي خلط هذا الناموس بالطبيعة البشرية، من خلال إغراء الإنسان بمكر كي ينقل رغبة نفسه مما هو مسموح إلى ما هو محرم، وكي يجعله يتعدى الوصية الإلهية. نتيجة لهذا تم فقدان عدم الفساد الذي قد أُعْطِيَ بواسطة النعمة.

بطريقة أخرى، يقصد الكتاب المقدس بالتجارب: ميل النفس لشهوات الجسد؛ وبالشرير: الطريقة التي نشبع بها هذه النزوة الملتهبة. القاضي العادل لا يحرر إنسان من كلا الاثنين إذا لم يغفر للمذنبين إليه ذنوبهم. طالما إنه يصلى بالكلمات فقط من أجل أن يتحرر، فسيسمح الله له بان يتدنس بناموس الخطيئة؛ وطالما أن إرادته عنيدة وقاسية، فإنه يتركه لسيطرة الشر؛ لأنه اختار الشهوات المخجلة (ق.م. رو ١: ٢٦)، التي باذرها إبليس، مفضلاً إياها عن الطبيعة، التي خالقها هو الله. الله يتركه حراً لينحرف، إذا كان موجهاً رغبته تماماً، تجاه شهوات الجسد، والى الإشباع الفعلي لهذا الانحراف. مُقيّماً هذه الشهوات الغير جوهرية بأنها أعلى من الطبيعة، وباهتمامه بهذه الشهوات يصبح جاهلاً بمبدأ الطبيعة. وإذا كان قد اتبع هذا المبدأ لعرف ماذا يُكوُن ناموس الطبيعة وما هو استبداد الشهوات - الاستبداد الذي يحدث، ليس بالطبيعة، ولكن بالاختيار المتعمد، وكان عندئذٍ قد قبل ناموس الطبيعة الذي يراعيه من خلال الأنشطة الطبيعية؛ وكان سيطرد استبداد الشهوات بالكامل من إرادته، وكان سيُطيع الطبيعة بذكائه، لأن الطبيعة ذاتها طاهرة وغير دنسه ولا عيب فيها وخالية من الأخطاء والخلل، وكان سيجعل إرادته رفيقة للطبيعة مرة أخرى، متجرداً تماماً من كل شيء غير ممنوح من مبدأ الطبيعة. بهذه الطريقة سيكون قد استأصل كل كراهية وخلل مما هو بالطبيعة قريب له، لذلك عندما يقول هذه الصلاة سوف يُسمع وسوف يتلقى من الله نعمة مضاعفة بدلاً من نعمة واحدة: غفران الذنوب قد تم بالفعل، والحماية والنجاة من تلك التي تقع في المستقبل. لأنه سوف لا يُسمح له بالدخول في تجربة ولا أن يسقط في قبضة الشريرة لسبب واحد بسيط: استعداده أن يغفر لجيرانه ذنوبهم.

وهكذا - لكي نرجع قليلاً للوراء ونعلق باختصار على ما قد قيل - إذا كنا حقاً نتمنى أن ننجو من الشر وأن لا ندخل في تجربة، يجب أن نثق في الله ونغفر ذنوب المذنبين إلينا. «وإن لم تغفروا للناس زلاتهم» يقول الكتاب المقدس «لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم» (مت ٦: ١٥). يجب أن لا نفعل ذلك كي ننال فقط الغفران على الذنوب التي إرتكبناها

ولكن لهزيمة ناموس الخطيئة أيضاً - لأنه عندئذٍ سوف لا يُسمح لنا أن نعانى خبرة أن نكون مُجربين بها - وأن نطأ مبتدع هذا الناموس، الحية الشريرة التي نتوسل لله أن ينجينا منها. لأن المسيح، الذي قد غلب العالم (ق.م. يو ١٦: ٣٣)، هو قائدنا. إنه يُسلحنا بقوانين الوصايا، وبتمكيننا من أن ننبذ الشهوات فإنه يوحدنا بحب طاهر مع الطبيعة ذاتها. ولكونه خبز الحياة، والحكمة، والمعرفة الروحية والصلاح، فإنه يُنهض فينا رغبة فيه لا تشبع. إذا تممنا مشيئة أبيه فإنه سيجعلنا مشاركين للملائكة في عبادته، عندما نقلدهم في تصرفنا كما يجب علينا وبذلك نتطابق مع الحالة السمائية. حينئذٍ يقودنا تدريجياً إلى أعلى إلى الارتقاء الأسمى الذي للحق الإلهي إلى أبى الأنوار، ويجعلنا شركاء للطبيعة الإلهية (ق.م. ٢بط ١: ٤) من خلال شركة بالنعمة في الروح القدس. وبفضل هذه الشركة ندعى أبناء الله، ومُنظفين من كل بقع، نلتف كلنا بطريقة تفوق الالتفاف حول مبدع هذه النعمة وبالطبيعة ابن الآب. ومنه وبه وفيه نأخذ وسوف نأخذ دائماً وجودنا، وحركتنا وحياتنا (ق.م. أع ١٧: ٢٨).

عندما نصلى، ليكن هدفنا هو هذا السر الذى للتأله، الذي يُرينا ما كنا على مثاله من قبل وماذا جعلنا الآن إخلاء الابن الوحيد لذاته من خلال الجسد: أي الذي يُرينا الأعماق التي سقطنا فيها تحت ثقل الخطيئة، والمرتفعات التي قد رُفعنا إليها بيده الحانية. بهذه الطريقة سوف يكون لنا حب أعظم لمن أعد هذا الخلاص لنا بمثل هذه الحكمة. بتتميم الصلاة من خلال أفعالنا، فإننا نعلن بشكل ظاهر الله كآبانا الحقيقي بالنعمة. سوف نظهر أن الشرير، الذي يُجرب باستبداد من أجل أن يكسب السيطرة على طبيعتنا من خلال الشهوات المخجلة، ليس هو أبو حياتنا، وأننا لا نستبدل الحياة بالموت بشكل غير متعمد. **لأن كل من الله وإبليس يضفيان بالطبيعة صفاتهما على هؤلاء الذين يقتربون لأي منهما: الله يمنح الحياة الأبدية لهؤلاء الذين يحبونه، بينما إبليس، عاملاً من خلال التجارب التي تخضع لإرادتنا، يُسبب الموت لأتباعه.**

لأنه بحسب الكتاب المقدس هناك نوعان من التجارب، واحد يجلب اللذة، والثاني الألم. واحد هو نتيجة الاختيار المتعمد؛ والآخر غير مرغوب فيه. النوع الأول يُنتج الخطيئة. لقد أُمرنا بواسطة تعليم الرب أن نصلى أن لا ندخل في هذا النوع، لأنه يقول «ولا تدخلنا في تجربة» (مت ٢٦: ٤١). النوع الثاني من التجارب يعاقب الخطيئة، مؤدباً الميل إلى محبة الخطيئة بالمشقات الغير مرغوب فيها. وللشخص الذي يعانى من هذه التجارب - التي

تأتى في شكل محنه - والذي هو غير منجذب على وجه الخصوص للشر، يمكن أن تنطبق عليه كلمات الرسول يعقوب: «يا إخوتي احسبوه فرح عظيم عندما تجدوا أنفسكم مكتنفين بتجارب كثيرة؛ لأن امتحان إيمانكم ينتج صبراً؛ هذه المعاناة تهذب الشخصية؛ والشخصية المهذبة هكذا يجب أن تأتى بثمر» (ق.م. يع ١: ٢-٤؛ رو ٥: ٤). الشرير يُفعّل حقده من خلال كل من التجارب التي تخضع لإرادتنا والمحن التي تأتى رغماً عن إرادتنا. حيثما يكون النوع الأول معنياً، فإنه ببذر اللذات الجسدية في النفس، وبإثارتها بهذه الطريقة، فهو يخطط أن يحول رغبتها بعيداً عن الحب الإلهي. حيثما تكون المحنه معنية، فإنه في رغبته في تدمير الطبيعة من خلال الألم، يحاول بخبث أن يجبر النفس، المضعفة بمعاناتها، أن تفتري وتسئ إلى الخالق.

لكن، بمعرفتنا حيل الشرير، دعنا نصلى أن لا ندخل في تجربة خاضعة لإرادتنا، حتى لا نحيد رغبتنا عن الحب الإلهي؛ ودعنا نكابد بشجاعة المحن التي تأتى دون أن نرغب فيها، حيث أنها تزورنا بموافقة الله وبمكابدتهم فإننا نظهر أننا لم نضع الطبيعة مقابل خالق الطبيعة. داعين أن ننجو كلنا نحن الذين نطلب اسم الرب يسوع من المباهج الحاضرة والمحن المستقبلية التي للشرير بالشركة في حقيقة البركات المذخرة والتي كُشفت بالفعل لنا في المسيح ربنا نفسه، المُسبح من كل خليقة مع الآب والروح القدس. آمين.

القديس طلاسيوس الليبي
ST THALASSIOS THE LIBYAN

مقدمة: القديس طلاسيوس، قس وأب لدير في ليبيا، كان صديقاً شخصياً للقديس مكسيموس المعترف، الذي كان أكبر عمل له، إلى طلاسيوس: وهو عبارة عن إجابات لأسئلة متنوعة في الكتاب المقدس، أثيرت بواسطة القديس طلاسيوس. المئتا نص 'في اللاهوت' التي كتبت بواسطة القديس مكسيموس المعترف كُتبت لطلاسيوس أيضاً، وبالإضافة إلى خمسة من خطابات القديس مكسيموس أرسلت له[1]، لقد وصف القديس مكسيموس نفسه مرتين كتلميذ للقديس طلاسيوس[2]. ربما هذا ليس أكثر من تعبير مجامل تجاه شخصا ما أكبر سنا منه، ويمكن أن يكون القديس طلاسيوس هو التلميذ في الواقع: ولكن ليس من المستحيل أن يكون القديس مكسيموس كان متأثراً بشكل حاسم به.

الأربعة مئويات المترجمة هنا هي العمل الوحيد المعروف للأب الليبي. إنهم يظهرون في نقاط كثيرة تأثير إيفاجريوس، ولكن تضع تشديداً كبيراً على الوحدة التكاملية للجسد والنفس. القديس طلاسيوس، مثل القديس مكسيموس، يرى محبة الذات كأصل كل الرذائل، والاثنان يوافقان على التشديد على الأهمية العظمى للحب.

في تقويم الكنيسة[3] القديس طلاسيوس يُحتفل به ٢٠ مايو. في هذه الترجمة الحالية فإن النص اليوناني للفيلوكاليا تم مقارنته للذي في موسوعة مينى Mibne الذي غالباً ما يعول عليه أكثر.

---

(١) الخطابات ٩، ٢٦، ٤٠- ٤٢.

(٢) الخطاب ٩

(٣) الكنيسة اليونانية- م.

في الحب، وضبط النفس، والحياة بحسب الفكر

كُتبت لبولس القس

On Love, Self-control and Life in accordance with the Intellect

WRITTEN FOR PAUL THE PRESBYTER

المئوية الأولى

١- كل اشتياق شامل وقوى لله يربط هؤلاء الذين يختبرونه بكل من الله وبعضهم البعض.

٢- الفكر الذي يقتنى الحب الروحي لا يكون فيه أفكاراً لا تليق بهذا الحب تجاه أي أحد.

٣- من يُخفى نفاقه تحت الحب الظاهري يبارك بفمه ولكن يلعن بقلبه.

٤- من يقتنى الحب يعانى بسكوت وصبر الجراحات والمشقات التي يُلحقها به أعداءه.

٥- الحب وحده يربط بتناغم كل الأشياء المخلوقة بالله وببعضها البعض.

٦- الشخص الذي لا يسمح بالشك أو المذمة في الآخرين يمتلك الحب الحقيقي.

٧- من لا يفعل شيئاً يبدد الحب هو غالى في نظر الله وبين الناس.

٨- الكلمات الحقيقية من الضمير الطاهر تدل على حب خالص.

٩- إذا قلت لأخيك كيف أن شخصاً آخر قد سوء سمعته فإنك تخفى حسدك في مظهر النية الحسنة.

١٠- الفضائل الدنيوية تزيد المجد البشرى، والفضائل الروحية تعطى المجد لله.

١١- الحب وضبط النفس يطهران النفس، بينما الصلاة النقية تنير الفكر.

١٢- الإنسان القوى هو الذي يطرد الشر من خلال ممارسة الفضائل وبالمعرفة الروحية.

١٣- من اقتنى اللاهوى والمعرفة الروحية قد مُنح نعمة الله.

١٤- إذا أردت أن تتغلب على الأفكار الملتهبة، إقتني ضبط النفس والحب مع جارك.

١٥- احرس نفسك من الكراهية والانغماس في الملذات، وأنت لن تُعرقل في وقت الصلاة.

١٦- العطر لا يوجد في الطين، ولا رائحة الحب في نفس الإنسان الحقود.

١٧- سيطر بقوة على الغضب والرغبة، وسوف تخلص نفسك سريعاً من الأفكار الشريرة.

١٨- العمل الداخلي يُدمر البر الذاتي، وإذا لم تحتقر أي أحد فسوف تطرد الكبرياء.

١٩- علامات البر الذاتي والنفاق والكذب؛ تلك التي للكبرياء هي الوقاحة والغيرة.

٢٠- الحاكم الحقيقي هو من يحكم نفسه وأخضع النفس والجسد للذكاء.

٢١- أصالة الصديق تظهر في وقت المحنة، إذا شارك في الحزن الذي تعانيه.

٢٢- اختم على حواسك بالسكون واجلس في الحكم على الأفكار التي تهاجم قلبك.

٢٣- رد بدون حقد على أفكار الغم، ولكن قاوم أفكار انغماس النفس في الملذات بعداوة.

٢٤- السكون، الصلاة، الحب وضبط النفس هم عربة ذات أربعة جياد تحمل الفكر للسماء.

٢٥- هذب جسدك بالصوم والسهر، وسوف تطرد أفكار اللذة القاتلة.

٢٦- كما يذوب الشمع أمام النار، كذلك يحدث للفكر الدنس أمام مخافة الله.

٢٧- النفس العاقلة تتأذى بشدة عندما تعبث مع شهوة حقيرة.

٢٨- تحمل بصبر الأشياء المحزنة والمؤلمة التي تقع عليك، لان الله في عنايته ينقيك من خلالهم.

٢٩- أنت الآن قد تركت العالم والأشياء المادية، فأترك أيضاً الأفكار الشريرة.

٣٠- النشاط المناسب للفكر هو أن يكون منتبهاً في كل لحظة لكلمات الله.

٣١- مهمة الله إدارة العالم ومهمة النفس أن تقود الجسد.

٣٢- بأي رجاء سوف نقابل المسيح ونحن مازلنا مستعبدين للذة الجسد؟

٣٣- الضيق والحزن، سواء كانا من اختيارنا أو من قبل العناية الإلهية، يدمران اللذة الحسية.

٣٤- جمع الأموال يغذى الشهوات بالوقود، لأنه يؤدى إلى زيادة الانغماس في كل أنواع اللذة الحسية.

٣٥- الفشل في الحصول على اللذة الحسية ينتج الاكتئاب، بينما اللذة الحسية نفسها متصلة بكل الشهوات.

٣٦- كيفية تعامل الله معك تعتمد على كيفية معاملتك لجسدك.

٣٧- قضاء الله هو جزاء عادل على ما قد فعلناه من خلال أجسادنا.

٣٨- الفضيلة والمعرفة الروحية تقودان إلى الخلود، وغيابهم هو أم الموت.

٣٩- الحزن الذي بحسب مشيئة الله يضع نهاية لـ اللذة الحسية، وتدمير مثل هذه اللذة هو قيامة النفس.

٤٠- اللاهوى[1] هو الحالة التي لا تخضع فيها النفس لأي دافع شرير؛ ويمكن تحقيقها بنعمة المسيح فقط.

٤١- المسيح هو مُخلص كل من النفس والجسد، والشخص الذي يتبع خطواته تحرر من الشر.

٤٢- إذا أردت أن تخلص، اترك اللذة الحسية، وتعلم ضبط النفس، والحب وكيف تصلى بتركيز.

٤٣- علامة اللاهوى هي الإفراز الحقيقي؛ لأن من أحرز حالة اللاهوى يفعل كل الأشياء بإفراز وبحسب الترتيب واللياقة.

٤٤- ربنا وإلهنا يسوع المسيح، والفكر الذي يتبعه لن يبقى في الظلام (ق.م. يو ١٢: ٤٦).

٤٥- ركز فكرك، وأحرس أفكارك، وحارب الملتهب منها.

٤٦- هناك ثلاثة طرق تنهض من خلالها الأفكار فيك: من خلال الحواس، ومن خلال الذاكرة، ومن خلال مزاج الجسد. والأكثر مضايقة فيهم تلك التي تأتى من الذاكرة.

٤٧- الإنسان الذي أعطى الحكمة يعرف الجواهر الداخلية للأشياء الغير مادية وما هي بداية ونهاية العالم.

٤٨- لا تهمل ممارسة الفضائل وسوف يستنير فكرك؛ لأنه مكتوب، 'سوف أفتح أمامك كنوزاً سرية غير مرئية (أش ٤٥: ٣ س).

٤٩- الإنسان الذي تحرر من شهواته قد منح نعمة الله؛ وإذا وجد مستحقاً للمعرفة الروحية فقد نال بركة عظيمة.

٥٠- الفكر الذي تحرر من الشهوات يصبح مثل النور، ويستنير بلا انقطاع بالتأمل في الكائنات المخلوقة.

---

(١) أى التحرر من الأهواء- م.

٥١- المعرفة المقدسة هي نور النفس؛ ويحرم منها الجاهل الذي 'يسلك في الظلام' (جا ٢: ١٤).

٥٢- الرجل الذي يحيا في الظلام جاهل، وظلمة الجهل تنتظره.

٥٣- المحب ليسوع سوف يتحرر من الشر؛ وتلاميذ يسوع سوف يَرُون معرفة حقيقية.

٥٤- الفكر الحر من الشهوات يُكَوِن صوراً عقلية خالية أيضاً من الشهوات، سواء كان الجسد نائماً أو مستيقظاً.

٥٥- الفكر الذي تنقى تماماً يضيق بالأشياء المخلوقة ويشتاق أن يذهب إلى ما هو أسمى منهم.

٥٦- مبارك هو الذي يُحرز أبدية لانهاية لها، متجاوزاً كل ما هو زائل.

٥٧- من يهاب الله يبحث عن المبادئ الإلهية التي غرسها الله في الخليقة؛ ومحب الحق يجدهم.

٥٨- متحركاً بشكل صحيح، سوف يجد الفكر الحق؛ ولكن متحركاً بالشهوة فسوف يخطئ الهدف.

٥٩- كما أن الله لا يمكن معرفته في جوهره، كذلك هو غير محدود في جلاله.

٦٠- الله، الذي جوهرهُ ليس له بداية ولا نهاية، لا يمكن فحص حكمته أيضاً.

٦١- العناية الإلهية الفائقة التي للخالق تحفظ كل شيء كائن.

٦٢- الله في رحمته عاضد كل الساقطين، ومُقوم كل المنحنِينَ' (مز ١٤٥: ١٤).

٦٣- المسيح في قضاءه سوف يجازى الأحياء والأموات، على كل فعل.

٦٤- إذا أردت أن تسيطر على نفسك وجسدك، أحبط الشهوات بواسطة استئصال أسبابهم.

٦٥- اقرن قوى النفس بالفضائل وسوف تتحرر من استبداد الشهوات.

٦٦- اشكم دوافع الرغبة بواسطة ضبط النفس وتلك التي للغضب بالحب الروحي.

٦٧- السكون والصلاة هما أعظم الأسلحة التي للفضيلة، لأنهما يُنقيان الفكر ويمنحانه بصيرة روحية.

٦٨- المحادثة الروحية فقط هي المفيدة؛ وحفظ السكون أفضل من الانهماك في أي نوع آخر (من المحادثات).

٦٩- من الخمس أنواع من المحادثات اختر أول ثلاثة، ووفر الرابع، وتجنب الخامس.

٧٠- الشخص الغير متأثر بالأشياء التي لهذا العالم يحب السكون؛ والذي لا يحب أي شيء بشرى يحب الكل.

٧١- الضمير مُعلم حقيقي، ومن يسمع له لن يُعثر.

٧٢- فقط هؤلاء الذين وصلوا إلى ذروة الفضيلة أو الشر هم الغير منقادين بضمائرهم.

٧٣- اللاهوى الكامل يحول صورنا العقلية إلى صور خالية من الشهوة: والمعرفة الروحية التامة تأتى بنا إلى محضر من هو أسمى بالكامل من المعرفة.

٧٤- الفشل في الحصول على اللذة ينتج نوعاً مُلام من الحزن: من يحتقر اللذة يتحرر من الحزن.

٧٥- بصفة عامة، ينهض الحزن من الحرمان من اللذة، سواء كانت من النوع الدنيوي أو تخص الله.

٧٦- المُلك، الصلاح، والحكمة يمتلكهم الله؛ من يُحرزهم يسكن في السماء.

٧٧- الشخص الذي يُظهر في أفعاله إنه يفضل جسده عن نفسه، والعالم عن الله، هو مخلوق مُثير للشفقة.

٧٨- من لا يحسد الناضج روحياً ورحيم على الشرير قد اقتنى حباً متساوياً للجميع.

٧٩- الشخص الذي يُطبق نواميس الفضيلة على النفس والجسد هو مناسب حقاً لكي يحكم.

٨٠- التجارة الروحية تتكون من الانفصال على حد سواء من اللذات والآلام التي لهذه الحياة من أجل البركات المذخرة.

٨١- الحب وضبط النفس يقويان النفس؛ والصلاة النقية والتأمل يقويان الفكر.

٨٢- عندما تسمع شيئاً ما لفائدتك، لا تدين المتحدث؛ لأنك إذا فعلت ذلك فسوف تبطل نصحه المفيد.

٨٣- العقل الفاسد يفكر أفكاراً شريرة، ويحسب إنجازات جاره كأخطاء.

٨٤- لا تثق بالفكر الذي يدين جارك: لأن الإنسان الذي يفكر أفكار شريرة هو مخزن للشر (ق.م. مت ١٢: ٣٥).

٨٥- القلب الصالح ينتج أفكاراً صالحة: أفكاره تتطابق مع ما يخزنه في نفسه.

٨٦- أُحرس أفكارك وتجنب الشر. حينئذٍ سوف لا يكون فكرك مظلماً، ولكن على العكس، سوف يبصر.

٨٧- تذكر اليهود ولاحظ نفسك بدقة؛ لأن اليهود كانوا عمياناً بالغيرة وأخذوا ببعلزبول بدلاً من ربهم وإلههم (ق.م. ١٢: ٢٤).

٨٨- الشك الشرير يظلم العقل (ق.م. سي ٣: ٢٤) ويحول الانتباه عن المسار إلى ما هو خارجه.

٨٩- لكل فضيلة رزيلة مقابلة لها؛ ومن ثم فإن الأشرار يأخذون الرذائل بدلاً من الفضائل.

٩٠- إذا توانى الفكر مع اللذة أو الاكتئاب، فإنه يخضع سريعاً لهوى الكسل.

٩١- الضمير النقي ينهض النفس، ولكن الأفكار الدنسة تحط منها.

٩٢- عندما تكون الشهوات نشطة فإنها تطرد البر الذاتي؛ وعندما تكون مطرودة فإنها تعيد إنتاجه.

٩٣- إذا أردت أن تكون حراً من أي شهوة، مارس ضبط النفس، الحب والصلاة.

٩٤- الفكر الذي يعطى نفسه بالكامل لله أثناء الصلاة يحرر الجانب السريع التأثر من النفس من الشهوات.

٩٥- الله، الذي يعطى الوجود لكل ما هو كائن، يوحد في نفس الوقت كل الأشياء معاً في عنايته الإلهية.

٩٦- مع أنه سيداً، أصبح عبداً، وهكذا كشف للعالم أعماق عنايته الإلهية.

٩٧- الله الكلمة، بتجسده وبقاءه غير متغيراً في نفس الوقت، قدس من خلال جسده كل الخليقة.

٩٨- هناك عجيبة في السماء وعلى الأرض، الله (ظهر في الجسد) على الأرض والإنسان (فُتح له الباب) في السماء.

٩٩- لقد وَحّد الملائكة مع البشر حتى يمنح التأله لكل الخليقة.

١٠٠- المعرفة التي للثالوث الواحد في الجوهر هي التي تؤله وتطهر الناس والملائكة.

١٠١- التحرر من الشهوات يدل على غفران الخطايا؛ ومن لم يُمنح بعد الحرية من الشهوات لم يأخذ بعد الغفران.

المئوية الثانية

Second Century

١- إذا أردت أن تتحرر من كل الرذائل في نفس الوقت، أترك محبة الذات، أم الشرور.

٢-صحة النفس تتوقف على اللاهوى والمعرفة الروحية؛ ولا يستطيع من هو عبد لـ اللذة الحسية أن يحققها.

٣- الصبر وضبط النفس والحب طويل الأناة يجففون لذّات النفس والجسد.

٤- محبة الذات، أي صداقة الجسد- هي مصدر الشر في النفس.

٥- الذكاء يخضع بالطبيعة لـ اللوغوس ويضبط سلوك الجسد ويُخضعه.

٦- إنها إهانة للذكاء أن يكون خاضعاً لما ينقصه الذكاء وأن يشغل نفسه بالرغبات المخجلة.

٧- أن تترك النفس المخلوقة على صورة الله الخالق وتعبد الجسد فهذا فعلٌ فاسد.

٨- لقد أمرت أن تحافظ على الجسد كعبد، لا أن تُستعبد على خلاف الطبيعة لِلذاته.

٩- اقطع أربطة صداقتك مع الجسد وأعطية فقط ما هو ضروري جداً.

١٠- احصر حواسك في قلعة السكون حتى لا يُورطون الذكاء في رغباتهم.

١١- أعظم الأسلحة لمن يجاهد كي يحيا حياة السكون الداخلي هي ضبط النفس، الحب، الصلاة والقراءات الروحية.

١٢- الفكر سوف(يظل) يسعى في البحث عن اللذة الحسية إلى أن تُخضع الجسد وتكرس نفسك للتأمل.

١٣- دعنا نجاهد كي نتمم الوصايا حتى يمكن أن نتحرر من الشهوات؛ ودعنا نكافح كي نفهم التعليم الإلهي حتى يمكن أن نكون مستحقين للمعرفة الروحية.

١٤- خلود النفس يكمن في اللاهوى والمعرفة الروحية؛ ولا يمكن أن يحققه من هو مستعبد اللذة.

١٥- اخضع جسدك، جرده من اللذات الحسية، وحرره من العبودية الرديئة.

١٦- لقد خُلقت حراً ودُعيت للحرية (ق.م. غل ٥: ١٣)، فلا تُستعبد بالشهوات الدنسة.

١٧- الشياطين تربط الفكر بالأشياء الحسية بواسطة الرغبة والخوف، والحزن واللذة الحسية.

١٨- مخافة الرب تهزم الرغبة، والحزن الذي بحسب مشيئة الله يطرد اللذة الحسية.

١٩- الرغبة في الحكمة تزدرى بالخوف، وبهجة المعرفة الروحية تطرد الحزن.

٢٠- الكتاب المقدس يحتوى على أربع أشياء: الوصايا، التعاليم، وإنذارات ووعود.

٢١- ضبط النفس والجهد الشاق يضبطان الرغبة؛ والسكون والشوق الشديد لله يُذبلانها.

٢٢- لا تنخس أخاك بكلمات صعبة؛ فلا تعانى من نفس المعاملة على يديه.

٢٣- طول الأناة والاستعداد للصفح يضبطان الغضب؛ والحب والشفقة يُذبلانه.

٢٤- إذا أُعطيت معرفة روحية، فقد أُعطيت النور العقلي؛ فإذا أهنت هذا النور، فسوف ترى الظلمة.

٢٥- حفظ وصايا الله يُوَلِد اللاهوىَ؛ ولاهوىَ النفس يصون المعرفة الروحية.

٢٦- تأمل الأشياء المحسوسة عقلياً وسوف ترفع الإدراك الحسي فوق عالم هذه الأشياء.

٢٧- النفس المشغولة في التدريب النسكي تشبه المرأة؛ التي من خلال الإتحاد بها يلد الفكر الفضائل.

٢٨- دراسة المبادئ الإلهية تعلم معرفة الله للشخص الذي يحيا في الحق ويشتاق إليه ويهابه.

٢٩- كما النور لهؤلاء الذين يبصرون ولتلك الأشياء التي يبصرونها، كذلك الله للكائنات العاقلة وللأشياء المعقولة.

٣٠- السماء المنظورة ترمز إلى سماء الإيمان التي يلمع فيها القديسون مثل النجوم.

٣١- أورشليم هيَ المعرفة السمائية للكائنات الروحية؛ وفيها يمكن تأمل طيف السلام.

٣٢- لا تهمَل ممارسة الفضائل؛ لأنك لو فعلت ذلك فسوف تقل معرفتك الروحية، وعندما تحدث المجاعة فسوف تنزل إلى مصر (ق.م. تك ٤١: ٥٧؛ ٤٦: ٦).

٣٣- الحرية الروحية تنطلق من الآلام؛ وبدون نعمة الله لا يمكن أن تحققها.

٣٤- أرض الميعاد هيَ ملكوت السموات الذي سفرائه هم اللاهوى والمعرفة الروحية.

٣٥- مصر روحياً هيَ ظلمة الشهوات؛ لا أحد ينزل إلى مصر إلا إذا أصابته المجاعة.

٣٦- إذا اعتدت السماع للتعليم الروحي، فإن فكرك سوف يهرب من الأفكار الدنسة.

٣٧- الله وحده الصالح والحكيم بالطبيعة؛ ولكن إذا بذلت ذاتك (من أجل ذلك) فسوف يصبح فكرك أيضاً صالح وحكيم بالشركة.[1]

٣٨- اضبط معدتك، ونومك، وغضبك ولسانك، وسوف لا «تصدم بحجر رجلك» (مز ٩١: ١٢).

٣٩- جاهد كي تحب كل أحد بالتساوي، وسوف تطرد الشهوات في نفس الوقت.

٤٠- التأمل في الأشياء المحسوسة يشترك فيه الفكر والحواس؛ ولكن المعرفة الخاصة بالحقائق العقلية تخص الفكر وحده.

٤١- الفكر لا يمكن أن يُكرس نفسه للحقائق العقلية إلا إذا قطعت ارتباطه بالحواس وبالأشياء المحسوسة.

٤٢- الحواس لها ارتباط طبيعي بالأشياء المحسوسة، وعندما تتشتت بهم فإنها تشتت الفكر.

٤٣- كرس حواسك لخدمة الفكر ولا تعطيهم وقتا ينحرفوا فيه عنه.

٤٤- عندما يعطى الفكر انتباهه لأشياء محسوسة، اصرف حواسك عنهم، محضراً هذه الأشياء باتصال مباشر مع الفكر.

٤٥- علامة أن الفكر قد كُرس للتأمل في الحقائق العقلية هي ازدراءه بكل ما يثير الحواس.

٤٦- عندما ينشغل الفكر بالتأمل في الحقائق العقلية، يصعب سحبه بعيداً عنهم بسبب فرحه بهم.

٤٧- عندما يكون الفكر غنياً بمعرفة الواحد، فأن الحواس سوف تكون تحت السيطرة تماماً.

٤٨- امنع فكرك من السعي وراء الأشياء المحسوسة، حتى لا يجنى ثمار اللذة والألم التي تنتجها.

---

(١) أى شركة الروح القدس- م.

٤٩- عندما يكرس الفكر نفسه باستمرار للحقائق الإلهية، فإن الجانب السريع التأثر من النفس يصبح سلاحاً فعالاً.

٥٠- الفكر لا يمكن أن يتحول بالمعرفة الروحية إلا إذا فصل نفسه أولاً من الجانب السريع التأثر من النفس بواسطة فضائله.

٥١- الفكر يصبح غريباً عن أشياء هذا العالم عندما يكون قطع ارتباطه بالحواس كامل.

٥٢- الوظيفة اللائقة للجانب الذكي من النفس هو التكرس لمعرفة الله، في حين تلك التي للجانب السريع التأثر هو إتباع ضبط النفس والحب.

٥٣- الفكر لا يمكن أن يتوانى مع أي شيء محسوس إلا إذا استضاف على الأقل نوعا ما من الشعور الشهواني تجاهه.

٥٤- الفكر يكون كاملاً عندما يتحول بواسطة المعرفة الروحية؛ والنفس تكون كاملة عندما تتخللها الفضائل.

٥٥- ارتباط الفكر بالحواس يستعبده لـ اللذة الجسدية.

٥٦- الفكر يسقط من مملكة المعرفة الروحية عندما يهجر الجانب السريع التأثر من النفس فضائله.

٥٧- بالرغم من إننا قد أخذنا سلطاناً أن نصير أبناء الله (ق.م. يو ١: ١٢)، فنحن لا نحقق فعلياً هذه البنوة إلا أذا جردنا أنفسنا من الشهوات.

٥٨- لا يفكر أحداً إنه صار بالفعل ابنا لله إذا لم يكن قد اقتنى الصفات الإلهية[١].

٥٩- نحن أبناء لله أو للشيطان هذا يتوقف على طاعتنا للبر أو للشر.

٦٠- الرجل الحكيم هو الذي ينتبه لنفسه ويسرع كي يفصل نفسه من كل دنس.

٦١- النفس القاسية لا تهتم عندما تُجلد وبالتالي لا تحس بالمحسن إليها.

٦٢- الثياب القذرة تطرد المرء من وليمة العُرس الإلهي وتجعل المرء عضواً في الظلمة الخارجية (ق.م. مت ٢٢: ١٢- ١٣).

---

(١) أى صفات السيد المسيح الذى أعطانا نفسه مثالاً 'لأنى أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً' (يو ١٣: ١٥)- م.

٦٣- من يخاف الله سينتبه بحرص لنفسه وسَيُحرر نفسه من الشركة مع الشر.

٦٤- أذا تركت الله وكنت عبداً للشهوات لا تستطيع أن تكسب رحمة الله.

٦٥- حتى إذا كنا لا نريد أن نصدقه، فهو يسوع الذي قال لا يستطيع أحد أن يخدم سيدين (ق.م. مت ٦: ٢٤).

٦٦- النفس المدنسة بالشهوات تصبح قاسية: ويجب عليها أن تعانى من القطع والكي قبل أن تسترد إيمانها.

٦٧- مصائب مخيفة تنتظر القساة القلب، لأنه بدون معاناة عظيمة لا يمكن أن يصيروا سمحين وحساسين.

٦٨- الرجل الحكيم ينتبه بحرص لنفسه، وباختياره الحر للمعاناة يهرب من المعاناة التي تأتى رغماً عنه.

٦٩- أن يهتم الإنسان بنفسه فذلك يعنى المشقة والإتضاع، لأن من خلال ذلك يغفر الله لنا كل خطايانا.

٧٠- مثلما أن الرغبة والغضب يُضاعفان خطايانا، كذلك ضبط النفس والإتضاع يمحيانهم.

٧١- الحزن الذي بحسب مشيئة الله يكسر القلب؛ إنه يُنتَج من الخوف من العقاب.

٧٢- مثل هذا الحزن ينقى القلب، طارداً منه أدناس اللذة الحسية.

٧٣- الاحتمال الصبور هو جهاد النفس من أجل الفضيلة؛ وحيثما يوجد جهاد من أجل الفضيلة، يتلاشى انغماس النفس في الملذات.

٧٤- كل خطيئة نتيجة اللذة الحسية، وكل غفران نتيجة المشقة والحزن.

٧٥- إذا لم تريد أن تتوب من خلال الاختيار الحر للمعاناة، فإن المعاناة اللاإرادية سوف تفرض عليك من العناية الإلهية.

٧٦- المسيح هو مخلص العالم كله، وقد منح الناس عطية التوبة حتى يمكن أن يخلصوا.

٧٧- التوبة تلد حفظ الوصايا، وهذه بدورها تنقى النفس.

٧٨- نقاوة النفس هي التحرر من الشهوات، والتحرر من الشهوات يلد الحب.

٧٩- النفس النقية هي التي تحب الله، والفكر النقي هو الذي انفصل عن الجهل.

٨٠- جاهد حتى الموت حتى تتمم الوصايا: وبتطهرك بواسطتهم، سوف تدخل الحياة.

٨١- اجعل الجسد يخدم الوصايا، حافظاً إياه بقدر الإمكان خالياً من المرض واللذة الحسية.

٨٢- إذا كان الجسد يتمرد أثناء الصلاة، فالتدبير والسكون المبارك مهملان.

٨٣- السكون المبارك يلد أبناء مباركين: ضبط النفس، الحب والصلاة النقية.

٨٤- القراءات الروحية والصلاة تنقيان الفكر، في حين أن الحب وضبط النفس ينقيان الجانب السريع التأثر من النفس.

٨٥- حافظ باستمرار على نفس القدر من ضبط النفس؛ وإلا من خلال عدم الانتظام سوف تترنح من تطرف إلى تطرف.

٨٦- إذا وضعت قواعد لنفسك، فلا تخالف نفسك؛ لأن من يغش نفسه هو مُضَلَلْ ذاتياً.

٨٧- النفس المملوءة من الشهوة ترقد في ظلمة عقلية، لأن شمس البر قد غربت في مثل هذه النفس.

٨٨- ابن الله هو الشخص الذي من خلال الحكمة والقوة والبر أصبح على مثال الله.

٨٩- مرض النفس هو الميل إلى الشر، في حين أن موتها هو أن توضع الخطيئة موضع التنفيذ.

٩٠- مسكنة الروح هي اللاهوى الكامل؛ وعندما يصل الفكر إلى هذه الحالة يهجر كل الأشياء الدنيوية.

٩١- حافظ على التناغم بين فضائل النفس، وسوف تأتى سريعاً بثمار البر.

٩٢- التأمل في الحقائق العقلية يقال بأنه لا جسدي لأنها خالية بالكامل من المادة والشكل.

٩٣- كما أن العناصر الأربعة هي مركبة من المادة والشكل، كذلك الأجسام التي تأتى منهم صنعت أيضاً من المادة والشكل.

٩٤- عندما أخذ اللوغوس في رحمته للإنسان جسداً، لم يُغير ما كان عليه ولا ما أخذه.

٩٥- كما نتكلم على المسيح الواحد لكونه «من اللاهوت» و «من البشرية» و«في اللاهوت»وفي البشرية» فنحن نتكلم عنه بأنه «من طبيعتين» و«في طبيعتين[١]».

٩٦- نحن نعترف بأن في المسيح اقنوم أو شخص واحد، في طبيعتين متحدتين بشكل غير قابل للانقسام[٢].

٩٧- نحن نمجد الاقنوم الواحد غير المنقسم الذي للمسيح ونعترف بالإتحاد غير المنقسم بين الطبيعتين[٣].

٩٨- نحن نبجل الجوهر الواحد لـ اللاهوت في ثلاثة اقانيم أو أشخاص، ونعترف بالثالوث الواحد في الجوهر.

٩٩- يخص الثلاثة اقانيم، الأبوة والبنوة والانبثاق. ويعمهم الجوهر والطبيعة والإلوهة والبر.

المئوية الثالثة

Third Century

١- فكر أفكاراً صالحة عن ما هو صالح بالطبيعة، وفكر حسناً بكل إنسان.

٢- في يوم الدينونة سوف يطلب منا الله أن نعطى حساباً عن كلماتنا وأفعالنا وأفكارنا.

٣- الذي يحدد أن أسلوب فكرنا، أو كلامنا أو فعلنا هو صالح أو شرير هو إلتصاقنا داخلياً بالفضيلة أم الرزيلة.

٤- الفكر الذي تُسيطر عليه الشهوات يفكر أفكاراً منحطة؛ والكلمات والأفعال تأتى بهذه الأفكار إلى العلن.

٥- الفكر الشرير تسبقه الشهوة، والشهوة سببها الحواس، ولكن من الواضح أن إساءة استخدام الحواس هو خطأ الفكر.

---

(١) عبارة 'في طبيعتين' هي العبارة المختلف عليها في مجمع خلقيدونية يقول البطريرك ساويرس 'إنه من الصحيح أن مجمع خلقيدونية تكلم عن "هيبوستاسيس واحد"، ولكن ماذا كان يعني المجمع بهذا التعبير؟'،وهنا يُصر ساويرس أن 'الإتحاد الهيبوستاسي' و'الهيبوستاسيس الواحد لا يمكن أن يتفقا مع عبارة 'في طبيعتين' أو 'طبيعتين بعد الإتحاد'. مجمع خلقيدونية- إعادة فحص الأب ف.سي. صامويل،دار بناريون، طبعة إولى ٢٠٠٩ ص ٣٨٤. وحسب إيمان الكنيسة القبطية أن للمسيح طبيعة واحدة من طبيعتين كما في ثيؤطوكية الاثنين القطعة السادسة " طبيعة واحدة وشخص واحد وأقنوم واحد"- م.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

٦- اغلق الحواس، حارب انشغال الذهن، وبالوصايا كأسلحة لك دمر الشهوات.

٧- الشر المتأصل يتطلب ممارسة طويلة للفضائل؛ لأن العادة المغروسة في النفس ليس من السهل اقتلاعها.

٨- الممارسة الفعالة لضبط النفس، الحب، الصبر والسكون، سوف تدمر الشهوات المختفية في داخلنا.

٩- إلزام فكرك دائماً بالصلاة وسوف تدمر الأفكار الشريرة التي تكتنف قلبك.

١٠- التدريب النسكي يتطلب احتمال طويل وصبور؛ والجهاد الجاد سوف يستأصل تدريجياً انغماس النفس في الملذات.

١١- سوف لا تجد أن صرامة النسك يصعب احتمالها إذا فعلت كل شيء بقدر وبنظام.

١٢- حافظ على مستوى منتظم من التدريب النسكي ولا تكسر نظامك إلا إذا أجبرت على ذلك.

١٣- كما أن الحب وضبط النفس يدمران الأفكار الشريرة، كذلك التأمل والصلاة يُدمران كل تعظيم للنفس.

١٤- الجهاد النسكي- الصيام، السهر، الصبر، التعفف- ينتج ضميراً نقياً.

١٥- من يتحمل بصبر التجارب اللاإرادية التي تأتى عليه يصبح متضعاً، مملوءاً بالرجاء وناضجاً روحياً.

١٦- الاحتمال الصبور هو جهد متواصل للنفس؛ إنه يولد من المعاناة المختارة بحرية ومن التجارب التي تأتى لا إرادياً.

١٧- المثابرة مقابل المحن تحل الشر، بينما الصبر الغير منقطع يدمره تماماً.

١٨- خبرة المعاناة تؤلم الحواس؛ والحزن يُبطل اللذة الحسية.

١٩- هناك أربع أوجاع سائدة جعلها الله بحكمته ضد الأخريات.

٢٠- الحزن يوقف اللذة الحسية؛ الخوف من العقاب يُذبل الرغبة.

٢١- الفكر الحكيم يمتحن النفس ويدرب الجسد بكل أنواع التدريب النسكي.

٢٢- أثبت نفسك كراهب، ليس خارجياً، ولكن داخلياً، بتحرير نفسك من الشهوات.

٢٣- أول تخلى هو عن الأشياء المادية، والثاني عن الشهوات، والثالث عن الجهل.

٢٤- ليس من الصعب أن تتخلص من الأشياء المادية إذا كنت ترغب في ذلك؛ ولكن فقط بجهاد عظيم سوف تكون قادراً على التخلص من التفكير فيهم.

٢٥- تحكم في الرغبة وسوف تسيطر على الغضب؛ لأن الرغبة تتسبب في الغضب.

٢٦- يمكن أن نكون قد حررنا أنفسنا من الأفكار المشبوبة العاطفة؛ ولكن هل مُنحنا الصلاة النقية والغير مادية بعد؟

٢٧- عظيم هو الفكر الذي تحرر من الشهوات، وفصل نفسه عن الكائنات المخلوقة، ويحيا في الله.

٢٨- الشخص المتقدم في الحياة الروحية يدرس ثلاثة أشياء: الوصايا، التعليم، والإيمان بالثالوث القدوس.

٢٩- الفكر المتجرد من الشهوات يكون انتباهه مركز على ثلاثة أشياء: الصور العقلية الخالية من الشهوة، التأمل في الكائنات المخلوقة، ونوره الخاص.

٣٠- أقذر الشهوات مختفية في داخل أنفسنا؛ يتم اكتشافهم فقط عندما نفحص أفعالنا.

٣١- الفكر الذي أحرز لاهوىً جزئي سوف يبقى أحياناً غير منزعجاً: ولكن هذا بسبب إنه لم يُمتحن، وذلك لغياب الأشياء التي تثيره.

٣٢- كما قد قيل[1]، شهواتنا تثار من خلال ثلاثة أشياء: الذاكرة، مزاج الجسد، والحواس.

٣٣- الفكر الذي أغلق الحواس، وحقق توازناً في مزاجه الجسدي، يجب عليه أن يحارب فقط ذكرياته.

٣٤- عندما يغيب ضبط النفس والحب الروحي تنهض الشهوات بواسطة الحواس.

٣٥- الصوم المعتدل، السهر وترتيل المزامير هيَ وسائل طبيعية لتحقيق التوازن في المزاج الجسدي.

٣٦- ثلاثة أشياء تزعج توازن المزاج الجسدي: عدم الانضباط في نظامنا الغذائي، تغير المناخ، ولمس القوات الشيطانية.

---

(١) ق.م. المئوية الأولى بند ٤٦.

٣٧- يُمكن أن تتجرد ذكرياتنا من الشهوات من خلال الصلاة، والقراءات الروحية، وضبط النفس والحب.

٣٨- أغلق الحواس أولاً من خلال ممارسة السكون وبعدئذٍ حارب ذكرياتك بتنمية الفضائل.

٣٩- الشر العقلي يسكن في سوء استخدام الصور الذهنية؛ والخطيئة النشطة تتكون من سوء استخدام الأشياء المادية.

٤٠- أن تسئ استخدام الصور الذهنية والأشياء المادية هو أن تستخدمهم بطريقة دنسة وغير لائقة.

٤١- الشهوات الرديئة توثق الفكر، رابطة إياه بالأشياء المحسوسة.

٤٢- الشخص الذي لا يتأثر بأي من الأشياء المادية، أو بذكرياته عنهم، قد حقق لاهوىَ كاملاً.

٤٣- النفس القديسة تساعد جارها وعندما يساء معاملتها بواسطته تكون صبورة، متحملة ما تعانيه على يديه.

٤٤- الأفكار الخبيثة هيَ نوع من الوجود الكامل للشر: إذا لم تتخلص منهم فلن تصبح تلميذاً للمعرفة الروحية.

٤٥- الشخص الذي يسمع للمسيح يملأ نفسه بالنور؛ وإذا قلد المسيح، فهو يُصلح نفسه.

٤٦- الحقد هو بَرَص النفس، النفس تمتلئ به كنتيجة للإهانة أو العقاب، أو بسبب أفكار التشكك.

٤٧- الرب يعمى الفكر الحسود والمغتاظ من البركات التي لجاره.

٤٨- لسان النفس التي تتكلم على الآخرين من ورائهم هو شوكة ثلاثية: إنها تأذى المتكلم، والسامع وأحياناً الشخص المطعون بحقه.

٤٩- من يصلى من أجل من يسيئون إليه هو خالي من الحقد؛ والمعطى بغير امتعاض قد تحرر منه.

٥٠- كراهية الإنسان لجاره هيَ موت للنفس: والنفس التي تغتاب الآخرين تُبتلى وتعانى من مثل هذا الموت.

٥١- الفتور هو لامبالاة النفس؛ وتصبح النفس لا مبالية عندما تمرض بانغماس النفس في الملذات.

٥٢- من يحب يسوع يدرب نفسه على الاحتمال: المثابرة على الاحتمال تطرد الفتور.

٥٣- النفس تتقوى من خلال الاحتمال النسكي، وتطرد الفتور بعملها كل شيء كما يجب.

٥٤- ضبط المعدة يُذبل الرغبة ويحفظ الفكر خالياً من الأفكار الدنسة.

٥٥- الفكر الضابط لنفسه هو هيكل للروح القدس، ولكن ذاك الذي للشره يكون مثل عش الغربان.

٥٦- التخمة من الطعام تلد الرغبة؛ والفاقة[1] تجعل حتى الخبز البسيط حلواً.

٥٧- إذا اشتركت بطريقة سرية في فرح شخصا ما تحسده، فسوف تتحرر من غيرتك؛ وسوف تتحرر أيضاً من غيرتك إذا لم تتكلم عن الشخص الذي تحسده.

٥٨- تجنب كل من يعيش بطريقة منحلة، حتى ولو كان الكثيرون يحترمونه جداً.

٥٩- اصنع صداقة مع الإنسان الذي يعمل بجد وسوف تجد حماية.

٦٠- الإنسان المنحل قد تم بيعه لأسياد كثيرون ويحيا حياته بأي طريقة يقودونه بها.

٦١- مثل هذا الإنسان سوف يعاملك كصديق في وقت السلام، ولكن في وقت التجربة فسوف يحاربك كعدو.

٦٢- عندما تكون شهواته ساكنة، فسوف يضحى بحياته من أجلك؛ ولكن عندما يتم إثارتهم، فسوف يستردها ثانية.

٦٣- النفس المنحلة مملؤة من الشهوات الدنسة مثل الأرض المقفرة المملؤة من الأشواك.

٦٤- الفكر الحكيم يكبح النفس، ويحفظ الجسد خاضعاً، ويجعل الشهوات عبيداً له.

٦٥- أفعالنا تكشف ما يجرى في داخلنا، مثلما تُعرف الشجرة الغير معروفة لنا من ثمارها.

٦٦- المنافق، مثل النبي الكذاب، تخونه أقواله وأفعاله.

٦٧- الفكر الذي لا يستخدم ذكاءه يفشل في تهذيب النفس، وبذلك يحرمها من اقتناء الحب وضبط النفس.

---

(١) أى العوز والإحتياج- م.

٦٨- السبب في الأفكار المنحرفة هو سلوك شرير نابع من الكبرياء والتفاخر.

٦٩- الكبرياء والتفاخر يتصفان بالنفاق، والمكر، والخداع، والتظاهر وأسوأ الكل بالزيف.

٧٠- هذه الصفات يتم مساعدتها والتحريض عليها بواسطة الحسد، والنزاع، والغضب، والغيظ والحقد.

٧١- هذه هيَ حالة الذين يعيشون بإنحلال، وهذا هو الكنز المخفي في قلبي (ق.م. مت ١٢: ٣٥).

٧٢- المشقات والإهانات تخلص النفس وتحررها من كل الشهوات.

٧٣- الكلمة المفيدة تدل على عقل فاهم؛ والفعل الصالح يكشف عن نفس قديسة.

٧٤- الفكر المستنير يأتي بكلمات الحكمة؛ والنفس النقية تزرع الأفكار المقدسة.

٧٥- أفكار الرجل الحكيم مكرسة للحكمة، وكلماته تنير هؤلاء الذين يسمعونه.

٧٦- النفس الفاضلة تزرع الأفكار الصالحة: والنفس الممتلئة شراً تلد أفكار الفساد.

٧٧- النفس الملتهبة العاطفة تنتج أفكاراً شريرة: أنها صندوق شر.

٧٨- الفضائل تمتلك صندوقاً للصلاح الذي يأتي منه الفكر المقدس بالبركات.

٧٩- الفكر المقوى بالحب الإلهي يزرع الأفكار الصالحة التي عن الله؛ ولكن عندما يُجبر بواسطة حب الذات فهو ينتج أفكاراً شيطانية.

٨٠- عندما يتحرك الفكر بالحب تجاه جاره، يكون حسن الظن به دائماً؛ ولكن عندما يكون تحت تأثير شيطاني يضمر أفكاراً شريرة عنه.

٨١- الفضائل تلد أفكاراً صالحة؛ والوصاية تقودنا إلى الفضائل؛ وممارسة الفضائل تعتمد على إرادتنا وعزمنا.

٨٢- لأن الفضائل والشر يأتيان ويذهبان، فإنهما يجعلان النفس إما أن تميل إلى الصلاح أو الخبث، دافعين فيها أفكارهم المماثلة لهم.

٨٣- الشر يلد أفكاراً شريرة؛ والعصيان يلد الشر؛ وخداع الحواس ينهض العصيان؛ وهذا الخداع يأتي من إهمال الفكر لخلاصهِ.

٨٤- في حالة هؤلاء الصاعدين في الطريق الروحي، من السهل أن يتبدل وضعهم من الخير والشر؛ ولكن بالنسبة لهؤلاء الذين حققوا الكمال من الصعب التبديل.

٨٥- قوة النفس هي حالتها الثابتة في الفضيلة؛ وفى حالة الوصول لمثل هذه الحالة يمكن للمرء أن يقول مع الرسول بولس الذي لا يُغلب: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟» (رو ٨: ٣٥).

٨٦- محبة الذات تسبق كل الشهوات، في حين أن الكبرياء يأتي آخرهم.

٨٧- الثلاثة أشكال الأكثر شيوعاً من الرغبة يأتي أصلهم من شهوة محبة الذات.

٨٨- هذه الثلاثة أشكال هي النهم، البر الذاتي والطمع. وكل الأفكار الملتهبة الأخرى تأتى في أثرهم، بالرغم من أن كلهم لا يتبعون كل منهم.

٨٩- فكر النجاسة يتبع ذلك الذي للنهم؛ والذي للكبرياء يتبع ذلك الذي للبر الذاتي. والآخرون يتبعون الثلاثة الأكثر شيوعاً.

٩٠- وهكذا فإن أفكار الغيظ، والغضب، والحقد، والحسد، والكسل والبقية يتبعون كلهم هذه الأشكال الثلاثة الأكثر شيوعاً.

صلاة

٩١- أيها السيد الرب يسوع المسيح، سيد الكل، حررنا من كل هذه الشهوات المدمرة والأفكار المولودة منها.

٩٢- من أجل محبتك أتينا إلى الوجود، حتى نتمتع في الفردوس الذي غرسته ووضعتنا فيه.

٩٣- لقد جلبنا على أنفسنا خزينا الحاضر، مفضلين الدمار على التمتع بالبركات.

٩٤- لقد دفعنا ثمن ذلك، لأننا قد بدلنا الحياة الأبدية بالموت.

٩٥- آه يا سيد، كما نظرت لنا مرة، انظر لنا الآن، وبما إنك أصبحت إنسان، فإنقذنا جميعاً.

٩٦- لأنك أتيت كي تخلصنا نحن الذين قد ضعنا. لا تمنعنا من صحبة هؤلاء الذين قد خلصوا.

٩٧- انهض أنفسنا وخلص أجسادنا، طهرنا من كل دنس.

٩٨- اكسر أغلال الشهوات التي تقيدنا، كما كسرت من قبل قوات الشياطين الدنسة.

٩٩- حررنا من استبدادهم، حتى يمكن أن نعبدك وحدك، أنت أيها النور الأبدي.

١٠٠- الذي قام من الأموات وتسبحه الملائكة بتسبحة مباركة أبدية سرمدية. آمين.

المئوية الرابعة

Fourth Century

١- الشخص الذي قد كسر روابط الصداقة الودودة التي للفكر تجاه الجسد قد ذبح أفعال الجسد الشريرة من خلال الروح المعطى للحياة.

٢- لا تظن أن الفكر حُر من ارتباطه بالجسد طالما هو مضطرب بالأنشطة التي تخص الجسد.

٣- كما أن الحواس والأشياء الحسية تخص الجسد، كذلك الفكر والحقائق العقلية تخص النفس.

٤- اسحب نفسك من الإدراك الحسي للأشياء الحسية، وسوف يجد الفكر نفسه في الله وفى عالم الحقائق العقلية.

٥- الطبائع العقلية التي يمكن أن تُدرك فقط بواسطة الفكر تنتمي إلى عالم القداسة، في حين أن الحواس والأشياء الحسية قد خُلقت لخدمة الفكر.

٦- استخدم الحواس والأشياء الحسية كوسائل للتأمل ولكن، على العكس من ذلك، لا تستخدم ما يثير رغبة الجسد كطعام للحواس.

٧- لقد تم أمرك بأن تُميت أعمال الجسد (ق.م. كو٣: ٥)، حتى إذا ماتت النفس عن اللذة يمكن أن تُعيدها إلى الحياة من خلال أتعابك النسكية.

٨- كن محكوما بالله وأحكم على حواسك؛ ولكونك على مستوى عالٍ، لا تكن تحت سلطة من هو أقل منك.

٩- الله الذي هو أزلي، غير محدود وأبدى، قد وعد ببركات أبدية غير محدودة ولا موصوفة لهؤلاء الذين يطيعونه.

١٠- وظيفة الفكر هي أن يحيا في الله ويتأمل فيه، وفى عنايته وفى أحكامه الرهيبة.

١١- لك السلطان في أن تتحرك إما إلى أعلى أو إلى أسفل: اختار ما هو أسمى وسوف تأتى بما هو أدنى إلى الخضوع.

١٢- لأن الحواس والأشياء الحسية من أعمال الله، الذي هو نفسه صالح، فهم صالحون؛ ولكن لا يمكن مقارنتهم بأي حال من الأحوال بالفكر وبالحقائق العقلية.

١٣- الرب خلق الفكر والكائنات العاقلة بقدرة على تلقى الروح (القدس) وأن تقتنى معرفة عنه هو نفسه؛ لقد أتى إلى الوجود بالحواس وأشياء الحواس لخدمة مثل هذه الكائنات.

١٤- كما إنه من غير المعقول أن يخضع سيد صالح لعبد غير مستحق، كذلك من غير المعقول أن يخضع الفكر الذي على صورة الله للجسد القابل للفساد.

١٥- الفكر الذي لا يضبط الحواس سوف يسقط في الشر بسببهم: ومخدوعاً بلذة أشياء الحواس يفسد نفسه.

١٦- أثناء ضبطك لحواسك، اضبط ذاكرتك أيضاً؛ لأنه عندما يتم إثارة الأفكار فيها من خلال الحواس فإنهم يُهيجون الشهوات.

١٧- احفظ جسدك منضبطاً، وصل باستمرار؛ بهذه الطريقة سوف تتحرر سريعاً من الأفكار التي تثار من انشغال ذهنك (بالأشياء الحسية).

١٨- كرس نفسك بلا انقطاع لكلمات الرب: وتطبيقهم يدمر الشهوات.

١٩- القراءات الروحية، السهر، الصلاة وترتيل المزامير تمنع الفكر من أن يتم تضليله بواسطة الشهوات.

٢٠- كما أن الربيع يحفز نمو النباتات، كذلك اللاهوى يُحفز الفكر لاقتناء المعرفة الروحية التي للكائنات المخلوقة.

٢١- أحفظ الوصايا، وسوف تجد سلاماً؛ حب الله، وسوف تقتنى المعرفة الروحية.

٢٢- لقد حُكم عليك بأن تأكل خبز المعرفة الروحية بتعب وجهاد وبعرق جبينك (ق.م. تك ٣: ١٩).

٢٣- الإهمال قاد أبينا الأول إلى المعصية، وبدلاً من التمتع بالفردوس حُكم عليه بالموت.

٢٤- أنت، أيضاً، يجب عليك أن تسيطر على حواء؛ ويجب أن تحترس من الحية، لئلا تنخدع بها وتعطيك ثمرة الشجرة (ق.م. تك ٣: ١- ٥).

٢٥- كما أن النفس بالطبيعة تعطى حياة للجسد، كذلك الفضيلة والمعرفة الروحية تعطيان حياة للنفس.

٢٦- الفكر المغرور هو سحابة بلا ماء (ق.م. يه آية ١٢) محمولة برياح البر الذاتي والكبرياء.

٢٧- عند السيطرة على برك الذاتي، كن حذراً من عدم العفة، لئلا تتجنب المديح فقط كي تسقط في الهوان.

٢٨- في تحاشيك للبر الذاتي، انظر إلى الله، وكن حذراً لئلا تصبح وقحاً أو غير عفيف.

٢٩- علامة البر الذاتي هي سلوكاً متباهياً، من الكبرياء، والغضب، واحتقار الآخرين.

٣٠- بقطعك النهم، كن حزراً لئلا تبحث عن توقير الآخرين لك، مستعرضاً شحوب وجهك.

٣١- الصوم الحقيقي هو التمتع بالطعام البسيط بكميات قليلة وتجنب توقير الناس الآخرين.

٣٢- بعد الصيام لساعة متأخرة من اليوم، لا تأكل حتى الامتلاء، لئلا بفعلك ذلك تبنى ثانية ما قد هدمته (ق.م. غل ٢: ١٨).

٣٣- إذا كنت لا تشرب النبيذ، فلا تشرب الماء بشره أيضاً، لأنك إذا فعلت فسوف تمد نفسك بنفس الوقود لعدم العفة.

٣٤- الكبرياء يحرمنا من معونة الله، جاعلاً إيانا متكلين على أنفسنا أكثر من اللازم ومتعجرفين تجاه الناس الآخرين.

٣٥- هناك دواءان لعلاج الكبرياء؛ وإذا لم تنفع نفسك منهما فسوف تجد نفسك قد أعطيت نوعاً ثالثاً، ألمه أكثر بكثير من أن يُحتمل.

٣٦- الصلاة بدموع، وعدم احتقار أي أحد، يدمران الكبرياء؛ ولكن يفعل ذلك أيضاً التأديب الذي يأتي علينا رغماً عن إرادتنا.

٣٧- التأديب من خلال التجارب التي تُفرض علينا هو عصا روحية، تعلمنا التواضع عندما في حماقتنا نعتقد في أنفسنا أكثر من اللازم.

٣٨- مهمة الفكر هي نبذ أي فكر يذم كائننا زميلاً.

٣٩- كما أن البستاني الذي لا يُزيل الأعشاب الضارة يخنق خضرواته، كذلك الفكر الذي لا يُنقي أفكاره فهو يضيع مجهوداته.

٤٠- الإنسان الحكيم هو الذي يقبل النصيحة، خاصة تلك التي من أب روحي يرشده بحسب مشيئة الله.

٤١- الإنسان المُماتُ بالشهوات لا يتأثر بالنصيحة ولن يقبل أي تصحيح روحي.

٤٢- من لا يقبل النصيحة لن يمضى قدما أبداً في الطريق الروحي المستقيم، بل سوف يظل يجد نفسه دائماً في وسط منحدرات وطرق مسدودة.

٤٣- فكر الراهب الحقيقي هو ذلك الذي هجر الحواس ولا يستضيف حتى فكر اللذة الحسية.

٤٤- الفكر الذي مثل الطبيب الحقيقي هو الذي يشفى نفسه أولاً وبعدئذٍ يشفى الآخرين من الأمراض التي قد شفى منها.

٤٥- اسع وراء الفضيلة ولا تكن محروماً منها، لئلا تعيش بطريقة دنيئة وتموت موتاً بائساً.

٤٦- ربنا يسوع قد أعطى النور لكل الناس، ولكن هؤلاء الذين لا يثقون به يجلبون الظلام على أنفسهم.

٤٧- لا تعتقد بأن خسارة فضيلة شيئاً هيناً، لأنه من خلال مثل هذه الخسارة أتى الموت على العالم.

٤٨- طاعة الوصية هي القيامة من الأموات، لأن الحياة بالطبيعة تعتمد على الفضيلة.

٤٩- عندما كان الفكر مماتاً بكسر الوصية، كان موت الجسد نتيجة ضرورية.

٥٠- كما أصبح آدم خاضعاً للموت من خلال التعدي، كذلك المخلص من خلال الطاعة قتل الموت.

٥١- أمت الشر حتى لا تنهض الموت وبذلك تعبر من موتاً صغيراً إلى موتاً كبيراً.

٥٢- بسبب معصية آدم أصبح المخلص إنساناً، حتى يمكن أن يقيمنا جميعاً من خلال إبطال الحكم الذي أتى علينا.

٥٣- من قد أمات شهواته وهزم الجهل يذهب من حياة إلى حياة.

٥٤- ابحث في الكتاب المقدس وسوف تجد الوصايا، افعل ما يقولون وسوف تتحرر من الشهوات.

٥٥- طاعة الوصية تطهر النفس، وتطهير النفس يؤدى إلى شركتها في النور.

٥٦- شجرة الحياة هي معرفة الله؛ عندما، تكون متطهراً، فسوف تشارك في هذه المعرفة وتحرز الخلود.

٥٧- الخطوة الأولى في ممارسة الفضيلة هي الإيمان بالمسيح؛ ونهايتها، محبة المسيح.

٥٨- يسوع هو المسيح، ربنا وإلهنا، الذي يمنحنا الإيمان به حتى يمكن أن نحيا.

٥٩- لقد أظهر نفسه لنا في النفس، والجسد، واللاهوت، حتى، إنه كإله، إستطاع أن يخلص النفس والجسد من الموت.

٦٠- دعنا نقتنى الإيمان حتى يمكن أن نحرز الحب؛ لأن الحب يلد استنارة المعرفة الروحية.

٦١- اقتناء الإيمان يؤدى بنجاح إلى مخافة الله، وكبح اللذات الحسية، والاحتمال الصبور للمعاناة، والرجاء في الله، واللاهوى والحب.

٦٢- الحب الأصيل يلد المعرفة الروحية للعالم المخلوق، وهذا يُتبع برغبة كل الرغبات: نعمة علم معرفة الله.

٦٣- عندما يضبط الفكر الشهوات فإنه بلا شك يفعل ذلك بدافع المخافة، لأنه يؤمن بتهديدات الله ووعوده.

٦٤- عندما يتم منحك الإيمان، فإن ضبط النفس مطلوب منك؛ وعندما يصبح ضبط النفس معتادٌ علية، فإنه يلد الاحتمال الصبور، وسلوكاً يقبل المعاناة بسعادة.

٦٥- علامة الاحتمال الصبور هو الفرح في المعاناة؛ والفكر، واثقاً في هذا الاحتمال الصبور، يأمل في أن يحقق ما قد وعد به ويهرب من ما تم تهديده به.

٦٦- توقع البركات المُذخرة يوصل الفكر بما يتوقعه. وعندما يتأمل باستمرار في هذه البركات، فإنه ينسى أشياء هذا العالم.

٦٧- من ذاق الأشياء التي يأمل فيها سوف يرفض بازدراء أشياء هذا العالم: وسوف يكون كل اشتياقه موجه إلى ما يأمل فيه.

٦٨- إنه الله الذي وعد بالبركات المذخرة؛ والشخص المؤدب ذاتياً الذي له إيمان بالله يأمل في ما هو مذخر كما وأنه حاضر.

٦٩- علامة أن الفكر يسكن في البركات التي يأمل فيها هي نسيانه الكامل للأشياء الدنيوية ونمو معرفته بما هو مُذخر.

٧٠- اللاهوى الذي تم تعليمه بواسطة اله الحق هو صفة نبيلة؛ من خلالها يتمم (الله) إشتياقات النفس التقية.

٧١- البركات الكامنة في الحفظ لوارثي الوعد تفوق الخلود، وقبل كل الدهور، وتتجاوز كل من الفكر والأفكار.

٧٢- دعنا ننظم حياتنا طبقاً لقواعد الإيمان الحقيقي، حتى لا ننحرف إلى الشهوات وبذلك نفشل في تحقيق ما نأمل فيه.

٧٣- يسوع هو المسيح، واحد من الثالوث القدوس. لقد قُدر لك أن تكون وارثه[١].

٧٤- إذا علمك الله معرفة روحية للكائنات المخلوقة، فسوف لا تشك في كلمات الكتاب المقدس التي تتعلق بالبركات المذخرة.

٧٥- الروح القدس يُدخل الفكر إلى أسرار الدهر الآتي طبقاً للدرجة التي يتجرد بها الفكر.

٧٦- كلما تنقى الفكر، كلما مُنِحَتْ النفس المعرفة الروحية التي للمبادئ الإلهية.

٧٧- من أدب جسده ويسكن في حالة معرفة روحية سيجد من خلال تلك المعرفة أن تنقيته لا زالت مستمرة.

٧٨- الفكر الذي يشرع في إتباع الحكمة الإلهية يبدأ بالإيمان؛ وعندئذٍ يمر في المراحل المتوسطة حتى يصل إلى الإيمان[٢] مرة أخرى، وفى هذه المرة النوع الأعلى.

٧٩- مبدئياً يكون سعينا للحكمة مدفوع بالخوف، ولكن عندما نحقق هدفنا فإننا ننقاد بعد ذلك بالحب.

---

(١) ق.م (مت ٢٥: ٣٤)- م.

(٢) ق. م. (رو ١: ١٧)-م.

٨٠- الفكر الذي يبدأ في البحث عن الحكمة الإلهية بإيمان بسيط سوف يحرز في النهاية علم اللاهوت الذي يتجاوز الفكر وهذا يتميز بإيمان غير منقطع من أعلى نوع والتأمل في غير المرأى.

٨١- المبادئ الإلهية التي يتم التأمل فيها بواسطة القديسين لا تكشف جوهر الله، ولكن الصفات التي تخصه.

٨٢- البعض من المبادئ الإلهية التي تخص الله يتم فهمه بطريقة إيجابية والبعض الأخر بطريقة سلبية.

٨٣- على سبيل المثال، الكينونة، الإلوهة،الصلاح وأي شيء آخر ننسبه لله بطريقة إيجابية، أو باللاهوت الإيجابي يتم فهمها بطريقة إيجابية. عدم وجود بداية، الأبدية، عدم التحديد وهكذا يتم فهمها بطريقة سلبية أو باللاهوت السلبي.

٨٤- حيث أن عمق اللاهوت للثالوث القدوس هو جوهر واحد يتجاوز الفكر والأفكار، فما قد قيل تواً وفقرات أخرى مشابهة، تشير للصفات التي تخص الجوهر، وليست الجوهر نفسه.

٨٥- كما نتكلم عن الربوبية الوحيدة التي للثالوث القدوس، كذلك نمجد الثلاثة أشخاص أو أقانيم، التي للربوبية الواحدة.

٨٦- الصفات الإيجابية والسلبية المذكورة أعلاه يتم فهمها على أنها مشتركة للثالوث القدوس الواحد في الجوهر، وليس كإظهار المميزات الفردية للثلاثة أقانيم. معظم هذه المميزات الفردية بطريقة إيجابية، بالرغم من أن البعض يجب أن يُفهم بطريقة سلبية.

٨٧- المميزات الفردية التي للأقانيم الإلهية هي الأبوة، البنوة، الانبثاق، وما يمكن أن يقال عنهم بطريقة فردية.

٨٨- الشخص يمكن أن يتم تعريفه كجوهر بمميزات فردية. وهكذا فإن كل شخص يملك كل من ما هو عام في الجوهر وما ينتمي بطريقة فردية للشخص.

٨٩- من الصفات العامة للثالوث القدوس، تلك التي تنسب إليها سلبياً تنطبق بطريقة أكثر ملائمة من تلك التي تنسب إليها إيجابياً. ولكن ليست هذه هي الحالة مع المميزات الفردية. كما لاحظنا، البعض من هذه قد تم التعبير عنه بطريقة إيجابية والبعض الآخر بطريقة سلبية:

«الولادة» «عدم الولادة» على التوالي هما مثالان على كلاهما. وهكذا فإن «عدم الولادة» تختلف عن «الولادة» بالأخذ في الاعتبار معناهما، وليس بالأخذ في الاعتبار ملائمتهما: المصطلح الأول يعبر عن حقيقة أن الآب غير مولود والثاني أن الابن مولود.

٩٠- الأفعال والأسماء تستخدم، كما قلنا، كي تظهر المبادئ التي عند تأملها نفهمها كمتعلقة بجوهر الثالوث القدوس، ولكن لا تشير إلى الجوهر نفسه. لأن مبادئ الجوهر لا يمكن أن تُعرف بواسطة الفكر أو أن يعبر عنها بالكلمات: إنهم معروفون فقط للثالوث القدوس.

٩١- كما أن الجوهر الواحد الذي للإلوهة يقال بأنه موجود في ثلاثة أقانيم، كذلك الثالوث القدوس يعترف بأنه له جوهر واحد.

٩٢- نحن نعتبر أن الآب كغير مبتدأ، وكمصدر: هو الوالد للابن والباثق للروح القدس، كل منهما هو بالجوهر منه وفيه من قبل كل الدهور.

٩٣- وبطريقة متعاكسة، الواحد هو نفسه الثلاثة ولازال واحداً، بينما الثلاثة هم واحد ولازالوا ثلاثة.

٩٤- أيضاً، الابن والروح القدس معتبرين غير مبتدأين، وأيضاً قبل كل الدهور. إنهما بلا بداية لأن الآب هو أصلهم ومصدرهم؛ ولكنهم أزليان لأنهم واحد مع الآب في الجوهر، الواحد مولود منه والآخر ينبثق منه قبل كل الدهور.

٩٥- الإلوهة الواحدة التي للثالوث غير متجزئة والثلاثة أقانيم التي للإلوهة الواحدة غير مشوشة.

٩٦- المميزات الفردية للآب هي عدم وجود بداية وعدم الولادة؛ وللابن هي الوحدة في الجوهر مع المصدر وكمولود منه؛ وللروح القدس هي الوحدة في الجوهر مع المصدر وكمنبثق منه. بداية الابن والروح القدس لا تعتبر زمنية؛ كيف يمكن أن يكون ذلك؟ في المقابل، لفظ «بداية» يشير إلى المصدر الذي يأتي منه وجودهم أزلياً، مثل النور من الشمس. لأنهم يبدأون من المصدر طبقاً لجوهرهم، بالرغم من أنهم ليسوا أقل أو لاحقين له.

٩٧- كل أقنوم يحفظ مميزاته الفردية ثابتة غير متغيرة؛ والطبيعة العامة التي لجوهرهم، أي، إلوهتهم، لا تتجزأ.

٩٨- نحن نعترف بوحدة في الثالوث وثالوث في وحدة، ثلاثة أقانيم ولكن بدون انقسام ومتحدين ولكن بدون اختلافات.

٩٩- الآب هو الأصل الوحيد لكل الأشياء. هو أصل الابن والروح القدس كوالد ومصدر، واحد معهم في الأزلية، واحد معهم في الأبدية، غير محدود، واحد معهم في الجوهر وغير متجزئ. هو أصل كل شيء مخلوق، وهو الواحد الذي ينتجهم، ويرعاهم، ويحكمهم من خلال الابن والروح القدس. «لأن منه وبه وله كل الأشياء له المجد إلى الأبد أمين» (رو ١١: ٣٦).

١٠٠- أيضاً، الابن والروح القدس يقال بأنهم واحد في الأزلية مع الآب، ولكن ليس واحداً في عدم وجود مصدر له. إنهما أزليان بأنهما موجودان منذ الأزل مع الآب؛ ولكنهم ليسوا واحداً في عدم وجود مصدر له لأنهما ليسا بلا مصدر: لأنه كما قد قلنا قبلاً، أنهما قد أتيا منه كالنور من الشمس، وبالرغم من ذلك فهما ليسا أقل منه أو تاليان له. ويقال أيضاً أنهما بلا بداية بمعنى أن ليس لهم بداية زمنية. إذا لم يكن الوضع هكذا، فإنهما سيكونان خاضعين للزمن، في حين أن الزمن نفسه يأتي منهما. إذاً، هما بدون بداية ليس بالنسبة لمصدرهم ولكن بالنسبة للزمن، لأنهما موجودان بطريقة تسبق وتتجاوز كل الأزمان وكل الدهور؛ ومنهما أتى كل زمان وكل الدهور، مع كل شيء يقع في الزمن والدهور. هذا لأنهما، كما قلنا، واحد في الأزلية مع الآب: له معهما، المجد والقوة إلى الأبد آمين.

القديس يوحنا الدمشقي
ST JOHN OF DAMASKOS

مقدمة: في الفضائل والرذائل، مختصر موجز وواضح للتعليم النسكي القياسي، منسوب بواسطة القديس نيقوديموس للقديس يوحنا الدمشقي (٦٧٥م- ٧٤٩م)، مؤلف خلاصة العقيدة الشهيرة «في الإيمان الأرثوذكسي»، ولكنه يظهر أيضاً بين أعمال منسوبة للقديس أثناسيوس السكندري (٢٩٦م- ٣٧٣م) والقديس إفرام السرياني (٣٠٦م- ٣٧٣م). وربما ليس بواسطة أي من هؤلاء الثلاثة، ويبقى تاريخها ومصدرها صعباً تحديدهما. حيث أن المؤلف في تحليله للتجربة يبدوا بوضوح إنه مدين للقديس مرقس الناسك (أوائل القرن الخامس)- الذي يستشهد، حقاً، بأسمه في ارتباط آخر- وربما أيضاً للقديس يوحنا كليماكوس (القرن السابع). إنه يُكيف تعليم إيفاجريوس في الثلاثة أوجه للنفس والأفكار الشريرة الثمانية، وملاحظاته على محبة الذات توحي بإطلاعه على كتابات القديس مكسيموس. هناك جدل بأن بداية ونهاية مقالة، في فضائل النفس والجسد، هي من أصل سرياني- التي ستحسب لانتسابها لإفرام- ويحتمل أن تكون مأخوذة من يوحنا المتوحد (٥٠٠م). القديس نيقوديموس يمدح المقالة كـ «حجر المحك[1] الذي يميز بدقة بين الذهب المعروف والمجرب الذي للفضائل وزغل النحاس الذي للرذائل».

في الفضائل والرذائل
On the Virtues and the Vices

الإنسان كائن ثنائي يشمل نفس وجسد، وله نظامان من الحواس ونظامان متناظران من الفضائل. النفس لها خمس حواس والجسد خمس. حواس النفس التي تسمى أيضاً قدرات، هي الفكر، العقل، الرأي، الخيال والإدراك الحسي. حواس الجسد هي النظر، الشم، السمع، التذوق واللمس. الفضائل التي تنتمي لهذه الحواس هي ثنائية وكذلك أيضاً الرذائل. كل واحد يجب أن يعرف كم عدد الفضائل التي للنفس وكم عددها التي للجسد، وأي نوع من الشهوات ينتمي للنفس وأي نوع ينتمي للجسد. الفضائل التي ننسبها للنفس هي مبدئياً الفضائل الأربعة الرئيسية: الشجاعة، الحكم الأخلاقي، كبح النفس والعدل، وهذه تلد الفضائل الأخرى التي للنفس: الإيمان، الرجاء، المحبة، الصلاة، التواضع، الوداعة، طول

---

(١) يستخدم لإختبار الذهب- م.

الأناة، الصبر، الطيبة، التحرر من الغضب، معرفة الله، الفرح، البساطة، الهدوء، الصدق، التحرر من الباطل، التحرر من الكبرياء، غياب الحسد، الأمانة، التحرر من الطمع، الشفقة، الرحمة، الكرم، عدم الخوف، التحرر من الكآبة، الندم العميق(١)، الاعتدال، الوقار، الرغبة في البركات المذخرة، الاشتياق لملكوت الله، والتطلع للبنوة الإلهية.

بجانب(٢) هذه هناك الفضائل الجسدية أو، بالأحرى، أدوات أو وسائل الفضيلة. عندما تُستخدم بفهم، بحسب مشيئة الله، وبدون أي نفاق أو رغبة في ربح توقير الناس، فإنها تجعل من الممكن التقدم في التواضع والتحرر من الأهواء، وهى ضبط النفس، الصوم، الجوع، العطش، اليقظة، حفظ سهر طوال الليل، السجود المستمر، عدم الاستحمام(٣)، ارتداء حلة واحدة، أكل طعام بسيط، الأكل ببطء، شرب الماء فقط، النوم على الأرض، الفقر، الطرح الكامل للممتلكات، التقشف، عدم الاهتمام بالمظهر الشخصي، عدم الأنانية، حفظ السكون، عدم الخروج (من الدير)، احتمال شظف العيش، أن تكون معتمدا على نفسك، الصمت، العمل بيديك، وكل نوع من المشقات والنسك الجسدي، مع بقية الممارسات المشابهة. عندما يكون الجسد قوياً ومضطرباً بالشهوات الجسدية، فلا مفر منهم جميعاً(٤) وهم نافعون للغاية، وعندما يكون الجسد ضعيفاً، على أية حال، وبمعونة الله قد تغلب على هذه الشهوات، فإن مثل هذه الممارسات ليست أساسية كالتواضع والشكر المقدسين، اللذان يكفيان لكل شيء.

أحياناً يجب التكلم أيضاً عن الرذائل أو الشهوات التي للنفس والجسد. شهوات النفس هي النسيان، الكسل والجهل، عندما تكون عين النفس، التي هي الفكر، قد تم إظلامها بهذه الثلاثة، تكون النفس تحت سيطرة كل الشهوات الأخرى. بقية الشهوات الأخرى هي العصيان، التعليم الزائف أو أي نوع من الهرطقة، التجديف، الغيظ، الغضب، المرارة، حدة الطبع، الوحشية، الحقد، الاغتياب والنميمة، النقد القاسي، الاكتئاب الغبي، الخوف، الجُبن، محبة الخصام، الغيرة، الحسد، البر الذاتي، الكبرياء، النفاق، الكذب، عدم الإيمان، الجشع،

---

(١) على الخطايا السابقة- م.

(٢) هذه الفقرة خاصة بالرهبان ولا ينصح بتطبيقها دون مشور أب الإعتراف- م.

(٣) عدم الإستحمام لا يعنى عدم النظافة، لأن بأستخدام نظام غذائى نباتى بسيط لا يكون للإنسان رائحة غير مستحبة ويمكن بقطعة قماش مبتلة بالماء أن ينظف نفسه- م

(٤) أى الفضائل الجسدية المذكورة سابقاً- م.

محبة الأشياء المادية، الارتباط بالشئون الدنيوية، الفتور، ضعف العزيمة، الجحود، التذمر، التفاهة، الغرور، الانتفاخ، الزهو، محبة السلطة، محبة الشهرة، الخداع، الوقاحة، عدم الإحساس، التملق، الخيانة، التظاهر، التردد، الموافقة على الخطايا التي تنهض من الجانب الحسي في النفس ويُسهب في التفكير فيهم باستمرار، الأفكار الجوالة، محبة الذات، أم كل رذيلة، الطمع، أصل كل شر (ق.م. ١تى ٦: ١٠) وأخيراً الخبث والمكر.

شهوات الجسد هي البطنة، الجشع، الانغماس الزائد في الملذات، السكر، الأكل في الخفاء، الرفاهية بصورة عامة في الحياة، الدنس، الزنا، الفسق، النجاسة، زنا المحارم، اللواط، الوحشية، الرغبات النجسة وكل شهوة فاسدة وغير طبيعية، السرقة، عدم احترام المقدسات، السلب، القتل، كل نوع من الترف الجسدي وإشباع نزوات الجسد (خاصةً عندما يكون الجسد في صحة جيدة)، استشارة الدجالين، استخدام التعازيم السحرية، الالتفات إلى التفاؤل والتشاؤم، أن يزين المرء نفسه، التفاخر، الاستعراض الأحمق، استخدام أدوات التجميل، دهان الوجه، تضيع الوقت، أحلام اليقظة، الخداع، الاستخدام السيئ المشبوب العاطفة لملذات هذا العالم، وحياة التنعم الجسدي، التي بواسطة تخشين الفكر تجعله فظاً وعنيفاً ولا تتركه يُنهض نفسه أبداً تجاه الله وممارسة الفضائل.

الأصول أو الأسباب الأولية لكل هذه الشهوات هي محبة اللذة الحسية، محبة المديح ومحبة الثروة المادية، كل شر يبدأ منها، كما يقول مرقس، أحكم النساك، الإنسان لا يستطيع أن يرتكب خطيئة واحدة إلا إذا تغلب عليه العمالقة الثلاثة، النسيان والكسل والجهل، واستعبدوه[١]. وهذه العمالقة هي ذُرية اللذة الحسية، الرفاهية، محبة التوقير من الناس وعدم الانتباه. السبب الأولى والأم الفاسدة لهم هي محبة الذات، التي هي حب أحمق لجسد المرء وارتباط مشبوب العاطفة به. الفكر المشتت والمنغمس في الملذات المُكرس للكلام التافه واللغة البذيئة ينتج كثير من الرذائل والخطايا. أيضاً الحديث الضاحك المنحل وغير المحتشم يؤدى إلى الخطيئة.

علاوة على ذلك، الحب المشبوب العاطفة لـ اللذة الحسية يأخذ تنوعاً هائلاً من الأشكال؛ لأنه عندما تتوانى النفس في يقظتها، ولم تعد متقوية بمخافة الله، وعندما تكف عن العمل بجدية في التدرب على الفضائل من خلال حبها للمسيح، فإن الملذات التي تخدعها كثيرة. لأن اندفاع الملذات الغير محدودة ذهاباً وإياباً تجذب عين النفس: الملذات التي للجسد،

(١) إنظر القديس مرقس الناسك 'خطاب لنيقولاس المتوحد' (المجلد الأول من الفيلوكاليا).

والتي للأشياء المادية، والتي للانغماس الأكثر من اللازم في المتع، والتي للمديح، والكسل، والغضب، والتي للسلطة، ، الطمع والجشع. هذه الملذات لها مظهر براق وجذاب، الذي، من خلال الخداع، يغوى بسهولة هؤلاء الذين ليس لهم أي حب عظيم للفضيلة ولا يرغبون في أن يتحملوا المشقات من أجلها. كل ارتباط بالأشياء المادية ينتج لذة وبهجة في الإنسان الخاضع لمثل هذا الارتباط، وبالتالي فإن هذا يظهر كيف هو ضار وبلا نفع أن يكون جانب الرغبة في النفس محكوماً بالشهوة. لأنه عندما يكون الإنسان الخاضع لهذا الجانب من النفس محروما مما يُريده فإنه يُهزم من الغيظ، والغضب، والاستياء والحقد. وإذا أخذت عادة ما صغيرة اليد العليا من خلال مثل هذا الارتباط الأحمق، فإن الإنسان الذي يحدث له هذا يؤخذ سريعاً بطريقة غير مدركه ولا يمكن علاجها باللذة المختفية في (هذا) الارتباط حتى يفلت منه.

كما قد قلنا بالفعل، اللذة الحسية الشهوانية تأخذ كثيراً جداً من الأشكال. إنها تجد رضا ليس فقط في النجاسة والانغماس في الملذات الجسدية الأخرى ولكن في كل شهوة أخرى أيضاً. لأن كبح النفس لا يتكون فقط من التعفف عن النجاسة واللذة الجنسية؛ إنها تعنى أيضاً هجر كل الأشكال الأخرى من الانغماس في الملذات أيضاً. ومن ثم فأن الإنسان المدمن للثروة المادية، والطمع أو الجشع هو أيضاً فاسق وفاجر. لأنه كما أن الرجل الشهواني يحب ملذات الجسد، كذلك الإنسان الطماع يشتهى ملذات الممتلكات المادية. حقاً، الأخير هو أكثر فجراً لأن القوة التي تقوده أقل إجباراً بالطبيعة. لأنه يمكن أن نقول بعدل على قائد عجلة حربية إنه غير ماهر، ليس عندما يفشل في التحكم في حصان حرون وصعب الانقياد، ولكن فقط إذا لم يستطيع التحكم في حيوان أقل حدة بكثير. من الواضح تماماً أن الرغبة في الأشياء المادية هي بكاملها غير طبيعية ومضادة للطبيعة، وأنها تأخذ قوتها ليس من الطبيعة ولكن من اختيار خاطئ مُتعمد؛ من خضع بحرية لمثل هذه الرغبة يُخطئ بناء على ذلك بلا عذر. لذلك يجب علينا أن ندرك أن حب اللذة غير محدود ليس فقط للذي يدلل الجسد ويغمسه بطريقة زائدة في الملذات، ولكن يشمل أيضاً كل اشتياق وارتباط للنفس، مهما كان شكل أو موضوع الرغبة.

لتسهيل فهم الشهوات بلغة أقسام النفس الثلاثة سوف نصنفهم بطريقة مختصرة. النفس لها ثلاثة جوانب: الذكاء، والإثارة[١] والرغبة. خطايا جانب الذكاء هي عدم الإيمان،

---

(١) المقصود بالإثارة هنا الغضب- م.

الهرطقة، الحماقة، التجديف، الجحود، الموافقة على الخطايا التي تنشأ في الجانب السريع التأثر من النفس. هذه الرذائل تُشفىَ من خلال إيمان ثابت بالله وتعاليم حقيقية غير منحرفة ومستقيمة، ومن خلال الدراسة المستمرة لكلمات الروح القدس المُلهِمَة، ومن خلال صلاة نقية غير منقطعة، ومن خلال تقديم الشكر لله. خطايا جانب الإثارة هي قساوة القلب، الكراهية، عدم الشفقة، الحقد، الحسد، القتل والتفكير بإسهاب دائماً في مثل هذه الأشياء. ويتم شفاءهم بواسطة التعاطف العميق للمرء مع زملائه، الحب، الوداعة، المودة الأخوية، الشفقة، الصبر والطيبة. خطايا جانب الرغبة هي البطنة، الجشع، السكر، النجاسة، الزنا، الدنس، الفجور، محبة الأشياء المادية، والرغبة في المجد الفارغ، الذهب، الثروة وملذات الجسد. وهذه تُشفى من خلال الصوم، ضبط النفس، المشقات، طرح كامل للممتلكات وتوزيعها على الفقراء، الرغبة في البركات الغير فانية المذخرة، الاشتياق لملكوت الله، والطموح إلى البنوة الإلهية[١].

يجب أيضاً أن تتعلم أن تميز الأفكار الملتهبة التي تسبق كل خطيئة. الأفكار التي تشمل كل شر هي ثمانية في عددها: تلك التي للبطنة، النجاسة، الطمع، الغضب، الاكتئاب، الفتور، البر الذاتي والكبرياء. لا يقع تحت سلطاننا أن نقرر أي من هذه الثمانية سوف يُثار ويزعجنا أم لا. ولكن أن نفكر فيهم أو لا نفكر فيهم، كي نثير الشهوات أو لا نثيرهم، يقع تحت سلطاننا. في هذه الوصلة، يجب أن نميز بين سبعة مصطلحات مختلفة: التحريض، الارتباط، المصارعة، الشهوة، الموافقة (التي تأتى قريباً جداً من الفعل)، التفعيل والأسر. التحريض هو ببساطة إيحاء يأتي من العدو، مثل 'افعل هذا' أو 'افعل ذاك' مثلما اختبر ربنا نفسه عندما سمع الكلمات 'قل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً' (ق.م. مت ٤: ٣). كما قد قلنا بالفعل، ليس في سلطاننا أن نمنع التحريض[٢]. الارتباط هو قبول الفكر الذي تم إيحاؤه بواسطة العدو، أي التفكير بإسهاب في الفكر والاختيار المتعمد للعبث معه بطريقة تلذذية. الشهوة هي الحالة التي تنتج من الارتباط بالفكر الذي تم إثارته بواسطة العدو؛ وهذا يعنى ترك الخيال يحتضن (هذا) الفكر باستمرار. المصارعة هي المقاومة التي يتم إبدائها للفكر الملتهب، وهى يمكن أن تنتج إما في تدميرنا للشهوة في الفكر- أي، الفكر الملتهب- أو في قبولنا له. كما يقول القديس بولس، «الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد

---

(١) أى نكون أبناء الله- م.

(٢) أى الإثارة التى تأتى من الشياطين أو الظروف المحيطة- م.

وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غل ٥: ١٧). الأسر هو الاختطاف القسري والإجباري للقلب الذي تم السيطرة عليه بالفعل بانشغال الفكر وطول التعود. القبول هو إعطاء موافقة على الشهوة المتأصلة في الفكر. التفعيل هو وضع الفكر الملتهب موضع التنفيذ متى حصل على قبولنا. إذا استطعنا مواجهة أول هذه الأشياء، التحريض (أي الإثارة)، بطريقة خالية من الأهواء، أو نرفضه بحزم من البداية، فبناء على ذلك نقطع على الفور كل شيء يأتي بعد ذلك.

هذه الثمانية شهوات يجب أن يتم تدميرها كالتالي: البطنة بواسطة ضبط النفس؛ النجاسة بالرغبة في الله والاشتياق في البركات المذخرة؛ الطمع بالشفقة على الفقير؛ الغضب بالنية الحسنة والمحبة لكل الناس؛ الاكتئاب الدنيوي بالبهجة الروحية؛ الفتور بالصبر والمثابرة وتقديم الشكر لله؛ البر الذاتي بعمل الخير في الخفاء وبالصلاة باستمرار بقلب منسحق؛ والكبرياء بعدم إدانة أو احتقار أي أحد بطريقة الفريسي المنتفخ (ق.م. لو ١٨: ١١-١٢)، وبأن يعتبر المرء نفسه أقل كل الناس. عندما يتم تحرير الفكر من الشهوات بهذه الطريقة التي وصفناها وأن يتم رفعه لله، سوف يحب من الآن فصاعداً حياة البركة، آخذاً عربون الروح القدس (ق.م. ٢كو ١: ٢٢). وعندما يغادر الحياة، خالياً من الأهواء ومملوءاً من المعرفة الحقيقية، فسوف يقف أمام نور الثالوث القدوس ومع الملائكة المقدسين سوف يشع بالمجد على مدى كل الأبدية.

النفس، كما قد شرحنا بالفعل، لها ثلاثة جوانب أو قوىَ: الذكاء، والإثارة والرغبة. عندما تكون قوة الإثارة مفعمة بالحب والتعاطف العميق لزملاء المرء، والرغبة بالنقاوة وكبح النفس، يستنير الذكاء. ولكن عندما تسيطر كراهية الزملاء على قوة الإثارة، والرغبة تكون منغمسة في الملذات، يكون الذكاء في ظلام. الذكاء يكون صحيحاً ومنضبطاً ومستنيراً عندما يكون مُسيطراً على الشهوات، ويدرك الجوهر الداخلي لمخلوقات الله بطريقة روحية، ويكون مرفوعاً إلى الثالوث القدوس المبارك. قوة الإثارة تعمل طبقاً للطبيعة عندما تحب كل الناس ولا تحمل شكوى أو تأوي حقداً ضد أي أحد. الرغبة كذلك تعمل وفقاً للطبيعة عندما تقتل الشهوات من خلال التواضع، ضبط النفس وطرح كامل للممتلكات- أي، ملذات الجسد، وشهية الثروة المادية والمجد الباطل- وتعود إلى الحب الذي هو مقدس وخالد، لأن الرغبة تُسحب نحو ثلاثة أشياء: لذة الجسد، المجد الذاتي الباطل، واكتساب الثروة المادية. كنتيجة لهذه الشهية الحمقاء فإنها تزدرى بالله ووصاياه، وتنسى كرمه؛ وتنقلب مثل

وحش ضاري ضد جارها؛ إنها تغمر الذكاء في الظلمة وتمنعه من التطلع إلى الحق. من قد اقتنى فهماً روحياً لهذا الحق سوف يكون له نصيب في ملكوت السموات حتى هنا على الأرض وسوف يحيا حياة مباركة متوقعاً البركات التي تنتظر هؤلاء الذين يحبون الله. لعلنا نحن أيضاً نكون مستحقين لهذه البركات بنعمة ربنا يسوع المسيح. آمين.

الفضيلة، على أية حال، يمكن أن تتحقق فقط بالجهد المتواصل. هذا يعنى أننا يجب أن نجاهد كل حياتنا كي نبدى انتباه عملي شديد لأشياء مثل أعمال الرحمة، ضبط النفس، الصلاة، الحب والفضائل العامة الأخرى. يمكن لشخص أن يمارس هذه الفضائل بدرجة كبيرة أو صغيرة، ويمكن أن يؤدى من وقت لآخر أعمال الرحمة؛ إذا فعل كذلك فقط بشكل متقطع لا نستطيع أن نطلق علية بطريقة شرعية أنه رحيم، خاصة إذا كان ما يفعله غير مفعول بأسلوب جيد وبطريقة لا تتوافق مع مشيئة الله. لأن الخير ليس خيراً إذا لم يتم عمله بطريقة صحيحة. إنه خير حقاً فقط إذا لم يتم عمله بغرض أخذ مقابل ما؛ كما، على سبيل المثال، السعي وراء الشعبية أو المجد التي يمكن أن تأتي بواسطة الشهرة، أو بواسطة الربح الزائد، أو بشيئاً ما خاطئ. الله لا يهتم بما يحدث لكي يظهر ما هو خير أو بما يبدو خير، إنه يهتم بالهدف الذي يتم عمل الشيء لأجله. كما يقول الآباء القديسون، عندما ينسى الفكر الهدف من الالتزام الديني، تفقد الممارسة الخارجية للفضيلة قيمتها. لأنه مهما تم عمله بدون إفراز وبدون هدف فهو ليس نافعاً فقط- حتى ولكن جيداً في ذاته- ولكنه يضر بالفعل. وبطريقة عكسية، فإن ما يبدو شريراً فهو بالحقيقة جيد إذا تم فعله بهدف صالح وبما يتوافق مع مشيئة الله. إن فعل إنسان يذهب إلى ماخور لإنقاذ امرأة من الدمار هي مثال جيد على ذلك.

مِن الواضح إذاً، أن من يُظهر أحياناً رحمة ليس برحيم، وأن من يمارس أحياناً ضبط النفس ليس ضابطاً لنفسه. الرجل الرحيم والضابط لنفسه هو من يكافح كفاح كامل بإصرار وبإفراز لا يخطئ كل حياته من أجل الفضيلة الكاملة؛ لأن الإفراز أعظم من أي فضيلة أخرى، وهى ملكة وتاج كل الفضائل. وبالمثل صحيح مع الرذائل: نحن نطلق على رجل أنه زاني أو سكير أو كذاب ليس بسبب زلة واحدة، ولكن فقط يستمر في السقوط في الخطيئة التي عليها الكلام ولا يقوم بأي محاولة لتصحيح نفسه.

هناك شيء آخر يجب أن تعرفه إذا كنت تريد حقاً تحقق الفضيلة وتتجنب الخطيئة. فكما أن النفس أفضل بما لا يقارن من الجسد وفى العديد من النواحي الرئيسية أكثر

تميزاً وأكرم، لذلك فإن فضائل النفس متفوقة بطريقة مطلقة عن فضائل الجسد. إن هذا صحيح خاصة لتلك الفضائل التي تقلد الله وتحمل اسمه[1]. وبطريقة عكسية، فإن رذائل النفس أكثر سوءاً من شهوات الجسد، في كل من الأفعال التي تنتجها والعقوبات التي تجلبها. لا أعرف لماذا، يُهمل معظم الناس هذه الحقيقة. إنهم يتعاملون مع السكر، وعدم العفة، والزنا، والسرقة، ومثل كل هذه الرذائل باهتمام كبير، متجنبينهم أو معاقبينهم كشيئاً مظهرة كريه لمعظم الناس. لكن شهوات النفس أسوأ وأكثر خطورة من الشهوات الجسدية. لأنهم يحطون من قدر الناس إلى مستوى الشياطين، ويقودونهم فاقدي الوعي كما هم، للعقاب الأبدي المحفوظ لكل من يتمسك بعناد بمثل هذه الرذائل. شهوات النفس هي الحسد، الحقد، الخبث، عدم الإحساس، الطمع- الذي هو بحسب الرسول أصل كل الشرور (ق.م. ١تى ٦: ١٠)- وكل الرذائل التي لها نفس الطبيعة.

لقد رتبنا عظتنا بطريقة واضحة ومختصرة، شارحين كل نقطة بأسلوب بسيط، على قدر ما سمح نقص معرفتنا، حتى يستطيع أي أحد أن يميز بسهولة الفئات المتنوعة من الفضائل والرذائل، ويقتنى فهماً مفصلاً لطبيعتهم. لقد بَيَّنا كل فئة بكل أشكالها وتنويعاتها لكي نصبح كلنا واعين، بقدر الإمكان، بكل نوع من الفضيلة والرذيلة. بهذه الطريقة نستطيع أن نكافح بكل قلبنا كي نقتنى الفضائل- وعلى وجه الخصوص فضائل النفس، لأنه من خلالها نقترب إلى الله- ونتجنب الرذائل بشكل حازم. مباركٌ حقاً الإنسان الذي يبحث عن الفضائل ويتبعها ويستفسر بجِد عن طبيعتها، لأنه من خلال الفضيلة يقترب من الله ويدخل في شركة روحية معه. لأننا قبل كل شيء نقاد بالحكم الأخلاقي، والشجاعة، والحكمة، والمعرفة الحقيقية والثروة الثابتة التي تقودنا نحن من ممارسة الفضائل إلى التأمل الروحي. الفضيلة (areti) تسمى هكذا لأنها شيئاً نفضله (to aireisthai)، نحن نختارها ونريدها بمعنى إننا نفعل خيراً باختيار متعمد وبإرادتنا الحرة، وليس عن غير قصد أو تحت إلزام. أما الحكم الأخلاقي (phronisis) يسمى هكذا لأنه ينقل إلى الفكر (to pherein) كل ما هو مفيد.

وكختم ذهبي لهذه العظة البسيطة، سوف نضيف وصف مختصر للطريقة التي تم بها عمل من هو أثمن ما خلقه الله- المخلوق العاقل والمفكر، الإنسان- وحده من بين المخلوقات على صورته ومثاله (ق.م. تك ١: ٢٦). أولاً، قيل أن كل إنسان قد خلق على

(١) وعلى رأسهم المحبة التى إذا تممناها فنحن نقلد الله وفى نفس الوقت تحمل إسم الله لأن الله محبة- م.

صورة الله فيما يتعلق بالكرامة التي لفكره ونفسه- أي الخاصية التي في الإنسان التي لا يمكن أن تُفحص أو تُراقب، وهى خالدة ووُهِبَتْ الإرادة الحرة، والتي بفضلها يحكم ويلد ويبنى. ثانياً، قيل أن كل إنسان خلق على مثال الله بالنسبة لامتلاكه لمبدأ الفضيلة وبالنسبة لتقليده الله من خلال الأفعال الفاضلة والصالحة. مثل هذه الأفعال تختص بامتلاك تعاطف عميق تجاه رفقاء المرء، وبالرحمة، وبالشفقة والمحبة تجاه العبد رفيق المرء، وبإظهار اهتمام من القلب وحنّية. «كونوا رحماء» يقول المسيح إلهنا «كما أن أبوكم السماوي أيضاً رحيم» (ق.م. لو٦: ٣٦). كل إنسان يمتلك ما هو متوافق مع صورة الله، «لأن هبات الله غير قابلة للتغيير» (ق.م. رو ١١: ٢٩). ولكن قلة فقط- هؤلاء الذين هم فضلاء ومقدسين، وقد قلدوا صلاح الله في النطاق الممكن للقوىَ البشرية- يمتلكون ما هو متوافق مع مثال الله. لعلنا نحن أيضاً نوجد مستحقين لرحمته الفائقة، مماثلين أنفسنا له من خلال الأفعال الصالحة ونصبح مقلدين لكل من كان دائما خادماً مخلص للمسيح. لأن النعمة له، وله يتوجب كل مجد، وكرامة وعبادة، مع أبيه الذي ليس له بداية وروحه الكلى القداسة والبركة وخالق الحياة، الآن وكل أوان في كل الدهور. آمين.

أنبا فليمون

ABBA PHILIMON

مقدمة: المقالة التالية، على خلاف معظم مواد الفيلوكاليا، قصصية في شكلها، بلا شك قد تم ذلك من قبل المحررين بسبب الفقرات الطويلة والمهمة في (موضوع) التأمل الداخلي وفى اليقظة. لا يوجد شيء معروف عن أنبا فليمون خارجاً عن مما هو مسجل في هذا النص. المقالة بالرغم من إنها تقرر إنه عاش في مصر وكان قساً، لا تشير بوضوح إلى تاريخه. بالتأكيد كان قبل القرن الثاني عشر، لأن المقالة قد ذُكرت بواسطة القديس بطرس الدمشقي. مصر تبدو في أيام فليمون أنها لازالت جزء من الإمبراطورية الرومانية، والتي توحي بأنه قد عاش في القرن السادس، أو في بداية السابع قبل الفتح العربي مباشرة. صلاة يسوع نُقلت عن فليمون فيما اعتبر في ما بعد كشكلها القياسي، «يا ربي يسوع المسيح، ابن الله، إرحمنى»: المقالة تبدو على أنها أقدم مصدر ينقل بشكل واضح هذه الصيغة المضبوطة.

مقالة عن الأنبا فليمون

A Discourse on Abba Philimon

قد قيل أن الأنبا فليمون، السائح، عاش لمدة طويلة حبيساً في كهف معين ليس بعيداً عن اللافرا التي للرومان Lavra[1] of the Romans . وانهمك هناك في حياة الجهاد النسكي، سائلاً نفسه دائماً السؤال، الذي ذكر عن القديس إرسانيوس الكبير إنه كان دائما يسأله لنفسه: «فليمون، لما أتيت إلى هنا؟» كان يفتل الحبال ويصنع القفف، معطياً إياهم للمسئول عند تدبير اللافرا في مقابل حصة صغيرة من الخبز. لقد كان يأكل فقط الخبز والملح، وحتى هذا لم يكن كل يوم. بهذه الطريقة لم يفكر في الجسد (ق.م. رو ١٣: ١٤) ولكن دخل في أسرار لا يُنطق بها من خلال ممارسة التأمل، لقد كان مُحاطاً بالنور الإلهي ومتأسساً في حالة من البهجة. عندما كان يذهب للكنيسة يومي السبت والأحد كان يمشى وحده في تفكير عميق، غير سامحاً لأحد أن يقترب منه لئلا يفقد تركيزه. وفى الكنيسة كان يقف في ركن، ووجه ناظراً للأرض ذارفاً سيول من الدموع. لأنه، مثل الآباء القديسين، وخاصة مثله الأعلى إرسانيوس، كان دائماً مملؤاً بالندم، و يحفظ فكر الموت باستمرار في عقله.

عندما قامت هرطقة في الإسكندرية والمناطق المحيطة، ترك فليمون كهفه وذهب إلى اللافرا القريبة من نيكانور Nikanor، وتم الترحيب به هناك من قبل المبارك باولينوس Paulinos، الذي أعطاه مكان الخلوة الخاص به ومكنه من أن يتبع حياة السكون الكامل. لمدة عام كامل لم يسمح باولينوس على الإطلاق لأحد من أن يقترب منه، وهو نفسه قطع هدوءه فقط عندما كان يعطيه الخبز.

في العيد الذي لقيامة المسيح المُقدسة، كان فليمون وباولينوس يتحدثان عندما كان يأتي موضع الحالة النسكية.

لقد عرف فليمون أن باولينوس، أيضاً، اشتاق إلى هذه الحالة؛ وبأخذه هذا في الاعتبار غرس فيه تعاليم الكتاب المقدس والآباء التي تشدد على، كيف أنه من المستحيل المشي مع الله بدون سكون كامل، كما فعل موسى؛ وكيف يلد السكون المجهود النسكي، والمجهود

---

(١) اللافرا أو اللاورا هى مجموعة من القلالى أو الكهوف يسكنها مجموعة من المتوحدين- موسوعة ويكيبديا.

النسكي الدموع، والدموع الرهبة، والرهبة التواضع، والتواضع البصيرة، والبصيرة الحب، وكيف يُعيد الحب النفس إلى الصحة ويجعلها متحررة من الآلام، وبذلك يمكن للمرء عندئذٍ أن يعرف أنه ليس بعيداً عن الله.

لقد اعتاد أن يقول لباولينوس: «يجب أن تنقى فكرك تماماً من خلال السكون وأن تشغله بغير إنقطاع في عمل روحي. لأنه كما أن العين منتبهة إلى الأشياء الحسية وتُفتتن بما ترى، كذلك الفكر المُنقى، منتبه إلى الحقائق العقلية ويصبح مستغرقا في التأمل الروحي لدرجة أنه يصعب أن يكف عنه. وكلما تجرد الفكر من الشهوات وتنقى من خلال السكون، كلما عظمت المعرفة الروحية التي استحق أن يتلقاها. الفكر يكون كاملاً عندما يتجاوز معرفة الأشياء المخلوقة ويتحد بالله؛ مُحرزاً حينئذٍ كرامة ملكية ولا يعود يسمح لنفسه أن يُفتقر أو يثار بواسطة الرغبات المنحطة، حتى ولو مُنح كل ممالك العالم. بناء على ذلك، إذا أردت أن تقتنى كل هذه الفضائل، كن بعيداً عن كل إنسان، اهرب من العالم واتبع مسار القديسين بمثابرة. البس ملابس بسيطة، تصرف ببساطة، تكلم بصدق، لا تكن متغطرساً في طريقة مشيك، عيش في فقر واترك نفسك تُحتقر من كل أحد. وفوق الكل احرس الفكر وكن متنبهاً، تحمل بصبر العوز والمشقات، واحفظ البركات التي مُنحت لك مصونة وغير ممسوسة، أعط إنتباهاً شديداً لنفسك، غير سامحاً لأي لذة حسية أن تتسلل. لأن شهوات النفس تهدأ بواسطة السكون، ولكن عندما تُثار وتنهض تصبح أكثر توحشاً وتدفعنا إلى خطيئة أعظم؛ ويصعب علاجها، مثل جروح الجسد عندما يتم نبشها وفركها. حتى الكلمة البطالة يمكن أن تجعل الفكر ينسى الله، الشياطين تفرض ذلك بواسطة سهولة خداع الحواس.

«الجهاد الكبير والخشوع لازمان لحراسة النفس، يجب أن تفصل نفسك عن العالم كله وتقطع تعاطف نفسك مع جسدك. يجب أن تصبح بلا مدينة، ولا بيت، ولا ممتلكات، خالياً من الطمع، ومن الاهتمامات العالمية والاجتماعية، متواضعاً، عطوفاً، خيّراً، لطيفاً، هادئاً، مستعداً أن تتلقى في قلبك ختم المعرفة الإلهية. لا تستطيع أن تكتب على الشمع إلا إذا محيت أولاً الحروف التي كُتبت عليه، باسليوس الكبير علمنا هذه الأشياء»[1].

(1) Letter ii, 2 (P.G. xxxii, 325B), trans.r. j. Deferrari, Loeb Classical Library, vol. I (London, 1950), p.11.

«القديسون كانوا أناسا من هذا النوع، كانوا منقطعين بالتمام عن طرق العالم، وبإبقائهم صورة السماء غير مشوبة بشائبة في أنفسهم قد جعلوا نورها يشرق بإطاعة النواميس الإلهية. وبإماتة السمات الأرضية (ق.م. كو ٣: ٥) بواسطة ضبط النفس ومن خلال مخافة ومحبة الله، كانوا مُشعين بالكلمات والأفعال المقدسة. لأنه من خلال الصلاة الغير منقطعة ودراسة الأسفار الإلهية تنفتح عيون النفس العقلية، ويَرون ملك القوات السمائية، وفى الحال تشتعل في النفس بهجة عظيمة واشتياق شديد. وكذلك الجسد أيضاً يؤخذ بالروح، ويصبح الإنسان روحياً بالكامل. هذه هي الأشياء التي يمارسها من هم في حياة الوحدة والسكون المبارك الطريق الأكثر صرامة في الحياة، الذين فصلوا أنفسهم عن كل عزاء بشرى، ملقين بأنفسهم أمام رب السماء وحده».

عندما سمع الأخ الجيد هذا، إنجرحت نفسه بالشوق الإلهي؛ ومضى هو والأب فليمون كي يعيشوا في الأسقيط حيث سلك أعظم الآباء القديسون طريق القداسة. لقد استقروا في لافرا القديس يوحنا القصير، وسألوا المسئول عن تدبير اللافرا أن ينظر لاحتياجاتهم، حيث كانوا قد رغبوا في أن يحيوا حياة السكون، وكانوا مواظبين على حضور الكنيسة في أيام السبوت والآحاد ولكن بقية أيام الأسبوع يبقون في قلاليهم، مُصلين ومتممين قانونهم.

قانون الشيخ القديس كان كالتالي: أثناء الليل رنم بالكامل كل سفر المزامير والترانيم الكتابية وتلا جزء من الأناجيل. وبعدئذٍ جلس وردد باهتمام شديد 'يا رب ارحم' على قدر ما استطاع. وبعد ذلك نام، ناهضاً قبل الفجر كي يرنم الساعة الأولى. وبعدئذٍ جلس ثانية، مواجهاً اتجاه الشرق، ويرنم المزامير بالتبادل مع تلاوة من القلب[1] لمقاطع من الرسائل والأناجيل. لقد أمضى اليوم كله بهذه الطريقة، يرنم ويصلى بغير انقطاع، متغذياً بالتأمل في الأشياء السمائية. وكان فكره يؤخذ أحياناً بالتأمل، ولم يكن يعرف إذا كان لازال على الأرض.

عندما رآه أخاه مكرسا هكذا بشكل متواصل لهذا القانون، وقد تحول بشكل كامل بالأفكار الإلهية، قال له: «لماذا، يا أبى، تنهك نفسك كثيراً في سنك هذا، مهذباً جسدك ومخضعاً إياه؟» (ق.م ١كو ٩: ٢٧). وأجاب: «صدقني يا بُني لقد وضع الله هذا الحب لقانوني في نفسي المفتقرة للقوة لتلبية الاشتياق الذي بداخلي. ومع ذلك فإن الاشتياق إلى الله والرجاء في البركات المذخرة ينتصران على الضعف الجسدي.» وهكذا في كل الأيام، حتى عندما كان يأكل كان يرفع فكره إلى السموات على أجنحة اشتياقه.

---

(١) أى كان يحفظها عن ظهر قلب- م.

سأله مرة أخا ما كان يعيش معه: «ما هو سر التأمل؟» مُدركا بأنه يريد التعلم أجاب الشيخ: «أقول لك، يا بُني، عندما يكون فكر المرء نقياً بالكامل، يكشف الله له الرؤى التي مُنحت للقوات الخادمة والأجناد الملائكية. نفس الأخ سأل أيضا» لماذا، يا أبى، تجد متعة أكثر في المزامير أكثر من أي جزء آخر في الكتاب المقدس؟ ولماذا عندما تقوم بإنشادهم بهدوء، تقول الكلمات وكأنك تتكلم مع شخص ما؟ «فأجاب الأنبا فليمون: لقد طبع الله قوة المزامير في نفسي الفقيرة كما فعل في نفس النبي داود. أنني لا أستطيع أن أنفصل عن حلاوة الرؤى التي تتكلم عنهم: إنهم يتضمنون كل الكتاب المقدس.» لقد أعترف بهذه الأشياء بإتضاع عظيم، بعد أن ألح عليه كثيراً، وذلك فقط لمنفعة السائل.

جاء أخ اسمه يوحنا من الساحل للأب فليمون وأمسك بقدميه قائلاً له: «ماذا أفعل كي أخلص؟ لأن فكرى يذهب جيئة وإياباً ويضل وراء كل الأشياء الخاطئة.» بعد فترة أجاب الأب: «هذه واحدة من الشهوات الخارجية وهى تبقى معك لأنك لم تقتنى بعد اشتياق تام لله. دفئ هذا الاشتياق والمعرفة لله لم تأتى بعد لك.» فقال له الأخ: «ماذا يجب علىَّ فعله يا أبى؟» أجاب أنبا فليمون: 'تأمل داخلياً لفترة، بعمق في قلبك؛ لأن هذا سينظف فكرك من هذه الأشياء. «ولم يفهم الأخ ما قد قيل فسأل الشيخ: 'ما هو التأمل الداخلي يا أبى؟' أجاب الشيخ:» احرس قلبك؛ وقل بيقظة في عقلك بمخافة ورعدة: «يا رب يسوع المسيح ارحمني.» لأن هذه هي النصيحة التي أعطاها ديادوخوس المبارك للمبتدئين.

رحل الأخ؛ وبمعونة الله وصلوات الشيخ وجد الهدوء لفترة كانت مملوءة بالحلاوة بواسطة هذا التأمل، ولكن فجأة تركه (هذا التأمل) ولم يستطع أن يمارسه أو أن يصلى بيقظة. لذلك مضى ثانية إلى الشيخ وأخبره بما حدث. فقال له الشيخ: 'لقد زقت يسيراً من الهدوء والعمل الداخلي، واختبرت الحلاوة التي تأتى منهم. إن هذا هو ما يجب أن تفعله دائماً في قلبك: سواء أكلت أو شربت، في صحبة أو خارج قلايتك، أو في رحلة، ردد الصلاة بعقل يقظ وفكر غير زائغ؛ وأيضاً رتل وتأمل في الصلوات والمزامير. وحتى أثناء تنفيذ مهام ضرورية، لا تترك فكرك عاطلاً ولكن أحفظه في تأمل داخلي وصلاة. لأنه بهذه الطريقة يمكن أن تدرك أعماق الكتاب المقدس والقوة المخفية فيه، وتعطى عملا غير منقطع للفكر، متمما بذلك الأمر الرسولي: «صلوا بلا انقطاع» (١تس ٥: ١٧). أعط انتباها صارماً لقلبك واحرسه، حتى لا يعطى قبول لأفكار شريرة أو بأي حال من الأحوال باطلة وبلا منفعة. بدون توقف سواء كنت نائماً أو ماشياً أو آكلاً أو شارباً أو كنت في صحبة

أجعل قلبك يـتأمل داخلياً وعقلياً في المزامير أحياناً وفى أحيان أخرى يردد الصلاة (التي تقول) «يا رب يسوع المسيح، أبن الله، ارحمني». وعندما تُسَبِح تأكد من أن فمك لا يقول شيئاً بينما عقلك يفكر في شيء آخر.

قال الأخ ثانية: «في نومي أرى كثيراً من الخيالات الباطلة.» فقال له الشيخ: «لا تكن كسلاناً أو مهملاً، قبل ذهابك للنوم أتل كثير من الصلوات في قلبك، قاتل ضد الأفكار الشريرة ولا تُضلل بواسطة مطالب الشيطان؛ حينئذٍ سوف يستقبلك الله في حضرته. إذا أمكن لا تنام إلا بعد تلاوة المزامير وبعد تأمل داخلي. لا تتوقف عن حراستك، تاركاً عقلك يقبل أفكاراً غريبة؛ ولكن اضطجع متأملاً في فكر صلاتك، وذلك حتى يمكن أن تتحد بك أثناء نومك وعندما تستيقظ يمكن أن تتحدث معك (ق.م. أم ٦: ٢٢). أيضاً أتل قانون الأيمان الأرثوذكسي قبل أن تخلد إلى النوم. حقاً أن الإيمان بالله هو المصدر والحارس لكل البركات»

في مناسبة أخرى سأل الأخ أنبا فليمون: «بمحبتك، يا أبى، أشرح لي العمل الذي ينشغل به فكرك. حتى يمكن لي أن أيضاً أن أخلص.» فقال الشيخ:«لماذا أنت مهتم بمعرفة هذه الأشياء؟» فنهض الأخ وتوسل للقديس ممسكاً ومقبلا رجليه كي يجيبه. وبعد فترة طويلة قال الشيخ: «لا تستطيع بعد أن تدركه: لأنه فقط الشخص الذي قد تأسس في الصلاح يقدر أن يعطى لكل واحدة من الحواس العمل المناسب لها، ويجب أن تتطهر بالكامل من الأفكار العالمية الباطلة قبل أن توجد مستحقاً لهذه الموهبة. لذلك إذا أردت مثل هذه الأشياء تدرب على التأمل الداخلي بقلب نقى. لأنه إذا صليت بدون انقطاع وتأملت في الكتب المقدسة، فسوف تنفتح أعين نفسك العقلية، ويكون هناك فرح عظيم في النفس وشوق حاد وأكيد وفائق الوصف (لله)، وحتى الجسد يشتعل بالروح، لدرجة أن المرء يصبح كله روحانياً. عندما يمنحك الله عطية الصلاة بفكر نقى، وبدون تشتت، سواء كان ذلك ليلاً أم نهاراً، ضع جانباً نظامك الخاص، واتجه نحو الله بكل قوتك، متشبثاً به، وهو سيُنير قلبك حول العمل الروحي الذي يجب أن تباشره.» وأضاف: مرة أتى إليَّ شيخ مُعيّن وفي سؤالي عن حالة فكره، قال:«لقد توسلت لله لمدة عامين بكل قلبي، سائلاً إياه بدون انقطاع أن يطبع في قلبي بطريقة مستمرة وغير مشتتة الصلاة التي أعطاها هو بنفسه لتلاميذه؛ وبنظره لمكابدتي المكافحة والصبورة منحنى الرب الجواد هذا الطلب.»

الأنبا فليمون قال أيضاً هذا: «الأفكار عن الأشياء الباطلة هي أمراض لنفس عاطلة كسولة. يجب، إذاً، كما يأمرنا الكتاب المقدس، أن نحرس فكرنا بعناية (ق.م. أم ٤: ٢٣)، مُرنمين بغير تشتت وبفهم، ومُصلين بفكر نقى. الله يريد منا أن نظهر حماستنا له أولاً بالنسك الخارجي، وبعد ذلك بحبنا وبصلاتنا الغير منقطعة؛ وهو يوفر طريق الخلاص. الطريق الوحيد الذي يؤدى إلى السماء هو السكون الكامل، اجتناب كل شر، طلب البركات، الحب الكامل تجاه الله، والعشرة معه ترفع سريعاً إلى ملكوت الله. ولكن الشخص الذي يطمح في هذا الملكوت يجب أن يميت أولاً الجوانب الدنيوية التي له (ق.م. كو ٣: ٥). لأنه عندما تبتهج أنفسنا بالتأمل في الصلاح الحقيقي، فإنها لا تعود إلى أي من الشهوات التي يتم تقويتها باللذة الحسية أو الجسدية؛ بل على العكس، فإنها تعرض عن كل هذه اللذات وتستقبل حضور الله بعقل نقى وغير مُدنس.

فقط بعد أن نكون قد حرسنا أنفسنا بصرامة، وكابدنا أتعاب جسدية ونقينا النفس، يأتي الله ويسكن في قلوبنا، جاعلاً من الممكن لنا أن نتمم وصاياه دون أن نضل. وهو بنفسه، عندئذٍ، سوف يعلمنا كيف نفهم سريعا نواميسه، ويبعث لنا طاقاته مثل أشعة الشمس، من خلال نعمة الروح (القدس) المغروس فينا. عن طريق التجارب والمعاناة يجب أن ننقى الصورة الإلهية فينا طبقا لما نملك من ذكاء وقدرة على تلقى فهم ومثال الله؛ لأنه بواسطة إعادة صياغة حواسنا في أتون تجاربنا نحررهم من كل دنس ونلبس كرامتنا الملكية. خلق الله الطبيعة البشرية كمتلقي لكل بركة إلهية، قادرة على التأمل روحياً في الخوارس الملائكية، وبهاء السيادات، والقوات الروحية، والرئاسات والسلاطين، والنور الغير مدنو منه، والمجد اللامع. إذا أردت أن تحقق فضيلة ما، لا تعتبر نفسك أفضل من أخوك، معتقداً بأنك نجحت بينما هو مهمل؛ لان هذا هو بداية الكبرياء. كن حذراً للغاية كي لا تفعل أي شيء ببساطة كي تكسب التوقير أو السمعة الحسنة عند الآخرين. عندما تكافح ضد شهوة ما، لا تجفل أو تصبح غير مبالياً إذا استمرت المعركة؛ ولكن انهض وألقي بنفسك أمام الله، مردداً بكل قلبك كلمات النبي، «يا رب احكم على الذين يجرحونني (مز ١:٣٥ س)؛ لأنني لا أستطيع التغلب عليهم» وبرؤيته لإتضاعك سوف يرسل لك معونته سريعاً. وعندما تكون ماشياً على الطريق مع شخصاً ما لا تنهمك في حديث باطل، ولكن حافظ على فكرك موظفاً في العمل الروحي الذي كان مشغولاً به مسبقاً، حتى يصبح هذا العمل اعتياديا له ويجعله ينسى اللذات العالمية، مُرسياً إياه في ميناء اللا هوى[1].

---

(١) اللا هوى أى التحرر من الأهواء. م

عندما عَلَّمَ الأخ هذا وأشياء أخرى عديدة، تركه الأنبا فليمون يذهب. لكن بعد فترة قصيرة رجع الأخ له وبدأ يسأله، قائلاً: «ماذا يجب أن أفعل، يا أبى؟ أثناء قانوني الليلي يثقلني النوم ولا يدعني أصلى بيقظة داخلية، أو أن أسهر بعد الوقت المعتاد. وعندما أرتل المزامير، أرغب في الاشتغال بالعمل اليدوي.» فقال الأنبا فليمون: «عندما تكون قادراً على أن تصلى بيقظة داخلية، لا تنشغل بالعمل اليدوي. ولكن إذا تثقلت بالكسل، تحرك قليلاً، حتى تخلص نفسك منه، واشتغل في العمل اليدوي.»

سأله الأخ ثانية: «أبى، ألم تثقل أنت نفسك بالنوم أثناء ممارستك لقانونك؟» أجاب: «نادراً. لكن إذا حل أحياناً على النوم قليلا، أتحرك وأقرأ في إنجيل يوحنا، من البداية، موجهاً أعين العقل إلى الله؛ وعلى الفور يختفي النعاس. وأفعل بالمثل فيما يخص الأفكار الشريرة: عندما يأتي الفكر الشرير، أواجهه مثل النار بالدموع، فيختفي. أنت حتى الآن لا تستطيع أن تدافع عن نفسك بهذه الطريقة؛ ولكن تأمل دائماً داخلياً وأتل الصلوات اليومية التي وضعت بواسطة الآباء القديسين. أعنى بهذا، حاول أن تتلو (صلوات) السواعي الثالثة والسادسة والتاسعة، والغروب وخدمات الليل. وعلى قدر ما تستطيع لا تفعل شيئاً لكسب التوقير أو السمعة الحسنة من الآخرين، ولا تحمل على الإطلاق سوء نية تجاه أخوك، لئلا تفصل نفسك عن الله. جاهد كي تحفظ عقلك غير مشتتاً، وكن منتبهاً دائماً لأفكارك الداخلية. عندما تكون في الكنيسة، وذاهباً لتناول الأسرار الإلهية التي للمسيح، لا تخرج حتى تكون قد اقتنيت سلاماً تاماً. قف في مكان واحد ولا تتركه إلى أن يأتي (وقت) الانصراف. فكر في إنك تقف في السماء، وفى إنك في صحبة الملائكة القديسين تقابل الله وتستقبله في قلبك. جهز نفسك برهبة ورعدة عظيمتين. لئلا توجد عن غير استحقاق وسط القوات المقدسة.' مسلحاً الأخ بهذه النصائح ومستودعاً إياه للرب وروح نعمته (ق.م. أع ٢٠: ٣٢)، تركه الأنبا فليمون يذهب.

الأخ الذي عاش مع الأب (فليمون) له علاقة أيضاً بالآتي: «ذات مرة، عندما كنت جالساً بالقرب منه، سألته هل تم تجربته على أية حال بواسطة حيل الشياطين أثناء سكناه الصحراء. فأجاب:» اغفر لي، يا أخ، لكن إذا سمح الله للتجارب التي خضعت لها بواسطة إبليس تقع عليك، فلا أعتقد إنك ستكون قادراً على تحمل سمهم. أنا في السنة السبعين، أو أكبر، أكابد عدد عظيم من التجارب أثناء الإقامة في السكون الشديد في أماكن الوحدة. لقد تجربت كثيراً وعانيت بشدة. لكن لا فائدة من الكلام عن مثل هذه الأشياء المُرة لأناس ليس

لهم بعد خبرة بالسكون. عندما أُجَرّبْ دائماً ما أفعل ذلك: أضع كل رجائي في الله، لأن له قدمت نذور إنكار الذات، وعلى الفور ينجيني من كل محنة. بسبب هذا، أيها الأخ، لم أعد أخذ فكراً من نفسي، أنا أعلم أنه يعطيني فكراً، وهكذا أتحمل بأكثر سهولة التجارب التي تأتى عليَّ. الشيء الوحيد الذي آخذه من نفسي هو الصلاة الغير منقطعة. أنني أعلم أن كلما كثرت المعاناة، كلما عظمت المكافأة لمن يكابدها. أنها وسائل للمصالحة مع القاضي الصالح.»

«كن حذراً من هذا يا أخ، لا تصبح متكاسلاً. أدرك هذا، إنك تحارب في وسط المعركة وبأن كثيرون آخرون، أيضاً، يحاربون من أجلنا ضد أعداء الله. كيف نتجرأ أن نحارب عدو مخيف جداً للجنس البشرى إذا لم تسندنا يد اللوغوس الإلهي القوية الممدودة، حامية وساترة لنا؟ يقول أيوب:» مَن يقدر أن ينزع حلته الخارجية؟ ومن يستطع أن يخترق طية درع صدره؟ مصابيح مشتعلة تتدفق من فمه، يدفع أمامه جمراً مشتعلاً. يخرج من منخريه دخان متقد بنار الفحم. نفسه جمر مشتعل، لهب يخرج من فيه، تسكن في عنقه القوة. أمامه يجرى الدمار، قلبه صلب كالحجر، يصمد كسندان لا يلين. إنه يجعل العمق يغلى كَقدر؛ يحسب البحر كقدر عطارة، والعمق السفلى كأسير. أنه يرى كل شيء عالي؛ وهو ملك على كل ما هو في المياه’ (أي ٤١: ١٣، ١٩- ٢٢، ٢٤، ٣١- ٣٢، ٣٤. س). هذه الفقرة تصف المستبد المتوحش الذي نحاربه. لكن هؤلاء الذين ينخرطون بطريقة قانونية في حياة الوحدة يهزمونه سريعاً: إنهم لا يملكون أي شيء مما معه؛ لقد هجروا العالم ومصممون على الفضيلة؛ ولهم الله محارباً عنهم. من رجع إلى الرب برهبة ولم يتحول في طبيعته؟ من أنار نفسه بنور النواميس والأفعال الإلهية، ولم يجعل نفسه مشعة بالفكر والأفكار الإلهية؟ إن نفسه ليست عاطلة، لأن الله يحث فكره لأن يشتاق بلا شبع للنور. ولا تسمح الروح للنفس المنشطة بقوة بهذه الطريقة لأن تصبح متراخية مع الشهوات؛ لكنها تكون مثل ملك، مملوء من النار والغضب تجاه أعداءه، يضربهم بلا رحمة ولا يتراجع أبداً، أنها تظهر منتصرة، رافعة أيديها إلى السماء من خلال ممارسة الفضائل وصلاة الفكر.» ’

نفس الأخ تكلم أيضاً كتلميذ عن الشيخ: «بالإضافة إلى فضائله الأخرى، امتلك الأنبا فيلمون هذه الصفة: لم يكن يستمع أبداً إلى كلام بطال. إذا قال أحد ما بغير قصد شيئاً ما غير مفيد للنفس، لم يكن يستجيب على الإطلاق. عندما سافرت لأقضى واجب ما، لم يسأل: «لماذا أنت مسافر؟» ولا، عندما عدت، سألني: «من أين أتيت؟» أو «ماذا كنت تفعل؟»حقاً،

مرة كان على الذهاب إلى الإسكندرية بالسفينة؛ ومن هناك ذهبت إلى القسطنطينية في مسألة كنسية. لقد ودعت الأخوة في الإسكندرية، ولكنى لم أقل للأنبا فليمون شيئاً عن رحلتي. بعد قضاء وقتاً لا بأس به في القسطنطينية، رجعت إلى الأسقيط. عندما رآني ، كان ممتلئاً بالفرح، وبعد أن رحب بي قال صلاة. عندئذٍ جلس و، دون أن يسألني شيئاً على الإطلاق، استمر في تأمله.

«في مناسبة ما، أردت أن أختبره، فلم أعطه خبزاً ليأكل لمدة أيام، ولم يطلب أي منه أو يقول أي شيء، بعد ذلك سجدت أمامه وقلت:» قل لي، يا أبى، هل حزنت لأنني لم احضر لك الطعام، كما تعودت؟ «فرد:» سامحني، يا أخ، حتى ولو لم تحضر لي أي خبز لمدة عشرون يوم، فلن أطلبه منك: لأنه طالما نفسي تستطيع أن تقاوم كذلك جسدي. «لهذه الدرجة كان مستغرقاً في التأمل في الصلاح الحقيقي.»

«لقد اعتاد أيضاً أن يقول:» منذ أتيت إلى الأسقيط، لم أدع فكرى يذهب أبعد من قلايتي؛ ولا سمحت لعقلي أن يسكن في أي شيء سوى في مخافة الله وفى دينونة الدهر الآتي؛ لأنني قد تأملت فقط في الأحكام التي تتوعد الخطاة، في النار الأبدية والظلمة الخارجية،وفى حالة أنفس الخطاة والأبرار، وفى البركات المذخرة للأبرار، كل منهم «سيأخذ أجرته حسب تعبه» (١كو ٣: ٨): واحد لمعاناته المتزايدة، وآخر لأعمال الرحمة ولحبه الصادق، وآخر لطرحه الممتلكات ولتركه للعالم كله، وآخر لإتضاعه وللسكون الكامل، وآخر لطاعته الشديدة، وآخر لسببه التطوعي. بالتفكير في هذه الأشياء، أكبح كل الأفكار الأخرى؛ ولا أستطيع بعد أن أكون مع الناس أو أشغل فكرى بهم، لئلا أنقطع عن مزيد من التأملات المقدسة.»

«لقد تحدث أيضاً عن متوحد معين الذي قد اقتنى اللا هوى وتعود أن يأخذ خبز من يد ملاك؛ ولكنه أصبح مهملاً وبذلك حرم من هذه الكرامة، لأنه عندما تُضعف النفس تركيز الفكر، تأتى الظلمة عليه. عندما لا ينير الله (على ذهننا) كل شيء يكون مشوش، كما في الظلام؛ والنفس تكون غير قادرة فقط على رؤية الله والارتعاد من كلماته.» أنا إله من قريب، يقول الرب، ولست إله من بعيد، هل يستطيع إنسان أن يخفى نفسه سراً، ولا أراه؟ أما أملأ أنا السموات والأرض؟ يقول الرب «(إر ٢٣: ٢٣- ٢٤ س). لقد تذكر أيضاً كثيرون ممن لهم خبرات مماثله، من بينهم سليمان. لأن سليمان، قد أخذ مثل هذه الحكمة وقد مجده الناس، لقد كان مثل نجم الصبح، وقد أنار الكل بسناء حكمته؛ لكنه لأجل لذة حسية

صغيرة فقد هذا المجد (ق.م. ١مل ١١: ١- ١١). يحب أن نرتعب من الإهمال. يحب أن نصلى دون انقطاع لئلا تأتى بعض الأفكار وتفصلنا عن الله مشتتة فكرنا عنه. لأن القلب النقي، لكونه مستقبل كامل للروح القدس، يعكس صورة الله بالكامل.

«عندما سمعت هذه الأشياء» قال الأخ، «ورأيت أفعاله، أدركت أن كل الشهوات الجسدية كانت غير فعاله فيه. رغبته كانت دائماً مُثبته في أشياء أعلى، لذلك كان يتغير بشكل مستمر بواسطة الروح القدس، ويئن «بأنات لا ينطق بها» (رو ٨: ٢٦)، مركزاً نفسه على داخل نفسه، مُقيّماً نفسه، ومجاهداً لكي يمنع أي شيء من أن يلوث نقاوة عقله ومن أن يُدَنّس بطريقة غير حسية.»

«ناظراً كل هذا ومدفوعاً كي أفعل مثل هذه المآثر، كنت مدفوعاً بشكل مستمر أن أستفهم منه.» كيف، أقتنى، مثلك، فكراً نقياً؟ «سألت، وأجاب:» يجب أن تجاهد، والقلب يجب أن يكافح ويعانى، الأشياء التي تستحق الكفاح والمعاناة لا تأتى لنا إذا كنا نائمين أو كسالى. حتى البركات الأرضية لا تأتى لنا دون مجهود من جانبنا. إذا أردت أن تنمو روحيا يجب قبل كل شيء أن تترك مشيئتك الخاصة؛ يجب أن تقتنى قلباً حزيناً ويجب أن تخلص نفسك من الممتلكات، منتبهاً ليس إلى خطايا الآخرين ولكن إلى خطاياك الخاصة، مُنتحباً عليهم ليلاً ونهاراً؛ ويجب أن لا تتعلق عاطفياً بأي أحد. لأن مثل هذه النفس المعذبة بما قد فعلت ويوخز قلبها ذكريات الخطايا السابقة، قد ماتت عن العالم وكذلك العالم لها؛ بمعنى، أن كل شهوات الجسد تكون غير فعالة، ويصبح المرء غير فعال فيما يتعلق بهم. لأن من يترك العالم، يرتب نفسه مع المسيح ويكرس نفسه للسكون، ومحبة الله؛ إنه يحرس الصورة الإلهية في نفسه ويثرى مثال الله، متلقياً منه معونة الروح القدس ويصبح مسكناً لله وليس للشياطين؛ ويعمل بطريقة بارة في نظر الله. النفس التي تنقت من العالم وخالية من نجاسات الجسد، التي «لا دنس فيها ولا غضن» (أف ٥: ٢٧)، سوف تنال أكليل البر وتتألق بجمال الفضيلة.

«ولكن أذا انطلقت في مسار الزهد ولم يكن هناك حزن في قلبك، ولا دموع روحية ولا تذكر للعقاب الذي لا نهاية له، ولا سكون حقيقي أو صلاة مُثابرة، ولا ترتيل مزامير ولا تأمل في الكتاب المقدس؛ ولم يصبح أي من هذه الأشياء اعتيادي فيك، بالدرجة التي فيها شئت أم أبيت تُجبر عليهم بواسطة المثابرة المستمرة للفكر؛ وإذا لم تنمو رهبة الله في عقلك، حينئذٍ تكون لازلت متعلقاً بالعالم وفكرك لا يستطيع أن يكون نقى عندما تصلى. التكريس

الحقيقي والرهبة من الله ينقيان النفس من الشهوات، ويجعلان الفكر حراً، ويقودانه إلى التأمل الطبيعي، ويجعلانه مناسباً لـ اللاهوت. إن هذا يتم اختباره في شكل نعمة، تزود الذين يتشاركون فيها بتذوق مبدئي للبركات المذخرة وتحفظ النفس في حالة هدوء.

«دعنا، عندئذٍ، أن نفعل كل ما نستطيع لكي ننمى الفضائل، لأنه بهذه الطريقة نستطيع أن نقتنى التكريس الحقيقي، ذلك النقاء الذهني الذي ثمرته هي تأمل طبيعي ولاهوتي، كما قالها لاهوتي عظيم: بممارسة الفضائل، نصعد إلى التأمل[١]. من ثمّ، إذا أهملنا مثل هذه الممارسة فسوف نحرم من كل حكمة. لأنه حتى ولو وصلنا إلى قمة الفضيلة، يظل هناك احتياج للمجهود النسكي كي يقيد الدوافع الفوضوية التي للجسد ولكي يحرس أفكارنا. بهذا فقط يمكن للمسيح أن يسكن فينا بدرجة صغيرة. كما ننمو في البر، كذلك ننمو في الشجاعة الروحية؛ وعندما يتكمل الفكر، فإنه يتحد بالكلية بالله ويستنير بالنور الإلهي، وتُكشف له أعمق الأسرار. حينئذٍ فإنه يتعلم حقاً أين تكمن الحكمة والقوة، وذلك الفهم الذي يدرك كل شيء، و «طول الأيام والحياة وأين نور العيون والسلام» (باروخ ٣: ١٤). بينما لازال (الفكر) يحارب ضد الشهوات لا يستطيع حتى الآن أن يتمتع بهذه الأشياء. لأن الفضائل والرذائل تعمى الفكر: الرذائل تمنعه من رُؤية الفضائل، والفضائل تمنعه من رؤية الرذائل[٢]. لكن متى انتهت المعركة ووجد مستحقاً للعطايا الروحية، فإنه يصبح نيّراً بالكامل، ومُنشطاً بقوة بواسطة النعمة ومتجذراً في التأمل في الحقائق الروحية. الشخص الذي يحدث فيه هذا ليس متعلقاً بأشياء هذا العالم لكنه عبر من الموت للحياة.

«الشخص الذي يتبع الحياة الروحية ويقترب من الله، يجب، بناء على ذلك، أن يملك قلب طاهر ولسان نقى حتى تكون كلماته، في نقاوتهم، مناسبة لتسبيح الله. النفس التي تتعلق بالله تكون في مناجاة مستمرة معه.

«وهكذا أيها الأخ، لتكن رغبتنا هي أن نقتنى قمة الفضائل، ولا نبقى مرتبطين بالأرض ونتعلق بالشهوات. لأن الشخص المشتبك في جهاد روحي والذي قد اقترب من الله، والذي له نصيب في النور المقدس والذي جرح باشتياقه له، يبتهج بالرب بفرح روحي لا يُتصور. إنه كما يقول المزمور: «ابتهج بالرب فيعطيك سؤل قلبك... ويكشف مثل النور برّك وحقك

---

(١) إقتباس من القديس إغريغوريوس النيزنزى: (oration 4, 133 (p.g.xxxv, 649B)

(٢) المقصود هنا أنه عندما تنمو بعض الفضائل فى شخص ما يمكن أن يصاب بشيء من الكبرياء فلا يرى ما عندة من رزائل متبقية- م.

مثل الظهيرة» (ق.م. مز ٣٧: ٤، ٦ س). لأن ما تشتاق إليه النفس هو قوى بطريقة لا تحتمل على قدر ما يُحفزه الله فيها عندما تتطهر من كل رذيلة وتعلن بإخلاص: «أنا مجروحة بالحب» (ن‌ش ٥: ٨ س). إن إشعاع الجمال الإلهي لا يوصف بالكلية: الكلمات لا يمكن أن تصفه، ولا تدركه الأذن. مقارنة النور الحقيقي بأشعة نجم الصبح أو بلمعان القمر أو بنور الشمس هو فشل تام في إنصاف مجده وهو غير ملائم مثل مقارنة ليلة غير مقمرة قاتمة السواد بالتي هي أوضح من الظهر. هذا هو الذي تعلمه القديس باسليوس، المعلم العظيم، عن اختبار ومن ثم علمه لنا.»[١]

الأخ الذي عاش مع أنبا فليمون روى ذلك وأشياء أخرى كثيرة. ولكن بروعة مماثلة، وبإثبات عظيم لإتضاعه، حقيقة أن، بالرغم من أن أنبا فليمون كان لفترة طويلة كاهن وكل من سلوكه ومعرفته كانا بنظام سماوي، أحجم عن إتمام وظائفه الكهنوتية لدرجة أن في كثرة سنين جهاده الروحي نادراً ما وافق على الاقتراب من المذبح؛ وبالرغم من صرامة حياته، لم يتناول من الأسرار الإلهية إذا تكلم مع أناس آخرين، حتى ولو لم يقل أي شيء عالمي وتكلم فقط لكي يساعد هؤلاء الذين سألوه. عندما يكون ذاهباً لتناول الأسرار المقدسة، فأنه يتضرع إلى الله بالصلوات، والترتيل، وبالاعتراف بالخطايا. أثناء الخدمة، يكون مملوء بالمخافة عندما يرتل الكاهن الكلمات، «القدسات للقديسين.» لأنه اعتاد أن يقول أن الكنيسة كلها عندئذٍ تكون مملوءة بالملائكة القديسين، وأن ملك القوات السمائية بنفسه يقيم القداس بشكل غير منظور، مغذياً قلوبنا بالجسد والدم. بناء على ذلك قال أننا يجب أن نتجاسر ونتناول من أسرار المسيح الطاهرة فقط عندما نكون في حالة طهارة ونقاوة، كما ولو أننا في خارج الجسد وخالين من أي تردد أو شك؛ بهذه الطريقة سوف يكون لنا شركة في الاستنارة التي تأتى منهم. كثير من الآباء القديسين رأوا ملائكة يحرسونها، ولذلك حفظوا الصمت، غير مشتركين في محادثة مع أي أحد.

قال الأخ أيضاً أن الأنبا فليمون عندما كان يبيع عمل يديه، كان يتظاهر بأنه ساذج، في حالة الكلام والإجابة على الأسئلة التي يمكن أن تقوده إلى شيء من الكذب، أو القسم، أو الثرثرة، أو بعض أنواع الخطايا الأخرى. عندما يشترى أي أحد أي شيء فأنه ببساطة يدفع ما يراه مناسبا. هذا الأب، الذي هو بالحقيقة إنسان حكيم، صنع سلال صغيرة، وقبل بشكر أي شيء تم دفعه، غير قائلاً أي شيء على الإطلاق.

(1) Longere Rules ii, I (909c), trans. W. k. l. Clarke, the ascetc works of saint Basil (London, 1925), p. 154.

القديس ثيئوغنوستوس
ST THEOGNOSTOS

مقدمة: بينما كان القديس نيقوديموس، يبدى تحفظات على تاريخ النص التالي، مال إلى نسبه إلى ثيئوغنوستوس السكندري (القرن الثالث). هذا، على أية حال، لا يمكن أن يكون، حيث أن المؤلف يقتبس من القديس يوحنا الدمشقي (ف[1] ٧٣)، وبذلك لا يكون قبل النصف الثاني من القرن الثامن؛ ربما عاش في القرن الرابع عشر[2]؛التميز الرئيسي في العمل يقع في ملاحظاته على الكهنوت وسر الشركة . ثيئوغنوستوس نفسه كان كاهناً (ف ٧٢)، ويبدو أنه كان يصلي يوميا القداس (ف ١٤). الفقرة الطويلة (ف ٢٦) من القديس يوحنا الكراباثي ربما تكون إدخال حديث، وليست جزء من النص الخاص بثيئوغنوستوس.

في ممارسة الفضائل،
التأمل الروحي والكهنوت
On the Practice of the Virtues, Contemplation and the Priesthood

١- عندما تنفصل تماماً عن كل الأشياء الدنيوية، وعندما يكون ضميرك صافياً، وأنت مستعد في قلبك في أي لحظة أن تترك هذه الحياة وتسكن مع الرب، حينئذٍ يمكن أن تدرك أنك قد أحرزت الفضيلة الحقيقية. إذا أردت أن تكون معروفاً عند الله، افعل كل ما تستطيع كي تبقى غير معروفاً عند الناس.

٢- انتبه إلى أي مطالب غير ضرورية تأتى من الجسد وتجاهلهم. لئلا يقودونك إلى إرخاء مجهوداتك قبل أن تقتنى التحرر من الأهواء. لا تحسب الحرمان من اللذة الحسية خسارة، بل الفشل في اقتناء الأشياء الأعلى كنتيجة للانهماك في مثل هذه اللذة.

٣- انظر لنفسك بوعي كنملة أو دودة، حتى تستطيع أن تصبح إنسان تشكل بواسطة الله. إذا فشلت أن تفعل الأولى فإن الثانية لا يمكن أن تحدث. على قدر ما تنزل، على قدر ما ترتفع؛ وعندما تعتبر نفسك، مثل المُرنم، كلا شيء أمام الرب (ق.م. مز ٣٩: ٥)، حينئذٍ

---

(١) فقرة. – م.

(2) See J. goullard, L «acrostiche spiritual de The» ognoste (xiv, s.?), Echos d «Orient xxxix (1940), pp126-37.

تصبح بطريقة غير مُدركة عظيماً، وعندما تبدأ في إدراك إنك لا شيء ولا تعرف شيء، حينئذٍ سوف تصبح غنياً في الله من خلال ممارسة الفضائل والمعرفة الروحية.

٤- «أحطم ذراع الفاجر والشرير» (مز ١٠: ١٥)، والذي أعنى به اللذة الحسية والشر الذي منهما تنهض كل رزيلة، حطمهما من خلال ضبط النفس والبراءة التي تولد من الإتضاع، حتى إذا قُيمَت أفعالك وحُوكمت، فلن توجد خطيئة فيك، مهما كان الفحص دقيقاً جداً. لأن خطايانا تُستأصل متى كرهنا ما يسببهم وقمنا بمعركة ضدهم. مصلحين الهزيمة السابقة بالنصر النهائي.

٥- لا يوجد شيء أفضل من الصلاة النقية. لأن منها تأتى الفضائل كما من نبع: الفهم والوداعة، المحبة وضبط النفس، والدعم والتشجيع اللذان يمنحهما الله استجابة للدموع. جمال الصلاة النقية يظهر عندما يسكن عقلنا في مملكة الحقائق العقلية فقط ويكون اشتياقنا لإحراز ما هو إلهي لا نهائي. حينئذٍ، يلاحق الفكر سيده من خلال التأمل الروحي في الكائنات المخلوقة، متعطشاً بحماس لكي يجد ويرى من لا يُرى، أو يتأمل أيضاً في الظلمة التي هي مكانه الخفي (ق.م. مز ١٨: ١١)، وفى مخافة يرجع ثانية إلى نفسه، راضياً ومدفوعاً بالرؤية التي كُشفت له لمنفعته حالياً؛ لكنه مملوئاً رجاءاً بأنه سيصل إلى غاية رغبته عندما، يطلق حراً من المظاهر الخارجية والخيالات التي مثل الظل التي يتم رؤيتها بطريقة غامضة، كما في مرآة، ويُمنح رؤية واضحة متواصلة «وجها لوجه» (ق.م. ١كو ١٣: ١٢).

٦- لا تحاول أن تباشر العمل في الأشكال الأعلى من التأمل الروحي قبل أن تُحقق التحرر الكامل من الأهواء، ولا تسعى إلى ما هو أبعد من متناولك الآن. إذا كانت رغبتك أن تكون لاهوتياً ومتأملاً، اصعد بواسطة طريق التدريب النسكي، ومن خلال تنقية النفس اكتسب ما هو نقي. لا تسعى إلى لاهوت أبعد من حدود حالتك الحالية من النمو: من الخطأ لنا نحن الذين لازلنا نشرب لبن الفضائل أن نحاول أن نحلق في مرتفعات اللاهوت، وإذا فعلنا ذلك فسوف نتخبط مثل الفِرَاخ، مهما كان الاشتياق الذي نهض فينا بواسطة حلاوة المعرفة الروحية عظيماً. لكن، متى تنقينا بواسطة كبح النفس والدموع، فسوف نُرفع من الأرض مثل إيليا أو حبقوق (ق.م. ٢مل ٢: ١١، دا بالتتمة ١٤: ٣٥- ٣٨)، متوقعين اللحظة التي سوف نُؤخذ فيها على السحاب (ق.م. ١تس ٤: ١٧)؛ وبالانتقال إلى ما وراء عالم الحواس بالصلاة الغير مشتتة، النقية والتأملية، يمكن حينئذٍ في بحثنا عن الله أن نلمس حافة اللاهوت.

٧- إذا أردت أن تُمنح رؤية عقلية للإلهيات يجب أولاً أن تعتنق طريقاً سلامياً وهادئاً في الحياة، وتكرس مجهوداتك لاكتساب معرفة لكل من نفسك والله. إذا فعلت هذا وحققت حالة نقاوة غير منزعجة بأي شهوة، فإنه لا شيء يمنع فكرك من أن يرى من هو غير مرئي للجميع وكأنه نسيم خفيف (ق.م. ١مل ١٩: ١٢ س) ؛ وسوف يجلب لك أخبار الخلاص من خلال أوضح معرفة عن نفسه حتى الآن.

٨- كما أن البرق يبشر بالرعد، كذلك الغفران الإلهي يُتبع بهدوء الشهوات، وهذا بدوره مصحوب بتذوق مسبق للبركات المذخرة لنا. لا يوجد هناك رحمة إلهية أو رجاء في التحرر من الأهواء للنفس التي تحب هذا العالم أكثرَ من خالقها، ومتعلقة بالأشياء المرئية وملتصقة بالكلية بلذات ومتع الجسد.

٩- لا تحاول أن تكتشف بالفكر ماهية الله أو أين يوجد: حيث أنه يسمو فوق كل شيء، أنه يفوق الوجود ولا يحده المكان. لكن تأمل- على قدر ما يكون ذلك مستطاع- الله الكلمة فقط، وبالرغم من إنه مُحدَدْ (كإنسان)، فإنه يشع بالطبيعة الإلهية؛ وبالرغم من أنه تم رؤيته في مكان معين، إلا أنه لازال موجوداً في كل مكان بسبب الطبيعة اللانهائية التي لإلوهيته. على قدر ما تكون نقاوتك عظيمة، على قدر ما تمنح إشراقةُ.

١٠- إذا كنت تشتاق بحماس للمعرفة الحقيقية والضمان الذي لا لبس فيه للخلاص، ادرس أولاً كيف تكسر روابط النفس الملتهبة مع الجسد؛ حينئذٍ، تجرد من كل ارتباط بالأشياء المادية، انزل إلى أعماق الإتضاع، وهناك سوف تجد اللؤلؤة كثيرة الثمن التي لخلاصك مخفية في صدفة المعرفة الإلهية. هذا سيكون عربون أشعاع ملكوت الله.

١١- من حقق نكران الذات الداخلي، وقد أخضع جسده للروح لا يحتاج بعد لأن يذعن لأناس آخرين. مثل هذا الشخص يطيع كلمة الله وناموسه مثل خادم مقر بالجميل. لكن نحن الذين لازلنا مشتبكين في الحرب بين الجسد والنفس يجب أن نخضع لشخص آخر؛ يجبَ أن يكون لدينا قائد ومدير دفة الذي سوف يُسلحنا ويقودنا بمهارة، لئلا يتم تدميرنا بواسطة أعدائنا الروحيين أو نغرق في شهواتنا بسبب عدم خبرتنا.

١٢- أذا لم يتم إزعاجك بأي شهوة؛ وإذا كان قلبك يشتاق أكثر فأكثر لله؛ وإذا كنت لا تخاف الموت بل تعتبره كحلم بل حتى تشتاق لتحررك- حينئذٍ تكون قد اقتنيت عربون خلاصك و تحمل ملكوت السموات في داخلك، مبتهجا ببهجة لا توصف.

١٣- إذا كنت قد وُجدت مستحقاً للكهنوت المقدس والمهيب، فقد ألزمت نفسك بشكل مُضحي بالموت عن الشهوات واللذات الحسية، عندئذٍ فقط تجاسر واقترب من الذبيحة الحية المرهوبة؛ وإلا سوف تفنى بالنار الإلهية مثل القش الجاف. إذا كان السيرافيم لم يجرؤ أن يلمس الجمرة المقدسة بدون ملقط (ق.م. أش ٦: ٦)، فكيف تستطيع أن تفعل ذلك إذا لم تقتنى التحرر من الأهواء؟ يجب من خلال التحرر من الأهواء أن يكون لك لسان مُقدس، وشفاه مُطهرة، ونفس وجسد عفيفين؛ وكذلك يديك ذاتهما، كخدام للذبيحة النارية الفوق جوهرية يجب أن يكونا مصقولين أكثر من أي ذهب.

١٤- كي تفهم المغزى الكامل لكلماتي، تذكر أنك تبصر يومياً خلاص الله، الذي رآه سمعان الشيخ وللوقت ارتعب واندهش ذلك الذي صلى لأجل نجاته (ق.م. لو ٢: ٢٩). إذا لم تتأكد بالروح القدس إنك مساوي للملائكة وبذلك تكون وسيطاً مقبولاً بين الله والإنسان، فلا تتجاسر بوقاحة بإقامة الأسرار الرهيبة والأكثر قداسة، التي حتى الملائكة توقرها والتي من طهارتها كثير من القديسين أنفسهم رجعوا إلى الخلف من خوفهم التوقيري، وإلا، سوف تتدمر مثل زان[١] بسبب إدعائك القداسة.

١٥- قيل «احترز لنفسك بانتباه» (ق.م. خر ٢٣: ٢١ س). قدم دائماً القربان أولاً عن خطاياك خاصة: حينئذٍ إذا كان، بسبب ضعفك، يوجد فيك بالفعل بعض الدنس أو يدخل فيك الآن، فسوف يفنى بواسطة النار الإلهية. بهذه الطريقة، كإناء مختار، صالح للخدمة، نقي ومستحق لمثل هذا القربان، سوف تأخذ قوة تحول الآنية الخشبية أو الطينية إلى فضية أو ذهبية، بشرط أن يكون لك عشرةُ عميقة مع الله وهو يسمع صلواتك. لأنه حيث يسمع الله ويستجيب فلا شيء يمنع تغير شيئاً ما إلى آخر.

١٦- تأمل بعمق في الكرامة الملائكية التي وُجِدت مستحقا لها، ومهما كانت الرتبة التي تُدعى بها، جاهد من خلال الفضيلة والنقاوة أن تحفظ نفسك غير مشوباً بشائبة. لأنك تعرف من أي علو سقط لوسيفر بسبب كبرياءهُ، لا تفتكر أفكاراً عظيمة عن نفسك وتعانى من نفس المصير. أعتبر نفسك تراب ورماد (ق.م. تك ١٨: ٢٧)، أو كمرفوض، أو كمخلوق خسيس؛ ونوح باستمرار، لأنه بسبب رحمة الله وطيبته التي لا يُعبر عنهما يُسمح لك فقط بالتعامل مع الأشياء المقدسة في إقامة الأسرار المهوبة، ويقال ذلك أيضاً عن العشرة معه والتقرب منه.

---

(١) يبدو أنه اسم أحد الأشخاص المعاصرين للكاتب والمشار اليه فى الفقرة ٢١- م.

١٧- الكاهن يجب أن يكون طاهراً من كل شهوة، خاصة النجاسة والحقد، ويجب أن يحفظ خياله خاليا من الشهوة. وإلا سَيُنبذ باشمئزاز، كأنه أبرص قذر يلمس جسد ملك.

١٨- عندما تغسلك دموعك فتبيَضْ أكثر من الثلج وضميرك لا عيب فيه في طهارته، وعندما تكشف حُلَتك الخارجية ذات البياض الملائكي عن الجمال الداخلي لنفسك- عندئذٍ، وعندئذٍ فقط، يمكنك في قداسة أن تلمس الأشياء المقدسة. تأكد أنك لا تعتمد فقط على التقاليد البشرية في إقامة الأسرار الإلهية، ولكن دع نعمة الله تملأك داخلياً و بطريقة غير منظورة بمعرفة الأشياء العليا.

١٩- أن كنت تتوق إلى عدم الفساد والخلود، اتبع بإيمان وتوقير من هو واهب للحياة ولا يفنى؛ اشتاق إلى الرحيل عن هذا العالم كإنسان تَكمَّلَ بالإيمان. إذا كنت لا تزال تخشى الموت، فأنت لم تتحد بعد بالمسيح من خلال الحب، بالرغم من أنك وُجدت مستحقاً أن تقدمه بيديك كقربان وقد تناولت من جسده (ودمه). لأنه متى ارتبطت به بالحب، فسوف تتعجل الالتحاق به، ولا تعد مهتماً بهذه الحياة أو هذا الجسد.

٢٠- أنت يا من تُقرّبْ جسد الله وتتناول منه من خلال التناول المقدس يجب أيضاً أن تتحد معه بالموت الذي ماته (ق.م. رو ٦: ٥). كما قال القديس بولس (ق.م. غل ٢: ٢٠)، يجب أن لا تحيا لنفسك بل للذي ضحى ومات من أجلك. إذا كنت، مُنقاداً بسيطرة الشهوات عليك، تعيش للجسد والعالم، فهيئ نفسك لعقاب لا يموت بالموت ما لم تتخلى عن كهنوتك بكامل إرادتك قبل أن تموت. لكن كثير من الكهنة الغير مستحقين قد خطفوا بعيداً بموت مفاجئ وأرسلوا إلى قاعات الدينونة.

٢١- كان هناك مرة راهب كاهن كان له سمعة التقوى وكرمه الكثيرون بسبب سلوكه الخارجي، بالرغم أنه كان من الداخل فاجراً ومُدنس. وفى يوم ما كان يقوم بصلاة القداس الإلهي وعند تسبحة الشاروبيم، أحنى رأسه كالمعتاد أمام المائدة المقدسة و عندما كان يقرأ صلاة «لا أحد مستحق ...»، مات فجأة، وتركته نفسه في هذا الوضع.

٢٢- لا يوجد شيء أكثر أهمية من الذكاء الحقيقي والمعرفة الروحية، لأنهما ينتجان كل من مخافة الله والاشتياق له، مخافة الله تطهرنا من خلال الرهبة وتحقير الذات. الاشتياق له يأتي بنا إلى الكمال من خلال الإفراز والاستنارة الداخلية، رافعاً فكرنا إلى قمم التأمل الروحي. بدون المخافة لا نستطيع أن نُحرز الحب القوي إلى ما هو إلهي، وبذلك لا نستطيع أن نفرد أجنحتنا ونجد مكان راحتنا في المملكة التي نطمح إليها.

٢٣- كن مقتنعا بما أقوله، يا من تشتاق بحماس وكل جدية للخلاص: تعجل، ابحث بإصرار، اطلب بغير انقطاع، اقرع بصبر، واستمر حتى تصل لهدفك. أسس قاعدة الأيمان الثابت والإتضاع. سوف تحقق ما تريده ليس ببساطة عندما تُغفر خطاياك، ولكن عندما تنفصل بلا خوف وبابتهاج عن الجسد، ولا تعود تُثار أو يتم تخويفك بثوران أي شهوة.

٢٤- اطلب بدموع كثيرة كي تُعطى الضمان الكامل للخلاص، لكن- إذا كنت متواضعاً- لا تطلب أن يعطى لك قبل موتك بمدة طويلة، لئلا تصبح مهملاً وغير مبالياً. ولكن اطلب ذلك عندما تكون قريباً من رحيلك- لكن اجعل طلبك بكل جدية، خوفاً من فرضية أنك يمكن أن تضلل نفسك بتصديقك أنك قد تمتلك مثل هذا الضمان فقط لكي تجد، عندما تذهب عندئذٍ، بأنك قد فشلت في أن تُحرزه. فأين سوف تذهب عندئذٍ، أيها الإنسان التعيس، محروماً من التذوق المسبق والضمان الغير قابل للشك للخلاص المعطى بواسطة الروح (القدس)؟[1]

٢٥- إذا كنت تتوق إلى اللا هوى الذي يؤله، فجده أولا من خلال الطاعة والإتضاع، لئلا بالسفر على طول طريق آخر تنتهي بمشكلة. الشخص الذي أحرز اللا هوى لا يكون منزعجاً أحياناً بالشهوات وفى أحيان أخرى هادئ وفى راحة، لكن يتمتع باللا هوى بصفة مستمرة و، حتى عندما تكون الشهوات لازالت مستمرة داخله، يظل غير متأثراً بالأشياء التي تثيرهم. وفوق الكل لا يتأثر بالصور التي تولدها الشهوات.

٢٦- عندما تترك النفس الجسد، يتقدم العدو ليهاجمها، لاعناً إياها بعنف ومتهما إياها على خطاياها بطريقة فظة ومرعبة. النفس التقية، على أية حال، وإن كانت أحيانا قد جُرحت بالخطيئة، لا تخاف من هجوم العدو وتهديده. مقواة بالرب، مجنحة بالبهجة، مملوءة بالشجاعة بواسطة الملائكة القديسون التي ترشدها، ومحاطة ومحمية بنور الإيمان، ترد بجرأة عظيمة على العدو: «أيها الهارب من السماء، العبد شرير، ماذا يجب عليَّ أن أفعل معك؟ ليس لك سلطان عليَّ؛ المسيح ابن الله له سلطان عليَّ وعلى كل الأشياء. أخطأت إليه، وأمامه سوف أقف في الدينونة، معي صليبه الغالي كضمان أكيد لحبه المُخَلِّص تجاهي. أغرب عني، أيها المدمر! ليس لك شيئاً لتفعله مع خدام

---

(١) فى جميع الحالات يجب أن نتمسك بالرجاء 'الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل الى ما داخل الحجاب' (عب ٦: ١٩)- م.

المسيح.» عندما تقول النفس كل هذا بلا خوف، يدير إبليس ظهره، عاوياً بصوت عالٍ غير قادراً على الصمود أمام أسم المسيح. عندئذٍ تنقض النفس على إبليس من أعلى، مهاجمة إياه مثل صقر يهاجم غراب. بعد هذا يتم إحضارها مبتهجة بواسطة الملائكة إلى المكان المعين لها طبقاً لحالتها الداخلية.[١]

٢٧- الاشتياق للأشياء الزائلة لن يجر إليك سيطرة الدنيويات إذا ركزت ذهنك على الأشياء السمائية؛ ولكن عندما تتقيد بالارتباط بالأشياء الدنيوية تكون مثل نسر وقع في فخ بمخلبه ومُنع من الطيران. اعتبر كل ما تمتلكه كنفاية أملاً في أشياء أفضل. انفض عنك حتى جسدك عندما تأتى ساعتك، واتبع ملاك الله الذي يأخذك منه.

٢٨- كما أن العملة التي لا تحمل صورة الملك لا يمكن أن توضع في الخزائن الملكية مع العملات الأخرى، كذلك بدون المعرفة الروحية الحقيقية واللا هوىَ لا يمكنك أن تنال تذوق مسبق للبركات الإلهية، ولا ترحل بشجاعة وثقة من العالم لتأخذ مكانك بين المختارين في (الدهر) الآتي. لا أقصد بالمعرفة الروحية الحكمة، لكن الإدراك الصحيح لله والحقائق الإلهية الذي من خلاله يُنهض المؤمن، الذي لم يعد يُسحب بعد بواسطة الشهوات، إلى حاله مقدسة بنعمة الروح (القدس).

٢٩- حتى لو مارست بنجاح كل الفضائل، فلا تفترض أنك قد أحرزت اللا هوىَ وإنك يمكن أن تسكن في العالم بدون إنزعاج؛ لأن نفسك قد لا تزال تحمل في داخلها أثر الشهوات، وبهذا سيكون لديك صعوبات عندما تموت. لكن، منقاداً دائماً بالمخافة، احرس بعناية طبيعتك القابلة للتحول والدائمة التغير واقطع أسباب الشهوة. لأن اللا هوىَ الغير متغير في أعلى أشكاله يوجد فقط في هؤلاء الذين أحرزوا الحب الكامل، وقد ارتفعوا فوق الأشياء الحسية من خلال التأمل الروحي الغير منقطع، وقد تساموا فوق الجسد من خلال الإتضاع، لهب الشهوات لم يعد يلمسهم: لقد تم قطعة بواسطة صوت الرب (ق.م. مز ٢٩: ٧)، حيث أن طبيعة مثل هؤلاء الناس قد تحولت بالفعل إلى عدم الفساد.

٣٠- لا تحاول أن تحرز اللا هوىَ بطريقة غير ناضجة ولن تعانى ما عاناه آدم عندما أكل سريعاً جداً من شجرة المعرفة الروحية (ق.م. تك ٣: ٦). ولكن أعمل على ذلك بصبر،

---

(١) هذه الفقرة متطابقة تقريباً بالكامل مع يوحنا الكارباثى، نصوص لرهبان فى الهند فقرة رقم ٢٥ (الفيلوكاليا المجلد الأول).

مع توسل مستمر وضبط نفس في كل الأشياء؛ وإذا احتفظت بالأرض التي تكتسبها، بواسطة لوم الذات ومنتهى التواضع، فسوف تنال في الوقت الحسن نعمة اللا هوىً. ميناء الراحة يتم الوصول إليه فقط بعد كثير من العواصف والصراعات. والله لا يظلم هؤلاء الذين يسيرون في الطريق الحقيقي أذا أبقى بوابة اللا هوىَ مقفولة حتى تأتى اللحظة المناسبة.

٣١- لأنك كسلان وعديم الخبرة فيجب عليك أيضاً أن تذهب إلى النملة (ق.م. أم ٦: ٦): قلد بساطتها وعدم أهميتها، وأعرف أن الله، المكتفى ذاتياً والغنى جداً، لا يحتاج لفضائلنا. بل على العكس، إنه يمنح بغنى هباته علينا ومن خلال نعمته يخلص هؤلاء الشاكرين بوعي، لذلك فإنه يقبل في رحمته أيضاً أي عمل نقدر أن نعمله. إذا عملت، حينئذٍ، كمن علية دين لله لأجل البركات التي نلتها بالفعل، فإنك تفعل حسناً، ونعمة الله قريبة منك. ولكن إذا اعتقدت أن الله عليه دين لك من أجل الأشياء الجيدة التي تتخيل أنك قد فعلتها، فإنك مخدوع تماماً، لأنه كيف لمانح العطايا أن يكون مديناً؟ اعمل كخادم أجير، متقدماً خطوة بخطوة، فسوف تحقق بنعمة الله ما تسعى إلية.

٣٢- هل أعرض عليك طريقاً آخر للخلاص- أو، بالأحرى، لـ اللا هوىَ؟ من خلال توسلاتك إلزم الخالق أن لا يتركك تفشل في هدفك. أجلب أمامه باستمرار كشفعاء كل القوات الملائكية، كل القديسين، وخاصة الأكثر طهارة والدة الإله، لا تسأل من أجل اللا هوىَ، لأنك غير مستحق لمثل هذه العطية؛ لكن اسأل بمثابرة من أجل الخلاص وبه سوف تنال اللا هوىَ أيضاً. الأول مثل الفضة، والآخر مثل الذهب النقي. اجعل، على وجه الخصوص، عمل يديك هو التأمل الداخلي في الله، ووجه انتباهك بالكامل إلى الأسرار الخفية التي تخصه: لأن مبادئ هذه الأسرار سوف تقدسك ويبتهج الله فيهم وينتصر بهم.

٣٣- كافح كي تنال ضمان أكيد لا لبس فيه للخلاص في قلبك، حتى لا تكون مضطربا بشدة عند وقت موتك ومرتعباً بطريقة غير متوقعة. تكون قد نلت مثل هذه الضمان عندما لا يعود قلبك يلومك على إخفاقاتك ويتوقف ضميرك عن توبيخك على نوبات غضبك؛ عندما تكون شهواتك البهيمية قد تم ترويضها بنعمة الله؛ عندما تذرف دموع العزاء وفكرك يصلى غير مشتتاً وبطهارة؛ وعندما تنتظر الموت، الذي يرتعب منه معظم الناس، بهدوء وبقلب مستعد.

٣٤- كلمات الحياة الأبدية التي، طبقاً لهامة الرسل (ق.م. يو ٦: ٦٨)، يمتلكها الله الكلمة، هي الجواهر الداخلية لكل الأشياء التي خلقت بواسطته. هكذا الشخص الذي، بسبب طهارته، دخل للتو في أسرار هذه الجواهر الداخلية قد اقتنى حياة أبدية، عربون الروح (القدس) وتوقُّع واثق للخلاص. من يُقَدِّر الجسد أكثر من النفس ومتعلق بالأشياء الدنيوية هو غير مستحق لمثل هذه العطايا.

٣٥- الشخص الذكي ليس مجرد شخص له قدرة على الكلام، لأن هذا شائع عند كل الرجال. بل على العكس، هو شخصٌ ما يبحث عن الله بذكائه. لكنه لن يجد أبداً الجوهر الذي هو لمن يتجاوز كل الكائنات، لأن هذا أبعد من مدى رؤية كل طبيعة مخلوقة. لكن بنفس الطريقة تقريباً التي يُرى فيها البَنّاء في عمله، كذلك الصانع ذو السيادة يمكن أن يُكتشف وإذا جاز التعبير يُدرك في الحكمة المبدعة المتأصلة في الأشياء الحية، وفى عنايته الإلهية وحكمه وتوحيده وتوجيهه وحفظه لهم.

٣٦- لا يمكن أن تحقق شرط الفقر الكامل بدون اللا هوىَ، ولا اللا هوىَ بدون المحبة، ولا المحبة بدون مخافة الله والصلاة النقية، ولا مخافة الله ولا الصلاة النقية بدون الإيمان والتجرد؛ لأنه عندما تُجَنّح بالإيمان والتجرد فإن الفكر ينبذ كل اهتمام دنيء ويرتفع إلى أعلى باحثاً عن سيدهُ.

٣٧- لتكن العفة غالية عندك مثل بؤبؤ عينك، وعندئذٍ سوف تصبح هيكلاً لله ومكان سكناه العزيز. لأنه بدون ضبط النفس لا يمكن أن تحيا مع الله. العفة وضبط النفس يُولدان من الاشتياق لله متحداً بالتجرد والزهد في العالم؛ وهم محميين بالتواضع، التحكم في النفس، الصلاة الغير منقطعة، التأمل الروحي، التحرر من الغضب والبكاء الشديد. بدون اللا هوىَ، على أية حال، لا يمكن أن تحقق جمال التمييز.

٣٨- لا تدع أحد يخدعك؛ بدون القداسة، كما قال الرسول، لا يعاين أحد الله (ق.م. عب ١٢: ١٤). لأن الرب، الذي هو أكثر من قدوس ويفوق كل طهارة، لن يظهر لشخص غير طاهر. مثل من يحب أباً أو أماً، ابنه أو ابن (ق.م. مت ١٠: ٣٧) أكثر من الرب فلا يستحقه. كذلك من يحب أي شيء زائل ومادي. ويكون غير مستحقاً أكثر ذلك الشخص الذي يختار الخطيئة الكريهة والنتنة مُفضلاً إياها على محبة الرب؛ لأن الله يرفض كل من لا يتبرأ من كل قذارة: «لا يرث الفساد عدم الفساد» (١كو ١٥: ٥٠)

٣٩- لن تكون مستحقاً للمحبة الإلهية إلا إذا امتلكت المعرفة الروحية، ولا للمعرفة الروحية إلا إذا امتلكت الإيمان. لا أقصد الإيمان الذي من النوع النظري، ولكن الذي به نقتنى الفضائل كنتيجة للممارسة. سوف تحقق تأنيب الضمير الحقيقي فقط عندما تكون قد أذبلت، من خلال ضبط النفس واليقظة، الصلاة والتواضع، الميل إلى اللذة الحسية الغريزي في الجسد وصُلبت مع المسيح (ق.م. غل ٢: ١٩- ٢٠)، ولا تعيش بعد حياة الشهوات ولكن تحيا وتمشي بالروح (القدس)، مملوءاً بالأمل في المجد السماوي.

٤٠- اصرخ لله، «بهذا علمت أنك سررت بي أنه لم يهتف عليَّ عدوى» (مز ٤١: ١١)؛ لن يُسيطر عليَّ ويبتليني إلى النهاية بواسطة الشهوات. ولكنك سوف تنتزعني من بين يديه قبل أن أموت مانحاً إياي الحياة في الروح (القدس) بحسب مشيئتك، وبواسطة موتك المقدس سوف تأتى بي، مُخلصَاً، أمام كرسي دينونتك. هناك، بواسطة النعمة، سوف أنال عربون الخلاص والضمان الذي هو أبعد من نطاق كل الشكوك. ولذلك لن أكون مضطرباً أو غير مستعد عند وقت رحيلي من العالم، ولن أجد أن محنة المحاكمة غير قابلة للاحتمال، وأكثر قسوة وأذية من حكم الموت أو التعذيب.»

٤١- الإيمان والرجاء ليسا مجرد أمورٍ عادية أو نظرية. الإيمان يتطلب نفس راسخة والرجاء إرادة صلبة وقلب أمين. كيف يمكن للمرء أن يؤمن عن طيب نفس بأمور لا تُرى بدون النعمة؟ كيف لإنسان أن يكون له رجاء يتعلق بأمور مُذخرة (في الدهر الآتي) إلا لكونه قد اكتسب خبرة ما بعطايا الرب من خلال أمانته؟ عطايا النعمة هذه هي عربون للبركات المذخرة (في الدهر الآتي)، الذين يظهرون كحقائق حالية. الإيمان والرجاء، إذاً، يتطلبان كل من الفضيلة من جهتنا وإلهام الله ومساعدته. إذا لم يتواجد الاثنان فنحن نتعب باطلاً.

٤٢- ذرية الفضيلة الحقيقية هي إما معرفة روحية أو لا هوىً أو كليهما معاً، إذا فشلنا في اكتسابهما معاً فنحن إذاً نتعب باطلاً، وفضيلتنا الظاهرة ليست حقيقية؛ لأنها لو كانت كذلك لأنتجت ثمراً بالإضافة للأوراق. في الواقع، هي على أية حال، لا تتمتع ببركات الله ولكنها زائفة، مسألة رضا عن النفس، أو شيء مختلقٌ لكسب تقدير الآخرين أو من دافع ما آخر لا يتوافق مع مشيئة الله. لكن إذا صححنا دافعنا، فسوف نأخذ بلا شك نعمة الله التي تمنح كل من المعرفة الروحية واللا هوىَ في الوقت (المناسب) وبالقدر الملائم.

٤٣- مَيِّز خدع العدو بنور النعمة، وبإلقاء نفسك أمام الله بدموع، اعترف بضعفك، معتبراً نفسك لا شيء، حتى ولو حاول المخادع أن يغريك أن تفكر بخلاف ذلك. ولا تطلب حتى مواهب روحية إلا إذا كانت تساهم في خلاصك وتساعدك أن تبقى متواضعاً. ابحث عن المعرفة التي لا تجعلك مغروراً، لكن تقودك إلى معرفة الله. صَلْ كي تتحرر من استبداد الشهوات قبل أن تموت، وترحل من هذه الحياة في حالة من اللا هوىَ أو- بتواضع أكثر- في شفقة على خطايا الآخرين.

٤٤- كما أنه من المستحيل الطيران بدون أجنحة، كذلك لا نستطيع أن نبلغ إلى البركات التي نأمل فيها دون أن نأخذ بالفعل ضمان لا شك فيه في هذه الحياة. بسبب تواضعهم الشديد، أو من خلال نعمة الروح القدس، مثل هذا الضمان يُعطىَ لهؤلاء الذين قد تصالحوا مع الله، واقتنوا اللا هوى بكمال أقل أو أكثر بالتناسب مع درجة تصالحهم ونقاوتهم. هؤلاء الذين تركوا الجسد قبل أن يأخذوا هذا الضمان يموتون بينما لايزالون في شتاء الشهوات، أو في السبت (ق.م. مت ٢٤: ٢٠)- بمعنى، الامتناع عن عمل الفضائل- ويخضعون لمحاكمة ودينونة، في وقت المجازاة لكونهم ملومين.

٤٥- حيث أن الخلاص يأتي إليك كعطية مجانية، اشكر الله مخلصك. أذا أردت أن تقدم له عطايا، فأعط بشكر من نفسك المترملة عملتين صغيرتين جداً، الإتضاع والمحبة، والله سوف يقبل هذا في خزينة خلاصه بسعادة أكثر من حشد من الفضائل وضِعَتْ هناك بواسطة آخرين (ق.م. مر ١٢: ٤١- ٤٣). لكونك مائتاً بالشهوات، صلْ مثل لعازر كي يؤتى بك إلى الحياة ثانية، إرسل إلى الله هاتين الأختين كي تلتمسان الرحمة منه (ق.م. يو ١١: ٢٠- ٤٤)؛ وسوف تحقق هدفك بالتأكيد.

٤٦- ممارسة الفضائل في حد ذاتها لا تأتى بك إلى اللا هوىَ الذي يُمَكنك من الصلاة غير متشتتاً وفى نقاوة: التأمل الروحي يجب أيضاً من جهته أن يمنح فكرك معرفة مستنيرة وفهم للكائنات المخلوقة. وهكذا فإن الفكر، مجنحاً ومستنيراً، يُستغرق تماماً بمحبة الصلاة الحقيقية ويرتفع لأعلى للنور الذي من أصل واحد الذي للأمور الغير مادية؛ ومن ثم، على قدر ما يكون هذا مستطاع، فإنه يُحمل إلى النور المطلق، الشمس المثلثة التي للثالوث الفائق القداسة.

٤٧- سوف لا نُعاقب أو ندان في الدهر الآتي، بسبب إننا قد أخطئنا، حيث إنه قد أعطى لنا طبيعة متقلبة وغير مستقرة، ولكننا سوف نُعاقب إذا كنا بعدما نخطئ لا نتوب

ونرجع عن طرقنا الشريرة إلى الرب؛ لأنه قد أعطيت لنا القدرة على التوبة، وكذلك أيضاً الوقت الذي نفعل فيه ذلك. فقط من خلال التوبة سوف ننال نعمة الله، وليس نقيضها، غضبه المتقد. غضب الله ليس علينا: ولكنه يغضب على الشر. حقا، الألوهة فوق العاطفة والرغبة في الانتقام، التي نتكلم من خلالها كإنعكاس ، كما في مرآة، لأفعالنا وتصرفاتنا، معطية كل واحد منا ما يستحقه مهما كان.

٤٨- عندما تسقط من حالة عالية، لا تصاب بالذعر، ولكن من خلال الندم، والحزن، وتأنيب النفس الشديد، وفوق الكل من خلال الدموع الغزيرة التي تُذرف من روح منسحقة، صحح نفسك وارجع سريعاً إلى حالتك السابقة. ناهضاً ثانية بعد سقوطك، سوف تدخل الوادي البهيج الذي للخلاص، محترساً على قدر المستطاع من أن تغضب قاضيك ثانية، حتى لا تكفر عن ذلك بدموع وحزن في المستقبل. لكن إذا لم تظهر مثل هذه التوبة في هذه الحياة الحالية، فسوف تُعاقب بالتأكيد في الدهر الآتي.

٤٩- دعنا نعود إلى موضوع الكهنوت. كنظام ملائكي يتطلب منا طهارة ملائكية، ودرجة من التحفظ، وكبح النفس أعظم من التي كانت لنا في حياتنا السابقة (على الكهنوت). ما هو دنس يمكن إلى حد ما أن يصبح طاهراً؛ ومن الأسوأ جداً أن يصبح الطاهر دنساً. إذا خلطنا الظلمة مع النور، والروائح الكريهة مع الحلوة، فسوف نرث البؤس والدمار بسبب تدنيسنا المقدسات، مثل حنانيا وسفيرة (ق.م. أع ٥: ١- ١٠).

٥٠- إذا قررت الدخول إلى نظام الكهنوت السمائي الملائكي بناء على طهارة مُصطنعة، مع أنك تائه وعديم الفائدة، لتصبح إناءاً مختاراً، صالحاً لاستخدام السيد، كما يقول القديس بولس (ق.م. ٢تى ٢: ٢١؛ أع ٩: ١٥)، حينئذٍ يجب أن تحفظ المنصب الذي وجدت مستحقاً له غير مشوباً بشائبة، حارساً الموهبة المقدسة كما تحفظ بؤبؤ عينك. من ناحية أخرى، تتميمك لوظيفتك بطريقة روتينية سوف يطرحك من الأعالي إلى الهاوية وستجد إنه من الصعب الخروج منها ثانية.

٥١- ضع هذا في عقلك بحكمة، إذا برر الله لا أحد يستطيع أن يُدين (ق.م. رو ٩: ٣٣: ٣٤). **إذا دُعيت إلى النعمة الفوق دنيوية التي للكهنوت، لا تقلق بسبب حياتك الماضية، حتى ولو تلوثت بدرجة ما؛ لأنها قد تطهرت مرة أخرى بواسطة الله من خلال تصحيحك الذاتي. لكن بعد ذلك كن مجتهداً ويقظاً، حتى لا تحجب النعمة. حينئذٍ إذا رماك أحد بقذف في كهنوتك بسبب ماضيك، فسوف يسمع صوت من السماء قائلاً، «ما طهره الله لا تدنسه أنت» (أع ١٠: ١٥).**

٥٢- منصب الكهنوت خفيف ونيره هين (ق.م مت ١١: ٣٠) طالما يتم القيام به كما يجب، وطالما نعمة الروح القدس لم توضع للبيع. عندما يتم مقايضة ما لا يُقدر بثمن بإسم ما هو مناسب للبشر ولأجل عطايا فانية، وعندما تكون الدعوة ليست من الأعالي، فإن الحمل يكون ثقيلاً حقاً؛ لأنه محمول بواسطة شخصٌ ما غير مستحق، ويفوق قدراته. النير حينئذٍ يكون قاسياً للغاية، ومؤذياً لعنقه، وسوف يجهده ويدمره تماماً.

٥٣- عندما تحمل بجسارة نير الكهنوت، يجب أن تصلح من طرقك وتشرح الحق باستقامة، متمما هكذا خلاصك بخوف ورعدة؛ «لأن إلهنا نار آكلة» (عب ١٢: ٢٩)، إذا كنت مثل الذهب والفضة ولمست هذه النار، فلا تخاف من أن تُحرق، مثل الثلاثة فتية في بابل الذين لم يخافوا (ق.م. دا ٣: ١٧). لكن إذا كنت مثل العشب أو القصب أو بعض المواد الأخرى القابلة للاحتراق كنتيجة للأفكار الأرضية، حينئذٍ ارتعد لئلا تتحول إلى رماد في النار السماوية- إلا إذا هربت مثل لوط (ق.م. تك ١٩: ١٧، ٢٩) من غضب الله بترك الكهنوت. لكن يمكن أن يكون هناك بعض الأخطاء الخفيفة التي تنتج عن الضعف تحترق بهذه النار الإلهية أثناء صلاة الليتورجية، بينما أنت نفسك تبقى سليما غير محترقاً بالنار، مثل العُلّيقة الهشة في الصحراء (ق.م. خر ٣: ٢).

٥٤- إذا كنت مثل شخصاً ما عنده سيلان تفتقد القوة على أن تقاطع حالتك الملتهبة لأنها أصبحت مزمنة، فكيف يمكن أن تجرؤ، أنت التعيس، على لمس ما هو غير قابل لـ اللمس حتى للملائكة؟ إما أن تقشعر وترتعب وتعتزل الكهنوت المقدس، مرضياً الله بهذه الطريقة؛ أو إذا كنت بخلاف ذلك فظاً وعنيداً، فتوقع أن تقع في يد الله الحي وأن تعانى غضبه. الله لن يستثنيك من الشفقة، ولكن سوف يعاقبك بغير رحمة لتجرؤك على الحضور إلى وليمة العرس الملكي بنفس وثياب مدنستين، غير مستحقاً حتى للدخول، وبالأكثر للانضمام إلى الاحتفال (ق.م. متى ٢٢: ١٢).

٥٥- **أنا نفسي قد عرفت قساً تجرأ على أن يصلى الأسرار المقدسة بغير استحقاق، مستسلماً لشهوة النجاسة، أولاً سقط ضحية مرض مرعب غير قابل للشفاء وكان قريباً من الموت. حينئذٍ، بعدما فعل بدون جدوى كل شيء ليخلص نفسه من هذا المرض- في الحقيقة لقد أصبح حتى أسوأ- بدأ يدرك أنه كان يموت بسبب أنه صلى الأسرار عن غير استحقاق. على الفور اتخذ عهداً أن يكف عن إقامة الأسرار، وشفيَّ في الحال، حتى أنه لم يبقى ولو أثر لمرضه.**

٥٦- الكرامة الكهنوتية مثل صدرة الكهنوت. بهية، فقط طالما هي مضاءة من الداخل بنقاوة النفس، ومتى سقطت من النعمة بسبب نقص الانتباه، ولم تؤخذ ملاحظة من احتجاجات الضمير، عندئذٍ يصبح النور ظلاماً، الذي هو نذيراً للظلام الأبدي والنار الأبدية. ملجأنا الوحيد في مثل هذه الحالة هو أن نترك المسار شديد الانحدار، ونأخذ الطريق الذي يقود بأمان، إلى ملكوت الله، بواسطة الفضيلة والإتضاع.

٥٧- الخلاص يتحقق من خلال البساطة والفضيلة، وليس من خلال مجد الكهنوت، الذي يتطلب منا طريقة ملائكية في الحياة. وإلا يجب عليك عندئذٍ أن تصبح خالي من الأهواء مثل الملائكة، في الفكر والغرض، متسلقاً السلم إلى السماء بهذه الطريقة؛ أو بخلاف ذلك، واعياً بضعفك، يجب عليك أن تتجنب بمخافة الرتبة العليا التي للكهنوت. مرعوباً من السقوط العظيم يجب عليك أن تثبت عدم استحقاقك لها، اختر شكل الحياة الذي يتبعه جمهور المؤمنين، لأنه لا يقل عن الكهنوت في جلب المرء إلى القرب من الله. علاوة على ذلك، إذا سقطت خلال سعيك فيه، فمن خلال رحمة الله ونعمته سوف تنهض بسهولة بواسطة التوبة.

٥٨- «إن لحماً ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله» (١كو ١٥: ٥٠). فكيف هذا، إذاً، أنت الذي تتناول جسد المسيح ودمه، لا تصبح جسداً واحداً معه وتندمج معه من خلال دمه؟ بالرغم من أن ملكوت الله في داخلك، هل لازلت محاصراً بشهوات جسدك ودمك؟ أخشى أن روح الله لن يبقى فيك في حالتك الغير روحية، وأنه يوم الدينونة سوف يُحكم عليك بأقصى شدة: سوف ينزع منك الكهنوت بسبب عدم استحقاقك لمثل هذه النعمة، وسوف تُرسل إلى العقاب الأبدي.

٥٩- إذا لم تكن هناك مخافة للرب أمام عينيك، فسوف تعتقد أنه شيء عادى أن تُقدس عن عدم استحقاق، لأنك سوف تنخدع بواسطة محبتك لذاتك بتخيلك أن الله سوف يكون مترفقاً عليك. منذ زمن بعيد داثان وابيرام تخيلا نفس الشيء حتى انفتحت الأرض تحتهم وبلعتهم (ق.م. عد ١٦: ٢٥- ٣٠). قف برهبة وخوف حقيقيان أمام من يجب مخافته، مدركاً مدى خطورة مسألة التقديس، وبالأحرى الانخراط في الكهنوت عن استحقاق ونقاوة- لو جاز التعبير كالملاك- أو ابتعد عن منصب الكهنوت المرهوب. بخلاف ذلك فإن الاستخفاف بمنصبك، واستخدام حجج خادعة ضد ضميرك عندما يوبخك، سوف يجعلك تقول في معاناتك في الحكم عليك في ذلك اليوم الذي يُحكم

فيه على كل الأشياء وتوضع في نصابها الصحيح: «لأني ارتعاباً ارتعبت فأتاني والذي فزعت منه جاء عليَّ» (أي ٣: ٢٥).

٦٠- بحرص ومثابرة يجب عليك أن تقدم، بالندم والدموع، خلاص العالم والقربان المقدس أولا تكفيراً عن خطاياك الخاصة. مَنْ بعد موتك سوف يقدمه نيابة عنك بمثل هذا الاهتمام؟ توقع (ذلك) بحكمة وبناء على ذلك: ادفن نفسك وأحيى نفسك مقدما. قدم القرابين المقدسة لله على المائدة المقدسة كوسائل لخلاصك، جاعلاً موته الاختياري الذي تحمله من أجل الإنسان حاضراً.

٦١- لا توصف بهجة النفس عندما تغادر الجسد في ملئ ضمانها للخلاص، متجردة منه كما ولو كان رداء. ولأنها حققت الآن ما تأمل إليه، فإنها تخلع الجسد بدون ألم، ذاهبة في سلام كي تلتقي الملاك المنير والمبهج الذي ينزل إليها. وتسافر غير معاقة معه في الهواء، وغير مَأذية بالكامل من الأرواح الشريرة. مرتفعة بالبهجة، والشجاعة، والشكر، تأتى بافتتان أمام الخالق، وتُعطىَ مكانها بين أولئك المماثلين لها والمكافئين لها في الفضيلة، حتى القيامة العامة.

٦٢- سوف أقول لك شيئاً غريباً، ولكن لا تتفاجأ به. إذا فشلت في تحقيق اللا هوى بسبب الميول التي تسيطر عليك، لكن عند وقت موتك تكون في أعماق الإتضاع، سوف ترتفع فوق السحاب لا أقل من الإنسان الذي أحرز اللا هوى. لأنه حتى ولو كان كنز هؤلاء الذي تحرروا من الهوى يتكون من كل فضيلة، فإن الحجر الثمين الذي للإتضاع أكثر قيمة منهم جميعاً: إنه لا يجلب استعطاف الخالق فقط، ولكن دخولاً مع المختارين إلى غرفة عرس مملكته.

٦٣- إذا أخذت من الله تكفيراً عن تعدياتك، مجده ذاك الطويل الأناة والغفور، وابذل كل جهد كي تتجنب الخطيئة المتعمدة. لأنه بذلك سوف تُغفر خطاياك يومياً حتى مماتك، ستكون حماقة منك أن تخطئ بطريقة طبيعية مع معرفتك الكاملة بما تفعله. ومع ذلك إذا ضربت كلب اليأس بحجر الرجاء وتضرعت إلى الله بقوة وإصرار، فإن خطاياك الكثيرة سوف تُغفر لك، حينئذٍ، في الدهر الآتي، فأنت أيضاً كمديون سوف تحب الله الذي يفوق كل صلاح ولازال يحنو عليك.

٦٤- عندما، تكون متقوياً بنعمة الله، تجد نفسك ممتلئاً بالدموع في الصلاة قدام الله، منطرحاً على الأرض متمددا على شكل صليب، تضرب الأرض بجبينك وتطلب النجاة

من هذه الحياة والإنعتاق من الفساد والتحرر من التجارب والإغراءات. لكن اطلب ما تريد أن يمنحه لك، ليس كما تريد أنت، ولكن كما وعندما يشاء الله. لأنه من جهتك، يجب أن تشتاق إلى رحيلك الآن، آملاً، أذا أتيت أمام الله بدموع وفى أعماق الإتضاع، فسوف تقف ثابتاً وواثقاً في لهيب رغبتك وصلاتك؛ ولكن يجب أيضاً أن تكون مستعداً أن يتأخر موتك في الوقت الحاضر، لعل الله يتوقع شيئاً أفضل لك. اتبع هدفك بقوة، مكرساً حياتك بالكامل لله، في كل أفعالك، وكلماتك، ونواياك، باحثاً بكل الوسائل الممكنة أن لا تسقط بعيداً عنه.

٦٥- طالما لازلت موجوداً في الجسد، لا تحاول أن تسبر الأعماق الداخلية التي للحقائق العقلية حتى ولو انجذبت تجاههم القوى العقلية التي لنفسك بواسطة نقاوتها. لأنه إذا لم يتحرر الجزء اللا جسدي من الإنسان، الذي هو الآن مندمج مع النَفَسْ والدم، من خشونة المادية، ويدخل عالم الحقائق العقلية، لا يستطيع أن يفهم هذه الحقائق بطريقة صحيحة. يجب بناء على ذلك أن تهيئ نفسك كي تخرج من هذا العالم المادي كما ولو كان من رحم ما مادي ثاني مظلم، وأن تدخل هذا العالم الغير مادي والمنير، ممجدين بفرح المُنعِم علينا الذي يحملنا من خلال الموت تجاه تحقيق آمالنا. كن يقظاً كل الأوقات بسبب الشياطين الأشرار التي تحيط بنا، متآمرين دائماً كي نسقط من النعمة ويراقبون كعبنا باحتيال (ق.م. تك ٣: ١٥)، وذلك إلى نهاية حياتنا، كي يمسكوا علينا غلطة. بناء على ذلك، حتى نهاية حياتك، سرْ في خوفٍ ورعدةٍ، بسبب عدم التيقن مما هو آتٍ؛ لأنه حيث إنك وُهِبتَ إرادة حرة، لذلك قد خُلقت بطبيعة متغيرة ومتقلبة.

٦٦- العدو يهاجمنا بمغريات (وتجارب) ضارية ورهيبة عندما يدرك أن نفسنا تطمح في أن تتسلق مرتفعات الفضيلة. هذا ما نتعلمه من كلمات الصلاة الربانية ومن خلال محاولتنا أن نرتقي إلى ما وراء الازدواجية[1] المادية التي لجسدنا والأشياء المحسوسة. المبغض للجنس البشرى يُجربنا بمثل هذا الخبث وهو أن نيأس حتى من الحياة. بالطبع، في تفاهته، لا يفهم أنه يتسبب في منحنا كثير من البركات وفى اختبار تحملنا وفى ضفر كثير من الأكاليل الرائعة لنا.

(١) المقصود بالإزدواجية هنا هى إزدواجية الخير والشر، الحياة والموت، الليل والنهار الى آخره....- م.

٦٧- لا يوجد جهاد أعظم من جهاد كبح[١] النفس والبتولية. من يُكرم التبتل تُعجَب به حتى الملائكة ويكلل مثل الرياضيين[٢]. إذا كان، وهو مربوط بالجسد والدم، يكافح كي يحاكى الطبيعة الغير مادية التي للملائكة، فرهيبة هي المعركة التي توجب عليه القتال فيها؛ وإذا كان ناجحاً، فعظيم هو إنجازه الذي يبدو افتراضياً مستحيلاً ويفوق طبيعتنا. حقاً، سوف تكون مستحيلة إذا لم يساعدنا الله من الأعالي، معضداً ضعف طبيعتنا، مصلحاً ما قد أنتن[٣]، وبطريقة ما يقيمنا من الأرض من خلال الحب ومن خلال الرجاء لأجل العطايا المذخرة لنا.

٦٨- ترهل الجسد الناتج عن الشرب الزائد والنوم الزائد هو عائق عظيم لكبح النفس. كبح النفس الحقيقي لا يتأثر حتى من الخيالات التي تنهض أثناء النوم. إذا تتبع الفكر هذه الخيالات، فهذا يدل على أنه لازال يحمل في أعماق نفسه مرض الشهوات. لكن إذا وُجِدَ مستحقاً من خلال النعمة أن يناجى الله خارجاً عن الجسد أثناء النوم، يبقى غير متأثراً بهذه الخيالاتّ ويعمل كحارس يقظ للنفس والجسد، (حافظاً) كلاهما في سلام. الفكر عندئذٍ يكون مثل كلب الراعي الذي يستمر بمراقبة الذئاب الماكرة، مانعا إياهم من نهب القطيع.

٦٩- مرة أخرى، سوف أقول لك شيئاً غريباً الذي أنت لست منذهلاً منه. سرٌ (روحي) يتم سراً بين النفس والله في الدرجات العليا من النقاوة الكاملة، الأيمان والمحبة. عندما يتصالح إنسان بالكامل مع الله فأنه يتحد به من خلال الصلاة الغير منقطعة والتأمل. هذه كانت حالة إيليا عندما أغلق السماء، مسبباً جفافاً (ق.م. ١مل ١٧: ١)، وحرق المحرقة بنار من السماء (ق.م. ١مل ١٨: ٣٦- ٣٨). في مثل هذه الحالة شق موسى البحر (ق.م. خر ١٧: ١١- ١٣). وفى مثل هذه الحالة نجا يونان من الحوت ومن العمق (ق.م. يو ٢: ١- ١٠). لأن الشخص الذي وُجِدَ مستحقاً لهذا السر (الروحي) يُلزِم إلهنا الرحيم أن يفعل أي شيء يطلبه[٤]. حتى ولو كان في الجسد، فإنه قد عبر إلى ما وراء حدود الفساد والفناء، وهو ينتظر الموت وكأنه مثل النوم اليومي الذي سوف يأتي به إلى تحقيق آماله بسعادة.

---

(١) كبح النفس بمعنى تقييد وضبط النفس عن الأهواء والخطايا- م.

(٢) فى اليونان القديمة كان الفائز فى المسابقات الرياضية يضعون على راسة أكليل من نبات الغار- م.

(٣) مثلما فعل مع لعازر عندما أقامه من الأموات بعدما أنتن- م.

(٤) (يع ٥: ١٦)- م. 'طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها'

٧٠- كن ممتلئاً بالتوقير لآلام ربنا، لأجل إخلاء ذات الكلمة الإلهي لأجلنا، وقبل كل شيء، التضحية بجسد ودم، خالق الحياة، واندماجهم فينا[1]. لأننا قد استحققنا ليس فقط أن نتناول منهم لكن أن نقدس القربان أيضاً. تواضع مثل حمل يساق للذبح، معتبراً بالحق أن كل الناس كرؤسائك، وكافح أن لا تجرح ضمير أي إنسان، خاصةٍ بدون سبب. لا تتجرأ أن تلمس العطايا المقدسة وأنت لست طاهراً، لئلا تحترق مثل العشب بالنار الإلهية وتتدمر مثل الشمع المنصهر.

٧١- إذا صليت الأسرار الإلهية الموقرة الرهيبة بطريقة لائقة، وبعدم وجود أي شيء على الإطلاق في ضميرك، يُمكن أن تأمل في خلاصك؛ لأن المنفعة التي سوف تأتى بها من هذا، سوف تكون أعظم من التي تأتى من أي عمل أو من التأمل. لكن إذا لم تستطيع أن تصلى كما يجب عليك، فسوف تدرك أنت نفسك أنه أفضل (لك) أن تعرف ضعفك وتنسحب من الكهنوت من أن تتمم خدمتك الكهنوتية بطريقة معيوبة وغير نقية، وتبدو مُمَجداً في نظر الناس ولكنك في حقيقتك جثة يُبكى عليها بسبب عدم استحقاقك.

٧٢- كما أن الشمس تفوق النجوم كذلك عبادة وتضرعات وتوسلات الكاهن تفوق كل صلاة وترتيل بالمزامير. لأننا نحن الكهنة عندما نقدس القرابين، نبدأ فيها، ونقدمها في وساطة الابن الوحيد نفسه الذي في رحمته المعطاة مجانياً ذُبح لأجل الخطاة. وبتوفر هذا: أن يكون ضميرنا غير ملوثاً، فنحن نأخذ بذلك ليس فقط مغفرة الخطايا، لكن كل الأشياء التي نصلى من أجلها والتي لمنفعتنا. ما هو متحد مع الإلوهة يحرق أدغال الخطيئة مثل الفحم وينير قلوب هؤلاء الذين يقتربون بالإيمان. بطريقة مماثلة، الدم الإلهي الثمين يطهر وينقى أكثر من أي زوفا أي بقعة أو دنس في هؤلاء الذين يتجرأون أن يأخذونه بكل نقاوة وقداسة يستطيعونها.

٧٣- كما قال أحد القديسين[2]، ليس جسد الله الكلمة الذي أُصعد هو الذي ينزل من السماء ويتم تقديمه كذبيحة؛ إنهما الخبز والنبيذ هما اللذان يتحولان إلى جسد ودم المسيح من خلال الصلوات الطقسية التي يتم تأديتها بإيمان، ومخافة، وبشوق ووقار بواسطة هؤلاء الذين وُجِدوا مستحقين للكهنوت المقدس. وهذا التحول يتحقق من خلال

---

(١) من خلال سر الإفخارستيا- م.

(2)(iv, 13 p.g. xcv, 1144- s; ed kotter, p.194 (القديس يوحنا الدمشقى، فى الإيمان الأرثوذكسى

حضور الروح القدس. الخبز والخمر لا يصبحان جسداً آخراً عن الذي لربنا، بل تحولا إلى جسده، ويكونان عندئذٍ مصدراً للخلود وليسوا فانيين بعد، بناء على ذلك ما هي النقاوة والقداسة التي يجب أن تكون مطلوبة من الكاهن الذي يمس الجسد الإلهي؟ وما هي الجرأة التي لا يجب أن يكون عليها كوسيط[١] بين الله والناس، أخذاً كشفيع مشارك الأكثر قداسة والدة الإله، وكل القوات الملائكية السمائية، والقديسين من كل جيل[٢]؟ وحيث أن له، وظيفة، ملائكية، أو حتى مختصة برؤساء الملائكةِ، فهو يحتاج من وجهة نظري أن يكون مثل الملاك أو رئيس الملائكة.

٧٤- يجب أن تلاحظ، (يا) بيسنيوس، أن العطايا المقدسة التي تنتظر التكريس (ككاهن) توجد على المذبح[٣] بعد كشفهم (بعد) قانون الإيمان لأن هناك يكون نوع من التضرع الصامت لله لهؤلاء الذين يقدمونهم. ناظرً لهم مكشوفين، لا يحجب الله نظره أو يستخف بهذه التضرع؛ لأنه يتذكر إخلائه الطوعي لذاته من أجلنا نحن الخطاة، ونزوله الذاتي الذي يفوق الوصف، وموته الرحيم. إنه لم يفدينا ولم ينقذنا من خلال آلامه لأننا نستحق ذلك، لكن لأنه مباركاً ومترفقاً، أشفق علينا وجددنا بالرغم من إساءاتنا.

٧٥- بالرغم من أنه، من خلال ممارسة الصلاة النقية التي فيها يتحد الفكر اللا مادي بطريقة لامادية مع الله، وإنك تأخذ عربون الروح (القدس) وترى كما في مرآة البركات التي تنتظرك بعد الحياة الحالية، وبالرغم من أنك تختبر بالكامل وبوعي ملكوت السموات في داخلك، لا تسمح لنفسك أن تتحرر من الجسد بدون معرفة سابقة لموتك. صل بإصرار من أجل هذه المعرفة وكن على رجاء حسن في أخذها عندما تكون قريباً من الموت، إذا كان هذا من أجل منفعتك. هيئ نفسك باستمرار للموت، طارحاً كل خوف جانباً، حتى، يمكن أن تدخل بشجاعة أقبية السماء عابراً الهواء وهارباً من الأرواح الشريرة. مصنفاً مع الرتب الملائكية وتُعَد مع الأبرار والمختارين، حينئذٍ سوف تنظر الألوهة، على قدر ما يكون هذا مستطاع. بمعنى، سوف تدرك البركات التي تأتى منه، بالإضافة إلى أن كلمة الله يسكب نوره من خلال المناطق التي تعلو السموات، ممجداً في جسده الذي لا تشوبه شائبة، مع الآب والروح القدس، في فعل واحد للعبادة بواسطة كل قوات السموات والقديسين. آمين.

---

(١) وتعنى شيخ وتستخدم أيضاً كوسيط- م. Πρεσβυτέρους كلمة كاهن باليونانية

(٢) وهم المذكورين فى مجمع القداس الإلهى ونطلب شفاعاتهم وطلباتهم فى مجمع التسبحة- م.

(٣) المقصود هنا الجسد والدم- م.

ملحق

النصوص المتنوعة المنسوبة للقديس مكسيموس المعترف

كما تم توضيحه في مقدمة الخمس مئويات لـ «نصوص متنوعة في علم معرفة الله، والتدبير الإلهي، والفضيلة والرذيلة» فأنها جزئياً للقديس مكسيموس، ومصدر هذه النصوص بالتفصيل هي كالتالي:

م: من أعمال مكسيموس (في أغلب الأحيان التعبير تم تكييفه من قبل المُجمع).

س: من scholia on To Thalassios:On Various Question.

م س: جزئياً من مكسيموس، وجزئياً من سكوليا.

د: من القديس ديونسيوس الأريوباغي.

المئوية الأولى

١- ٢٥ ؟م

٢٦- ٤٢م

٤٣ ؟م

٤٤- ٤٧ م س

٤٩- ٥٣ م

٥٤ س

٥٥- ٦١ م

٦٢ م س

٦٣- ٦٤ س

٦٥- ٧٠ م

٧١س

٧٧- ٧٨ س

٧٩- ٨٣ م

٨٤ س

٨٦- ٨٨ م

٨٩ س

٩٠- ٩١ م

٩٢- ٩٣ س

٩٤ م

٩٥ س

٩٦ م

٩٧م س

٧٢- ٧٤ م

٧٥ س

٧٦ م

٩٨س

٩٩- ١٠٠ م

المئوية الثانية

١ م

٢- ٣ س

٤- ١٠م

١١ م س

١٢- ١٣ س

١٤- ١٨ م

١٩- ٢١ س

٢٢- ٢٣ م

٢٤س

٢٥م س

٢٦س

٢٧م س

٢٨- ٢٩ س

٣٠- ٣٤ م

٣٥- ٣٧ س

٣٨ م

٣٩- ٤١ س

٤٢م

٥٩ س

٦٠ م

٦١ س

٦٢- ٦٣ م

٦٤ س

٦٥ م س

٦٦- ٦٧ م

٦٨- ٦٩ س

٧٠- ٧٢ م س

٧٣ م

٧٤- ٧٥ س

٧٦ م

٧٧ س

٧٨- ٧٩ م

٨٠ س

٨١- ٨٤ م

٨٥ م س

٨٦ س

٤٣- ٤٤ س

٤٥- ٤٨ م

٤٩س٩٠ م

٥٠- ٥٣ م

٥٤- ٥٥ م س

٥٦م

٥٧س

٥٨م

٨٧ م س

٨٨- ٨٩ س

٩١ س

٩٢ م س

٩٣- ٩٩ م

١٠٠ س

المئوية الثالثة

١ م س

٢ م

٣ س

٤ م س

٥- ٦ س

٧ م

٨ س

٩- ١٢ م

١٣س

١٤م

١٥س

١٦- ١٧ م

١٨س

٤٣ م س

٤٤- ٥٠ س

٥١ م

٥٢ س

٥٣- ٥٤ م

٥٥ ؟

٥٦- ٥٧ س

٥٨-٦٠ م

٦١- ٦٢ س

٦٣ م

٦٤- ٦٨ س

٦٩- ٧١ م

٧٢- ٧٤ س

١٩م س
٢٠م
٢١م س
٢٢م
٢٣س
٢٤م س
٢٥م
٢٦- ٢٧ س
٢٨- ٣١ م
٣٢- ٣٣ س
٣٤ م
٣٥- ٣٧ س
٣٨ م س
٣٩- ٤٠ م
٤١ س
٤٢ م

٧٥- ٧٦ م
٧٧ س
٧٨م
٧٩ س
٨٠- ٨٧ م
٨٨- ٨٩ س
٩٠ م
٩١س
٩٢م
٩٣س
٩٤- ٩٥ م
٩٦ س
٩٧ م
٩٨- ٩٩ س
١٠٠ م

المئوية الرابعة

١ م س
٢ م
٣ س
٤ م س
٥ س
٦-٨ م
٩ س
١٠ م

٤٨ م س
٤٩- ٥٢ م
٥٣- ٥٥ س
٥٦م
٥٧- ٥٨ س
٥٩م
٦٠س
٦١م

١١- ١٢س
١٣ م
١٤ س
١٥- ٢١م
٢٢ س
٢٣ م س
٢٤ س
٢٥ م
٢٦ س
٢٧- ٢٩م
٣٠ س
٣١- ٣٣م
٣٤ س
٣٥ م
٣٦ س
٣٧ م
٣٨ س
٣٩- ٤٠ م
٤١ س
٤٢- ٤٤ م
٤٥ م س
٤٦ س
٤٧ م

٦٢ س
٦٣- ٦٧ م
٦٨ س
٦٩ م
٧٠ س
٧١- ٧٤ م
٧٥ س
٧٦- ٧٨م
٧٩ م س
٨٠ س
٨١- ٨٤ م
٨٥- ٨٨ س
٨٩ م
٩٠ م س
٩١- ٩٢س
٩٣ م س
٩٤ م
٩٥ س
٩٦ م س
٩٧- ٩٨ م
٩٩ س
١٠٠ م

المئوية الخامسة

١-٢ س
٣-٤ م س

٤٠س
٤١ م

٥م
٦س
٧م
٨س
٩م
١٠ م س
١١ س
١٢- ١٣م
١٤- ١٥س
١٦- ١٧م
١٨- ١٩س
٢٠- ٢١م
٢٢- ٢٣م س
٢٤ م
٢٥ س
٢٦- ٢٧م
٢٨ م
٢٩ م س
٣٠ م
٣١- ٣٢ م س
٣٣ س
٣٤ م
٣٥ م س
٣٦- ٣٧ م
٣٨ م س
٣٩ م
٤٢ س
٤٣ م س
٤٤ م
٤٥ س
٤٦ م س
٤٧- ٤٩م
٥٠ س
٥١ م
٥٢ م س
٥٣ م
٥٤ س
٥٥ م س
٥٦- ٥٧م
٥٨ س
٥٩- ٦٥م
٦٦ د
٦٧ م
٦٨ د
٦٩- ٨١ م
٨٢- ٨٣ د
٨٤ م
٨٥- ٨٦ د
٨٧- ٨٩ م
٩٠- ٩١ د
٩٢- ١٠٠ م

الفهرس

مقدمة لنيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس.	٧– ٨
مقدمة المترجم.	١٠
القديس ثيودوروس الناسك العظيم: مقدمة تمهيدية.	١١
مئوية من النصوص الروحية.	١٢– ٣٤
الثيورتيكون.	٣٥– ٤٥
القديس مكسيموس المعترف: مقدمة تمهيدية.	٤٦– ٤٨
١– أربعة مئويات عن الحب مُقدمة لإلبيديوس القس:	٤٩
المئوية الأولي.	٥٠– ٦٢
المئوية الثانية.	٦٢– ٨٠
المئوية الثالثة.	٨٠– ٩٦
المئوية الرابعة.	٩٧– ١١٠
٢– مئتا نص فى علم معرفة الله والتدبير الإلهى لتجسد إبن الله كُتِبَتْ لطلاسيوس :	
المئوية الأولى.	١١١– ١٣٢
المئوية الثانية.	١٣٣– ١٥٨
٣– نصوص متنوعة في علم معرفة الله، والتدبير الإلهي، والفضيلة والرذيلة:	
– المئوية الأولى.	١٥٩– ١٨١
– المئوية الثانية.	١٨٢– ٢٠٢
– المئوية الثالثة.	٢٠٣– ٢٢٦
– المئوية الرابعة.	٢٢٧– ٢٥٣
– المئوية الخامسة.	٢٥٣– ٢٧٧
٤– في الصلاة الربانية.	٢٧٧– ٢٩٥

القديس طلاسيوس الليبي: مقدمة تمهيدية.	٢٩٦
في الحب، وضبط النفس، والحياة بحسب الفكر كُتبت لبولس القس:	
المئوية الأولي.	٢٩٧- ٣٠٣
المئوية الثانية.	٣٠٣- ٣٠٩
المئوية الثالثة.	٣٠٩- ٣١٦
المئوية الرابعة.	٣١٦- ٣٢٤
القديس يوحنا الدمشقي: مقدمة تمهيدية في الفضائل والرزائل.	٣٢٥- ٣٣٣
أنبا فليمون: مقدمة تمهيدية.	٣٣٣
مقالة عن أنبا فليمون.	٣٣٤- ٣٤٥
القديس ثيئوغنوستوس: مقدمة تمهيدية.	٣٤٦
في ممارسة الفضائل، التأمل الروحي والكهنوت.	٣٤٦
ملحق: النصوص المتنوعة المنسوبة للقديس مكسيموس المعترف.	٣٦٥

ἙΚΑΤΟΝΤΑ'Σ ΠΡΩ'ΤΗ
ΤΩ'Ν ΠΕΡΙ' Α'ΓΑ'ΠΗΣ
ΚΕΦΑΛΑΙ'ΩΝ.

لا يوجد شيء يجمع معاً هؤلاء الذين انفصلوا وينتج فيهم إتحاداً فعالاً للمشيئة والهدف أكثر من الحب. الحب يُميِّز بجمال إدراك القيمة المتساوية لكل الناس. الحب يُولَد في الإنسان عندما تكون قوى نفسه- التي هي، الذكاء والقوة الغضبية والرغبة- مُركَّزة ومُوَحَّدة حول ما هو إلهي. هؤلاء الذين أتوا بالنعمة إلى إدراك القيمة المتساوية لكل الناس في نظر الله ومن حفروا جماله في ذاكرتهم، يمتلكون اشتياقاً لا يمكن نزعه للحب الإلهي، لأن مثل هذا الحب يطبع دائماً هذا الجمال على فكرهم.

(فقرة رقم ٢٧ المئوية الثانية عن الحب)

